رحلة إلى عالم المعرفة

رحلة إلى عالم المعرفة

الدكتور السيد بهنسي
أستاذ الإعلام بجامعة عين شمس

عالم الكتب

بهنسى ، السيد .
رحلة الى عالم المعرفة / السيد بهنسى . ط 1 . – القاهرة :
عالم الكتب ، 2009
654 ص ، 24 سم
تدمك : 1-698 –232 –977
أ- المعرفة - البحوث
1 – العنوان 1.072

نشر. توزيع . طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 23924626
فاكس : 0020223939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 23926401 - 23959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الأولى
1430 هـ - 2009 م

❖ رقم الإيداع 23823 / 2008

❖ الترقيم الدولى I.S.B.N
977– 232– 698-1

❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكترونى : info@alamalkotob.com

مطبعة أبناء وهبه حسان
٢٤١(أ) ش الجيش - ميدان الجيش
ت: ٢٥٩٢٥٥٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ ﴾

صدق الله العظيم

قبل أن تقرأ هذا الكتاب

إذا أردت أن تستبق المستقبل ... وأن تحل تقاطعات الحاضر وتداخلاته غير المفهومة فى كثير من الأحيان ... وأن تعرف إلى أى اتجـــاه ستمضـــى ، فتأمل بعمق أحداث العالم التى مرت أو مازالت تمر ، واقرأها جيداً ، فما مضى لن يكون يوماً مجرد أوراق قديمة ، إلا لمن لا يعى قيمة التجربة !

إن الذاكرة الواعية للأمم لا تتكون من انحسارها فى ذاتها ، والاكتفـــاء بمعرفة حاضرها أو تاريخها فقط ، وإنما يمتد أفقها ويتسع من خلال تأمل مايمر به الآخرون فى صراعاتهم وانطلاقاتهم وانكساراتهم . إن كثيراً مـــن تجـــارب التاريخ تعاد مرة أخرى بأسماء جديدة وأثواب جديدة وأماكن جديدة ، ولكن إلى حد كبير بنفس المقدمات والأحداث والنتائج .

إن تاريخ العالم لم يكن يوماً إرثاً لوطن ، أو لفترة زمنية ... وإنما كان نسيجاً صنعته سنين طوال لأمم عاشت صعوداً وانـــدثاراً ، وأحـــداث حفلـــت بمقدمات وتفاعلات وتداعيات ، ومسارات حسمتها شخصيات أوجـــدت مكانـــاً لنفسها فى ذاكرة التاريخ ، قد نختلف أو نتفق على تقديره ، وقد أدت كل هـــذه العوامل أدوارها فى اكتمال تفاصيل صورة العالم ، التى يجب أن نعيها إذا اردنا أن نحيا حياة ذات معنى ، تستبين الآتى من رؤية واضحة لمجريـــات حاضـــر يلملم تفاصيله ، واستيعاب ماضٍ لا ننظر إليه كصفحة طويت ، وإنما نراه كتاباً اكتمل ، ومضى صانعوه ... لنتأمله على مهل ...

لذا فمهما تباينت الآراء ، واختلفت المعايير ، ستظل المعرفة المتعمقة لما يدور فى عالمنا من أحداث وما يؤثر فيها من شخصيات أساساً جوهرياً لتكوين أفكارنا ، و تدعيم إدراكنا للعالم الذى نحيا فيه ... وهذا ما سعى اليه هذا الكتاب الذى رصد أهم الأحداث العالمية ، والانجازات العلمية ، والاكتشافات الكبرى ، والصراعات الفاصلة ، والشخصيات التى أدت دوراً محورياً ومؤثراً فى صياغة تاريخ العالم ، معتمداً على المصادر العلمية ذات الصلة ، فى إطار يبتعد عن جفاف العلم الذى يمثل حاجزاً بين الكثيرين والقراءة، سعياً إلى تلافى نقص مؤثر فى ثقافتنا نعانى نتائجه دون أن تمتد أيدينا لتخلق أسبابه ...

إن المعرفة ليست أزمنة ودولاً وأحداثاً لا تعنى سوى أطرافها ، بل هى وعى بكيفية تأثير متغيرات الأزمنة والدول على مجرى الأحداث ، إنها ليست ماذا حدث ؟ ولكنها كيف ولماذا حدث ؟ إنها إبحار نحو النور ، ونحو مستقبل لن يكون إلا لمن يملك بوعى إرادة التغيير ، ويكون مستعداً لتحمل تبعاتها ... فالتاريخ لم يعرف يوماً حضارة لأمة كانت تجهل نفسها أو الطامعين فيها .

و الآن هذا كتابى أقدمه إليك ... وأرجو الله أن يوفقنى فيما قدمت ....

القاهرة ٢٠٠٩/١/١

أ.د السيد بهنسى

ترتيب سور القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم فى ثلاث وعشرين سنة ، منها ثلاث عشرة فى مكة وعشر فى المدينة المنورة ، وكان أوله نزولاً قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ سورة العلق الآيات (١ – ٥) ، وكان آخره قوله تعالى : ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ سورة المائدة آية (٣) ، والتى نزلت فى حجة الوداع ، أثناء وقوف المسلمين بعرفة ... وكان بين نزولها ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إحدى وثمانون ليلة.

وعدد سور القرآن الكريم (١١٤) سورة ، نزل أغلبها بمكة قبل الهجرة، وتسمى " السور المكية " ، والباقى بعد الهجرة إلى المدينة وتسمى " السور المدنية " وأكثرها من السور الطوال ، وكانت تنزل منه الآية والآيتان وما هو أكثر من ذلك وقد تنزل السورة كاملة إذا لم تكن طويلة ، ومن أمثلة ذلك فاتحة الكتاب ، وسورة الإخلاص ، وكلما نزلت آية أو سورة يبلغها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ويُحَفظها لهم ثم يتلون أمامه ما حفظوا ليتثبتوا من حفظه ، وكانوا يعلمونه من لم يشهد النزول من إخوانهم وبهذا حفظ القرآن الكثير من الصحابة.

وكذلك كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يأمر كُتَّاب الوحى بكتابة ما ينزل وقت نزوله ، ومن هؤلاء زيد بن ثابت ، وعلى بن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود ، وأنس بن مالك ، وأُبَىّ بن كعب ، وعبد الله بن سلام ، ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهم فكانوا يكتبون ما يمليه عليهم فى الرقاع والصحائف.

وترتيب القرآن توقيفى ، فقد أجمع المسلمون على أن الرسول كان يوقف أصحابه عند الكتابة أو الحفظ على ترتيب آيات السور ، ويعلمهم مواضعها من السور وكان يقرأ السور الطوال وغيرها فى الصلوات وخارج الصلوات جهراً فيسمعونه وكانوا يقرأون أمامه على ما رتب وعلم ، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم عرض القرآن بعد تمامه مرتين على جبريل ثم قرأه عليه أصحابه بعد ذلك على الترتيب الذى نعرفه الآن ، فلم ينتقل عليه الصلاة والسلام إلى جوار ربه حتى كان القرآن كله مكتوباً يحفظه الكثير من أصحابه.

لكن الصحائف والألواح التى كتب عليها القرآن لم تكن مجموعة فى مصحف واحد ، وإنما جمعت فى خلافة أبى بكر الصديق ، إذ اقترح عليه عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن ، فأمر بذلك أبو بكر لأن بعض حفظة القرآن استشهدوا فى حروب الردة ، فجمعت الرقاع حتى وصلت إلى السيدة حفصه زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ... وحين تولى عثمان بن عفان الخلافة أشار عليه بعض الصحابة أن يكتب للناس مصاحف ويرسلها إلى الأمصار التى انتشر فيها الإسلام ليجتمع المسلمون على مصحف واحد وحتى لا يقع فى القرآن تبديل فى آياته أو تغيير فى ترتيبه فأرسل عثمان إلى حفصه أن ترسل إليه الصحف لنسخها ، وأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها ، ثم رد عثمان الصحف إلى حفصه وأرسل إلى كل قطر مصحفاً.

أول من أمر بجمع الحديث

الخليفة عمر بن عبد العزيز ، حيث لم يدون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه من ساعته خشية أن يختلط على عامة المسلمين بالقرآن ، فلما توفى عليه الصلاة والسلام لم يكن شئ من كلامه مكتوباً ، لذلك صرف الصحابة همهم إلى نشره بطريقة الرواية أو بنفس الألفاظ التى سمعوها منه ، أو بما يؤدى معناها كل ذلك مع تحرى الصدق فيما ينقلون ، ولم يزل كذلك أمر الحديث فى عصر الصحابة وأول عصر التابعين ، حتى تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة فكتب إلى أبى بكر بن حزم ، وكان نائبه فى الأمر والقضاء بالمدينة يأمره بكتابة الحديث خوفاً من ذهاب العلم والعلماء.

وكذلك دون الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز عالم أهل الحجاز محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، ورواه عنه كثير من العلماء ، ثم شاع جمع الحديث وتدوينه بعد ذلك فى البلاد الإسلامية فجمعه عبد الملك بن جريح بمكة، ومالك بن أنس بالمدينة ، وعبد الرحمن الأوزاعى بالشام ، وغير هؤلاء بالأمصار الأخرى ، وكانوا فى عصر واحد فى القرن الثانى من الهجرة ... ومازال تدوين الحديث متتابعاً حتى ظهر الإمام محمد بن إسماعيل البخارى ، وبرع فى علوم السنة فزاد فى التحرى واجتهد فى انتقاء الصحيح من الحديث ،

ووضع كتابه المشهور بصحيح البخارى ، واقتفى أثره فى ذلك الإمام مسلم بن الحجاج وكان من الآخذين عن البخارى والمستفيدين منه فوضع كتابه المعروف بصحيح مسلم ، ولقب هذان الكتابان بالصحيحين ، وعظم انتفاع الناس بهما ، ثم وضعت بعدهما كتب فى الحديث كثيرة ولكنها لم تبلغ مرتبتهما فى الصحة ، لهذا كان لهما المنزلة الأولى فى نفوس المسلمين إلى اليوم.

تقاويم العالم

كان عمر بن الخطاب هو أول من ابتكر التقويم الهجرى واتخذه كبداية للتاريخ الاسلامى ، وجعل غرة محرم أول السنة الهجرية لأنه أول الأشهر التى حرم فيها القتل ، ومنذ ذلك الحين عرف التاريخ العربى بالتاريخ الهجرى ، وبدأ الاحتفال بهذه المناسبة الدينية فى عهد الدولة الفاطمية.

وكان العرب فى الجاهلية يستعملون التقويم القمرى ، وكان العام عندهم اثنى عشر شهراً قمرياً ، يبدأ الشهر برؤية الهلال وينتهى برؤيته مرة ثانية ... وكانت أسماء الشهور عندهم على ما هى عليه الآن : محرم / صفر / ربيع الأول / ربيع الثانى / جمادى الأولى / جمادى الآخرة / رجب / شعبان / رمضان / شوال / ذو القعدة / ذو الحجة ... ولكنهم لم يكونوا يؤرخون بالسنين ، وإنما كانوا يميزونها بحوادثها المهمة التى تحدث فيها مثل عام الفيل .

ومن الجدير بالذكر أن التقويم هو نظام لقياس الزمن يعتمد على حركات الأجرام السماوية وخاصة الأرض والقمر ... فالأرض تدور حول الشمس فى فترة قدرها ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٦ ثانية ، أى ما يقرب من ٣٦٥ $\frac{١}{٤}$ يوم ، وكذلك اتخذت بعض الشعوب حركة القمر حول الأرض لنفس الغرض والشهر القمرى هو الفترة بين الهلال والهلال التالى له .

وقدماء المصريين هم أول من قاس طول السنة الشمسية بدقة بالغة فقسموا السنة إلى أثنى عشر شهراً ، كل منها ثلاثون يوماً ويليها خمسة أيام نسئ ، ثم أضافوا يوماً كاملاً كل أربع سنوات نتيجة لوجود كسر مقداره ربع يوم فى طول السنة.

وعلى نمط التقويم المصرى القديم وضع التقويم القبطى ، كما احتفظ التقويم القبطى بأسماء الشهور التى عرف بها التقويم الفرعونى منذ الأسرة الخامسة والعشرين ، وبدأ هذا التقويم عام ٢٨٤م منذ بداية تولى الامبراطور الرومانى دقلديانوس تخليداً لذكرى شهداء المسيحيين الذين نكل بهم هذا الإمبراطور ... وشهور التقويم القبطى هى : توت / بابه / هاتور / كيهيك / طوبة / أمشير / برمهات / برموده / بشنس / بؤونه / أبيب / مسرى .

أما تقويم الشهور الميلادية المعروفة لنا قد بدأه الرومان ثم قومه يوليوس قيصر عام ٤٥ ق.م ، وفى عام ١٥٨٢ م أعلن جريجورى الثالث عشر بدء العام من أول يناير بدلاً من ٢٥ مارس ، ويطلق على هذا التقويم اسم التقويم الجريجورى.

أما التقويم السريانى فيعود إلى عام ٣١٢م ، وينسب الى السريان وهم أقوام عاشوا فى بعض مناطق الشرق الأوسط من زمن بعيد ، ويعرف هذا التقويم أيضاً بتقويم الإسكندر لأنه وضع فى عهده .

ويشبه التقويم السريانى التقويم الجريجورى وشهوره هى : تشرين أول / تشرين ثان / كانون أول / كانون ثان / شباط / آذار / نيسان / أيار / حزيران / تموز / آب / أيلول الذى يحتوى على ٢٨ يوماً ، وباقى الشهور ٣٠ أو ٣١ يوماً ، وكل من كانون أول وكانون ثان ٣١ يوماً ... ونتيجه لتساوى السنتين الجريجورية والسريانية ، وكذلك توافق عدد أيام الأشهر المتناظرة مع بعضها فإن التحويل من وإلى بعضها يسير جداً.

قدماء المصريين
يقدمون للعالم فن الكاريكاتير

يعتبر قدماء المصريين أول من استخدم فن الكاريكاتير الذى كان بمثابة سخرية ضاحكة من الضعف البشرى على وجه العموم ، ولم يكن موجهاً ضد أشخاص بالذات ، فمن بين ما ترك لنا الفنان المصرى القديم رسماً لصراع بين القطط والفئران ، حيث يركب ملك الفئران عجلة حربية يقودها كلبان ويهجم على حصن تحرسه القطط ، حيث رأى الفنان فى هذا العمل أن الأعداء أو غيرهم من صغار الشأن قد تجرأوا وحاربوا من هم أقوى منهم وأكثر منعة ... كما ترك الفنان المصرى رسماً رائعاً لثعلب يرعى قطعاناً من الماعز بينما يقود ذئب الأوز .

ومضى زمن طويل حتى جاء الإيطاليون فجعلوا من الكاريكاتير لوناً من ألوان التسلية الشعبية الخفيفة ، وتجلت هذه الظاهرة كأقوى ما تكون فى رسوم الفنان " انيبال كارتشى " (١٥٦٠ -١٦٠٩م) والفنان " بييترو جيزى " (١٦٧٤ – ١٧٥٥م) الذى تمتاز رسومه بالخفة وإن لم تكن رفيقة بالشخصيات المرسومة.

وأول رسام استخدم الكاريكاتير كسلاح سياسى هو الإنجليزى " جورج تاونسهند " الذى عرف فيما بعد باسم " المركيز " ... غير أنه جاء بعد ذلك من

تفوق عليه فى فنه وهو " وليم هوجارث " الذى كان رساماً جدياً موهوباً ، وكان يؤمن بأن رسومه تتفوق كثيراً على رسوم الكاريكاتيريين الإيطاليين على الرغم من أنه استعار الكثير من أفكارهم ... وقد أدت أعماله إلى قيام مدرسة إنجليزية للسخرية استخدم أفرادها الكاريكاتير كسلاح مباشر لمهاجمة خصوم الأحزاب السياسية التى ينتسبون إليها ويعملون لحسابها ... وقد اتخذ هؤلاء الفنانون لأنفسهم أسلوباً حراً حياً ، ولكن يمتاز بالحرارة والسخرية ، وكانوا يطبعون رسومهم باللونين الأسود والأبيض ثم يلونونها بأيديهم ويعرضونها فى المكتبات فكانت تؤدى نفس رسالة الرسوم الكاريكاتيرية السياسية التى تنشرها الصحف اليوم ، وكان كثيرون يقبلون على شرائها لتكون موضوعات للتسلية والمناقشة فى الحفلات والمجتمعات ولكن انتشار الصحف الرخيصة الطباعة وازدياد عدد القارئين وضعا حداً لقيام هذه المدرسة الساخرة فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر.

أما فى مصر فقد كان أول من حاول إدخال الكاريكاتير فى الصحافة المصرية هو يعقوب صنوع " أبو نظارة " الذى أصدر مجلة هزلية اسمها "أبونظارة " وانتقد فيها بقسوة حكومة الخديو اسماعيل ، وكان يدعم نقده برسوم كاريكاتيرية يستعين فيها بفنانين أجانب معظمهم من الإيطاليين ، غير أن الحكومة ضاقت به ذرعاً فنفته إلى الخارج ، حيث اتخذ من باريس مقراً له ، وصار ينشر فيها صحيفته تحت أسماء مستعارة منها " أبو زمارة " و"أبوصفارة" ويرسل نسخاً منها إلى الشخصيات المعروفة فى مصر غير أن الحكومة صادرتها وحرمت تداولها.

ثم بعث فن الكاريكاتير مرة أخرى على يد الصحفى المصرى أحمد حافظ عوض فى مجلة كان يصدرها قبل الحرب العالمية الأولى تحت اسم "خيال الظل" ... وبعد ذلك جاء إلى مصر فنان أسبانى يدعى " جوان سانتيز " قدم

أعماله فى صحيفة الكشكول ، ثم جاء فنان أرمنى يدعى " صـــاروخان " قـدم رسومه الأولى فى مجلة " الجديد " ثم " على رفقى " الذى قدم لوناً من هذا الفن يمزج بين الزخرفة والتعبير ، واستطاع الثلاثة أن ينشئوا مدارس للكاريكـــاتير تخرج فيها عدد كبير من الرسامين المعروفين أمثال رخا وعبد السميع وزهدى وغيرهم.

طريق الحرير

اكتشف الصينيون صناعة الحرير حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م ، وعرفوا فى هذا الوقت المبكر فنوناً مبهرة لإتقان صناعته وتطريزه ، وقد أذهلت هذه الصناعة عقول الناس قديماً ، فسعوا لاقتناء الحرير بشتى السبل ، حتى أنهم كانوا يحصلون عليه مقابل وزنه بالأحجار الكريمة ، وقبل خمسة آلاف سنة بدأ الحرير يأخذ طريقه من الصين إلى أرجاء العالم ، ليس الحرير وحده بالطبع، وإنما نقلت معه بضائع كثيرة ، ما لبث انتقالها من الصين وأقاصى آسيا إلى أواسط آسيا وشمال أفريقيا ووسط أوربا أن اتخذ مسارات محددة ، عرفت منذ القدم باسم ... طريق الحرير .

وفى واقع الأمر ، فإن طريق الحرير لم يكن طريقاً واحداً ، وإنما شبكة من الطرق التى تصب فى طريقين كبيرين ، حيث كان يبدأ من المراكز التجارية فى شمال الصين حيث ينقسم إلى فرعين شمالى (فى الصيف) ، وجنوبى (فى الشتاء) ، يمر الفرع الشمالى من منطقة بلغار – كيبتشاك وعبر شرق أوربا وشبه جزيرة القرم وحتى البحر الأسود وبحر مرمرة والبلقان ووصولاً للبندقية ، أما الفرع الجنوبى فيمر من تركستان وخراسان وعبر بلاد ما بين النهرين وكردستان والأناضول ومن ثم فى أنطاكية إلى البحر الأبيض

المتوسط أو عبر بلاد الشام إلى مصر وشمال أفريقيا ... والذى يجمع بين هـذه السبل والمسارات جميعاً ، هو أنها مسالك للقوافل المتجهة من الشرق إلى جهة الغرب ، لتمر فى طريقها ببلدان ما لبثت أن ازدهرت مع ازدهار هذا الطريـق التجارى الأكثر شهرة فى العالم القديم.

وقد انتظمت مسارات طريق الحرير منذ القرن الخامس قبل المـيلاد ، وظلت منتظمة حتى القرن الخامس عشر ، كان طريق الحرير خلالـ ـا معبـراً ثقافياً واجتماعياً ذا أثر عميق فى المناطق التى يمر بها ، ويتفق الباحثون علـى أن أهم فضائل هذا الطريق بمساراته المختلفة أنه كان موصلاً فعالاً للحضارات التى ضمها العالم خلال هذه الفترة من حضارات صينية ، ومغوليـة تترية ، وكورية ، ويابانية ، وهندية ، وفارسية ، ووسط آسيوية ، ومصـرية ، وبحـر متوسطية ، وهناك العديد من الإبداعات العلمية والتقنية المهمة التى اخترعت فى تلك الأزمان وانتقلت وتبادلت بين شعوب البلدان التى مر الطريـق بأرضـها ، ويذكر المؤرخون أن أهم هذه الاختراعات هى البنادق ، والبارود ، والبوصلة ، وورق الطباعة ، وقوانين العلوم الرياضية والطبية وغيرها ، كمـا تـم تبـادل الأدوات الموسيقية بل وأصناف الموسيقى ذاتها بين الشرق والغرب ، ومن أهم صور التبادل الثقافى أن امتزجت أفكار على طول هذا الطريق وحسـب كـل عقيدة ومذهب دينى ، وشيدت المعابد والمساجد والكنائس على طول المحطـات المهمة بهذا الطريق.

غير أن النشاط الاقتصادى ظل دوماً هو العامل الأهم والأظهر أثـراً ، ويكفى لبيان أثره وأهميته أن طريق الحرير أدى إلى تراكم المخزون العـالمى للذهب فى الصين ، حتى أنه بحلول القرن العاشر الميلادى صـارت الصـين وحدها تمتلك من مخزون الذهب قدراً أكبر مما تمتلكه الدول الأوربية مجتمعة .

واستمر ذلك حتى جاء القرن الخامس عشر ليكتب نهاية حياة طريق يعده الباحثون أول طريق عابر للقارات عرفه التاريخ بإجمالى طول يتعدى فى دائرته المغلقة ١٧,٠٠٠ كم. وجاء اندثار الطريق لعدة أسباب فى مقدمتها تطوير التجار المسلمين طريق النقل البحرى من الخليج العربى عبر المحيط الهندى وصولاً إلى شرق آسيا .

كما أدى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح من قبل الأوربيين الساعين إلى احتكار التجارة والساعين فيما بعد إلى استعمار دول آسيا إلى هجر طريق الحرير اعتماداً على أن قوة الاستعمار الأوربى تكمن فى قوته وأساطيله البحرية أكثر من الانتشار الاستعمارى فى وسط آسيا بمخاطره العديدة .

ويميل الباحثون الشرقيون إلى القول بأن الشرق هو الذى أعطى وأمد الغرب ليس فقط بالبضائع بل بالأفكار والفلسفات والاختراعات العلمية بينما لم يقدم الغرب سوى بعض السلع كالقمح والزيوت والزجاج والصوف ، بل أن بعض الباحثين يرى أن استعمار الشرق من قبل الدول الأوربية سببه جغرافية طريق الحرير وما قدمته من معلومات أغرت الغرب بالعدوان .

حين يتحول المد إلى " تسونامى "

المد والجزر عبارة عن تذبذبات بحرية تحدث عادة كل يوم أو مرتين فى اليوم ، فتتقدم المياه تارة نحو الساحل محدثة ما يسمى بالمد ، وتارة تنحسر عنه كاشفة ما سبق لها أن غطته وهو ما يسمى بالجزر ... وقبل أن تحدث حركة المد والجزر هذه يبدو البحر ساكناً بعض الوقت ، ويقال عندئذ أنه راكد ، والواقع أن التيار يضعف كثيراً قرب نهاية كل حركة مد ، ثم يتزايد بعد ذلك لكى يصل إلى أقصاه فى منتصف فترة الجزر ، والفارق الرأسى بين مستوى سطح البحر فى فترتى المد والجزر يسمى " سعة المد " وهذه السعة تبلغ فى العادة مترين ، وتصل إلى أعلى مستوى لها فى خليج " فوندى " الواقع بين اسكتلندا الجديدة والساحل الكندى حيث تصل أحياناً إلى تسعة عشر متراً .

تنشأ حركة المد والجزر عن الجذب الذى تحدثه الكواكب على الكرة الأرضية بسبب قوة الجاذبية (وبصفة خاصة الشمس والقمر) وهذا الجذب يزداد شدة كلما كبر حجم الكوكب أو زاد اقترابه من الكرة الأرضية ، وعلى ذلك فإن القمر هو العامل الأساسى فى حدوث المد والجزر ، إذ أنه قريب جداً من الأرض بالرغم من أن كتلته أصغر كثيراً من كتلة الشمس ، ولذلك فإن قوة جزر الشمس تبلغ ٤٦% من الجزر القمرى.

ففى أثناء دوران الأرض يجذب القمر مياه الجزء الذى يواجهه من الأرض ... وفى بعض الأحيان تقع الشمس والقمر والأرض على خط مستقيم ، ومن ثم تجذب الشمس المياه مع القمر فيكون المد أعلى من المعتاد ويطلق عليه " المد الربيعى " ويقابله " الجزر المحاقى " الذى ينخفض إلى ما دون المعتاد ... ومن واقع أشكال الشمس والقمر والأرض أمكن حساب أقصى درجة من الجاذبية للقوى المؤثرة على حركة المد والجزر فوجد أنها تحدث مرة كل ألف وستمائة عام تقريباً ، ويرجع تاريخ آخر أعلى مد إلى عام ١٤٣٣م.

وتعتبر حركة " المد والجزر " ذات نفع كبير ... فأثناء فترة الجزر فإن المياه تحمل معها كل ما يمكنها جرفه من البقايا ، كما أنه لا يمكن الحفر بحثاً عن القواقع إلا فى حالة الجزر ، أما فى حالة المد فإن الماء العالى يندفع إلى مصب النهر فتتمكن السفن الكبيرة من الوصول إلى الموانئ التى قد تكون أحياناً بعيدة عن البحر.

وأخيراً فإن سرعة حركتى المد والجزر تحدث تيارات تزداد شدة كلما زادت سرعة المد ، أو كانت الممرات المائية أكثر ضيقاً ، والواقع أنه عندما يأخذ الممر فى الضيق نحو الساحل فإن الماء عند ارتفاع المد لا يجد أمامه مساحة كبيرة من اليابس ليمتد فوقها وبالتالى يزداد ارتفاعه وكذلك سرعته ، ومن الواضح بالطبع أن قوة تيارات المد والجزر تمثل مصدراً هائلاً للطاقة يمكن استغلالها.

وقد يتسبب المد فى كارثة حقيقية بكل معانيها خاصة إذا ما صاحبته هزة أرضية وفى هذه الحالة لا يطلق عليه مد بل يطلق عليه "موجات المد الزلزالية" ومن أمثلة هذه الموجات " تسونامى " ... وأمواج التسونامى هى عبارة عن سلسلة من أمواج البحر السريعة والقوية التى تنتج عن الزلازل أو

ثورات البراكين أو سقوط الشهب من الفضاء الخارجى فى البحار والمحيطات.

ويكثر حدوث ظاهرة أمواج تسونامى فى منطقة المحيط الهادى ، حيث يوجد أكثر من نصف براكين العالم ، وعندما تقع تلك الظاهرة فإن المناطق الساحلية تتعرض دون إنذار مسبق فى بعض الأحيان لموجات بالغة القوة ، ويمكن لتلك الأمواج أن تحمل صخوراً من حوائط صد الأمواج وزن الواحدة منها عشرون طناً ، وأن تقذف بها لمسافة عشرين متراً ، وتختلف أمواج تسونامى عن أمواج البحر العادية حيث أن طاقة الأولى تستمد من حركة الأرض وليس من الرياح ، ويصل طول أمواج تسونامى " أى المسافة بين قمة الموجة وقاعها " إلى مائة متر ، كما أن الزمن بين إحدى موجات تسونامى والموجة التالية لها قد يصل إلى ساعة كاملة.

سور الصين العظيم

يعتبر سور الصين العظيم مشروعاً دفاعياً عسكرياً قديماً بارزاً ونادراً فى التاريخ المعمارى البشرى ، إنه رمز للأمة الصينية ، تبدأ حكايته حين بدأت الممالك المختلفة فى عهد الربيع والخريف (من عام ٧٧٠ ق.م إلى عام ٤٧٦ ق.م) وعهد الممالك المتحاربة (من عام ٤٧٥ ق.م إلى عام ٢٢١ ق.م) بناء أسوار على حدودها من أجل الدفاع عن نفسها ، وأصبحت تلك الأسوار أقدم جزء من سور الصين العظيم ، وفى عام ٢٢١ ق.م وحد الإمبراطور " شى هوانغ دى " الممالك المتحاربة ، وأسس أول دولة موحدة ذات سلطة مركزية فى تاريخ الصين وهى أسرة تشين الملكية ، من أجل تثبيت حدودها وصد عدوان قومية شيونغ نو التى كانت تعيش فى مناطق شمال أسرة تشين الملكية ، ربط شى هوانغ دى الأسوار التى كانت بنتها الممالك المتحاربة مما شكل سور أسرة تشين الملكية الذى بلغ طوله أكثر من ٥٠٠٠ كيلومتر ، وبعد ذلك واصلت الأسر الملكية المتعاقبة فى الصين بناء أسوار على هذا الأساس ، ويبلغ إجمالى طول الأسوار التى بنتها الأسر الملكية المختلفة ٥٠ ألف كيلو متر ، ولم يبق منها حالياً سوى ٦٧٠٠ كيلومتراً فقط .

إن سور الصين العظيم ليس سوراً فقط ، بل هو مشروع دفاعى متكامل

يتكون من الحوائط الدفاعية وأبراج المراقبة والممرات الاستراتيجية وثكنات الجنود وغيرها من المنشآت الدفاعية ، ويسيطر على هذا المشروع الدفاعى نظام قيادى عسكرى متكامل يتكون من مستويات مختلفة .

وتعتبر أبراج الإنذار جزءاً مهماً أيضاً من مكونات الدفاع لسور الصين العظيم ، إنها مرافق لإرسال ونقل معلومات عسكرية ، وفى الحقيقة أن أبراج الإنذار بصفتها أداة لنقل المعلومات كانت موجودة منذ القدم ، وتم الاستفادة منها منذ بداية بناء سور الصين بصورة جيدة بل كان يتم إكمالها تدريجياً لتصبح أفضل أسلوب لإرسال ونقل المعلومات العسكرية فى العهود القديمة ، وكان أسلوب نقل المعلومات هو إطلاق الدخان نهاراً وإشعال النار ليلاً ، إنه أسلوب علمى وسريع لنقل المعلومات إذ يمكن معرفة عدد الأعداء من عدد المَواقع التى انطلق منها الدخان أو أشعلت فيها النار ، وفى عهد أسرة مينغ الملكية أضيفت أصوات المفرقعات فى وقت إطلاق الدخان وإشعال النار لتعزيز فاعلية الإنذار ، الأمر الذى يمكن من إبلاغ المعلومات العسكرية بدقة إلى أماكن بعيدة ومختلفة فى لحظة واحدة ، وفى ظل عدم وجود الهواتف والاتصالات اللاسلكية فى العهود القديمة يمكن القول أن هذا الأسلوب لنقل المعلومات العسكرية كان سريعاً جداً .

يمر سور الصين العظيم بتضاريس جغرافية مختلفة ومعقدة ، حيث يعبر الجبال ويخترق الصحراء ويجتاز المروج ويقطع الأنهار ، لذلك فإن الهياكل المعمارية للسور مختلفة وغريبة أيضاً إذ بنى السور فى المناطق الصحراوية بمواد مكونة من الأحجار المحلية نظراً لشح الصخور والطوب ، أما فى مناطق هضبة التراب الأصفر شمال غربى الصين ، فبنى السور بالتراب المدكوك أو الطوب غير المحروق ، لكنه متين وقوى لا يقل عن متانة السور المبنى بالصخور ، وتوجد قناة لصرف المياه على قمة السور لأجل صرف مياه الأمطار تلقائياً وحماية السور.

أطلانتيس ... " القارة المفقودة "
حقيقة أم أسطورة ...؟!!

أذاع الكهنة المصريون سرها لأول مرة ... وكان الحكيم والسياسى الإغريقى " سولون " أول من نقل قصتها إلى العالم بعد زيارته لمصر عام ٥٧٠ ق.م.

وذكر " سولون " القصة التى عرفها من قدماء المصريون وتتمثل فى "أن الجزيرة كان يحكمها مجلس الآلهة ويدير شئونها أنصاف الآلهة من كهنة معبد الشمس ، وأن سكانها كفروا بالإله الأعظم ، وظنوا أنهم بمعرفتهم أصبحوا آلهة وأنهم يستطيعون السيطرة على مقدرات الكون وغزو العالم ، فأنزل عليهم الإله غضبه وحلت بهم لعنة السماء ، فعندما غربت الشمس قذفت السماء جزيرتهم بحممها والجبال بنيرانها وغمرها البحر بأمواجه ، وتقلصت الأرض كثعبان كبير وانشقت لتبتلع كل ما كان عليها من كائنات ، واختفت الجزيرة الكبيرة بأكملها فى جوف البحر الأزرق العظيم ، وعندما أشرقت الشمس عم السكون كل شئ بعد أن أخفى معالم الأطلنتيس ومكانها واحتفظ لنفسه بسرها واسمها " .

وهناك مخطوطة مصرية مكتوبة على ورق البردى تدعى مخطوطة هاريس طولها ٤٥ متراً تشير إلى المصير الذى لاقته قارة أطلانتس وهى

محفوظة فى المتحف البريطانى ، كذلك مخطوطة مصرية أخرى محفوظة فى متحف الارميتاج فى مدينة سان بطرسبرج فى روسيا تشير إلى إرسال الفرعون بعثة إلى الغرب بحثاً عن أطلانتس .

كما حدد الكهنة المصريون لسولون تاريخ غرق قارة الأطلانتيس بعام ١٠٢٢٠ ق.م ... وهو نفس التاريخ الذى حدده كثير من الباحثين فى معاهد بحوث علوم الأطلنتيس الحديثة .

وتحدث عن هذه القارة المفقودة أيضاً كل من هيرودوت وأفلاطون وسقراط بعد زياراتهم لمصر مؤكدين حقيقتها بعد اطلاعهم على الوثائق المصرية.

ووصف أفلاطون الأطلنتيس بأنها جزيرة كبيرة تقع خلف أعمدة هرقل (جبل طارق) وقدر مساحتها بحوالى ٦٠٠ ألف ميل مربع ، وكانت على شكل قلب ولذلك سميت " قلب السماء " وتتكون من الجزيرة الرئيسية وست جزر أخرى صغيرة ولذلك أطلق عليها أيضاً اسم " أرض الجزر السبع " ، واشتهرت بثرواتها الطبيعية وخاصة الذهب والبرونز والفضة ، واشتهر أهلها بتفوقهم فى الزراعة وفنونها ... وكان جوها معتدلاً حيث تحميها سلسلة من الجبال العالية من العواصف والرياح ، واشتهر أهلها بتربية الأفيال التى كانت تمدهم بالعاج وتفوقوا فى الصباغة والنسيج ، كما اشتهرت القارة بموانيها البحرية وإتقان أهلها فنون الحرب ، وفى عام ١٩٧٧م استطاعت وكالة ناسا التقاط بعض الصور التى تظهر سلسلة قنوات رى متطورة فى بيرو والمكسيك موجودة فى قاع البحر وعلق بعض الباحثين على أن تلك الصور قد جاءت متطابقة لوصف أفلاطون لقارة أطلانتيس .

وطبقاً لوصف قدماء المصريين ... تركزت الدراسات الخاصة بموقع

القارة المفقودة خلف أعمدة هرقل حيث توجد عدة جزر أثبتت بحوث الجيولوجيا الحديثة فى طبقاتها الصخرية وحفرياتها البحرية أنها كانت تحت سطح البحر ولم تظهر إلا فى عصور متقاربة مع اختفاء هذه القارة .

ويشير التفسير العلمى الخاص بقارة الأطلانتيس والذى توصل إليه علماء الجيولوجيا والأعماق والمحيطات إلى التطورات التى حدثت فى التكوين القارى للقشرة الأرضية التى نتج عنها نشأة المحيط الأطلسى ، وهى نظرية الانفصال القارى التى أمكن بها إثبات أن شواطئ أوربا وأفريقيا الغربية وشواطئ أمريكا الشرقية يكمل أحدهما الآخر . وكانا فى الماضى كتلة واحدة وانفصلا عن بعضهما تدريجياً ، ونشأ عن الانفصال سلسلة من الجبال يطلق عليها " الجرف العظيم " تمتد من وسط أفريقيا وتتصل ببعض شعبها بشمال أفريقيا وشاطئ أمريكا الجنوبية ، وينتهى الجرف بقاعدته العريضة التى يطلق عليها " جرف الدرافيل " ، ويقع فى مواجهه جبل طارق وشبه الجزيرة الأسبانية بين خطى عرض ٣٠ ، ٤٥ ويغلب الظن أنها كانت قارة الأطلانتيس.

ثم حدث تقلص فى المحيط قدر تاريخه بين ١٢٥٠٠ و ١٤٠٠٠ سنة نتج عنه هبوط سلسلة الجبال التى تكون منها الجرف ، فتدفق تيار الخليج الدافئ من الجنوب إلى شمال المحيط وتسبب عنه ذوبان الجليد الذى أطلق عليه نهاية العصر الجليدى ... وقد نتج عن ذوبان الجليد طوفان الماء العظيم الذى أغرق كثيراً من الجزر وشواطئ المحيط . وقد كشف العلماء من آثار الحفريات والغابات وبقايا حيوان الماموث التى وجدت مطمورة فى المستنقعات التى تكونت من ذوبان الجليد أن عمرها يرجع إلى ١٢٥٠٠ سنة ... كما تبين من بقايا النباتات البرية والصخور البركانية وطبقات الرماد البركانى التى وجدت فى قاع الجرف والتى ثبت أنها تكونت فوق سطح الأرض أن عمرها يرجع إلى نفس التاريخ ، وهو ما أكد حقيقة أسطورة الاطلنتيس وتاريخ غرقها الذى كان قدماء المصريين أول من حدده فى العالم.

أخفض مكان عن سطح البحر
فى العالم

البحر الميت ... ويسمى أيضاً " بحيرة لوط " نسبة إلى سيدنا لوط عليه السلام الذى عاش وقومه فى هذه البقعة ، ويذكر أن مدينتى سدوم وعمورة ترقدان فى أعماق البحر الميت على إثر زلزال هائل أرسله الله عليهم بسبب ما شاع بينهم من الفساد الأخلاقى ، ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ سورة هود (٨٢) ، وبذلك ابتلعت الأرض المدينتين بأكملهما وطغى الماء مكوناً البحر الميت أخفض بقعة عن سطح البحر فى العالم حيث يقع على عمق ٤١٧ متراً عن سطح البحر .

ومع أن اسمه البحر الميت إلا أنه فى الواقع عبارة عن بحيرة شديدة الملوحة تبلغ عشرة أضعاف ملوحة المحيطات ويعمل تبخر المياه على زيادة نسبة الملوحة مما لا يسمح بأن تعيش فيه أية كائنات بحرية ولذلك سمى بهذا الاسم ، وعندما يلتقى ماء البحر بصخور الشاطئ فإنها تصطبغ بلون الثلج نتيجة للأملاح المتجمعة على صخور الساحل .

تبلغ مساحته الإجمالية حوالى ٩٤٥ كيلومتراً مربعاً ، ومن أهم مصادر مياهه نهر الأردن الذى يصب فيه من الشمال .

فلسفة كونفوشيوس
تحكم الصين عشرين قرناً

كونفوشيوس هو أول فيلسوف صينى ينجح فى إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعى والأخلاقى ، ففلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقى أعلى ، وقد ظلت هذه الأفكار تتحكم فى سلوك الناس أكثر من ألف عام .

ولد كونفوشيوس سنة ٥٥١ ق.م فى شمال شرقى الصين فى أسرة فقيرة رغم ما امتازت به من عراقة ، مات أبوه وعمره ثلاث سنوات ولم يترك لهم ثروة ينفقون منها مما اضطر أمه للعمل للإنفاق عليه ، وتزوج وهو فى التاسعة عشرة من عمره وأنجب من زوجته ولد ، واختلفت المصادر حول السن الذى هجر فيه بيته وتجول فى جميع أنحاء الصين ، بيد أنهم لم يختلفوا حول حقيقة هجره لإبنه وزوجته ، وقام بتعلم الموسيقى والتى كانت حديثة العهد فى ذلك الوقت وتعلم الشعائر الدينية وقام من خلال تجاربه بوضع منهج أخلاقى بحت يعتمد على الموسيقى والمبادئ الأخلاقية المثلى .

كثيراً ما وصف كونفوشيوس بأنه أحد مؤسسى الديانات ، وهذا تعبير غير دقيق إن لم يكن خاطئاً فمذهبه ليس ديناً ، فهو لا يتحدث عن إله أو

السماوات ، وإنما مذهبه طريقة فى الحياة الخاصة والسلوك الاجتماعى والسلوك السياسى، يقوم على الحب ، حب الناس وحسن معاملتهم والرقة فى الحديث والأدب فى الخطاب ، ونظافة اليد واللسان ، وأيضاً يقوم مذهبه على احترام الأكبر سناً والأكبر مقاماً ، وعلى تقديس الأسرة وعلى طاعة الصغير للكبير وطاعة المرأة لزوجها ، ولكنه فى نفس الوقت يكره الطغيان والاستبداد وهو يؤمن بأن الحكومة إنما أنشئت لخدمة الشعب وليس العكس ، وأن الحاكم يجب أن يكون لديه قيم أخلاقية ومثل عليا .

وكان كونفوشيوس محافظاً فى نظرته إلى الحياة فهو يرى بأن العصر الذهبى للإنسانية كان وراءها – أى كان فى الماضى ، وهو لذلك كان يحن إلى الماضى ويدعو الناس إلى الحياة فيه ... ولكن الحكام فى زمانه لم يكونوا مع رأيه ولذلك لقى بعض المعارضة ، وقد اشتدت هذه المعارضة بعد وفاته ببضع مئات من السنين ، فقد تولى حكم الصين ملوك أحرقوا كتبه وحرموا تعاليمه ... ورأوا فيها نكسة مستمرة ، لأن الشعوب يجب أن تنظر أمامها ، بينما هو يدعو الناس إلى النظر إلى الوراء ... ولكن ما لبثت تعاليم كونفوشيوس أن عادت أقوى مما كانت وانتشر تلاميذه وكهنته فى كل مكان ... واستمرت فلسفته كونفوشيوس تتحكم فى الحياة الصينية قرابة عشرين قرناً – أى من القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر بعد الميلاد – ، أما إيمان أهل الصين بفلسفة كونفوشيوس فيعود إلى سببين أولاً أنه كان صادقاً مخلصاً ، وثانياً أنه شخص معقول ومعتدل وعملى ، وهذا يتفق تماماً مع المزاج الصينى . بل هذا هو السبب الأكبر فى انتشار فلسفته فى الصين ، فلم يطلب إليهم أن يغيروا حياتهم أو يثوروا عليها ، وإنما أكد لهم كل ما يؤمنون به فوجدوا أنفسهم فى تعاليمه ، ولذلك ظلت فلسفة كونفوشيوس صينية ، ولم تتجاوزها إلا إلى اليابان وكوريا ... ولكن هذه الفلسفة قد انحسرت تماماً عن الصين بعد أن تحولت إلى

الشيوعية واتجهت الصين إلى المستقبل وانتزعت نفسها من هذه الفلسفة وذلك بالبعد عن الماضى ومسالمة الناس فى الداخل والخارج ، ولكن تظل فلسفة كونفوشيوس التى حققت سلاماً وأمناً داخلياً أكثر من عشرين قرناً للصين .

سقراط ... نهاية درامية

إن معلوماتنا عن سقراط قليلة ، وما نعرفه عن أفكاره ومنهجه وخاتمة حياته الشهيرة والمثيرة ، جاءتنا عن طريق تلاميذه وبخاصة أفلاطون ، والأمر المؤكد أنه كان من الشخصيات المعروفة فى أثينا عاش بين عامى (٤٧٠ – ٣٩٩ ق.م) ... كان يرتدى الملابس الرثة ويسير حافى القدمين ، لا يعبأ بالحر أو البرد أو الجوع أو العطش ، ولكنه فى الوقت ذاته كان رجلاً واثقاً من نفسه غاية الثقة ، ولا يعنيه النجاح الدنيوى كغيره من الناس.

كان يؤمن بأن البحث عن المعرفة أمر على أكبر قدر من الأهمية ، وأن الإنسان لا يذنب عن وعى وإدراك ، وعلى ذلك فلابد من المعرفة كى يصبح الناس جميعاً فضلاء تماماً ، وللوصول إلى المعرفة كان يتبع طريقة المنطق الجدلى عن طريق السؤال والجواب ، فكان يتظاهر بالجهل ويستفسر من محدثه بأسئلة تثير الشك ، وتكشف عما فى أقوال محدثه من نواحى التناقض ويستمر فى حديثه يستخلص الحقيقة مستعيناً بالعقل ... لقد دار فكر سقراط حول طبيعة الفضيلة ومكارم الأخلاق ودفاعه عن العقل باعتباره المثل الأعلى ، وقد سعى إلى الاستدلال القياسى للحصول على البراهين اليقينية ، والحقيقة أنه بدأ من نقطة البدء فى العلم وذلك باستخدام الأدلة الاستقرائية والتعريف التام ، ودعانا

إلى أن نفكر أسلم تفكير ممكن بحيث نجعل أفعالنا مطابقة لأفكارنا ولتحقيق ذلك لابد من تعقب معارفنا إلى النقط التى منها بدأت وإلى استعراض الآراء على أنها فروض ممكنة لنكشف عما يترتب عليها عن نتائج وعما بينها من روابط ... كذلك فإننا يجب أن نعلن عن أفكارنا إعلاناً صريحاً على الملأ ، وأن ندعو الآخرين إلى نقد أفكارنا ، وأن نكون على استعداد لأن نعاود النظر فى تلك الأفكار.

وقد حظيت نهاية حياة سقراط بإثارة كبيرة لما تخللها من أحداث ... ذلك أن عام ٤٠٤ ق.م كان ختام هزيمة أثينا فى الحرب التى خاضتها ضد أسبرطة ، والتى تطوع فيها سقراط كمحارب وطنى ، وكان السبب فى هذه الهزيمة الخيانة من ناحية ، وإلى جانب النشاط الذى كانت تقوم به من ناحية أخرى عصابة من الإرهابيين عرفوا باسم " الثلاثين طاغية " ، وهم الذين ارتقوا إلى السلطة فى أثينا والحرب توشك أن تصل إلى نهايتها ، وبعض هؤلاء بالإضافة إلى الكبيادس الذى لعب أهم دور فى الخيانة كانوا فى وقت ما على صلة بسقراط بالرغم من أنه لم يكن مسئولاً عن جرائمهم على الإطلاق .

وفى عام ٣٩٩ ق.م قدمت الحكومة الديموقراطية التى استعادت السلطة سقراط إلى المحاكمة بتهمة كفره بالآلهة وإفساده الشباب ، وتمت المحاكمة علناً أمام محكمة ضخمة تضم (٥٠١) من المحلفين ، ولم يجد سقراط صعوبة فى الدفاع عن نفسه ضد الجزء الأول من التهمة ، ولا شك أنه كان سيبرأ من التهمتين إذا ما كانت لديه الرغبة فى التنصل من رسالته ، وبدلاً من أن يفعل ذلك أعلن أنه لا يستحق أى عقاب ، وأنه مصلح عام يدعو إلى الصلاح ، ولا يطمع فى أى جزاء مادى ، ولكن أغلب المحلفين اعتبروه مذنباً ، وكان القانون يخول له حق اختيار العقوبة التى يرتضيها ، وبإلحاح من تلاميذه عرض أن يدفع غرامة مالية ، ولكن هذا أحنق خصومه فأصدرت أغلبية المحكمة قراراً

بإعدامه ودبر له تلاميذه وسيلة للفرار لكنه رفض انتهاز الفرصة قائلاً إنه لو فعل ذلك فإنما يتنكر لمبادئه التى قادت حياته كلها ... وأخيراً أعدم سقراط بأن شرب جرعة من الشوكران وهى الطريقة التقليدية التى كانت متبعة فى أثينا لتنفيذ حكم الإعدام.

وقدم أفلاطون فى كتابه " دفاع سقراط " نصوصاً حرفية من خطاب سقراط الذى ألقاه أثناء محاكمته ، كما أنه بالصفحات الأخيرة من " محاورة فيدو" وصف حى للمشهد الأخير فى حياته ، وتعتبر هذه النصوص من أعظم وأسمى أعمال الأدب الإغريقى.

أفلاطون

أحد أعظم الفلاسفة الغربيين ، حتى أن البعض يعتبر الفلسفة الغربية هوامش لفلسفة أفلاطون ، ولد فى أثينا فى أسرة ارستقراطية وعاش بين عامى ٤٢٧ – ٣٤٧ ق.م ، وقد تتلمذ على يد أستاذه سقراط الذى أثر إعدامه تأثيراً شديداً عليه فاعتزل الحياة العامة فى أثينا ، وخرج منها مرتحلاً لعدة سنوات فسافر إلى مصر ثم إلى جنوب إيطاليا ، التى كانت تعتبر آنذاك جزءاً من بلاد اليونان القديمة ، ثم انتقل من هناك إلى صقلية حيث قابل ديونيسوس ملك سيراكوسا المستبد ، على أمل أن يجعل من هذه المدينة دولة تحكمها الفلسفة ، لكنها كانت تجربة فاشلة ، سرعان ما دفعته إلى العودة إلى أثينا ، حيث أسس فى حدائق اكاديموس مدرسته التى باتت تعرف بأكاديمية أفلاطون ، لكن هذا لم يمنعه من معاودة الكرة مرات أخرى لتأسيس مدينته الفاضلة فى سيراكوسا فى ظل حكم مليكها الجديد الشاب ، ففشل أيضاً فى محاولاته ، الأمر الذى أقنعه بالاستقرار نهائياً فى أثينا حيث أنهى حياته محاطاً بتلاميذه .

أوجد أفلاطون ما عرف فيما بعد بطريقة الحوار ، التى كانت عبارة عن دراما فلسفية حقيقية ، عبر من خلالها عن أفكاره عن طريق شخصية سقراط ، الذى تمثله إلى حد بات من الصعب جداً من بعده التمييز بين عقيدة التلميذ

وعقيدة أستاذه الذى لم يخلف لنا أى شئ مكتوب ، هذا وقد ترك أفلاطون كتابة ثمانية وعشرين حواراً وصلت جميعها إلينا تتألق فيها صورة سقراط التى تتخذ طابعاً مثالياً ، كما تتضح من خلالها نظرياته فى المثل .

وتتركز عقيدة أفلاطون بشكل عام حول فكرة (العقل) بأنه القوة القادرة على كشف المفهوم والنظام اللذان يحكمان العالم المتغير المظاهر ، وعلى خلق الحياة المنسجمة السعيدة بين الحكومة والشعب وبينما كانت نظرة سقراط بأن الفضيلة هى شكل من أشكال الفهم ، وأن المعرفة هى السبيل إلى الحياة السعيدة، فإن نظرة أفلاطون هى أن التعليم الفلسفى يجب أن يهدف إلى خلق الانسجام بين العقل والعاطفة ، وأن الحياة السعيدة هى التى يكون فيها الإنسان سيد نفسه والتى يحكم العقل فيها إرادته لا كشئ دخيل عليها وإنما كدليل ومصدر طبيعى يهدى ويغذى تلك الإرادة.

وذكر أفلاطون – فى كتابه الجمهورية الذى يعد العمل الرئيسى له – أنه ينبغى أن يكون فى المجتمع ثلاث طبقات هى طبقة الحكام وطبقة الجند وطبقة الفلاحين والصناع ، واعتبر طبقة الحكام طبقة عالية تتملكها قوة العقل وتتحكم فيها النزعة الفلسفية ويتوافر لها المعرفة وهى طبقة الفلاسفة .

ويضيف أفلاطون أنه حين تضيق الدولة على سكانها بعد أن كانت كافية لسكانها الأولين فإنها تضطر لمد نطاق مراعى المدينة وحقولها بواسطة الحرب، وبالتالى تحتاج إلى تشكيل جيش من الجنود المحترفين ، وهؤلاء هم الطبقة الثانية من طبقات المجتمع .

ويرى أفلاطون تحريم الملكية الخاصة على طبقتى الحكام والجند أياً كانت هذه الملكية سواء أكانت عقاراً أم منقولات ، وأن يعيش الحكام والجند فى معسكرات ويجلسون على مائدة واحدة ويحصلون على كل ما يلزمهم ...

ذلك أن اجتماع السلطة السياسية والاقتصادية وحرية الامتلاك فى يد شخص واحد يؤدى إلى سوء استغلال السلطة .

وأخيراً تأتى طبقة العمال والتجار والصناع والزراع ، وتغلب عليهم أو يتحكم فيهم قوة الشهوة ، ويرى أفلاطون أن يحتفظ الفلاحون والصناع بما يملكونه من خيرات ولكن عليهم أن يؤدوا إلى الحكومة بعض الضرائب لإعاشة الطبقتين السابقتين .

وإلى جانب " الجمهورية " وضع أفلاطون مؤلفين مهمين هما "السياسة" و " القوانين ".

وبعد وفاة أفلاطون استمرت تعاليمه سائدة لعدة قرون ، وبعد إغلاق الأكاديمية ظهرت الأفلاطونية المحدثة التى لاقت رواجاً فى العهد البيزنطى والإسلامى كما أنها كانت العامل الفكرى المسيطر فى الفلسفة اللاتينية خلال العصور الوسطى ، ولا شك كان لها أثر كبير على الفلسفة الحديثة ، كما شهد القرنين التاسع عشر والعشرين ظهور نزعات أوربية – أمريكية قوية نحو الفلسفة الأفلاطونية.

مدرسة "أبو قراط"

قبل "أبو قراط" كان الإغريق ينظرون إلى المرض على أساس أن الأرواح هى السبب فيه ، وكانت أفضل طريقة للعلاج فى نظرهم إما ملاطفة الأرواح أو إرهابها ، ولا تزال القبائل البدائية تستخدم " الأطباء السحرة " الذين يقومون باستشارة النجوم لكتابة الرقى ، وعمل بعض الطقوس لطرد الأرواح الشريرة من جسم المريض ، وكان الناس يعتقدون أن الشخص المريض يصبح معافى بمجرد طرد الأرواح الشريرة منه.

وفى عام ٤٠٠ ق.م كان "أبو قراط" كبير الأطباء وكانت نظرته للمرض جديدة على الإغريق لأنه كان يعتقد فى علاج المريض أكثر من الاهتمام بالأرواح فى داخله ، ولم يكن أول من فكر فى ذلك إذ وجد كثير من الأطباء فى حضارات مصر وبابل وكانت لهم نفس وجهة نظر "أبو قراط" ، ويقال أن "أبوقراط" تلقى العلم فى مصر.

أسس "أبو قراط" مدرسة ظلت قائمة لعدة قرون ، وكان الطبيب فى مدرسته يستعمل النظرة السليمة فى علاج المرض ، ولم تكن لديهم العقاقير الحديثة أو الأدوات أو النظريات الطبية ولكن كانت لديهم القدرة على الحكم على الأشياء بصورة صحيحة وكذلك القدرة على الملاحظة الدقيقة ... وكانوا يرون

أنه ينبغى على الأطباء أن يحافظوا على نظافة أنفسهم ومرضاهم ، وكانوا يعتقدون أن المريض يجب أن يستنشق الهواء النقى ، وأن يحصل على الراحة التامة والجو المريح ونظام تغذية يتكون من أنواع الطعام البسيطة ، وكانوا يتبعون قواعد دقيقة لوقف نزيف الدم وتنظيف وعلاج الجروح وجبر كسور العظام وهكذا ، وكانوا يتحاشون المغالاة ويتجاهلون جميع الطقوس السحرية.

وقد جمعت كل مؤلفات مدرسة "أبو قراط" ، ومن المستحيل القول على وجه التحديد من كتب كل جزء منها ومتى كتبت ، وكل ما يعرف عن هذه المؤلفات هو القسم الذى كان يؤديه كل طبيب فى المدرسة عند ممارسته للمهنة، ولكون القسم يحافظ على أعلى المثل فى مهنة الطب فإنه لا يزال متبعاً كمرشد للأطباء فى حياتهم العملية ويتلونه عند تخرجهم ... وقسم " أبو قراط " لم يكتبه "أبو قراط" نفسه بل من المعتقد أن استعماله بدأ حوالى عام ٢٠٠ بعد الميلاد أى بعد ستة قرون من حياته .

وتوجد رسالة واحدة من بين أقدم المؤلفات التى قد يكون كتبها "أبوقراط" وتسمى " عن المرض المقدس " ويقصد به مرض الصرع ، وهى تؤيد بقوة أنه من العبث إلقاء اللوم على الأرواح الشريرة لوجود المرض لأن كل مرض له أسبابه الطبيعية ، وأن مهمة الطبيب أن يكتشف هذه الأسباب ، وفور معرفة السبب يمكن إيجاد العلاج ، ويقول البحث أن ذلك حقيقى حتى فى حالة ذلك المرض الخفى الصرع المخيف ، وهو ليس مرضاً مقدساً على الإطلاق ولكنه مرض مثل كل الأمراض ، ويقول البحث إن فكرة السبب والتأثير تنطبق على الكائنات بما فيها الإنسان نفسه ، ولأن الكائنات الحية كائنات معقدة فليس من السهل تتبع العلاقات بين السبب والتأثير ولكن يمكن فى النهاية تحقيق ذلك بل يجب الوصول إليه.

الإسكندر الأكبر ...
إمبراطورية مترامية وعمر قصير

ولد الإسكندر الأكبر (٣٥٦ – ٣٢٣ ق.م) فى بيلا عاصمة مقدونيا ، وكان والده فيليب الثانى ملك مقدونيا ... وقد عنى به والده كثيراً ، وحين كبر قليلاً استقدم الفيلسوف اليونانى أرسطو طاليس وقضى معه ثلاث سنوات حاول أرسطو فيها أن يعلمه التغلب على نزوات النفس والاعتدال فى السلوك وتغليب العقل على العاطفة ، وكان لأرسطو الأثر الأكبر فى حياة الاسكندر واستمرت علاقته به حتى عندما خرج لفتح الشرق الادنى ، فظل الاسكندر يرسل له العينات التى يعثر عليها من نباتات وحيوانات ، كما اجتهد أرسطو فى تنمية الثقافة الأدبية والذوق الفنى للإسكندر .

وفى صيف عام ٣٣٦ ق.م اغتيل فيليب الثانى فاعتلى العرش ابنه الإسكندر الذى وجد نفسه محاطاً بالأعداء ومهدد بالتمرد والعصيان من الخارج، فتخلص مباشرة من المتآمرين وأعدائه فى الداخل فحكم عليهم بالإعدام ، وقبل نهاية صيف ٣٣٦ ق.م كان قد أسس موقعه فى اليونان ، وتم اختياره قائداً.

وفى عام ٣٣٥ ق.م قام بحملة ناجحة إلى نهر دانوبا وفى عودته سحق فى أسبوع واحد الذين كانوا يهددون أمته من البرانس مروراً بثيبيس اللتان تمردتا عليه حيث قام بتحطيم كل شئ فيها ما عدا المعابد وبيت الشعر اليونانى

بيندار ، وقام بترحيل السكان الناجين وكانوا حوالى ٨٠٠٠ إلى سلافيرى ، وكانت سرعة الاسكندر فى القضاء على ثيبيس بمثابة عبرة للولايات اليونانية الأخرى التى سارعت إلى إعلان رضوخها على الفور.

وفى ربيع عام ٣٣٤ ق.م بدأ الإسكندر حربه ضد الفرس ، وبالقرب من مدينة طروادة سحق جيشاً من الفرس ، وسيطر بذلك على كل ولايات آسيا الصغرى ، وباستمرار تقدمه جنوباً واجه الإسكندر جيش الفرس الأول الذى قاده الملك داريوس الثالث ، وانتهت المعركة بهزيمة جيش الفرس هزيمة نكراء ، وفر الملك داريوس تاركاً أمه وزوجته وأولاده حيث عاملهم الإسكندر معاملة الملوك .

وفى طريق الإسكندر قاومت مدينة صور المحصنة بحرياً مقاومة قوية، إلا أن الإسكندر اقتحمها بعد حصار دام سبعة أشهر ، ثم فتح غزة ثم جاء إلى مصر ، وبهذا النجاح تمكن من التحكم فى خط الساحل الشرقى للبحر المتوسط ، وفى عام ٣٣٢ ق.م أسس مدينة الاسكندرية التى أصبحت العاصمة العلمية والأدبية والتجارية لليونان ، وفى ربيع ٣٣١ ق.م قام الإسكندر بزيارة معبد آمون رع ، كما كان يفعل المصريون القدماء .

ثم أعاد الإسكندر ترتيب قواته التى عبر بها نهرى دجلة والفرات متوجهاً إلى فارس ، وهناك قابل مرة أخرى الملك داريوس واستطاع التغلب على جيشه فى موقعه جاوجاميلا عام ٣٣١ ق.م ، وفر داريوس مرة أخرى ويقال بأنه ذبح فيما بعد على يد أحد خدمه .

ثم حاصر الإسكندر مدينة بابل ومدينة سوسا حتى فتحتا ، ثم اتجه إلى مدينة " بيرسبوليس " عاصمة الفرس حيث قام بحرقها بأكملها انتقاماً لما فعله الفرس فى أثينا فى عهد سابق ، وبهذا الإجتياح أصبح مسيطراً على إمبراطورية

كبيرة فى ثلاث سنوات فقط ، وفى عام ٣٢٦ ق.م وحين كان بصدد إكمال غزوه لبقايا إمبراطورية الفرس التى كانت تحوى جزءاً من غرب الهند ، ثار المقدونيون ضد الإسكندر ورفضوا الاستمرار معه ، فقام ببناء جيش آخر ثم أبحر إلى الخليج العربى ثم عاد براً عبر صحراء ميديا بنقص كبير فى المؤونة فخسر عدداً من قواته هناك ، وامضى الإسكندر حوالى سنة وهو يعيد حساباته ويرسم مخططاته ويحصى المناطق التى سيطر عليها فى منطقة الخليج العربى للاستعداد لإجتياح شبه الجزيرة العربية .

وصل الإسكندر إلى بابل فى ربيع ٣٢٣ ق.م ، وفى شهر يونيو أصيب بحمى شديدة مات على أثرها تاركاً وراءه إمبراطورية عظيمة واسعة الأطراف، وعمراً قصيراً لم يتجاوز ثلاثة وثلاثين عاماً .

حصان طروادة

قصت ملحمة الإلياذة التى وضعها هوميروس وهى أشهر أعمال التراث الأدبى اليونانى قصة حصان طروادة التى أصبحت رمزاً للخديعة والتآمر ... وطروادة تقع الآن جنوب غرب مدينة جنا قلعة بتركيا .

بدأت قصة هذه الحرب الشهيرة التى امتزجت فيها الأسطورة بالواقع عندما وقعت هيلين الفاتنة زوجة الملك العظيم منيلاس ملك إسبرطة اليونانية القوية فى حب " باريس " نجل بريام ملك طروادة التى كانت تنافس إسبرطة فى الجاه والنفوذ ، وحينما نفذت سهام الحب بين الاثنين أثناء زيارة باريس لإسبرطة مبعوثاً من والده ذهبت معه مختارة طائعة بعد أن ربط الحب بين قلبيهما .

ولم يقف الزوج المطعون الملك منيلاس ساكناً إزاء الإهانة البالغة التى لحقت به وبشعبه وبلاده ، فحشد جيشاً عظيماً زحف به إلى طروادة عازماً على دك حصونها ورد الزوجة الهاربة ، وقد تحالف معه فى ذلك ملوك اليونان الذين عز عليهم ما حدث لصديقهم .

وزحف الجيش الكبير بقيادة أجامنون ملك " أرجوس " والقائد العسكرى العظيم وشقيق منيلاس ملك إسبرطة الجريح فى كرامته .

وصل الجيش إلى سواحل طروادة وهاجم أسوارها وحصونها العتيدة ، واشتبك فى معركة هائلة مع جيش طروادة وكان جيشاً عظيم العدد والعدة تحت قيادة هيكتور بن بريام شقيق الخاطف " باريس" .

ونشبت بين الفريقين مذابح رهيبة ونزال شرس واستمرت المعارك الطاحنة بدون توقف لمدة عشر سنوات دون حسم لصالح أى من الجانبين ، وذلك لمتانة حصون وقلاع طروادة .

وفجأة تفتق ذهن " بوليسوس " أحد قادة إسبرطة عن حيلة ذكية تمكن بها جيشه من اقتحام أسوار طروادة وإلحاق الهزيمة المريرة بجيشها ، فقد صنع حصاناً عملاقاً من الخشب اختبأت فى جوفه كتيبة من المحاربين الأشداء ، وتركه عند أسوار طروادة متظاهراً بالهزيمة والفرار مع جيشه ، وسرعان ما خرج الطرواديون لجمع الغنائم التى خلفها وراءه جيش إسبرطة .

وتوقفوا طويلاً أمام هذا الحصان الخشبى الضخم متسائلين عن أوجه الاستفادة به ، ثم قرروا مؤخراً الاحتفاظ به فى مملكتهم كدليل ورمز على اندحار وهزيمة جيش إسبرطة أمامهم ، وبالتالى أدخلوا الحصان إلى مدينتهم واخذوا يحتفلون بانتصارهم وقضوا ليلتهم سعداء وناموا هانئين .

وفى جوف الليل خرج مقاتلو إسبرطة الأشداء المتربصون داخل جسم الحصان ، ليفاجئوا الحراس الطرواديين وليقتلوهم ، ثم فتحوا أبواب المدينة وأعطوا لجيش إسبرطة الذى اختفى فى الخليج خلف المدينة إشارة الهجوم ... ودخل جيش إسبرطة مدينة طروادة وقتل كل رجالها ، وأخذ كل النساء والأطفال عبيداً ، ثم أحرق المدينة بكاملها.

تاج الذهب الذى وضع قاعدة أرشميدس

كان " هيرو " حاكماً على مدينة سيراكيوز اليونانية منذ حوالى ألفى عام مضت ، وفى ذات يوم استدعى إليه صانع الذهب وقدم إليه كتلة من الذهب ليصنع منها تاجاً ، وتم له ما أراد ، وعندما سمع هيرو أن الصانع قد اختلس لنفسه بعضاً من الذهب ، قام بوزن التاج الذى جاء مساوياً لوزن الكتلة الذهبية ، لكن هيرو شك أن يكون الصانع قد أضاف الفضة بدلاً من الذهب المسروق ، فطلب من العالم الشهير أرشميدس – الذى عاش بين (٢٨٧ – ٢١٢ ق.م) – أن يكشف له عن الحقيقة ، وتحير أرشميدس فى مبدأ الأمر ، لأنه كان يعلم أن الفضة إذا كانت قد حلت محل الذهب فإن التاج ما كان له أن يشغل نفس الحيز من الفراغ كما لو كان قد صنع من الذهب الخالص ، ولكن من أين له أن يثبت مقدار الحيز الذى كان يشغله التاج تماماً .

وفى ذات يوم نزل أرشميدس فى حوض ماء ليغتسل فلاحظ أن الماء يرتفع ... وفجأة قفز من الماء وهو يصيح " يوريكا " وهى تعنى باليونانية "وجدتها" فقد اهتدى إلى طريقة لحل المشكلة وهى أن يملأ وعاءً إلى حافته بالماء ويسقط فيه التاج ثم يقيس الماء المزاح ، وبعد ذلك يكرر نفس العمل مع كتلة من الذهب الخالص لها نفس وزن التاج ، فإذا كان التاج ذهباً خالصاً

تساوت الكميتان فى الماء ، ولكن النتيجة جاءت على غير ذلك ... فثبت له أن التاج لم يكن ذهباً خالصاً وأن الصانع قد سرق بعض الذهب لنفسه .

ومن هنا ظهرت قاعدة أرشميدس التى تقول " الضغط الواقع من أسفل إلى أعلى على جسم مغمور فى سائل يساوى وزن السائل الذى أزاحه ذلك الجسم " .

توصل أرشميدس إلى اكتشافات كثيرة فقد حدد المقدار الذى يطفو به جسم على سطح الماء بأن أجرى تجارب على المرايا والعدسات والصناديق اللولبية التى لا يزال الفلاح المصرى يستعملها فى رفع الماء من القنوات باسم "الطمبور" ... وأجرى تجارب على الروافع حتى أنه قال ذات مرة " أعطنى مكاناً أقف فيه ورافعة ذات طول كاف وعندها سوف أحرك الأرض " .

وقد قتل أرشميدس حين اقتحم غزاه الرومان مدينة سيراكيوز ، ويقال أنه كان منهمكاً فى عمله حين دخل عليه جنود الرومان لدرجة أنه لم يتطلع إليهم ... واكتفى بقوله لهم " إياكم أن تعطلوا عملى " .

هانيبال

كانت روما سيدة العالم لا تستطيع دولة أن تواجه جبروتها ، حتى جاء "هانيبال" الذى ولد بقرطاج عام ٢٤٧ ق.م فأذاقها مرارة الهزيمة ورسم على أرضها خطوط إحدى المعارك التاريخية التى تدرسها المعاهد العسكرية إلى يومنا هذا وهى معركة " كانا " ... لقد أصبح هانيبال بالفعل أحد عظماء القادة فى التاريخ كله إلى درجة أن نابليون بونابرت قد اعتبره ثانى قائد عظيم فى التاريخ بعد الإسكندر .

كان أبوه " هملكار " حاكماً فى شمال أفريقيا ، وكان يتمنى أن يرفع تاج العالم عن روما ويجعله من نصيب قرطاجنة ، واستطاع أن يغرس كراهية روما فى نفس ابنه حتى صار أخطر عدو لها .

وفى سن الثانية عشرة رأى هانيبال مصرع والده وقائده ، وبعد لحظات كان قائداً للفرسان ولمدة ثمانية سنوات تحت القيادة العامة لأخيه الذى لقى مصرعه هو الآخر بعد ذلك ، واستقر رأى الجيش القرطاجنى على تولية هانيبال القيادة العامة عام ٢٢١ ق.م وكان فى الخامسة والعشرين من عمره ... وعلى الفور بدأ فى العمل على تنقية الجيش وتطهيره وتصحيح أدواته ورفع

معنوياته واستطاع أن يجعل منه جيشاً نظامياً مدرباً ، وقاده إلى غمار حروب كبرى بلا كلل أو ملل.

وكان هانيبال أول من استخدم الجاسوسية التى كان أستاذاً فيها ، فقد كان يبعث العيون والآذان ترصد تحركات العدو ... وقد تميز بقدرته الفائقة على معاملة جنوده نتيجة لنشأته العسكرية ، فهو إدارى وعالم بالنفس وأستاذ فى فن القيادة ، ولهذا تبعه جنوده حيثما سار ، وأطاعوه كلما أمرهم ، فخاض بهم السهل والوعر والماء واليابس ، وكان كما قال " لا أنظر خلفى مهما حدث".

وقد نشبت الحرب بين روما وقرطاجنة بسبب غزو القرطاجنيين لمدينة "سجنتوم" ، وكان رأى هانيبال أن الحرب هى الهجوم ، فنظم ثلاثة جيوش خصص أولها لحماية أفريقيا والثانى لحماية أسبانيا وأخذ الجيش الثالث إلى أعظم عملية عسكرية فى ذلك الزمان ... غزو ايطاليا ... وقال المؤرخون أن هذه الخطة كانت الجنون بعينه ، فلم يتصور أحد مطلقاً أن جيشاً أفريقياً يستطيع عبور جبال الألب التى لم يسبق لجيش عبورها.

وبالفعل ... وصل هانيبال بجيشه إلى جبال الألب التى كان عبوره لها حدثاً فريداً ، فلقد كان رجاله من أهل السهول وليس المرتفعات ، وكانت معداتهم الحربية ثقيلة واستخدم هانيبال الأفيال لحملها وعبر بها الماء وهى بطبيعتها تخشى المياه ، وكان الجو بارداً لم يتعودوا عليه ، وظهرت مشكلات المواصلات والتموين والطرق غير الممهدة والجبال والشلالات والرعد والبرق والصخور ... ولكن على الرغم من كل هذا نجح هانيبال ، ووصلت قواته سالمة ٢٠ ألف مشاة و٦ آلاف فارس ، وفوجئ الرومان فقد وصل الإفريقيون إلى أرض إيطاليا ...!!.

وخاض هانيبال عده معارك ضد الإيطاليين أظهر فيها خططاً بارعة

قادته إلى النصر ، حتى جاءت المعركة الكبرى (كانـــا) ... وكـــان الجـــيش الرومانى الذى أعد لهذه المعركة أكبر جيش حركته روما ... وعنـــدما انقشـــع غبار المعركة كانت حياة ٧٠ ألف جندى رومانى قد انتهت ...!!.

وبعد هذه المعركة شرع هانيبال فى غزو روما ، وانتصر فـــى عـــدة معارك فى طريقه إليها ، وأرسل فى طلب الإمداد والمؤن من قرطاجنة ، ولكن أصحاب الشأن فيها رفضوا مساعدته ظناً منهم أنه سيعود يوماً فيطردهم ويأخذ بمقاليد الحكم فى يده وحده ... وقد استطاع أخوه الأصغر أن يسير علـــى رأس قوات من أسبانيا ولكنها هزمت فى الطريق قبل أن تصل إليه ، وأرسل الرومان إلى هانيبال رأس أخيه فكان ذلك إيذاناً بمعركة لا رحمة فيها.

وبعد ١٦ عاماً من تهديد هانيبال لروما تغير ميزان القوى ، حيث تولى قيادة الجيش الرومانى قائد جديد اسمه " بيوبيلوس شيبيو " الذى فكر فى هزيمة هانيبال باسلوب لم يعهده من قبل ، فترك أوربا إلى أفريقيا وبدأ يهدد قرطاجنة ، فاضطر هانيبال أن يسارع إلى وطنه والتقى بخصمه العنيد فـــى معركـــة مـــن معارك التاريخ الفاصلة " زاما " عام ٢٠٢ ق.م ... وعلى الرغم مـــن براعـــة هانيبال وضرباته المؤثرة إلا أن شيبيو استطاع أن يهزمه بفضل الكثرة العددية والروح المعنوية العالية ، فقد كان الوهن تطرق إلى القرطـــاجنيين ولـــم تكـــن روحهم المعنوية فى مستوى قائدهم العبقرى فكسبت روما المعركة الأخيرة التى قدمها لهم رؤساء قرطاجنة على طبق من ذهب حينما رفضوا مساعده هانيبـــال من قبل ، وحين أيقن هانيبال بحتمية وقوعه فى الأسر آثر الانتحار مقدماً آخر درس له فى رفض الإهانة والتعلق بالحرية .

سبارتكوس وثورة العبيد

عندما تقف عند مبنى الكوليزيوم أشهر المعالم الأثرية في روما ، وتتأمل طبقاته الأربع الدائرية والذى أقامه الإمبراطور فسباسيان ، ربما لا يخطر ببالك أن ساحته الداخلية قد شهدت مصرع أكثر من ألفين من المصارعين ألقى بهم بأمر أباطرة الرومان للمشاركة فى عروض تنتهى فى النهاية بموت المهزوم ، حتى كانت أحداث ثورة العبيد التى قادها سبارتكوس الذى يعود أصله إلى تراقيا التى تقع جنوب شرق البلقان ، وبما أن العبيد كانوا يعاملون معاملة سيئة للغاية فقد ضاعت أجزاء مهمة من السيرة الشخصية وبدايات هذا الرجل ، وكل ما يعرف عنه أنه كان صاحب مكانة رفيعة فى قومه إلا أن روما بجبروتها طغت على شعبه واستعبدت الرجال والنساء والأطفال ، وتقود الأقدار ذلك السيد ليعمل فى أحد المناجم ثم يباع .!!

كانت البداية عندما أنشأ لنتونس بتياتس مدرسة للمصارعين فى كابوا الإيطالية ... رجالها من الأرقاء أو المجرمين المحكوم عليهم ، ودربهم على صراع الحيوانات أو صراع بعضهم بعضاً فى حلبة الصراع العامة أو فى البيوت الخاصة ، ولم يكن الصراع ينتهى حتى يقتل أحد المصارعين .

وحاول مائتان من هؤلاء المصارعين أن يهربوا ، ونجح منهم ثمانية

وسبعون وتسلحوا واحتلوا أحد سفوح بركان فيزوف ، واختاروا سبارتكوس قائداً لهم ، وأصدر هذا القائد نداءً إلى الأرقاء فى إيطاليا يدعوهم إلى الثورة ، وسرعان ما التف حوله سبعون ألفاً ليس منهم إلا من هو متعطش للحرية والانتقام ، وعلمهم سبارتكوس أن يصفوا أسلحتهم وأن يقاتلوا فى نظام ، وملأت انتصاراته الرعب فى قلوب أثرياء الرومان الذين كانوا يسعدون من قبل بمقتل المصارعين ، وملأت الانتصارات قلوب الأرقاء فهرعوا إلى سبارتكوس يريدون الانضواء تحت لوائه، وبلغوا من الكثرة حداً اضطر معه أن يرفض متطوعين جدداً بعد أن بلغ عدد رجاله مائة وعشرون ألفاً ، إذ لم يكن يستطيع أن يعنى بأمرهم مع زوجاتهم وأبنائهم ، وهكذا اكتمل تحت إمرة سبارتكوس جيش استطاع أن يهز به روما وأباطرتها .

سار سبارتكوس بجيوشه صوب جبال الألب وهو يستهدف أن يعود كل رجل إلى بيته بعد أن يجتاز هذه الجبال ، ولكن اتباعه لم يكونوا متشبعين مثله بهذه العواطف الرقيقة السلمية التى تبحث عن الأمن والأمان ولا تبغى إراقة الدماء ، فتمرد الرجال على قائدهم ، وأخذوا ينهبون مدن إيطاليا الشمالية ويعيثون فيها فساداً .

وأرسل مجلس الشيوخ قوات كثيرة عام ٧٢ ق.م لتأديب العصاة ، والتقى أحد الجيشين بقوة منهم كانت قد انشقت عن سبارتكوس وأفنتها عن آخرها ، وهاجم الجيش الثانى قوة العصاة الرئيسية فهزمته وبددت شمله ، ثم سار سبارتكوس بعدئذ صوب جبال الألب والتقى فى أثناء سيره بجيش ثالث يقوده كارينوس فهزمه سبارتكوس شر هزيمة ، ولكنه وجد جيوشاً رومانية أخرى تقف فى وجهه وتسد عليه المسالك ، فولى وجهه شطر الجنوب وزحف على روما .

لم يكن أحد من جيش الأرقاء – ولا سبارتكوس نفسه – يمكن أن ينسى

تلك الهزيمة الساحقة التى ألحقوها بجيش فارينيوس البالغ عـدده ثلاثـة آلاف رومانى .

كان نصف الأرقاء فى إيطاليا متأهبين لمساندة الثورة ، ولم يكن فـى وسع أحد فى العاصمة نفسها أن يتنبأ متى تنشب هذه الثـورة فـى بيتـه بعـد الانتصارات التى حققها جيش سبارتكوس ، وكانت تلك الطائفة الموسرة المترفة التى تتمتع بكل ما فى وسع الرق أن يمتعها به ، كانت تلك الطائفة كلها ترتعـد فرائصها خوفاً حين تفكر أنها ستخسر كل شئ ، السيادة والملك والحياة نفسها ، ونادى الشيوخ وذوو الثراء يطالبون بقائد قدير ولكن أحداً لم يتقدم لهذه المهمـة فقد كان القواد كلهم يخافون هذا الزحف الجديد العجيب ثم تقدم كراسوس آخـر الأمر وتولى القيادة ، وكان تحت إمرته أربعون ألفاً من الجنود ، وتطوع كثيـر من الأشراف فى جيشه لأنهم لم ينسوا كلهم تقاليد الطبقة التى ينتمون إليها .

لم يكن يخفى على سبارتكوس أنه أصبح يقاتل إمبراطورية بأكملهـا ، وأن رجاله لا يستطيعون أن يصرفوا شئون العاصمة بل الإمبراطورية كلها إذا استولوا عليها ، فلم يعرج فى زحفه إلى روما وواصل السير حتى بلغ ثوريـاى مخترقاً إيطاليا من شمالها إلى جنوبها لعله يستطيع نقل رجاله إلى صقلية أو إلى أفريقيا ، وظل سنة ثالثة يصد الهجمات التى يشنها عليه الرومان ولكن جنـوده نفذ صبرهم وسئموا القتال فخرجوا عليه وعصوا أوامره وأخذوا يعيثون فسـاداً فى كل مكان ، والتقى كراسوس بجماعة من أولئك الهاربين وفتك بهم ، وكانوا أثنى عشر ألفاً وثلاثمائة ظلوا يقاتلون إلى آخر رجل فيهم .

فى هذه الأثناء كان جند بومبى قد عادوا من أسبانيا وأرسـلوا لتقويـة جيوش كراسوس ، وأيقن سبارتكوس أن لا أمل له فى النصر على هذه الجيوش الجرارة فانقض على جيوش كراسوس ، ولكن النهاية اقتربت حين أصابته طعنة ألقته على الأرض وأعجزته عن النهوض ، وظل يقاتل وهو راكع على ركبتيه

إلى أن مات وتمزق جسمه حتى لم يكن من المستطاع أن يتعرف عليه أحـد ، وهلك معظم أتباعه وفر بعضهم إلى الغابات ، وظل الرومان يطاردونهم فيها ، وتحقق النصر لكراسوس ، واحتفالاً بانتصاره صلب ستة آلاف مـن الأسـرى على طول الطريق من كابوا إلى روما ، وتركت أجسامهم المصلوبة مدة طويلة تطميناً لجميع السادة وإرهاباً لجميع العبيد .

عجائب الدنيا السبع
القديمة والجديدة

عجائب الدنيا السبع القديمة هى سبعة أعمال فنية ومعمارية اختارها الفيلسوف اليونانى (فيلون) ووصفها فى كتاب باللغة اليونانية تمت ترجمته بعد ذلك إلى اللاتينية ، واعتبرها الإغريق والرومان إنشاءات إعجازية فى العالم القديم ، ولم يبق منها سوى أهرامات الجيزة ، بينما اندثرت باقى العجائب ولم يعد لها أثر ... لذلك عندما أجريت عملية تصويت عالمية عام ٢٠٠٧ لاختيار سبعة عجائب جديدة تم وضع الاهرام (خارج المنافسة) لمكانتها التاريخية التى لا يضارعها فيها أى عمل معمارى فى العالم على الإطلاق.

وتشمل عجائب الدنيا السبع القديمة أهرامات الجيزة ، وفنار الإسكندرية، وحدائق بابل المعلقة ، وتمثال زيوس ، ومعبد أرتميس ، وضريح موسولوس ، وتمثال أبولو برودس.

وقد بنيت الأهرام فى عصر الأسرة الرابعة منذ حوالى ٤٥٠٠ سنة ، وهى لم تكن مجرد مقابر ملكية ، وإنما مازالت تحمل الكثير من الألغاز التى يكشف عنها العلم يوماً بعد يوم تتعلق بالتقدم الكبير الذى أحرزه المصريون فى مجالات الفلك والعمارة والهندسة ، وهى الوحيدة التى مازالت باقية من عجائب الدنيا القديمة دليلاً راسخاً على ما وصل إليه المصريون من براعة .

أما فنار الإسكندرية أو منار (فاروس) نسبة إلى شبه جزيرة فاروس التى أقيم على طرفها ، فيعد أول فنار فى العالم ، وقد أقيم فى عهد بطليموس الثانى عام ٢٨٠ ق.م ، وكان طوله ١٢٠ متراً مما جعله أعلى بناء فى هذا العصر ، وكان ضوء الفنار يرى على بعد ٧٠ ميلاً فى البحر ، وقد أقامه المعمارى الإغريقى سوستراتوس ، واستمر الفنار علامة عالمية حتى انهار فى زلزال وقع فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ويكفى أن نذكر أن اسم جزيرة فاروس Pharos أصبح علماً على اصطلاح منار أو فنار فى اللغات الأوروبية، واشتقت منه كلمة فارولوجى للدلالة على علم الفنارات .

كما ضمت عجائب الدنيا القديمة حدائق بابل المعلقة بالعراق التى بناها الملك نبوخذ نصر ٦٠٠ ق.م لزوجته التى كانت تشتاق لحدائق وطنها ، وزرعت فيها جميع أنواع الأشجار والزهور ، ووزعت فيها التماثيل بأحجامها المختلفة ، وكان للحدائق ثمانى بوابات عظيمة ، تعد مثالاً لما وصلت إليه الفنون المعمارية فى بابل.

أما زيوس فهو كبير آلهة الإغريق القدماء ، وأحد شخصيات الأساطير الإغريقية ، وتمجيداً له قرر مجلس الأولمبيا بناء تمثال ضخم له عام ٤٣٨ ق.م، حيث عهد للنحات اليونانى الشهير (فيدياس) بنحت التمثال الذى بلغ ارتفاعه فوق القاعدة أكثر من ١٣ متراً ، بينما بلغ ارتفاع القاعدة حوالى ٦ أمتار ، تم صنع الجسد من العاج ، بينما صنعت العباءة التى يرتديها زيوس فى التمثال من الذهب الخالص ، أما القاعدة فكانت من الرخام الأسود ، وتعد الأثر الوحيد المتبقى من أجزاء التمثال .

أما معبد الإلهة اليونانية أرتميس أو (ديانا عند الرومان) فقد تم الانتهاء من بنائه حوالى عام ٥٥٠ ق.م فى مدينة أفسوس بتركيا ، ولا يوجد شيئاً من بقاياه الآن .

أما موسولوس فقد كان ملكاً يونانياً عام ٣٣٧ ق.م ، وقد اتخذ من مدينة هليكارناسوس عاصمة لمملكته (كاريا) التى تقع غرب تركيا الآن ، وقرر موسولوس أن يبنى لنفسه ضريحاً فخماً يتناسب مع مكانته ، وكان الضريح عبارة عن بناء مستطيل الشكل ارتفاعه الكلى يبلغ حوالى ٤٥ متراً ، يتكون من ثلاثة أجزاء ، المستوى السفلى منه عبارة عن قاعة ضخمة من الرخام الأبيض، يليه المستوى الثانى الذى يوجد به ٣٦ عموداً ، موزعة على جميع أجزاء البناء، تحمل تلك الأعمدة سقفاً على شكل هرم مدرج ، تعلوه عربة فاخرة ذات أربعة جياد ، ويميز الضريح الأعجوبة النقوش البارزة ، والزخارف المنحوتة والتماثيل المتفاوتة الأحجام على الأعمدة وعلى جميع أركان الضريح ، التى كانت تحكى قصصاً مصورة لبعض المعارك الأسطورية ، كما يوجد بقاعدته دهليز يؤدى إلى غرفة بها الكثير من الكنوز والتحف الذهبية ، كذلك كانت رفاة الملك التى تم حرقها طبقاً للطقوس اليونانية ، ملفوفة فى قماش مطرز بالذهب ، موضوع داخل تابوت من الرخام الأبيض الفاخر ، ويوجد الآن مسجد فى نفس المنطقة التى كان يوجد بها الضريح.

وتعود قصة بناء تمثال أبولو برودس إلى عام ٤٠٨ ق.م عندما ارتبط روديانز حاكم جزيرة رودس اليونانية فى ذلك الوقت بعلاقات تجارية واقتصادية قوية مع سوتر بطليموس حاكم مصر الرومانى ، مما أوغر صدر حاكم مقدونيا أنتيجونيدز الذى لم يرق له هذا التحالف فقرر محاصرة الجزيرة بغرض دخولها والاستيلاء عليها إلا أن محاولاته باءت بالفشل ، فرفع الحصار وعاد إلى بلاده تاركاً خلفه ثروة من المعدات العسكرية والحربية التى قام روديانز بعد ذلك بجمعها وبيعها وقرر استخدام المال فى بناء تمثال ضخم لإله الشمس أبولو الذى كانوا يعبدونه ، قام النحات اليونانى القديم كارس تشاريز بنحت التمثال العملاق وتم صنع قاعدة كبيرة من الرخام الأبيض لوضع هيكل التمثال عليها كما تم

تثبيت الأقدام والكاحل أولاً ثم بقية أجزاء التمثال وقام العمال بصب السائل البرونزى فوق الهيكل الحجرى الذى صنعه النحات ، استغرق بناء التمثال حوالى ١٢ عاماً وظل منتصباً فى شموخ على مدخل الجزيرة لما يقرب من ٢٠٠ عام.

وفى عام ٢٠٠٧ أجرى تصويت عالمى على الإنترنت اشترك فيه حوالى مائة مليون شخص لاختيار عجائب الدنيا السبع الجديدة ، وأعلنت النتيجة بإستاد بنفيكا بالبرتغال ، وتمثلت العجائب فى سور الصين العظيم ، ومدينة البتراء بالأردن ، ومدرج الكوليزيوم بروما ، وضريح تاج محل بالهند ، وآثار ماشو بيشو ببيرو ، ومدينة شيشن ايتزا بالمكسيك ، وتمثال المسيح بريودى جانيرو بالبرازيل .

وقد بدأ بناء سور الصين العظيم قبل أكثر من ألفى عام ، ويعد الأثر الأطول فى العالم ، إذ يمتد من المحيط الهادى إلى آسيا الوسطى على طول الحدود الشمالية والشمالية الغربية للصين بطول ٦٧٠٠ كم ، وقد تم بناؤه كسور دفاعى عن الصين.

أما مدينة البتراء فتقع فى الأردن على بعد حوالى ٢٠٠ كم جنوب عمان، وتتمثل قيمتها التاريخية فى أن المعابد الكثيرة والمنازل وقاعات الاحتفالات ، وغيرها من المنشآت التى تؤلف المدينة محفورة كلها مباشرة فى الصخر.

أما مدرج الكوليزيوم فى روما ، فهو مدرج رومانى عملاق بنى بين عامى ٧٠ – ٧٢ بعد الميلاد يتسع لخمسين ألف مشاهد ، وكان يستخدم كساحة قتال للمصارعين والمسابقات الجماهيرية ، ويعد أشهر مثال للمسارح الرومانية، وظل مستخدماً لما يقرب من خمسمائة عام حتى القرن السادس .

وقد شيد الإمبراطور شان جاهان معبد تاج محل فى القرن السابع عشر تخليداً لذكرى زوجته الراحلة ممتاز محل التى توفيت لدى وضعها ابنه الرابع عشر ، وهذا المعبد الأبيض اللون الواقع شمال مدينة اجرا هو الموقع الذى يستقطب أكبر عدد من السياح فى الهند.

وقد بنيت قلعة ماشو بيشو الواقعة بين جبلين على ارتفاع ٢٤٣٨ متراً ببيرو ، فى القرن الخامس عشر أيام الإمبراطور باشاكوتك، وكانت ماشو بيشو تستخدم مركزاً ثقافياً ودينياً ومرصداً لمراقبة الكواكب.

وقد بنيت مدينة شيشن ايتزا حوالى عام ٥٠٠ ق.م شمال شبه جزيرة يوكانان بالمكسيك بالإضافة إلى الهرم الذى يبلغ ارتفاعه ٥٤ متراً.، ويعتبر المرصد الفلكى ومعبد المحاربين الذى يروى قصة اجتياح يوكانان من قبل مجموعات أتت من وسط المكسيك من أبرز مبانى المدينة .

كما يعتبر تمثال المسيح رمزاً للبرازيل كلها اليوم وقد أقيم قبل ٧٥ عاماً على جبل كوركوفادو فى ريودوجانيرو فى نهاية أعمال استمرت خمس سنوات تطلبها شق طريق وسكة للحديد لتمكين الناس من الوصول إلى كوركوفادو الذى يرتفع عن سطح البحر ٧١٠ أمتار.

نيرون

نيرون (٣٧ – ٦٨م) كان خامس وآخر إمبراطور للإمبراطورية الرومانية ، وقد بدأ نيرون حكمه – وكانَ قد بلغ من العمر ١٦ عاماً – بفترة من الإصلاحات وذلك بتأثير معلمه الفيلسوف سينيكا فبدأ بعدة إصلاحات عندما كان يسمع مشورة معلمه ، ولكن سرعان ما انغمس فى اللهو ، وسيطرت عليه فكرة أنه بارع كمغنى ولاعب للقيثارة وسائق عربة حربية ، وشك فيمن حوله فكان يدبر المؤامرات والاغتيالات السياسية فى التخلص منهم وكانت أمه أجريبينا إحدى ضحاياه وماتت وهى تلعن جنينها نيرون الذى حملته فى بطنها وأبلت به العالم.

ومن ضحاياه أيضاً " أوكتافيا " زوجته الأولى وقد قام بقتلها أثناء أدائه مسرحية يحمل فيها صولجان فسقط من يده ، مدحت أوكتافيا أدائه لكنها قالت له " لو أنك لم تسقط الصولجان فقتلها " ومن بعدها لم يتجرأ أحد من العاملين فى قصره أن يعيب أى عمل له.

كما قتل أيضاً معلمه الخاص سينيكا الذى كان تلميذاً لأفلاطون ، وعندما أصبح نيرون إمبراطوراً بقى الفيلسوف سينيكا مستشاره المخلص فحاول تقويم نيرون لما له عليه من مكانة ، وكان نيرون قد تزوج من يهودية أوقعته فى

حبائل المرابين الأشرار ... وانحدرت شخصيته إذ حطم كل شئ صالح ، وأخذت أعماله الانتقامية تأخذ الشكل العدوانى العلنى وأنغمس فى شهواته ونزواته الغريبة ... وفقد سينيكا كل تأثير كان له عليه ، ومن كثرة توبيخه كرهه نيرون ، وفى النهاية طالب المرابون نيرون أن يسكت سينيكا الذى كان يتمتع بشعبية كبيرة إلى الأبد ... وهكذا أمر نيرون سينيكا أن ينهى حياته وفضل المعلم أن ينهى حياته بنفسه وبعد أن كان قد كتب طويلاً عن الصمود والتشبث بالمبادئ مات منتحراً ... عندما قطع شرايين جسده وجلس فى حمام دافئ ليسهل انسياب الدماء .

أما أشهر جرائمه على الإطلاق فهو حريق روما الشهير سنة ٦٤م حيث راوده خياله فى أن يعيد بناء روما ، وبدأت النيران من القاعدة الخشبية للسيرك الكبير حيث شبت فيها النيران وانتشرت بشدة لمدة أسبوع فى أنحاء روما ، والتهمت النيران عشرة أحياء من جملة أحياء المدينة الأربعة عشر ، وبينما كانت النيران تتصاعد والأجساد تحترق وفى وسط صراخ الضحايا كان نيرون جالساً فى برج مرتفع يتسلى بمنظر الحريق الذى خلب لبه وبيده آلة الطرب يغنى أشعار هوميروس التى يصف فيها حريق طروادة .

وهلك فى هذا الحريق الآلاف من سكان روما واتجهت أصابع اتهام الشعب والسياسيين تشير إلى أنه المتسبب فى هذا الحريق المتعمد ، وتهامس أهل روما بالأقاويل عليه وتعالت كلماتهم وتزايدت كراهية الشعب نحوه، وأصبح يحتاج إلى كبش فداء يضعه متهماً أمام الشعب وكان أمامه اختيار إما اليهود أو المسيحية الحديثة فى روما ، ولكن كان اليهود تحت حماية بوبياسبينا إحدى زوجات نيرون ، فألصق التهمة بالمسيحيين ، وبدأ يلهى الشعب فى القبض على المسيحيين واضطهادهم وسفك دمائهم بتقديمهم للوحوش الكاسرة أو حرقهم بالنيران أمام أهل روما وفى جميع أنحاء الإمبراطورية حتى أن مؤهلات الولاة

الذين كانوا يتولون الأقاليم تمثلت فى مدى قسوتهم فى قتل المسيحيين، وعاش المسيحيون فى سراديب تحت الأرض وفى الكهوف وما زالت كنائسهم وقبورهم إلى الآن يزورها السياح.

واستمر الاضطهاد الدموى أربع سنوات ذاق فيه المسيحيون كل ما يتبادر إلى الذهن من أصناف التعذيب الوحشى ، وكان من ضحاياه الرسولان بولس وبطرس اللذان استشهدا عام ٦٨م ، ولما سادت الإمبراطورية الرومانية الفوضى والجريمة أعلن مجلس الشيوخ أنه أصبح " عدو الشعب " فمات منتحراً فى عام ٦٨م مخلفاً وراءه حالة من الإفلاس نتيجة بذخه الشديد والفوضى من كثرة الحروب الأهلية أثناء حكمه.

حين محا البركان مدينتين بالكامل

بركان فيزوف أشهر بركان فى التاريخ ... ذلك البركان الذى يوجد بالقرب من مدينة نابولى فى إيطاليا ، وترجع شهرة فيزوف إلى أنه عام ٧٩م قام بتغطية المدينتين الرومانيتين بومبى وهيركولانيوم بالحمم والرماد البركانى ... وقد مضى على هاتين المدينتين زمن طويل وهى مدفونة تحت التراب حتى نسيت تماماً وقد استمرت بدايات ثورة بركان فيزوف لمدة ١٦ عاماً، صحبها تشققات وأصوات وهزات أرضية خفيفة ضربت جنوب إيطاليا ، تلاها بعد ذلك إزالة الصخور المتراكمة عند فوهته القديمة ، حدث بعدها تمدد كبير وفجائى للغازات المحبوسة تحتها ، وفى ظهيرة ٢٤ أغسطس عام ٧٩م – والذى كان يوافق عيد إله النار عند الرومان – ومع تزايد ضغط الغازات انفجر البركان محدثاً سحباً متصاعدة غطت الشمس ، وحولت النهار إلى ظلام دامس ، وحدثت انفجارات عنيفة نتج عنها طفوح بركانية غطت مدينة بومبى ، وقد حاول العديد من سكان المدينة الفرار إلى بيوتهم أو بعيداً عن المدينة فى قوارب بحرية ، ولكن الرماد البركانى غطاهم جميعاً وطمروا ومدينتهم بالكامل تحت الرماد ، وبالإضافة إلى مدينة بومبى فإن مدينة هيركولانيوم دمرت هى الأخرى تدميراً تاماً ، ورقدت المدينتان تحت طبقة من الرماد البركانى يزيد سمكها عن ستة أمتار لمدة ١٧٠٠ سنة.

وكان أحد الذين شاهدوا هذا الثوران الشهير العالم الرومانى " بلين " ولشغفه الشديد برؤية كل ما كان يحدث عن قرب خاطر بنفسه واقترب من البركان ، وأدى ذلك إلى اختناقه بواسطة الغازات التى كان البركان يخرجها.

وقد وصف بركان فيزوف أحد الكتاب الذين عاشوا بعد أجيال من ثوران البركان بقوله " إنه جبل منحدر السطح ومغطى بالغابات فى الجزء الأسفل منه ، وفى الجزء الأعلى تكثر به الشقوق ، وعلى القمة يوجد كهف عميق ، ويبدو أن هذا الكهف يصل إلى باطن الجبل ، وإذا نظرت بداخله يمكنك رؤية النار التى تظل بداخل البركان ولا تضر بالناس ، ولكن أحياناً يجأر مثل الثور وسرعان ما تخرج كتل ضخمة من الحمم ".

وفى عام ١٧٤٨م وبينما أحد الزراع يعمل فى مزرعته بالقرب من سفح الجبل ، وجد آثاراً لمدينة بومبى المدفونة ، وبدأت حفائر للكشف عن المدينة القديمة ، وسرعان ما بدأ العمل للكشف عن مدينة هيركولانيوم أيضاً ، وقد وجدت كنوز كثيرة فى الحفائر ، واكتشف فيها الضحايا موتى فى أوضاعهم التى كانوا عليها كما هى بكل تعبيراتها.

وفى العصر الحديث ثار فيزوف عدة مرات فقد ثار عام ١٦٣١م وقتل فيها عدداً كبيراً من الناس ، وفى عام ١٩٠٦م حدث ثوران استمر ثمانية عشر يوماً، وتدفقت فيضانات من الحمم من فوهة البركان ومن الشقوق الموجودة فى جوانب الجبل ، وتلا ذلك خروج كميات هائلة من الدخان والغازات الأخرى ، بالإضافة إلى أطنان من الرماد البركانى قذف بها البركان.

وفى سنة ١٩٤٤ م أثناء الحرب العالمية الثانية حدث ثوران آخر ، وفى أثناء ذلك الثوران تلفت سكة حديدية كانت تقوم بنقل الزوار إلى قمة البركان ، كما خربت قرية " سان سباستيانو " وقد ساعد جنود الحلفاء سكان القرى على الهروب من الخطر.

الملكة زنوبيا ...
فى موكب الأسرى!!

زنوبيا (ملكة سوريا) ملكة تدمر (بالميرا) والشام والجزيرة ، وهى الزباء بنت عمرو ، سورية وأمها إغريقية وقد كانت زوجة لأذينة ملك تدمر المملكة العظيمة التى تتصب بشموخ فى وسط سوريا الملقب بسيد الشرق الرومانى وملك الملوك ، امتدت سلطته على سورية وسائر آسيا الرومانية ، وكثيراً ما حارب الفرس وردهم عن بلاده ، وكان إذا خرج إلى الحرب أناب الملكة زنوبيا لتحكم تدمر بمهارة ، وكانت تدمر (بالميرا) مدينة تجارية تقع فى وسط سوريا فى بادية الشام ، وتحيط بها الجبال ، وكانت محط قوافل الجمال ومحطة تجارية هامة على طريق الحرير.

وكانت الملكة زنوبيا قد اشتهرت بجمالها وولعها بالصيد والقنص ، قيل عنها أنها ذات رأى وحكمة وعقل وسياسة ودقة نظر وفروسية وشدة بأس وجمال فائق .

وتثقفت بالثقافة الهيلينية ، وكانت تتكلم الأرامية (اللغة السورية القديمة) وبعض اللاتينية (الرومانية) والإغريقية والقبطية ، وكان لها اطلاع على تاريخ الشرق والغرب ، وكانت تقرأ لهوميروس وأفلاطون وألفت تاريخاً عن الشرق وسوريا ومصر وآسيا.

ولما قتل الملك أذينة (٢٦٧م) بطريقة غامضة ، تولت الملك باسم ابنها وهب اللات ، وأصبحت زنوبيا ملكة الملكات وتولت عرش المملكة وازدهرت تدمر فى عهدها ، وأنشأت جيشاً قوياً واستولت على العديد من البلدان ، وأصبحت تدمر محط رحال التجار والقوافل ، وزاد ثراء المدينة ونافست روما فى العظمة والفخامة والمكانة ، ولما ساءت العلاقات بينها وبين الإمبراطور الرومانى أرسل الإمبراطور لها جيشه للاستيلاء على تدمر فهزمته شر هزيمة ، بعدها توجهت لمصر وكانت تابعة للرومان واحتلتها ومنعت جيوشها عن روما، وعززت علاقاتها التجارية مع الحبشة وجزيرة العرب ، وتوسعت مملكتها حتى شملت باقى سوريا وأصبحت من شواطئ البسفور حتى النيل ، وأطلقت عليها الإمبراطورية الشرقية (مملكة تدمر) ، لكن الإمبراطور الرومانى أورليانوس حاول التفاوض مع الملكة زنوبيا لوقف زحف جيوشها مقابل الاعتراف بألقاب ابنها وامتيازاته ، فضربت النقود فى أنطاكية والإسكندرية عليها صورة وهب اللات على وجه وعلى الوجه الثانى صورة الإمبراطور أورليانوس .

وعهدت بملك مصر إلى ولدها وأزالت من النقود صورة الإمبراطور ونادت بالاستقلال الكامل عن روما ، فصمم الإمبراطور على التنكيل بها وسحق الدولة التدمرية ، فأرسل جيشاً رومانياً بقيادة بروبوس إلى مصر سنة ٢٧١م وجيشاً آخر بقيادة الإمبراطور أورليانوس نفسه توجه به إلى سوريا وآسيا الصغرى ليلتقى الجيشان فى تدمر وسط سوريا ، احتل بروبوس مصر وبلغ أورليانوس أنطاكية ، فهزم زنوبيا هناك فى معركة دامية ، مما جعلها تنسحب لتدمر ليتعقبها أورليانوس حتى بلغا مدينة حمص ، فدارت بينهما معركة شرسة ، وانهزم جيشها ، ووصل أورليانوس تدمر وحاصر أسوارها المنيعة حصاراً محكماً حتى نفدت مؤن الطعام بها ، وكانت قد حصنت المدينة ووضعت على كل برج من أبراج السور اثنين أو ثلاثة من المنجنيق تقذف بالحجارة المهاجمين

لأسوارها وتمطرهم بقذائف النفط الملتهبة ، والتى كانت تعرف بالنار الإغريقية، وقاومت الغزاة بشجاعة معلنة القتال حتى الموت وعرض أورليـــانوس عليهـــا التسليم وخروجها سالمة من المدينة التى لن تمس ، لكنهـــا رفضـــت وحاولـــت الهروب ووصلت نهر الفرات إلا أنها وقعت فى الأسر واقتديت إلى أورليانوس وهو فى ميدان القتال فأحسن معاملتها ، ثم اقتادها معه إلى روما ضمن موكـــب الأسرى الذى عرض فى احتفالات باذخة تمجيداً للانتصار عام ٢٧٢م.

انتهت حياتها فى منزل بسيط فى تيبور بإيطاليا أعده لها أورليـــانوس ، وانتحرت بالسم ، بعدما حكمت تدمر ومصر والشام والعراق وما بين النهـــرين وآسيا الصغرى حتى أنقرة ، وكانت ملكة لواحدة من أهم الممالك فى التاريخ ... مملكة تدمر.

" بابا نويل " ... هل هو شخصية حقيقية ؟

يعتقد الكثيرون أن " بابا نويل " أسطورة ابتدعها الناس لإدخال السرور على أطفالهم ... والحقيقة أن " بابا نويل " شخصية حقيقية حيث كان أسقفاً بمدينة ميرا بآسيا الصغرى ... وكان يعيش فى القرن الرابع الميلادى ، عرف بحبه للناس والفقراء عامة ، ووصلت شهرته إلى جميع أنحاء العالم ، اسمه بالكامل " سانت نيكولاس " ... ولكن الأجيال اختصرت اسمه حتى يلائم ألسنة الأطفال فاصبح "سانت كلوز" بالإنجليزية و " بابا نويل " بالفرنسية ... وقد ظل يؤدى هذا الرجل واجبه الدينى والإنسانى حتى توفى فى ٦ ديسمبر ٣٤٥ م.

وحتى الآن ما زال الأطفال يحلمون به وينتظرونه فى ليلة عيد الميلاد عند المسيحيين الغربيين ، فيعدون له الأحذية والجوارب ليملأها لهم بالهدايا واللعب ، ويتصوره الأطفال ويصورونه لهم فى شكل رجل عجوز ذى لحية بيضاء طويلة ... يلبس معطفاً ابيضاً وطرطوراً مغطى بالثلج الذى يتساقط ... ويحمل بابا نويل كيساً مملوءاً بالهدايا فوق ظهره ، ولكنه لا يعطى الهدايا لكل الأطفال وإنما يخص هؤلاء المؤدبين المجدين منهم فقط ، أما الذين لم يستمعوا إلى نصائح والديهم فيحرمون دائماً من هداياه ، فإذا جاء الصبح لم يجدوا الهدايا فى أحذيتهم ... وإنما وجدوا بدلاً منها أثراً يدل على أن بابا نويل قد زارهم ولكنه حرمهم من هداياه.

أما الصورة الحديثة لبابا نويل ، فقد ولدت على يد الشاعر الأمريكى كلارك موريس الذى كتب سنة ١٨٢٣م قصيدة بعنوان " الليلة التى قبل عيد الميلاد " يصف فيها هذا الزائر المحبب ليلة عيد الميلاد .

وفى عام ١٨٨١م ، قام الرسام الأمريكى توماس نيست فى جريدة هاربرس بإنتاج أول رسم لبابا نويل ، كما نعرفه اليوم ، ببدلته الحمراء الجميلة وذقنه البيضاء الطويلة وحذائه الأسود اللامع مستنداً إلى القصص الأوربية حوله، وعلى أثر ذلك اشتهرت هذه الشخصية فى أمريكا وبعدها فى أوربا ، ثم فى سائر أقطار العالم ، ومع تغير المكان تخلى بابا نويل عن حماره الذى كان يحمل عليه الهدايا والألعاب ليمتطى زحافة على الجليد ويجرها ثمانية غزلان.

الشعراء الصعاليك

الشعراء الصعاليك ... هم مجموعة من شعراء العصر الجاهلى ، وكانوا إما ممن نبذتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم مثل " حاجز الأزدى " ، وإما من أبناء الإماء الحبشيات الذين نبذهم أباؤهم ولم يعترفوا بنسبهم إليهم مثل " تأبط شراً " و" الشنفرى " ... والمجموعة الثالثة لم تكن من المنبوذين من القبائل ولا من أبناء الإماء الحبشيات وإنما احترفت الصعلكة احترافاً مثل " عروة بن الورد العبسى ".

وتتردد فى أشعارهم جميعاً صيحات الفقر والجوع ، كما تموج أنفسهم بثورة عارمة على الأغنياء والبخلاء ، ويمتازون بالشجاعة والجرأة والصبر عند البأس ، كما اشتهروا بسرعة العدو حتى سموا " بالعدائين " وضربت بهم فى ذلك الأمثال فقيل " أعدى من الشنفرى " ... وتروى عنهم قصص كثيرة فى هذا الموضوع .

وكان الصعاليك يحسنون ركوب الخيل واستخدامها فى الإغارة ... وكانت أكثر المناطق التى يغيرون عليها مناطق الخصب ، كما كانوا يتربصون بالقبائل التجارية وقوافل الحج الذاهبة إلى مكة ، وتغنوا بهذه المغامرات فى أشعارهم ... وعلى الرغم من أن فريقاً من الصعاليك قد عاش سفاحاً لا يرعى

عهداً ولا ذمة ، إلا أننا نجد كثيراً منهم اشتهروا بالبر بالأقارب والأهل والشعور بالكرامة ، وكأنما الصعلكة قد تحولت فى أواخر العصر الجاهلى إلى نظام يشبه نظام الفروسية فى أوربا فى العصور الوسطى.

ومن أشهر هؤلاء " عروة بن الورد" الذى قيل عنه أن قبيلة " عبس " كانت إذا أجدبت أتى أناس منهم ممن أصابهم جوع شديد ، فجلسوا أمام بيت "عروة" حتى إذا أبصروه قالوا " أيا أبا الصعاليك أغثنا " فكان يرق لهم ويخرج معهم ليحصل على ما يشبع جوعهم ويكفيهم ... وهو يعبر بذلك عن نفس كبيرة فهو لا يغزو للنهب والسلب " كالشنفرى " و" تأبط شراً " ، وإنما يغزو ليعين الفقراء والمستضعفين حتى أطلق عليه " أبو الفقراء " و " أبو المساكين ".

والطريف أن " عروة بن الورد" لم يغير على كريم يبذل ماله للناس ، بل كان يختار لغارته ممن عرفوا بالبخل ، ومن لا يمدون للمحتاج فى قبائلهم يد العون ، فلا يرعون ضعفاً ولا قرابة ولا حقاً من حقوق أقوامهم ... وبلغ عروة من ذلك أنه كان لا يؤثر نفسه بشئ على من يرعاهم من صعاليكه ، فلهم مثل حظه سواء شاركوه فى الغارات التى يشنها أو قعد بهم المرض أو الضعف ، وهو بذلك يضرب مثلاً رفيعاً فى الرحمة والإيثار ... وهو يعبر عن نفسه فى هذا بقوله :

إنى امرؤ عانى إنائى شركة	وأنت امرؤ عانى إنائك واحد
أتهزأ منى أن سمنت وأن ترى	بجسمى شحوب الحق ، والحق جاهد
أفرق جسمى فى جسوم كثيرة	وأحسو قراح الماء ، والماء بارد

وقد فاق إعجاب الناس بكرم " عروة بن الورد " الحد ، لدرجة أن عبدالملك بن مروان كان يقول : " من زعم أن حاتماً أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد ".

المعلقات

قصائد اعتبرها العرب أروع ما نظمه شعراء الجاهلية ، واختلف الكثيرون فى سبب تسميتها بالمعلقات ، فقيل سميت بها لأنها كانت بعد نيلها الإعجاب تكتب بخيوط الذهب على الحرير المصرى وتعلق فى أستار الكعبة ولذلك سميت أيضاً " المذهبات " ، ويرد على هذا بأن العرب فى الجاهلية كانوا أميين ... وقيل سميت المعلقات لأنها كانت تسمى " السموط " أى العقود النفسية ومن شأنها التعليق ، وقيل سميت بهذا الاسم لعلوقها بالذاكرة ... كما يذكر البعض أنها سميت فى البداية " الطوال المشهورة ".

وهناك اختلاف فى عددها فقال الغالبية أنها سبعة بينما ذكر البعض أنها عشرة ... وقد أجمع النقاد على معلقات : امرؤ القيس ، وطرفة بن العبد ، وزهير بن ابى سلمى ، وعنترة بن شداد ، بينما يختلفون حول قصائد عمرو بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، ولبيد بن ربيعة ، والنابغة الذبيانى ، والأعشى ، وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة الفحل.

وتمثل المعلقات أنضج صور الشعر الجاهلى شكلاً ومضموناً فأكثرها يبدأ بالوقوف على الأطلال ورحيل الحبيبة ، وهى تصور الحياة الجاهلية ومثلها العليا كما تصور المثل الأعلى فى الفن الشعرى.

العصور الوسطى

استمرت الفترة التى يطلق عليها " العصور الوسطى " ألف سنة وتسمى المئات القليلة الأولى من هذه الفترة بالعصور المظلمة ... ويمكن القول بأن العصور الوسطى بدأت فى عام ٤٧٦ م بانهيار الإمبراطورية الرومانية التى كانت آخذة فى الضعف ، مما اضطرها إلى استدعاء جنودها الذين كانوا يرابطون فى الجزر البريطانية وشمال أوربا وبعض الأجزاء البعيدة عن الإمبراطورية ليحموا روما ، ذلك أن القبائل الهمجية البربرية كانت قد أخذت تتوغل داخل الإمبراطورية آتية من الشمال والشرق ، وبرهنت هذه القبائل على أنها أقوى من الرومان عندما حشدت جيوشها وانقضت على غرب أوربا الذى كان خاضعاً لروما.

وكان هؤلاء البرابرة رجالاً أشداء ومحاربين متوحشين ، فقد نهبوا قصور حكام روما وأتلفوا الطرق المؤدية إليها ، ولم يكن البرابرة يعرفون القراءة والكتابة ، ولم يكونوا يعبأون على الإطلاق بعلوم المصريين القدماء والبابليين ، ولهذا فإن الحياة فى البلدان التى سيطروا عليها لم تكن بأحسن حال من الحياة التى كان يعيشها سكان الكهوف فى العصور المبكرة ... ولكن بمرور الوقت بدأ البرابرة فى الاستقرار فى النهاية وأصبح كثير منهم زراعاً ، ولكن

نظراً لكثرة الغابات فى أجزاء كثيرة من أوربا فقد انتشرت فيها عصابات اللصوص ، ولما كانت المدن صغيرة ومتباعدة عن بعضها البعض ، فإن كثيراً من الناس كانوا يخشون الخروج من مدينة إلى أخرى للتجارة.

وبينما كانت أوربا تعيش عصورها المظلمة كانت الأجزاء الأخرى من العالم تسير نحو التقدم ، كالمسلمين الذين انتشروا فى الشرق الأوسط وأفريقيا إلى أسبانيا ، والصينيين الذين كانوا أكثر تقدماً من الأوربيين ، كذلك نجد فى الإمبراطورية البيزنطية ازدهاراً فى الفن والعلم ، وعلى هذا فإن العصور المظلمة كانت مظلمة فى أوربا فقط.

وكان من نتيجة الفوضى التى عاشتها أوربا فى هذه الفترة أن قام نظام الاقطاع الذى أعان الناس على الخروج من الحالة السيئة التى تردوا فيها ، فارتبط عامة الشعب بالأسياد الذين كانوا يعيشون فى قلاع ضخمة ، وكان كثير من العامة يعملون عبيداً أو كالعبيد ، وكانوا يسمون " رقيق الأرض " ويقومون بالعمل من أجل السادة دون أن يتقاضوا أجراً عن عملهم سوى الطعام والمأوى ، ولم يكن فى استطاعتهم ترك سادتهم الذين كانوا يقومون بحمايتهم ، وكان قصر السيد أشبه بالقلعة الحصينة.

وكذلك كان عهد الاقطاع عهد الفروسية ، فلقد كان الفرسان يقسمون أن يقولوا الصدق دائماً ، وينصروا الحق ، ويذودوا عن شرف أسيادهم ويحموا الفقير والضعيف .

الغجر

قد لا يعرف الكثيرون شيئاً عن قصتهم الأولى ... ولكن من الثابت أنهم قبائل رحل يتنقلون من مكان إلى مكان ... موطنهم الأصلى شمال الهند ... ومنها انتشروا غرباً إلى الشرق الأدنى ومصر ثم عبروا البوسفور إلى أوربا أثناء القرون الوسطى واستوطنوا بلاد البلقان ... وتحت الضغط التركى انتشروا إلى المجر وبولندا ووسط أوربا حتى وصلوا إنجلترا .

وفى أوربا ظل الغجر يتنقلون فيذهبون إلى الشمال فى الصيف وإلى الجنوب فى الشتاء ، وكانوا يسافرون فى " عربات " تجرها الجياد ، وإذا ما حل الليل أقاموا نيراناً وأخذوا يغنون ويرقصون حولها ... وسرعان ما اشتهروا بتجارتهم فى الخيول ، كما كان بعضهم حدادين مهرة ، ونبغ بعضهم فى الموسيقى حتى أن عدداً من المؤلفين الموسيقيين قد اقتبس موسيقى الغجر فى مقطوعاتهم ... واشتهر الغجر كذلك بقراءتهم للمستقبل .

وقد تبدو حياة الغجر سعيدة جداً لا يشوبها أية هموم ، حتى أن كثيراً من الناس العاديين يتمنون أن يعيشوا مثل هذه الحياة السهلة ... لكن فى الحقيقة أن الغجر لم يعاملوا معاملة حسنة فى كثير من الأماكن ، وواجهوا ظروفاً صعبة ربما لأن الكثير من سمات الغجر وتصرفاتهم لا تروق للشعوب المتحضرة ،

وربما يكون هذا سبباً فى أن المراجع التاريخية تحاول إثبات أنهم ليسوا أوربى النشأة ، وقد أدى ذلك أن تعرض الغجر لممارسات عدوانية من الشعوب المستقرة على مر التاريخ ، وتمثلت الاعتداءات عليهم فى الترحيل القسرى ، وعدم الاعتراف بهم كمواطنين فى البلدان التى يقيمون فيها ، حيث تم ترحيلهم من مناطق عديدة فى أوربا ، وقد تمثلت الكراهية للغجر فى الأمر الذى أصدره ملك بروسيا عام ١٧٢٥م ويقضى بقتل كل غجرى فوق الثامنة عشرة من العمر، والقوانين النازية التى بدأت بإلزام الغجر الذين ليس لهم مهنة ثابتة فى ألمانيا بالعمل القسرى (السخرة) وقد طبق هذا النظام فى عدد من الدول الأوربية وانتهى الأمر بأن وضعهم النظام النازى فى مرتبة متدنية فى الترتيب العرقى للنظام النازى وجمعهم بعد ذلك فى حظائر بأسوار كالحيوانات وقتل منهم أعداداً كبيرة قبل نهاية الحرب العالمية الثانية.

أما المهن التى يمتهنها الغجر فهى تخضع لطبيعة حياتهم المتنقلة حيث لا يسمح لهم بامتلاك الأراضى ، وفى غالب الأحيان تتمثل فى تجارة الحيوانات كالخيول ، وأنواع التجارة الصغيرة المتنقلة ، والصناعات اليدوية ، كما يشتهرون بتقديم الموسيقى وألعاب السيرك.

موقعة اليرموك

كان أبو بكر الصديق قد أرسل خالد بن الوليد على رأس جيش إلى العراق ، ثم أرسل أربعة جيوش إلى بلاد الشام لغزوها من جهات مختلفة ... فأرسل " هرقل " قيصر الروم إلى كل جيش جيشاً يضاعفه فى العدد ... فرأى قواد جيوش المسلمين الأربعة أن يجتمعوا معاً ، وعلم بذلك هرقل فأمر جنوده أن ينزلوا على نهر اليرموك فى سوريا فنزلوا بين النهر وبين واد عميق كأنه خندق يعرف بالواقوصة ، وكان عددهم أكثر من مائتى ألف جندى وكان ذلك عام ٦٣٤ م ... وكان رأيهم أن الوادى والنهر يحميان جانبيهم .

ونزل المسلمون أمامهم على نفس الضفة من النهر ، فصار الروم كأنهم محصورون ولا طريق أمامهم سوى ناحية العرب ... وحفر الروم بينهم وبين المسلمين خندقاً ، وأخذوا يناوشون المسلمين ثلاثة أشهر ، وأرسل المسلمون خلال هذه الفترة إلى أبى بكر كى ينجدهم بنصف جنود العراق ، وبالفعل أرسل أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن ينجدهم بنصف جنوده ، وسار خالد بن الوليد مسرعاً حتى بلغ الشام وانضم إلى معسكر المسلمين ليصبح عددهم حوالى أربعين ألفاً .

ورأى خالد أن رئيس كل جيش منهم مستقلاً برأيه ... فاتفق معهم على

أن يتولى كل أمير القيادة يوماً ، وبدأ هو باليوم الأول ، فعبأ جيشه تعبئة لم يسبق للعرب مثلها ، وهاجم بهم الروم ، فخرجوا من خندقهم ، وهجم خالد بقلب الجيش ففرق بين فرسانهم والمترجلين منهم ورأى فرسانهم أنهم أصبحوا وسط المسلمين ففروا إلى الصحراء ، ثم أطبق المسلمون على الأعداء فردوهم إلى خندقهم واقتحموه عليهم ، وأقبل الليل فلم يوقف المسلمون القتال ، وحاصروا الروم فتساقطوا فى الهوة من جانب وفى النهر من جانب آخر ، وتم النصر للمسلمين ولم ينج من الروم غير عدد قليل .

وكانت هذه الموقعة أعظم المواقع بين المسلمين والروم ، مع الفارق الكبير فى العدد بينهم ، ولم يثبت للروم جيش أمام المسلمين بعد ذلك ... وفى أثناء تلك الموقعة جاء نبأ موت أبى بكر وعزل خالد عن قيادة الجيش ، وتولية أبى عبيده القيادة ، فقبل خالد ذلك ورضخ لأبى عبيده فى الرأى والجهاد وسارا لفتح دمشق وهكذا أصبحت سوريا كلها فى أيدى المسلمين .

وقبل أن يرحل " هرقل " عن سوريا وقف على مرتفع من الأرض ، ثم التفت إلى الشام وقال يودعها الوداع الأخير " السلام عليك يا سوريا سلام لا لقاء بعده" ... وهرب إلى القسطنطينية .

الحجاج بن يوسف الثقفى

احتل الحجاج بن يوسف الثقفى (٦٦١ – ٧١٤ م) مكانة متميزة بين أعلام الإسلام ، ويندر أن تقرأ كتاباً فى التاريخ أو الأدب ليس فيه ذكر للحجاج الذى خرج من سواد الناس إلى الصدارة بين الرجال وصانعى التاريخ بملكاته الفردية ومواهبه الفذة فى القيادة والإدارة .

ولا يختلف أحد فى أنه اتبع أسلوباً حازماً مبالغاً فيه ، وأسرف فى قتل الخارجين على الدولة ، وهو الأمر الذى أدانه بسببه أكثر المؤرخين ، ولكن هذه السياسة هى التى أدت إلى استقرار الأمن فى مناطق الفتن والقلاقل التى عجز الولاة من قبله عن التعامل معها .

ولد الحجاج بن يوسف فى الطائف ، ونشأ فى أسرة كريمة من بيوت ثقيف ، وكان أبوه رجلاً تقياً على جانب من العلم والفضل ، وقضى معظم حياته فى الطائف ، يعلم أبناءها القرآن الكريم دون أن يأخذ عليه أجراً.

حفظ الحجاج القرآن على يد أبيه ثم تردد على حلقات أئمة العلم من الصحابة والتابعين ، ثم اشتغل وهو فى بداية حياته بتعليم الصبيان ، شأنه فى ذلك شأن أبيه .

لفت الحجاج أنظار الخليفة عبد الملك بن مروان ، ورأى فيه شدة وحزماً وقدرة وكفاءة ، وكان فى حاجة إليه ، حتى ينهى الصراع الدائر بينه وبين عبد الله بن الزبير الذى كان قد أعلن نفسه خليفة سنة (٦٤هـ - ٦٨٣م) بعد وفاة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، ودان له بالولاء معظم أنحاء العالم الإسلامى .

حاصر الحجاج مكة المشرفة ، وضيق الخناق على ابن الزبير المحتمى بالبيت ، وكان أصحابه قد تفرقوا عنه وخذلوه ، ولم يبق سوى قلة صابرة ، ولم تغن عنه شيئاً ، ولم تستطع الدفاع عن المدينة المقدسة التى يضربها الحجاج بالمنجنيق دون مراعاة لحرمتها وقداستها ، حتى تهدمت بعض أجزاء من الكعبة، وانتهى القتال باستشهاد ابن الزبير والقضاء على دولته ، وعودة الوحدة للأمة الإسلامية التى أصبحت فى ذلك العام (٧٣ هـ - ٦٩٣ م) تدين بالطاعة لخليفة واحد ، وهو عبد الملك بن مروان .

وكان من أثر هذا الظفر أن أسند الخليفة إلى الحجاج ولاية الحجاز مكافأة له على نجاحه ، وكانت تضم مكة والمدينة والطائف ، ثم أضاف إليه اليمن واليمامة فكان عند حسن ظن الخليفة وأظهر حزماً وعزماً فى إدارته حتى تحسنت أحوال الحجاز فأعاد بناء الكعبة ، وحفر الآبار ، وشيد السدود .

بعد أن أمضى الحجاج زهاء عامين والياً على الحجاز نقله الخليفة والياً على العراق بعد وفاة أخيه بشر بن مروان ، وكانت الأمور فى العراق بالغة الفوضى والاضطراب ، تحتاج إلى من يعيد الأمن والاستقرار ، ويسوس الناس بعد أن تقاعسوا عن الخروج للجهاد وركنوا إلى الدعة والسكون ، واشتدت معارضتهم للدولة ، وازداد خطر الخوارج ، وقويت شوكتهم بعد أن عجز الولاة عن كبح جماحهم .

ولبى الحجاج أمر الخليفة وأسرع فى سنة (٧٥ هـ - ٦٩٤ م) إلى الكوفة ، وفى أول لقاء خطب فى المسجد خطبة عاصفة مشهورة أنذر فيها وتوعد المخالفين والخارجين على سلطان الخليفة والمتكاسلين عن الخروج لقتال الخوارج الأزارقة .

واتبع الحجاج القول بالفعل ونفذ وعيده بقتل واحد ممن تقاعسوا عن الخروج للقتال ، فلما رأى الناس ذلك تسارعوا نحو قائدهم المهلب لمحاربة الخوارج الأزارقة ، ولما اطمأن الحجاج إلى استقرار الاوضاع فى الكوفة ، ذهب إلى البصرة تسبقه شهرته فى الحزم ، وأخذ الناس بالشدة والصرامة .

وما كاد الحجاج يقضى على فتنة الخوارج حتى شبت ثورة عارمة دامت ثلاث سنوات (٨١- ٨٣ هـ - ٧٠٠ - ٧٠٢ م) زعزت استقرار الدولة وكان يقودها " عبد الرحمن بن الأشعث " أحد رجال الحجاج الذى أرسله على رأس حملة لإخضاع الأجزاء الشرقية من الدولة ، وبعد أن حقق ابن الأشعث عدداً من الانتصارات غره ذلك ، وأعلن العصيان ، وبدلاً من أن يكمل المهمة المنوط بها عاد ثائراً على الدولة الأموية مدفوعاً بطموحه الشخصى وتطلعه إلى الرئاسة والسلطان .

ووجد فى أهل العراق ميلاً إلى الثورة والتمرد على الحجاج ، فتلاقت الرغبتان فى شخصه ، وآزره عدد من كبار التابعين ، وحالف النصر ابن الأشعث فى جولاته الأولى مع الحجاج ، واضطرب أمر العراق وسقطت البصرة فى أيدى الثوار ، غير أن الحجاج نجح فى أن يسترد أنفاسه ، وجاء المدد من دمشق وواصل قتاله ضد ابن الأشعث ، ودارت معارك طاحنة حسمها الحجاج لصالحه وتمكن من سحق عدوه فى معركة دير الجماجم سنة (٨٣هـ- ٧٠٢م) والقضاء على فتنته .

ثم عاود الحجاج سياسة الفتح ، وأرسل الجيوش المتتابعة ، واختار لهـا القادة الأكفاء ، مثل قتيبة بن مسلم الباهلى ، الذى ولاه الحجاج خراسـان سـنة (٨٥ هـ - ٧٠٤ م) وعهد إليه بمواصلة الفتح وحركة الجهاد فأبلى بلاء حسناً ونجح فى فتح العديد من النواحى والممالك والمدن الحصينة ، الواقعة على حدود الصين المتاخمة لإقليم ما وراء النهر وانتشر الإسلام فى هذه المناطق وأصـبح كثير من مدنها مراكز مهمة للحضارة الإسلامية مثل بخارى وسـمرقند وبـلاد السند.

وكان الحجاج يدقق فى اختيار ولاته وعماله ، ويختارهم من ذوى القدرة والكفاءة ، ويراقب أعمالهم ، ويمنع تجاوزاتهم على الناس ، وقد أسفرت سياسته الحازمة عن إقرار الأمن الداخلى والضرب على أيـدى اللصـوص وقطـاع الطرق .

ويذكر التاريخ للحجاج أنه ساعد فى تعريب الدواوين ، وفى الإصـلاح النقدى للعملة ، واصلاح حال الزراعة فى العراق بحفر الأنهـار والقنـوات ، وإحياء الأرض الزراعية ، واهتم بالفلاحين وأقرضهم ووفر لهم الحيوانات التى تقوم بمهمة الحرث وذلك ليعينهم على الاستمرار فى الزراعة .

ومن أعظم أعمال الحجاج ما أمر به نصر بن عاصم بوضع النقاط على الحروف العربية من أجل توحيد نطق القرآن الكريم ، ومنع التحريف ، وأمـر بكتابة مصاحف عديدة موحدة ، وبعث بها إلى مختلف البلاد.

أول من وضع النقاط على الحروف العربية

نصر بن عاصم بناءً على طلب الحجاج بن يوسف الثقفى ... ذلك أن رجلاً رومياً جاء إلى الحجاج وألقى بعض الأبيات الشعرية بطريقة مضحكة لأنها لم تكن منقوطة ونطقها على هواه فتغير المعنى تماماً ، فغضب الحجاج وأمر بجلده ، فتوسط لدى الحجاج العالم (نصر بن عاصم) ليعفو عنه فقبل الحجاج شفاعة نصر وطلب منه أن يجد طريقة كى يتلافى الناس خاصة الأعاجم الوقوع فى الخطأ واللحن فى اللغة ، فكان أن وضع نصر بن عاصم النقاط فوق الحروف وتحتها على أن تكون باللون الأسود أى بنفس لون الحروف المكتوبة حتى تختلف فى لونها عن النقاط الخاصة (بعلم النحو).

ذلك أن على بن أبى طالب كان قد طلب من أبو الأسود الدؤلى وضع قواعد لضبط الكلمات (علم النحو) وقام أبو الأسود الدؤلى باستخدام النقاط الحمراء فى هذا المجال ، فكانت علامة الفتحة نقطة حمراء فوق الحرف ، وعلامة الكسرة نقطة حمراء اسفله ، وعلامة الضمة نقطة حمراء بين أجزاء الحرف ... وهكذا .

وفى العصر العباسى قام العالم الخليل بن أحمد فعدل فى نقط أبو الأسود الدؤلى ، وجعل الضمة واواً صغيرة تكتب فوق الحرف ، والفتحة ألفاً صغيرة

فى وضع أفقى فوق الحرف ، والكسرة ياءً صغيرة تكتب تحت الحـــرف ، ثـم وضع للشدة علامة رأس الشين ، وهكذا ، وبذلك تميزت نقط الحـــروف عـــن علامات التشكيل . من أجل قراءة صحيحة خالية من التحريف.

أول عملة عربية

قبل الإسلام لم يكن للعرب عملة خاصة بهم ، بل عرفوا الدراهم الساسانية والدنانير البيزنطية وكان لهم محاولات لإصدار عملة عربية بدأها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم معاوية بن أبى سفيان الذى صك عملة على الطراز البيزنطى ، إلا أن هذه المحاولات لم تكن محاولات خلق وابتكار بقدر ما كانت عمليات تقليد للنقود البيزنطية والساسانية واستمرت هذه المحاولات فى التقليد إلى عهد عبد الملك بن مروان ٦٨٥ م.

ولإصدار أول عملة عربية قصة ، فقد كان بين الدولة العربية الإسلامية والدولة البيزنطية معاهدة مهادنة لمدة عشر سنوات وتقضى المعاهدة بأن تدفع الدولة العربية إتاوة سنوية للدولة البيزنطية قدرها ألف دينار من الذهب ، ويروى التاريخ أن نزاعاً نشأ بين عبد الملك بن مروان " الخليفة الأموى " وجوستنيان امبراطور الروم ، على أثر رسالة تسلمها من عبد الملك صدرها بالآية الكريمة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) ﴾ مما اغضب امبراطور الروم فقرر أن يطبع على العملة البيزنطية ما يسئ للمسلمين ، عندها قطع عبدالملك عليه الطريق وأصدر عملة عربية تساوى فى وزنها وقيمتها العملة البيزنطية ولكنها تخلو من النقوش البيزنطية ولا تحمل صورة هرقل ، بل الآية

الكريمة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) ﴾ وعلى ظهرها كتابة نصها "بسم الله ضرب هذا الدينار سنة ستة وسبعون " وبذلك نجح عبد الملك فى إصدار أول عملة عربية .

عمر بن عبد العزيز ...
العدالة فى ثلاثين شهراً

تبوأ الخليفة عمر بن عبد العزيز (٦٨١- ٧٢٠م) مكانة فريدة فى التاريخ الإسلامى لم يصل إليها نخبة من الفاتحين والقادة ، وذلك بأعماله العظيمة وإدارته العادلة للدولة ، واحتاج لإحداث هذا التغير فى حياة الأمة إلى ... ثلاثين شهراً فقط.

ولد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم فى المدينة المنورة ، وإن كان بعض المؤرخين يذكرون أنه ولد بمصر ، ويرجع نسبه من أمه إلى عمر بن الخطاب ، حيث كانت أمه هى أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، نشأ بالمدينة المنورة بين أخواله من أبناء وأحفاد الفاروق عمر ، حيث كان والده عبد العزيز بن مروان والياً على مصر لمدة عشرين عاماً ، وتتلمذ عمر بن عبد العزيز على عدد من خيرة علماء المدينة المنورة .

وبعد مرحلة طلب العلم استدعاه عمه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى دمشق ، وزوجه ابنته فاطمة ثم عينه والياً على إمارة صغيرة من أعمال حلب ، وظل والياً عليها حتى توفى عبد الملك بن مروان سنة ٧٠٥م.

ولما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة بعد أبيه سنة ٧٠٥م عين ابن عمه عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة المنورة ، وقد استقبله أهل المدينة

استقبالاً حسناً ، فهم يعرفون خلقه وفضله منذ أن نشأ بينهم ، وأحسنوا الظن فيه، فلم يخيب آمالهم ، وبادر إلى العمل الجاد ، واختار معاونيه من خيرة الرجال ، وأفضلهم قدرة وكفاءة .

وفى فترة ولايته نعمت المدينة بالهدوء والاستقرار وشعر الناس بالأمن والعدل ، وقام بتجديد المسجد النبوى ، وتحسين عمارته ، ثم عزله الخليفة الوليد سنة ٧١١ م بعد أن ظل والياً على المدينة ست سنوات ، ولم يكن عزله عن تقصير وإهمال ، ولكن عزل بسبب وشاية استجاب لها الوليد ، فأخرجه من منصبه ، فعاد عمر إلى الشام ، ولم يتول منصباً .

وظل عمر بن عبد العزيز حتى وفاة الوليد بن عبد الملك سنة ٧١٤ م فى الشام ، فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة من بعده أبقى على عمر ، ولم يوله منصباً وجعله فى بلاطه مستشاراً وناصحاً ، ومعاوناً له وظهيراً ، فلما حضرته الوفاة أوصى له بالخلافة من بعده ، لما رأى فيه من القدرة والكفاءة ، والتقوى والصلاح ، والميل إلى الحق والعدل ، فتولاها فى سنة ٧١٧ م.

عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بدأ بنفسه وأهل بيته ، فأعاد الأراضى التى وهبت له ولزوجته وأولاده من بيت مال المسلمين ، وطلب من بنى أمية ارجاع ما أخذوه من بيت مال المسلمين بدون وجه حق ، كما جلس ينظر فى مظالم الرعية ، فأعاد إلى الناس ما اغتصبه أفراد أسرته منهم ، وطلب من موظفى الدولة والعمال مراعاة الحذر فى أموال الدولة ، وعدم استخدامها للحاجات الشخصية ، وعزل الولاة الظالمين والعمال القساة وعين بدلاً منهم ولاة جدد ، وكان يراقب تصرفاتهم .

وإذا كان قد أخذ نفسه بالشدة والحياة الخشنة ، فإنه لم يلزم بها ولاته ، بل وسع عليهم فى العطاء ، وفرض لهم رواتب جيدة تحميهم من الإنشغال

بطلب الرزق ، وتصرفهم عن الإنشغال بأحوال المسلمين ، كما منعهم من الإشتغال بالتجارة ، وأعطى لهم الحرية فى إدارة شئون ولاياتهم ، فلا يشاورنه إلا فى الأمور العظيمة ، وكان يظهر ضيقه من الولاة إذا استوضحوه فى الأمور الصغيرة .

عرف عمر بن عبد العزيز قيمة مال الدولة ، فلم ينفقه إلا فيما فيه نفع الأمة ، وكان يكره التصرف فى المال العام بلا ضابط أو رقيب ، وكأنه مال خاص للخليفة أو الوالى ينفقه كيفما شاء ، ويعطيه لمن شاء ، ولذا كان يدقق فى إنفاق مال الدولة لأنه أمانة يجب صيانتها ، ولكل فرد من الأمة حق فيها يجب حفظه ، وأعطى عمر من نفسه القدوة والمثال فى حفظ مال الدولة ، فتبعه ولاته، وانتهجوا طريقته .

وكان من نتائج هذه السياسة أن تدفقت الأموال إلى خزينة بيت المال من موارد الدولة المتنوعة التى حافظ الولاة عليها ، ورعوها حق رعايتها ، وكانت كفيلة بأن تقوم بكل مسؤوليات الدولة تجاه أفرادها وتحسين حياتهم إلى الحد الذى جعله يكتب إلى أحد ولاته : " أن أقضوا عن الغارمين " ، أى أدوا عنهم دينهم ، فكتب إليه : " إنا نجد الرجل له المسكن والخادم والفرس والأثاث " ، فكتب إليه عمر : " أنه لا بد للمرء المسلم من سكن يسكنه ، وخادم يعينه ، وفرس يجاهد عليه ... أقضوا عنه فإنه غارم " .

وبلغ من حرصه على الرفق برعيته واحترامه لحقوق الإنسان أن جعل لكل أعمى قائداً يقوده ويخدمه ، ولكل مريضين مرضاً شديداً خادماً لهما ، ولكل خمسة أيتام أو من لا عائل لهم خادماً يخدمهم ، ويقوم على شؤونهم .

وفاض المال فى بيت المال بفضل سياسته الحكيمة وعدله الناصع فمكنه من فرض الرواتب للعلماء وطلاب العلم ، والمؤذنين ، وفك رقاب الأسرى ،

وعال أسرهم فى أثناء غيابهم ، وقدم العطايا للسجناء مع الطعام والشراب ، وحمل بيت المال تكاليف زواج من لا يملك نفقاته .

ويذكر لعمر بن عبد العزيز أنه اسقط الجزية عن أبناء البلاد المفتوحة الذين دخلوا فى الإسلام ، وكان بعض عمال بنى أمية لما أعوزهم المال بسبب الحروب واشتعال الثورات أبقوا الجزية على هؤلاء .

كما بدأ عمر بن عبد العزيز الخطوة الأولى فى تدوين السنة ، حين كتب إلى الأمصار يأمر العلماء بجمع الأحاديث وتدوينها .

توفى الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز ودفن فى منطقة دير سمعان من أعمال المعره بالقرب من حلب فى سوريا ، استمرت خلافته فترة قصيرة جداً ، فلم تطل مدة خلافته سوى عامين ونصف ثم حضره أجله ولاقى ربه عادلاً فى الرعية قائماً فيها بأمر الله تعالى ، وعندما توفى لم يكن فى سجنه رجل واحد ، وفى عهده انتشر العلم وكثرت المساجد فى أرجاء الدولة الأموية التى تعلم القرآن ، وفى عهده القصير أوقف الحرب مع جيرانه ووسع العمل داخل دولته ، كالشوارع والطرقات والممرات الآمنة ، ودور المياه ودور الطعام، والمدارس ، ونسخ الكتب ، واهتم بالترجمة ونقل العلم والى غير ذلك من الأعمال الخيرة ، حتى دعاه المؤرخون بخامس الخلفاء الراشدين .

أول معاجم اللغة العربية

كان الخليل بن أحمد الفراهيدى (٧١٨ – ٧٨٦ م) الذى ولد فى عمان وتوفى فى البصرة هو الرائد فى هذا المجال ، حيث قام بترتيب المفردات على أساس صوتى وليس على أساس ترتيب الحروف الأبجدية المعروف لدينا الآن ، وعلى هذا فقد رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين ، وبدأ بحرف العين ... وسمى كل حرف كتاباً وسمى كتابه الأول (العين) جرياً على عادة تسمية العرب الكتب بأول لفظ من ألفاظها.

ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدى من أهم علماء المدرسة البصرية حيث أسس علم العروض ، وكان معلماً للعالم الكبير سيبويه ، كما قام بتغيير رسم حركات الكلمات ، إذ كانت التشكيلات ترسم على هيئة نقاط بلون مختلف عن لون الكتابة – وذلك أن قام نصر بن عاصم بوضع النقاط على الحروف لتمييزها- فكان من الضرورى تغيير رسم الحركات ليتمكن القارئ من التمييز بين تنقيط الحركات وتنقيط الحروف ، فجعل الفتحة ألفاً صغيرة مائلة فوق الحرف ، والكسرة ياءً صغيرة تحت الحرف ، والضمة واواً صغيرة فوقه ، وإذا كان الحرف منوناً كرر الحركة ، ووضع شيناً غير منقوطة للتعبير عن الشدة، ووضع رأس عين للتدليل على وجود الهمزة وغيرها من الحركات كالسكون

وهمزة الوصل ... وله من الكتب بالإضافة إلى معجم العين ، النغم ، والعروض، والشواهد والإيقاع.

وكان أول مؤلف يحمل اسم " معجم " هو كتاب أبى يعلى أحمد بن على بن المثنى (٨٢٥ – ٩١٩ م) واسمه " معجم الصحابة " ، ومن الجدير بالذكر هنا أن علماء اللغة الذين دونوا مفردات اللغة قبل هذا المؤلف ، لم يطلق أحد منهم على كتابه اسم معجم وإنما أطلق اسماً خاصاً بمعجمه مثل " تهذيب اللغة " أو " الجمهرة " ... الخ .

ثم أطلق لفظ (معجم) على هذا اللون من الكتب اللغوية التى تعالج اللفظ فتشرح مدلوله ، وما يتصل به لغوياً أو تجمع الألفاظ المتصلة بمعنى واحد أو موضوع واحد فى كتاب ... ولقد سميت المعاجم أيضاً بالقواميس نسبة إلى تسمية الفيروز أبادى معجمه " بالقاموس المحيط " والآن ترادف كلمة قاموس كلمة معجم .

وإذا أردنا معرفة كيف وصلت الأبجدية العربية التى يستعان بها فى عمل المعاجم إلى ترتيبها الحالى ، فيجب أن نبدأ بالحديث عن الفينيقيين لأن الفضل يرجع إليهم فى اختراع الأبجدية الصوتية الهجائية التى وضعت لكل صوت من أصوات اللغة علامة خاصة ، وأقدم أشكال هذه الحروف يتمثل فى التقسيم الفينيقى الذى يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد والذى وجد فى (قبرص) ويليه النصب التذكارى للملك (ميشع) ملك " مواب " والذى اكتشف فى عام ١٨٦٨ م وهو الآن محفوظ بمتحف اللوفر بباريس ويرجع إلى ما بعد سنة ١٠٠ ق.م بقليل.

ومصطلح الأبجدية نسبة إلى لفظ (أبجد) وهى أولى الكلمات التى جمعت حروف الهجاء الفينيقية المكونة من اثنين وعشرين حرفاً مرتبة حسب

ترتيبها فى الكلمات الست الآتية :-

أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

وهى لا تعبر إلا عن الأصوات الصامتة بالإضافة إلى صوتى الواو والياء .

وأضاف العرب أحرفاً ستة على هذه الأبجدية وسموها بالروادف لأنهم أردفوها بحروف الكلمات الست السابقة وجمعت هذه الحروف فى كلمتى (ثخذ، ضظغ) فأصبحت حروف الأبجدية بذلك ثمانية وعشرين حرفاً ، وعندما صعب على العرب التمييز بين الأحرف المتشابهة فى شكلها كالجيم والحاء والسين والشين والباء والتاء والثاء انتبه إلى هذا الحجاج بن يوسف أمير العراق ، فأوصى إلى نصر بن عاصم وكان – رساماً وخطاطاً – أن يضع لهذه الحروف المتشابهة علامات تميزها بعضها عن بعض ، فقام بوضع النقط سواء نقطة أو اثنتين أو ثلاثة ، ووضع الحروف المتشابهة مسلسلة ولذلك لم يتفق الترتيب الفينيقى مع ترتيب نصر بن عاصم إلا فى أحرف (كلمن) فترتيبها عنده كما هو فى الترتيب الفينيقى القديم.

وبذلك أصبحت الأبجدية العربية على الترتيب المعروف لدينا الآن.

لا يفتى ومالك بالمدينة

إنه الإمام مالك (٧١٥ – ٧٩٦م) " أبو عبد الله مالك بن أنس الحميرى" إمام دار الهجرة ، ولد بالمدينة المنورة ، وبدأ فى طلب العلم وهو صغير لم يتجاوز بضع عشرة سنة ، وحرص على جمعه ولازم العديد من كبار العلماء ، وقد بلغ عدد شيوخه حوالى ٣٠٠ من التابعين و ٦٠٠ من أتباع التابعين .

عرف عن الإمام مالك بأنه قوى الحافظة ، وجيد التحرى فى رواية الحديث مدققاً فى ذلك كل التدقيق ، ولا ينقل إلا عن الإثبات ، ولا يغتر بمظهر الراوى أو هيئته ، وروى أنه كان يقول " ما أجبت فى الفتوى حتى سألت من هو أعلم منى هل ترانى موضعاً لذلك سألت ربيعة وسألت يحى بن سعيد فأمرانى بذلك فقلت فلو نهوك ؟ قال كنت انتهى لا ينبغى للرجل أن يبذل نفسه حتى يسأل من هو أعلم منه ... ولذلك ضربت به الأمثال كحجة فى الدين فقيل "لا يفتى ومالك بالمدينة"

وقد رأى الخليفة أبو جعفر المنصور أن فئة من الناس يكيدون للإسلام سراً وجهراً بوضع كثير من الأحاديث المكذوبة فى التفسير وأصول الدين ، فكلف الإمام مالك إمام المدينة بجمع كتاب جامع للأحاديث التى صحت عنده فى

الفقه وأصول الدين ويوطئه للناس فوضع كتابه "الموطأ" فى أربعين سنة الذى ذاع وأصبح أساساً لكتب الفقه التى ألفت بعده.

قال الإمام الشافعى : ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك ، قال البخارى " أصح الأسانيد كلها : مالك عن نافع عن ابن عمر " ، وكثيراً ما ورد هذا الإسناد فى الموطأ ، قال القاضى أبو بكر بن العربى فى شرح الترمذى : الموطأ هو الأصل واللباب وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا الباب ، وعليهما بنى الجميع كمسلم والترمذى .

من مؤلفاته أيضاً الرد على القدرية ورسالة فى القدر وكتاب النجوم والحساب مدار الزمن ورسالة فى الأقضية فى عشرة أجزاء وتفسير غريب القرآن وغيرها ، ورويت عن الأمام مالك المدونة وهى مجموعة رسائل فقهية تبلغ نحو ٣٦ ألف مسألة .

ويعد المذهب المالكى ثانى المذاهب الأربعة فى القدم بعد المذهب الحنفى، ويقال لأصحابه " أهل الحديث " ونشأ هذا المذهب بالمدينة المنورة ثم انتشر بالحجاز ومصر وبعض بلاد أفريقيا والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى، ثم ضعف شأنه فى المدينة المنورة وغلب عليه المذهب الشافعى ، واستمر هذا المذهب منتشراً فى مصر إلى أن جاء الفاطميون فأظهروا مذهب الشيعة ، وهجروا غيره من المذاهب الأخرى ، ثم عاد إلى الانتعاش فى الدولة الأيوبية ، وكان فى المرتبة الثانية بعد الشافعى .

الخليفة المهدى يأمر
بجلد بشار بن برد حتى الموت !!

ولد بالبصرة عام ٧١٤ م من أب فارسى وفيها نشأ ... وكان بشار عبداً فى البداية ثم اعتق ، كما أنه ولد غير مبصر على أنه كان يشبه الأشياء بعضها ببعض ، فيأتى بمالا يقدر عليه المبصرون .

واتجه بشار بن برد منذ نعومة أظافره إلى حلقات العلم والشعر ... ولم يكد يبلغ العاشرة حتى أخذ الشعر يتدفق على لسانه ، وكان الهجاء يضطرم فى موطنه فى هذه الفترة فكان طبيعياً أن يكون الهجاء أول موضوع ينظم فيه حيث غلب على شعره المجون والكلمات البذيئة ، ويقال أن أباه كان يضربه بسببه ضرباً مبرحاً لكثرة ما يشكو الناس منه ، وكانت أمه ترجوه أن يترفق به فيجيبها قائلاً : أنى لأرحمه ولكنه يتعرض للناس ... فقال بشار لوالده : قل لهم أليس الله يقول (ليس على الأعمى حرج) ، وفعلاً عندما عاد الناس إلى "برد" يرددون شكواهم تلا عليهم الآية الكريمة ، فانصرفوا قائلين : فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار.

ثم اتجه إلى البادية لإتقان اللغة العربية ، وعاد إلى البصرة وإلى حلقات الفلاسفة ، ويبدو أنه تسرب إليه من هذه المجالس شئ من الفلسفة والمنطق ، ولم تلبث الأمور أن فسدت بينه وبين واصل بن عطاء رأس المعتزلة الذى كانت

تربطه به صلة وثيقة ... حيث تبين أنه يدين بالرجعة أو عودة الإمام المختفى ويكفر الأمة ، وتتابع منه ما يؤكد على إلحاده ، مثل قوله يشيد بعبادة النار :

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وتمادى فى كفره يفضل إبليس المخلوق من النار على آدم المخلوق من الطين قائلاً :

النار عنصره وآدم طينه والطين لا يسمو سمو النار

ومضى بشار يعلن زندقته مصرحاً بأنه لا يؤمن إلا بما يشهده الحس ، فهو لا يؤمن بجنة ولا نار ولا ببعث ولا حساب ... كل هذا جعل واصل بن عطاء يثور عليه ثورة شديدة وكان مما زاد هذه الثورة أن رآه يكثر الغزل المادى الآثم الذى يعد خطراً على شباب البصرة ونسائها ، وتم طرده بالفعل من البصرة .

واتجه يمدح أكثر من والى حتى وصل إلى خالد بن برمك والى فارس حيث وجد أن بينهما صلة هى الأصل الفارسى ، فشعر بشار بإقبال الدنيا عليه فتغنى بشعوبيته وفخر بها فخراً مسرفاً.

ثم عاد إلى البصرة حيث حدثت ثورة للعلويين بزعامة إبراهيم بن عبدالله ، وخيل إليه أن الانتصار فى صف إبراهيم فمدحه بقصيدة رائعة ، ولكن سرعان ما يخيب فأله إذ قمع المنصور الثورة ، ويسارع بشار فيغير القصيدة ويجعلها فى مدح المنصور ، ولكنه لم يستطع الذهاب إليه.

ويمضى بشار فى غزله ، على الرغم من أن كل شئ فيه كان ينفر المرأة إذ كان قبيح المنظر جاحظ العينين يغطيهما لحم أحمر ، ولعل هذا القبح

ونفور النساء منه هو الذى كان يستثير عنده الغريزة ويدفعه إلى الإفراط فى الغزل المكشوف ، على أن هذا الغزل نفسه جعل بعض بنات الهوى يقبلن عليه ويتغنين بشعره ... وعلى الرغم من هذا الغزل المكشوف إلا أنه كتب عدداً من القصائد الشعرية الرقيقة منها البيتين التاليين :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً

قالوا بمن لا ترى تهذى؟ فقلت لهم الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

وعندما توفى المنصور وتولى المهدى الحكم ذهب إليه بشار بن برد يمدحه ، وأغدق عليه الهبات ، وكان المهدى يتميز بالشدة فى شئون الدين وعلم أن بشاراً يفسد النساء والشباب بغزله الفاضح فأمره أن يكف عن ذلك ، وكف بشار على مضض ... وأخذ يردد فى أشعاره أنه ترك الغزل نزولاً على إرادة الخليفة ، وتضايق المهدى إذ كان يراه لا يكف عما نهاه عنه ، وترامت إليه أنباء زندقته وما يغرق فيه من مجون فمنع عنه عطاياه ... ثم تعقب المهدى الزنادقة وقتل منهم الكثير ، ومكث بشار فى البصرة خوفاً على نفسه ، غير أن صمته لم يطل فأخذ فى رثاء أصدقائه الزنادقة الذين قتلوا .

وهجا بشار بن برد المهدى ووزيره يعقوب بن داود هجاءً مقذعاً ، فجاء المهدى إلى البصرة وتأكد أن بشار زنديق فعلاً حيث سمعه يؤذن وهو ثمل فى غير وقت الصلاة وعرف أنها عادته ، وعندئذ أمر بضربه حتى الموت فضرب سبعين سوطاً مات على أثرها ، ولم يتبع جنازته سوى امرأة واحدة هى جاريته السوداء .

عبدالرحمن الداخل ... فاتح الأندلس

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (٧٣١ – ٧٨٨ م) الملقب بصقر قريش ، نشأ عبد الرحمن فى بيت الخلافة الأموى بدمشق ، وكان أحد الأمراء الأمويين المرشحين للخلافة ، هرب من العباسيين عند قيام دولتهم إلى الأندلس حيث دخلها ، وأكمل فترة الخلافة الأموية ، وسمى لذلك عبدالرحمن الداخل .

فعندما أقام العباسيون دولتهم على أنقاض الدولة الأموية ، كان هدفهم تعقب الأمويين والقضاء على أفراد البيت الأموى ، فقتلوا الأمراء وأبناء الأمراء بل وأحفادهم ، وكل من توقعوا أن يكون أهلاً للإمارة خشية محاولة أحدهم استرداد مجدهم لاسيما فى الشام ، وبذلوا الجهود المضنية لتحقيق هذا الهدف .

ونجح العباسيون فى الفتك بالأمويين باستثناء عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الذى اختبأ فى قرية منعزلة قريبة من الفرات ، وكان معه ابنه الطفل سليمان وكان عمره وقتها أربع سنوات ، وأخ أصغر وأختين ، وعندما اكتشفت الشرطة مكانهم هرب عبد الرحمن مع أخيه الوليد بن معاوية عبر بعض البساتين فلما تعقبتهما الشرطة ، حاولا عبور النهر فأغرتهما الشرطة أن يرجعا ولهما الأمان فرجع أخوه وغرر به وقتله العباسيون وكان عمره ثلاثة عشر

سنة، بينما نجح عبد الرحمن فى الوصول إلى الضفة الأخرى بسلام ولم تتطلى عليه مكيدتهم ولحق به مولاه بدر طبقاً لخطة سابقة .

بعد أن فر عبد الرحمن بن معاوية من الشام وصل إلى القيروان وعمره تسع عشرة سنة ، وهناك وجد ثورة كبيرة للخوارج فى الشمال الأفريقى كله وعلى رأسها عبد الرحمن بن حبيب ، وكان قد استقل بالشمال الأفريقى عن الدولة العباسية ، ولأنه كانت هناك كراهية شديدة بين الخوارج والأمويين فقد كان عبد الرحمن بن حبيب يسعى هو الآخر للقضاء على عبد الرحمن بن معاوية حين علم بأمره ، فحين قدم عبد الرحمن بن معاوية إلى القيروان اجتمع عليه الخوارج وكادوا أن يقتلوه ، فهرب من جديد إلى برقة (فى ليبيا) وظل مختبئاً فيها عند بعض أخواله هناك طيلة أربع سنوات كاملة حتى سنة ٧٥٤م وكان قد بلغ من العمر ثلاثة وعشرين سنة .

كانت الأندلس أصلح البلدان لاستقباله وذلك لأنها أبعد الأماكن عن العباسيين والخوارج ولأن الوضع فى الأندلس ملتهب حيث انقسمت الأندلس إلى فرق عديدة متناحرة ، وثورات لا نهائية ، كل يريد التملك والتقسيم وفق عنصره وقبيلته .

بدأ عبد الرحمن بن معاوية يعد العدة لدخول الأندلس ، حيث أرسل مولاه بدر إلى الأندلس لدراسة الموقف ، ومعرفة القوى المؤثرة فى الحكم فيها ، وراسل كل محبى الدولة الأموية فى أرض الأندلس بعد أن علمهم من مولاه ، ثم راسل البربر فى الأندلس ، وطلب معونتهم ومساعدتهم ، وكانوا فى ذلك الوقت على خلاف شديد مع يوسف بن عبد الرحمن الفهرى ، لأنه فرق بينهم وبين العرب ، وراسل كل الأمويين فى كل الأماكن واخبرهم أنه يعتزم دخول الأندلس ويطلب معونتهم ومددهم.

وفى عام ٧٥٥ م عبر عبد الرحمن المضيق وانضم إلى أنصاره وزحف إلى اشبيلية واستولى عليها وبايعه أهلها ، ثم نجح فى دخول قرطبة العاصمة ، بعد أن هزم جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فى موقعة المصارة .

بعد موقعة المصارة والسيطرة على منطقة قرطبة والجنوب الأندلسى لقب عبد الرحمن بن معاوية بعبد الرحمن الداخل ، لأنه أول من دخل من بنى أمية قرطبة حاكماً .

بويع عبد الرحمن بالإمارة فى قرطبة ، وأعلن نفسه أميراً على الأندلس فوق منبر مسجد قرطبة الجامع ، ولم يكن عبد الرحمن قد تجاوز السادسة والعشرين من عمره ، ولم يشأ عبد الرحمن أن يطن نفسه خليفة لأن فكرة الخلافة عند فقهاء السنة فى ذلك الوقت تقتضى بأن خلافة المسلمين واحدة لا تتعدد ، وأن الخروج منها عصيان فضلاً أن الخليفة هو حامى الحرمين الشريفين ويسيطر على الحجاز .

حاولت الخلافة العباسية أن تضم الأندلس إلى دولتها ولكن عبد الرحمن الداخل وقف لهم وحاربهم وانتصر عليهم ، حتى لقبه العباسيون أنفسهم بصقر قريش وهو اللقب الذى اشتهر به بعد ذلك ، فقد كان أبو جعفر المنصور جالساً مع أصحابه فسألهم : أتدرون من هو صقر قريش ؟ فقالوا له : بالتأكيد هو أنت، فقال لهم : لا . فعددوا له أسماء حتى ذكروا له معاوية وعبد الملك بن مروان من بنى أمية ، فقال أيضاً : لا ، ثم أجابهم قائلاً " بل هو عبد الرحمن بن معاوية، دخل الأندلس منفرداً بنفسه ، مؤيداً برأيه ، مستصحباً لعزمه ، يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلداً أعجمياً فمصر الأمصار وجند الأجناد ، وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه " .

كانت مدة حكمه ٣٣ سنة اهتم فيها بالأمور الداخلية للبلاد اهتماماً كبيراً، ففى الجانب العسكرى اهتم عبد الرحمن الداخل بإنشاء جيش قوى ، وبرغم قدوم

عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس وحيداً ، فقد وصل تعداد الجيش فى عهده إلى مائة ألف فارس ، كما أنشأ دوراً للأسلحة ، فأنشأ مصانع السيوف ومصانع المنجنيق ، وكان من أشهر هذه المصانع مصانع طليطلة ومصانع برديل ، وأنشأ أيضاً أسطولاً بحرياً قوياً ، بالإضافة إلى إنشاء أكثر من ميناء كان منها ميناء طرطوشة والمرية وإشبيلية وبرشلونة وغيرها من الموانئ ، وكان يقسم ميزانية الدولة السنوية إلى ثلاثة أقسام قسم ينفقه بالكامل على الجيش ، والقسم الثانى لأمور الدولة العامة من مؤن ومعمار ومرتبات ومشاريع وغير ذلك ، والقسم الثالث كان يدخره لأحداث الزمان غير المتوقعة .

كما أعطى عبد الرحمن الداخل العلم والجانب الدينى المكانة اللائقة بهما، فعمل على نشر العلم وتوقير العلماء ، واهتم بالقضاء وبالحسبة ، واهتم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكان من أعظم أعماله فى الناحية الدينية بناء مسجد قرطبة الكبير .

والى جانب ذلك برز اهتمامه الكبير بالإنشاء والتعمير ، وتشييد الحصون والقلاع والقناطر ، وربطه أول الأندلس بآخرها ، وانشائه أول دار لسك النقود الإسلامية فى الأندلس ، وانشائه الرصافة ، وهى من أكبر الحدائق فى الإسلام ، وقد انشأها على غرار الرصافة العربية ، والتى أسسها جده هشام بن عبد الملك ، وقد أتى لها بالنباتات العجيبة من كل بلاد العالم .

الخوارزمى ... يؤسس علم الجبر

محمد بن موسى الخوارزمى (٧٨١ – ٨٤٥ م) ... واحد من أبـرز علماء الرياضيات المسلمين ... انتقلت عائلته من مدينة " خوارزم " باوزبكستان حالياً إلى العراق حيث أنجز معظم أبحاثه بين عامى ٨١٣ – ٨٣٣ م فـى دار الحكمة التى أسسها الخليفة المأمون بالعراق .

ويعتبر الخوارزمى منشئ علم الجبر كعلم مستقل ، فقد ألّف كتاباً مهمـاً فى هذا المجال " حساب الجبر والمقابلة " ، وقد قصد الخوارزمى بالجبر نقـل الحدود السالبة من أحد طرفى المعادلة إلى الطرف الآخر لتكون موجبة ، أو نقل الحدود التى تحتوى على المجهول إلى طرف واحد ، ونقل الأعداد إلى الطرف الآخر ... وقصد بالمقابلة اختصار ما يجوز اختصاره بعد عملية الجبر ، وإيجاد قيمة المجهول وذلك فى معادلة الدرجة الأولى ، وقد عنى الخوارزمى فى كتابه بمعادلة الدرجة الثانية ، فرتبها وبوبها وصنفها تبعاً لنقل الحدود السالبة من أحد طرفى المعادلة إلى الطرف الآخر لتكون موجبة وعالج كل صنف منها واعترف بالجذور الصماء .

وقد شرح وعلق الكثيرون على هذا الكتاب ، وتناوله الغربيون بالعنايـة وكان لهم مرشداً ومعلماً حتى أنهم أبقوا لفظ الجبر (Algebra) كما سماه فـى

كتابه علماً على هذا العلم ، كما أن الكلمة الإنجليزية (algorism) ومعناها الأعداد العربية (نظام العد) من واحد إلى تسعة إنما هى مشتقة من اسم الخوارزمى ، كما أدخل مفهوم العدد صفر وقد تعلمت أوربا العلامات العشرية من الترجمة اللاتينية لمؤلفاته فى الحساب والجبر ... وبقيت معادلة الدرجة الثانية كما تركها الخوارزمى حتى القرن السادس عشر .

وفى الجغرافيا صحح الخوارزمى أبحاث العالم الأغريقى بطليموس ، معتمداً على أبحاثه الخاصة ، ومن أشهر كتبه فى الجغرافيا كتاب " صورة الأرض " الذى يحتوى على خرائط أدق من تلك التى نشرها بطليموس بالإضافة إلى العديد من التحسينات الأخرى.

نكبة البرامكة

نكبة البرامكة مصطلح يشير إلى ما وقع للبرامكة على يد الخليفة العباسى هارون الرشيد من قتل وتشريد ، ومصادرة أموال ، وقد كانوا وزراء الدولة وأصحاب الأمر والسلطان ، وهى من أهم الأحداث السياسية المؤثرة فى حكم هارون الرشيد ، وفى التاريخ السياسى الإسلامى بشكل عام ، وكان لها أثر كبير من حيث توصيفها للعلاقة بين العرب والفرس فى مجال الحكم والسلطان.

فالبرامكة عائلة فارسية شهيرة نال الكثير من رجالها المناصب القيادية العليا بالدولة العباسية ، وكان أجدادهم قبل الإسلام مجوساً يعبدون النار ، وكلمة برمك تعنى خادم بيت النار ... وقد كان جدهم برمك بن عبد الله من أسرى الحملة الإسلامية التى وجهت إلى خراسان فى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك ، ثم أسلم ، وكان عارفاً بالنجوم والحساب والحكمة ، وتقرب من الخليفة حين قام بعلاجه ، ثم لعب ابنه خالد بن برمك دوراً كبيراً فى إسقاط الدولة الأموية ، ولذلك ولاه الخليفة العباسى أبو العباس السفاح ديوان جنده والخراج ، ثم عينه وزيراً حتى توفى .

وتولى ابنه يحيى بن خالد البرمكى عدة مناصب ، فقد كان والياً على أذربيجان قبل وفاة والده بسبع سنوات أثناء خلافة المهدى والد هارون الرشيد ،

ثم عين مستشاراً ومربياً لهارون الرشيد قبل توليه الخلافة ، وكان ابنه الفضل بن يحيى أخو هارون الرشيد فى الرضاعة ، وقد وكله هارون الرشيد فيما بعد تربية ابنه الأمين ... إلا أن موسى الهادى (شقيق هارون) كان يحقد على البرامكة ، وسجن والدهم يحيى بن خالد البرمكى لأنه لم يوافقه على عزل هارون الرشيد من ولاية العهد ، وأخذ البيعة لابنه الصغير جعفر .

وبعد مقتل موسى الهادى ، واعتلاء هارون الرشيد الخلافة عام ٧٨٦م ، قام بالإفراج عن يحيى البرمكى من السجن ، وقربه إليه ، وقلده الوزارة ودفع إليه بخاتم الملك تقديراً لموقفه ، وكان لا يناديه إلا بكلمة " أبى " ... وتولى أبناء يحيى المناصب الكبرى فى الدولة ، فكان جعفر بن يحيى والى مصر ،والفضل بن يحيى والى خراسان.

وتصاعدت مكانة البرامكة ، وأصبحوا ذوى نفوذ وكلمة لا ترد ، وصاروا يدخلون على الخليفة فى أى وقت يشاؤون ، وتغير حالهم فأصبحوا يغيرون فى ولاتهم وأمرائهم وقوادهم دون الرجوع إلى الخليفة ، وصار الناس يتكلمون فيما صار إليه أمر الخليفة من ضعف وأن الأمر كله صار فى يد البرامكة ، وزاد من ذلك كله حادثة يحيى بن عبد الله الطالبى الذى خرج إلى بلاد الديلم ودعا لنفسه هناك ، وبايعه كثير من الناس ، وقويت شوكته ، فأرسل إليه الرشيد الفضل بن يحيى ، واستطاع الفضل أن يجعل يحيى الطالبى يتراجع بشرط أن يعطيه الرشيد الأمان ، وعد ذلك من أفضل أعمال الفضل ، وبعد فترة ظهر من يحيى ما أوجب عند الرشيد أن يأمر بإبقاء يحيى الطالبى عند جعفر بن يحيى لثقته فيه ، وفى ذات ليلة اجتمع يحيى مع جعفر ، وما زال به حتى أطلقه جعفر دون علم الخليفة ، وزوده بالمال اللازم لخروجه من بغداد ، فوصل الخبر للرشيد ، وكان ذلك يعد خيانة عظمى ، وعندما فاتح هارون الرشيد جعفر بالأمر، أنكره فى البداية ثم اعترف ، وأضمرها الخليفة فى نفسه .

لقد أصبح البرامكة مركزاً من مراكز القوى فى الدولة العباسية ، وكانوا يعيشون فى ترف شديد ، حتى أنهم كانوا يبنون قصورهم ويضعون على الحوائط بلاط الذهب والفضة ، وبنى جعفر بيتاً له كلفه عشرين مليوناً من الدراهم ، وكان الرشيد فى سفر ذات يوم ، فلم يمر على قصر ولا إقليم ولا قرية إلا قيل له هذا لجعفر بن يحيى البرمكى ، وعندما عاد الفضل من حربه فى الديلم أطلق لمادحيه ثلاثة ملايين درهم ، وهذا الاسراف جعل الرشيد يتابعهم فى الدواوين والكتابات ، فاكتشف وجود خلل كبير فى مصاريف الدولة .

كما كون الفضل بن يحيى البرمكى جيشاً من جند خراسان تعداده خمسين ألفاً ، وجعل ولاءه له مباشرة دون غيره ، ثم استقدم منهم عشرين ألفاً لبغداد ، مما حرك هواجس الرشيد ، كما بدأ البرامكة مخططاً بإبعاد العرب من ذوى الحظوة لدى الرشيد ، واتهامهم بالخيانة ، وتقريب الفرس والأعاجم وتوليهم أمور الجند والخراج .

وإزاء تعاظم نفوذ البرامكة ، واحتدام الصراع بين الفريقين ، بدأت الأمور تتخذ منحى جديداً ، بعد أن نجحت الدسائس والوشايات فى إيغار صدر الرشيد على البرامكة ، وذلك بتصويره بمظهر العاجز أمام استبداد البرامكة بالأمر دونه ، والمبالغة فى إظهار ما بلغه هؤلاء من الجرأة على الخليفة ، وتحكمهم فى أمور الدولة ، حتى قرر الرشيد التخلص من البرامكة ووضع حد لنفوذهم.

ولم يكن ذلك بالأمر الهين أو المهمة السهلة ، فقد تغلغل البرامكة فى كل أمور الدولة ، وصار لهم كثير من الأنصار والأعوان ، فاتبع الرشيد سياسة الكتمان ، واستخدم عنصر المفاجأة حتى يلحق بهم بالضربة القاضية .

وفى ليلة السبت (أول صفر ١٨٧ هـ - ٢٩ من يناير ٨٠٣ م) ، أمر

رجاله بالقبض على البرامكة جميعاً ، وأعلن أن لا أمان لمن آواهم ، وأخذ أموالهم وصادر دورهم وضياعهم ، وفى ساعات قليلة انتهت أسطورة البرامكة وزالت دولتهم ، وتبددت سطوة تلك الأسرة التى انتهت إليها مقاليد الحكم وأمور الخلافة لمدة ١٧ عاماً ، وكان منهم الوزراء والقادة ، ولم يستثن هارون الرشيد منهم إلا محمد بن خالد بن برمك وولده وأهله وحشمه لما ظهر من نصيحة محمد له ، وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة ، وأمر هارون الرشيد بقتل جعفر بن يحيى البرمكى وكان عمره ٣٧ سنة ، وتم سجن يحيى البرمكى مع ولده الفضل حتى ماتا بالسجن .

وكان لنكبة البرامكة أكبر الأثر فى إثارة شجون القومية الفارسية ، فعمدت إلى تشويه صورة الرشيد ، حتى طغت تلك الصورة لدى البعض على ما عرف عنه من شدة تقواه ، وحرصه على الجهاد والحج عاماً بعد عام ، وأنه كان يحج ماشياً ، ويصلى فى كل يوم مائة ركعة .

وقد اختار هارون الرشيد بعد ذلك وزراءه ومستشاريه من العرب ، وجعل الفضل بن الربيع الذى كان أبوه حاجباً للمنصور والمهدى والهادى وزيراً له ، وكان الفضل خبيراً بأحوال الملوك وآدابهم ، فلما ولى الوزارة جمع إليه أهل العلم والأدب ، وما زال على ذلك حتى توفى هارون الرشيد عام ٨٠٩ م.

المعلم الثانى

الفارابى ... وهو أول فيلسوف يضع أسساً فى المسائل السياسية ، وله كتاب اسمه "رسالة فى السياسة" ويؤكد الكثيرون أن مكيافيلى كان يسترشد بكتاب الفارابى ليرسم خططه السياسية للقضاء على مخلفات العصور الوسطى وقد استرشد بآراء الفارابى الفيلسوف ديكارت واعترف هو نفسه بذلك.

وهو أول من اخترع آلة القانون الموسيقية وله عدة مؤلفات فى الموسيقى ، وقد ولد بمدينة فاراب وهى جزء من تركستان وقضى فترة من حياته فى مدينة بغداد وأخرى فى مدينة حلب وأخيراً مات بدمشق عام ٩٥٠ م.

يسميه علماء وفلاسفة الغرب " المعلم الثانى " والمقصود أنه الثانى فى الترتيب التاريخى لأنه جاء بعد أرسطو " المعلم الأول " ، ولقد ناقش الفارابى فلسفة كل من أفلاطون وأرسطو وخرج منها بنظريات جديدة وله مؤلف عظيم يدرس فى جامعات أوربا اسمه " أجوبة أفلاطون وأرسطو " ... كان يحلم بتحقيق المثالية بين الناس وله مؤلف " آراء أهل المدينة الفاضلة " ، وقد نقل الفيلسوف الإنجليزى فرانسيس بيكون جانباً كبيراً من كتاب الفارابى ونسبه لنفسه فى كتاب اسمه " الاتلانتيد الجديدة " وهى دولة تخيلها بيكون مدينة مثالية كما تخيلها الفارابى .

كان غزير المادة وترك أكثر من مائة كتاب من تأليفه أشهرها كتاب " ما ينبغى أن تعلم قبل الفلسفة " وكتاب " مقال فى العقل " و " توصيل السعادة " ... وكان لا يؤمن بالتخصص فى الدراسة وتحصيل العلم ويرى أن العقل البشـــرى إذا أحسن استغلاله يمكن أن يستوعب كل شئ ، فطاقته لا يحدها إلا التكاسل وقد أراد أن يثبت هذه النظرية فدرس إلى جانب كـــل المجـــالات الســـابقة الفلـــك والرياضيات وبرع فى اللغات فكان يتحدث اليونانية والتركية والفارسية والهندية والسوريالية.

عباس بن فرناس ... رجل سبق زمنه

من رواد الفكر والعلم الإسلامى فى الأندلس ، عاش بين عامى (٧٩٦ – ٨٨٧ م) كان شاعراً وفيلسوفاً وعالماً فلكياً ، فقد أدخل علم العروض فى الشعر الأندلسى ، وهو أول من صنع فى الأندلس الزجاج من السليكا ، واخترع ساعة لقياس الزمن تعتمد على الظل وقياس درجاته وحساب الدقائق والثوانى فى النهار والليل ، وابتكر لأول مرة القبة السماوية كما نعرفها الآن ، ومثل فيها النجوم والغيوم والبرق والرعد ، كما سبق مخترعى الأقلام الحديثة حين صنع ما يشبه القلم الحبر ، وبرع فى علم الكيمياء وطبق كثيراً مما عرف فيما بعد بعلم المعالجات الحرارية للمعادن ... ولكن أهم أعماله كلها كانت اهتمامه بالطيران.

وقد حاول عباس بن فرناس تقليد الطير من أجل الصعود فى الجو ، وتعتبر هذه المحاولة بمثابة أول الطريق إلى غزو الفضاء ويرجع تاريخ هذه المحاولة إلى عام ٨٨٠ م ... وقد عمد إلى تغطية جسمه بالريش ظناً بأن الريش يقلل وزن الجسم ، كما مد له جناحين طار بهما فى الجو مسافة بعيدة ثم سقط فتأذى ظهره ... واستمرت محاولات الطيران بعد ذلك حتى عام ١٦٨٠م أى أكثر من ٨٠٠ سنة حتى أثبت عالم الرياضة " يونان الفونسو " بأن الإنسان

لايستطيع الطيران على حساب قوة عضلاته المحركة كما يفعل الطير ، ويرجع السر فى ذلك إلى أنه إنما يحتاج إلى أجنحة لا يقل طولها عن ستة أمتار ، والأجنحة بهذا الطول تكون بطبيعة الحال ثقيلة بحيث يتعذر على العضلات البشرية تحريكها باستمرار وبالسرعة الكافية ... هذا علماً بأنه فى حالة الطيور تزن العضلات المحركة للأجنحة نحو ثلث وزن الطائر بأكمله.

عقب ذلك أعرض الإنسان عن استخدام الأجنحة المرفرفة ، واستعاض عنها بوسائل أخرى مثل الأسطح الخفيفة التى تحركها الأيدى والأرجل ، ولكن لم تنجح تلك المحاولات كذلك وصرف الناس النظر عن فكرة استخدام العضلات على أية صورة .

ثم ظهرت بعد ذلك فكرة الطيران الشراعى فى أواخر القرن التاسع عشر ، ثم مرحلة المناطيد والبالونات ، وكانت رحلة الطيران التى قام بها فى عام ١٧٨٣م " بيلاتر دى روزييه " و " المركيز دارلاند " فى بالون مملوء بالهواء الساخن هى أول رحلة يقوم بها الإنسان فى مركبة " أخف من الهواء " ، وأعقب ذلك فى الشهر التالى أول رحلة فى بالون مملوء بالهيدروجين ، وطار بالون الهواء الساخن فوق باريس ، ووصل إلى ارتفاع ألف متر وهبط على الأرض بعد ٢٥ دقيقة فى الهواء ، ولقد استمر الطيران فى مركبة أخف من الهواء لمدة تزيد على مائة عام.

وفى ١٧ ديسمبر ١٩٠٣ قام الأمريكيان ويلبر واورفيل رايت بأولى رحلات الطائرات فى التاريخ فى طائرتهما المزودة بمحرك ، وقد طارا بسرعة ٤٨ كم فى الساعة تقريباً ... وطارا أربع رحلات وكان أنجح طيران لهما حوالى ٠,٨ كم فى ٥٩ ثانية ... وتم ذلك فوق أحد شواطئ كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية .

المكان الوحيد ... الذى لا تستطيع أن تتجه بعده إلا إلى الشمال

القطب الجنوبى ... أقصى نقطة بجنوب الكرة الأرضية ويستطيع أى إنسان أن يصل إليه إذا اتجه جنوباً من أى موقع على سطح الكرة الأرضية ثم استمر فى السفر حتى يصل إليه ، وهناك لا يستطيع أن يتجه إلا إلى ناحية واحدة فقط هى ناحية الشمال .

والقطب الجنوبى يقابل القطب الشمالى من الناحية المضادة لطرفى محور الأرض ، ويعيش فى ليل دائم طوال ستة شهور من السنة ونهار دائم طوال الشهور الستة الأخرى ، والشمس تشرق عليه عندما يكون القطب الشمالى فى ظلام ، وتغرب عنه والقطب الشمالى فى نهار ، أضف إلى ذلك أن درجة البرودة فيه أشد وأقصى ، وأنه يقع وسط كتلة من اليابس هى القارة القطبية أو "انتاركتيكا " ولذلك لا يمكن لأى غواصة أن تعبره كما فعلت الغواصة " نوتيلس" عندما عبرت القطب الشمالى.

بمساحته البالغة ١٤ مليون كم مربع فإن القطب الجنوبى لا يمثل أكبر القارات ، فآسيا وأفريقيا وأمريكا الشمالية و الجنوبية جميعها تفوقه من حيث الامتداد ، واستراليا هى القارة الوحيدة الأصغر ، ومع ذلك فإنه فى معظم الأوجه الأخرى يسجل أرقاماً قياسية ، فما يقارب ٩٨% من سطحه مغطى

بالثلج ، وهذا الثلج يمثل ما يقارب ٩٠% من ثلج العالم ، وأن أسمك نقطة فيه تمثل عموداً يرتفع إلى ما يزيد على ٤ كم ، مما يجعل من القطب الجنوبى أعلى قارة على الأرض ، وبوجود الرياح التى تتجاوز سرعتها ٣٠٠ كم فى الساعة ، فإن معدل درجة الحرارة فى الصيف يبلغ ٤٠ درجة تحت الصفر ، إنها القارة الأبرد ، والأكثر جفافاً والأكثر عواصفاً ، فالقطب الجنوبى عبارة عن صحراء جليدية لأن الجليد صلب إلى درجة لا يمكن لأى كائن حى أن يستفيد منه على الإطلاق ، ولو ذاب نصف جليد القطب الجنوبى لارتفع منسوب بحار العالم بمقدار (٥٠) متراً ولما بقى من باريس ونيويورك وهامبورج وطوكيو وكلكتا وشنغهاى سوى مجرد ... ذكرى!.

وبالقرب من الشواطئ حيث يسقط الثلج ويوجد بعض الماء فهناك القليل من أشكال الحياة مثل بعض الطحالب والفطر وفى بعض نواحى الشواطئ توجد حصيرة من النباتات البدائية ولا تنبت على أرض القارة إلا نبتتان مزهرتان ، وكل ما ينمو هناك ينمو ببطء شديد .

وهناك جزر أيضاً حيث تتوالد طيور البحر والفقمات ومع أنه لا توجد أنواع كثيرة من العوالق النباتية هناك إلا أنها تتزايد بسرعة مدهشة فى أيام الصيف الطويلة ، وتنتج مياه القطب الجنوبى حوالى ٢٠% من مجموع غذاء العالم البحرى فالدياتوم الذى تتكون منه العوالق النباتية يغذى أعداداً هائلة من العوالق الحيوانية التى يعتمد عليها الأخطبوط والأسماك والطيور والفقمات والحيتان لمعيشتها .

و يسيطر الجليد على كل شئ حتى فى البحر ففى الشتاء يجمد سطح الماء ويصبح قطعة صلبة ويتكسر فى الربيع فتطوف القطع المجمدة على سطحه وتحتك بالشواطئ حيث لا يمكن لأى شئ أن يعيش ، ولكن تحت هذا الجليد

حيث تجرى مياه دافئة تجئ من محيطات دافئة ، فيوجد الإسفنج والتونيا وسمك النجمة والمرجان والطحالب التى تنمو فى الصيف هناك .

ولا يوجد سوى ١٠٠٠ شخص يعمل هناك طوال العام ينضم إليهم حوالى ٣٠٠٠ خلال الصيف حيث تشكل موقعاً مفضلاً للأبحاث العلمية فهى من أكثر الشواهد على التاريخ الجيولوجى للأرض ، ودراسة الأجواء العالية ، والأشعة الكونية ، وجاذبية الكواكب والمناخ .

وإضافة إلى حالات التطرف الجغرافى ، فإن القارة القطبية الجنوبية تشكل طرفة سياسية ، فبالرغم من الفطيرة ذات الشرائح الملونة الموجودة فى العديد من الخرائط ، لا يوجد هناك أى بلد يمتلك أى جزء من القارة ، وفى عام ١٩٥٨م وبعد إكمال "عام الجغرافية الدولية " (IGY) التى شهدت إقامة العديد من القواعد الدائمة ، دعا الرئيس الأمريكى آيزنهاور الدول الأخرى المشاركة فى IGY إلى التوصل إلى اتفاق يهدف إلى ضمان " أن القفار الواسعة غير المأهولة من القارة القطبية الشمالية لن تستخدم إلا للأغراض السلمية"، وما نتج فى العام التالى كان عبارة عن معاهدة القطب الجنوبى ، فقد اتفقت الدول الخمسة وأربعين الموقعة عليها على تعليق النزاعات و المطالب الإقليمية الدائرة حولها ، وعلى الامتناع عن جميع الأنشطة العسكرية وعمليات التنقيب ، حماية للقطب الجنوبى وصيانة القارة على اعتبارها " محمية طبيعية ، مخصصة للسلام والعلم" .

أوربا تدرس مؤلفات الرازى
حتى القرن السابع عشر

حين استدانت جامعة باريس فى القرن الرابع عشر مبلغاً كبيراً من المال من ثرى فرنسى ، لبناء بعض مبانيها التى تهدمت ، لم يجد الثرى ضماناً تملكه الجامعة للمال الذى دفعه أكثر من كتاب " الحاوى " أعظم مرجع طبى تمتلكه الجامعة فى مكتبتها الضخمة ... إنه كتاب أبو بكر الرازى.

ولد أبو بكر الرازى (٨٦٤ – ٩٣٢م) بالقرب من طهران ، وقضى معظم شبابه فى بلاد فارس ، ثم سافر إلى بغداد وكان عمره حينذاك قد تجاوز الثلاثين ... وعلى الرغم من أنه فى صباه كان مولعاً بالشعر والغناء والموسيقى، إلا أنه أعرض عن ذلك وأقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة حتى أصبح أشهر طبيب فى زمانه.

لقد أجمع المؤرخون على أن مؤلفات الطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازى وكلها باللغة العربية تمتاز بأصالة البحث وسلامة التفكير ، وقد زاد عدد كتب الرازى على المائتى كتاب فى الطب والفلسفة والكيمياء وفروع المعرفة الأخرى.

يقال أن الخليفة العباسى المعتضد ، حين استشاره بخصوص المكان الذى يجب أن يبنى فيه بيمارستان (مستشفى) ... كانت للرازى طريقة

مبتكرة، إذ وضع قطعاً من اللحم فى أماكن متفرقة من بغـداد ، وراح يلاحـظ فساد قطع اللحم تباعاً ... وفى المكان الذى فسدت فيه آخر قطعـة مـن اللحـم اختار أن يبنى البيمارستان ، والذى اختير كأول مدير له من بين مائـة طبيـب تقدموا للعرض على الخليفة المعتضد.

وقد تجلت شهرة الرازى فى الطب من كونه كان مبتكراً لأشياء لم يسبقه أحد إليها ، من ذلك مثلاً أنه استخدم الموسيقى لوناً من ألوان العلاج ، كذلك كان أول من عرف تأثير الضوء فى حدقة العين. كما كان صاحب الفضل فى طـب الأطفال ، إذ جعله فرعاً فى الطب قائماً بذاته ، وكان يسلك فى علاج المرضى مسلكاً علمياً يشهد له بالعبقرية ... فلم يكن يسمح لمرضاه بتناول دواء إلا إذا قام بتجربته على الحيوان .

ومن بين الأسباب التى ساعدت على تفوقه فى الطب ، أنه كان نابغاً فى الكيمياء ، فعاونه ذلك على إعداد الأدوية بنفسه .. فكان يعمل طبيباً وصيدلياً فى آن واحد.

وكان أول من استخدم مركبات الرصاص فى صنع المراهم ، وأول من توصل إلى استخدام الخيوط المصنوعة من أمعاء الحيوانات فى خياطة الجروح فى العمليات الجراحية ... وكان الرازى أول من عالج الحمى بالماء البارد سابقاً بذلك أطباء العصر الحديث ، وهو أيضاً أول من تنبه إلى العدوى الوراثيـة ... وأول من وصف بدقة مرض الجدرى وميزه عن مرض الحصبة ... والـرازى فضلاً عن ذلك ابتكارات طبية تعد من أسس المعالجة الحديثة فـى الأمـراض التناسلية والولادة وجراحة العيون ... كما نبه الرازى إلى أثر العامل النفسى فى صحة المريض.

من أهم مؤلفاته كتاب " المنصورى فى الطب " وبه وصـف تشـريحى

دقيق لكل أعضاء الجسم وقد سماه كذلك تقديراً لمنصور بن إسحاق حاكم مدينة الرى بفارس حين عينه مديراً لبيمارستان مدينة الرى ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية ، وطبع مرات عديدة فى أوربا ، وكان إلى جانب كتاب " القانون " لابن سينا من أعظم المراجع التى يعتمد عليها فى تدريس الطب بأوربا حتى القرن السابع عشر ... كما وضع كتاب " الطب الروحانى " الذى يختص بالجانب النفسى للإنسان.

ومن كتبه أيضاً كتاب " الشكوك على جالينوس " الذى انتقد فيه الرازى ثمانية وعشرين كتاباً لجالينوس ، وكتاب " منافع الأغذية " و " سر الأسرار " ، و " الجدرى والحصبة " الذى سبق فيه أطباء عصره بوصف هذين المرضين ... وكتاب " الجامع الكبير " وهو كتاب فى الطب وضعه فى خمس عشرة سنة.

ويأتى على رأس كل تلك الكتب والرسائل ، أهم كتاب للرازى وهو "كتاب الحاوى" فى الطب ... الذى يعتبر موسوعة طبية كما وصفه كثير من المؤرخين ، وقد سمى الرازى كتابه " الحاوى " لأنه يحتوى على جميع كتب وأقاويل القدماء من علماء الطب.

وقد فاقت شهرة هذا الكتاب غيره من الكتب الطبية ولقيمته العالية العظيمة ، اختصره كثير من الأطباء منهم على بن داود حوالى سنة ١١٣٠م ... كما ترجم إلى اللاتينية سنة ١٤٨٦ م ، ثم طبع بعدها بقليل فى إيطاليا ... وكان أضخم كتاب يطبع بها بعد اختراع المطبعة مباشرة ... ثم أعيد طبعه مراراً فى القرن السادس عشر الميلادى.

هل ادعى المتنبى النبوة ؟!!

ولد أبو الطيب المتنبى بالكوفة (٩١٥ -٩٦٥ م) ، سافر به والده إلى الشام وأخذ يتنقل به من البادية إلى الحضر ويتردد به على القبائل حتى توفى ، وخلال ذلك كبر أبو الطيب وأخذ ينظم الشعر وبرع فيه.

وقد نشأ أبو الطيب محباً للعلم متعلقاً به يحرص على قراءة الكتب ودواوين من سبقه من الشعراء وكان قوى الحافظة ، وقضى فترة فى " بادية السماوة " حتى يتلقى اللغة من الأعراب فلا يعجم لسانه ويحيط بأسرارها وربما كان هذا سر تمكنه من اللغة.

ويقول بعض المؤرخين إن المتنبى ادعى فى هذه الفترة النبوة ، ويروى فى ذلك أن أبا الطيب لما ذهب إلى قبيلة " كلب " وأقام فيها ادعى النبوة إلى أن اشتهر بالكذب وحبس دهراً طويلاً وأشرف على القتل ثم أعلن التوبة وأطلق .

ويروى كذلك أنه أعلن النبوة فى " بادية السماوة " إلى أن خرج عليه أمير حمص فقاتله وأسره وشرد من انضم إليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل ، وحبسه فى السجن حبساً طويلاً فمرض وكاد أن يموت ثم أعلن توبته ، وكتب عليه وثيقة شهد فيها ببطلان ما ادعاه ، ويرى بعض النقاد أن السبب فى

سجن المتنبى لم يكن ادعاءه النبوة وإنما كان بعد مطامعه وكبر آماله حتى ظن والى حمص به السوء وظن أنه سينزعه عن ملكه.

وهكذا كانت الروايات متناقضة فى أخبار ادعائه النبوة ، ويبدو أن مؤرخيه ادعوا نبوته لأنه كان واسع الآمال ، كبير المطامع ، كما يبدو أن رواية ادعاء النبوة كانت كذبة تلصق بكثير من الناس كما كانت تهمة الزندقة تلصق ببعض الكتاب والشعراء فى عهد العباسيين .

ولما خرج من السجن هام على وجهه فى البلاد يستجدى بشعره ويمدح من لاقاه سواء كان عظيماً أو حقيراً حتى اتصل بسيف الدولة الحمدانى وأخذ لايمدح أحداً سواه لمدة تسع سنوات ، وكان إجمالى ما قاله فيه يعادل ثلث شعره وهو من أعظم قصائده ، وبعد أن هجر سيف الدولة رحل إلى دمشق ثم اتجه إلى مصر وفيها حاول التقرب من كافور الإخشيدى على أمل أن ينال منه ولاية، ولما رأى أبو الطيب أنه لم يفز من كافور بشئ غادر مصر وهجاه قبل مغادرتها بيوم واحد بقصيدته المشهورة :-

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد؟

وله فى هجائه قصائد أخرى من أجود الشعر العربى ، وبعد أن غادر مصر ذهب إلى الكوفة ثم رحل إلى بغداد ثم راسله العميد من أرجان فسار إليه ومدحه بقصائد عدة ، ثم اتصل بعضد الدولة فى شيراز .

وقد أجاد المتنبى المديح وأكثر منه ، أما وصفه للوقائع الحربية فقد بلغ فيه الذروة ، وقد دفعته حروب سيف الدولة وانتصاراته إلى الإشادة بفتوحاته ، وكان يجيد الرثاء والحكمة كما كان كثير الزهو بنفسه ، دائم الإعجاب بمواهبه فكثر فى شعره الفخر وهو القائل : -

وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

وهو القائل أيضاً :-

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

وفى أحد أسفاره قتل فى الطريق ، وقد قتله رجل من بنى أسد يسمى "فاتك بن أبى جهل" ومعه جماعة من الأعراب وهو خال " ضبه بن يزيد العينى" الذى هجاه المتنبى أفدح هجاء ... ويقال أنه لما اشتد القتال هم المتنبى بالفرار فقال له غلامه :

أتهرب وأنت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فرد عليه المتنبى " قتلتنى ورب الكعبة " ، وعاد وقاتل حتى قتل وابنه واحد غلاميه بالقرب من بغداد.

الفايكنج

الفايكنج تعنى القرصان فى اللغات الإسكندنافية القديمة ، وهى كلمة أطلقت على قوم اشتهروا بركوب البحر والقرصنة ، وقد ظهروا وسيطروا على شمالى أوربا فى القرون الوسطى ، كما أنهم جالوا فى المحيط الأطلسى ، وعاشوا بالتحديد فى بلاد إسكندينافيا (السويد ، النرويج ، الدنمارك) ومن هناك غزوا أجزاء من إنجلترا وفرنسا وألمانيا وأيرلندا وإيطاليا وروسيا وأسبانيا ، ووصلت سفنهم حتى جزيرتى جرينلاند وأيسلندا وتسمى هذه الفترة التى امتدت من (٧٩٣ – ١٠٦٦م) بحقبة الفايكنج .

كان سبب خروجهم من إسكندينافيا الزيادة المطردة فى السكان التى شهدتها تلك البلاد ، والتى قلت على أثرها الأراضى الزراعية ، وساعدهم على التجوال فى البحار التطور الذى طرأ على صناعة السفن هناك .

ينحدر الفايكنج من قوم جرمانيين عاشوا فى شمال غربى أوربا ، ثم تحولوا إلى بلاد إسكندينافيا حيث بقوا فى مجموعات صغيرة لكل مجموعة ملك أو سيد يحكمها ، وانقسم مجتمعهم إلى ثلاث طبقات ، الطبقة الأولى طبقة النبلاء وهم الملوك والأسياد والأثرياء ، والطبقة الثانية الأحرار وهم الزراع والتجار وموظفو الدولة ، والطبقة الثالثة والأخيرة هى طبقة العبيد ، وهم إما أرقاء

بالميلاد أو أسرى حرب ... يحكم كل مجموعة من الفايكنج مجلس من النبلاء له حق إصدار القوانين ومعاقبة المجرمين ، وإعلان الحرب ، وهو شبيه بالبرلمان الحديث إذ أن قراراته نافذة وأهم من قرارات الملك ... وعمل معظم الفايكنج بالزراعة وتربية الماشية ، كما عمل بعضهم بصيد السمك أو ببناء السفن ، وبعضهم الآخر بالتجارة ، وهؤلاء هم الذين جابوا البحار طلباً للتجارة ... والرجل هو السيد فى العائلة التى تمتعت فيها المرأة بحقوق كثيرة ، منها حق الطلاق ، وقد اعتاد أثرياء الفايكنج الزواج بأكثر من واحدة ، حيث توالدوا وتكاثرت أعدادهم الأمر الذى أدى إلى زيادة ملحوظة فى السكان نتج عنها خروج الفايكنج من بلاد إسكندينافيا إلى العالم الخارجى ... ودفن الفايكنج موتاهم فى سفن اعتقاداً منهم أنها ستأخذهم إلى أرض الأموات ، كما دفنوا مع الميت حاجياته ، بما فيها كلابه ، وعبيده أحياناً ، وقد كان للفايكنج معبودات عديدة منها " أودين " إله الحرب والموت ، و " فراى " إله الزرع والحب ، و"ثور" إله السماء والضوء والمطر والرعد والرياح وهو المسيطر على المناخ.

كان الفايكنج من أمهر بناة السفن إذ أنهم حسنوا من بنائها ، وشكلها ، وبنوا السفن التجارية والبحرية ، وطوعوها لتكون صالحة للإبحار معتمدين فى ذلك على الأشرعة والرياح ، ولسفنهم شكلها المميز، فهى ذات مقدمة مقوسة ، كما أنهم عرفوا طرقاً خاصة بهم لمعرفة الاتجاه فى البحر ، فمثلاً استعانوا بالغربان لمعرفة اتجاه اليابسة .

كان الفايكنج غلاظاً قساة فى حروبهم ، أثاروا الرعب فى أوربا ، فكانوا يحرقون كل ما لم يأخذوه ، أو ينهبوه ، وكانوا فى حروبهم شديدى الحرص على الاستيلاء على الخيول ، ثم الماشية ، وكذلك الأشياء الثمينة المصنوعة من الذهب والفضة ، وهى غالباً ما توجد فى الكنائس والأديرة ، وهذا يفسر لنا غزوهم المستمر لتلك الكنائس والأديرة فى أيرلندا وإسكتلندا وفى غيرها من

البلدان ، وقد اتصفت حروبهم وغزواتهم تلك بالسرعة وعنصر المفاجأة تساعدهم فى ذلك خفة سفنهم وسرعتها .

وقد تعرضت شواطئ إنجلترا الشرقية ، وأيرلندا وإسكتلندا لغزوات الفايكنج النرويجيين خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ، كما أنهم غزوا ونهبوا أجزاء من فرنسا وإيطاليا وأسبانيا ووصلوا حتى أيسلندا وجرينلاند ، بل إنهم وصلوا إلى أمريكا حيث استقروا لفترة من الزمن على شاطئها الشرقى ، كما دلت على ذلك آثارهم الباقية هناك ، أما الفايكنج الدنماركيون فقد ركزوا هجومهم على بلجيكا وفرنسا ، والأراضى المنخفضة (هولندا) ، وإنجلترا واستقروا فى شرقى إنجلترا حتى اضطرهم الملك الإنجليزى ألفريد الأكبر للانسحاب من هناك .

وعلى الرغم من سمعة الفايكنج السيئة وطبيعتهم الوثنية الوحشية ، تحول الفايكنج خلال قرن أو اثنين من الزمان إلى المسيحية واستقروا فى الأراضى التى هاجموها مسبقاً ، وفى نفس الوقت بنى الفايكنج مستوطنات جديدة فى أيسلندا ، وجرينلاند ، وأمريكا الشمالية ، والأطلسى الشمالى ، إضافة إلى تأسيس ممالك فى شبه الجزيرة الإسكندنافية على طول الحدود مع الممالك الأوربية فى الجنوب ... ونتيجة لاندماجهم فى أراضيهم الجديدة أصبح منهم المزارعين والتجار إضافة إلى الحكام والمحاربين .

أدى وجود الفايكنج فى ثلاثة مواقع فى إسكندينافيا إلى ظهور شعوب هناك ، هم الدنماركيون ، والنرويجيون ، والسويديون ، كما أن هجماتهم المستمرة على إنجلترا أدت إلى توحيدها .

هل ستختفى شلالات نياجرا ؟

قد يظن البعض أن شلالات نياجرا هى أعلى شلالات فى العالم ... ولكن الحقيقة غير ذلك ، إذ يفوقها فى هذا أكثر من خمسين شلالاً آخر ، وأقرب مثل على ذلك شلالات " يوسيمنى " بكاليفورنيا التى يزيد ارتفاعها ثمانى مرات على ارتفاع شلالات نياجرا ، ولكن هذه الشلالات الأخيرة أكثر شلالات العالم ماءً وأعرضها ، بالإضافة إلى كونها عالية إلى حد ما ، إذ يبلغ ارتفاعها ١٦٥ قدماً .

وتقع هذه الشلالات فى نهر نياجرا الذى يصل بين كندا والولايات المتحدة ويصل بين بحيرتى " ايرى " و " اونتاريو " ، ويسهل الوصول إليها بعكس معظم شلالات العالم ، ولذلك يزورها مئات الآلاف من السياح سنوياً ويتمتعون بمشاهدة انعكاس ضوء الشمس وألوان الطيف على رذاذ مائها الذى يندفع عالياً فى الفضاء ، وزيارة مغارة الرياح التى تقع فى الصخر خلف جدار الماء الساقط.

وتنقسم شلالات نياجرا قسمين تفصلهما جزيرة "جوت أيلند " ويتبع القسم الشرقى فيها الولايات المتحدة ويبلغ عرضه ١٠٠٠ قدم ، ويسمى الشلالات الأمريكية ، أما القسم الغربى فيتبع كندا ويبلغ عرضه ٢٦٠٠ قدم ويسمى شلالات كندا أو شلالات " هورس شو ".

وقد كانت هذه الشلالات موجودة منذ نحو عشرين ألف سنة ، ولكنها لم تكن منقسمة قسمين ، كما كانت تبعد عن جزيرة جوت أيلند حوالى ثمانية أميال وشيئاً فشيئاً أخذت تقترب من تلك الجزيرة ، ففى خلال العصر الجليدى كان الجليد يغطى سطح القارة الأمريكية ، وكان خط الجليد الدائم يمتد باستمرار إلى الجنوب ثم تأتى فترات ترتفع فيها درجة الحرارة فيتراجع الجليد الذائب إلى الشمال ثم يتقدم ثانية إلى الجنوب وهكذا .

وكان معظم الجليد الذائب يتدفق فيما أصبح الآن وادى نهر المسيسبى ، وأخيراً تراجع الجليد إلى ما دون البحيرات العظمى شمالاً ، وفى أثناء تراجعه حفر أحواض تلك البحيرات وملأها بالماء حتى فاضت ، وأخذ الماء ينحدر من بحيرة " ايرى " إلى بحيرة " اونتاريو " ولكنه وجد جرفاً عالياً فى طريقه فسقط من فوقه ليواصل رحلته فيما أصبح يسمى الآن نهر نياجرا.

ولكن طبقات هذا الجرف كانت شديدة الصلابة فى القمة ، رخوة لينة فى القاع ، وأخذت التيارات التى تنجم عن اصطدام المياه بقاع النهر تعمل على نحت الطبقات اللينة ، وشيئاً فشيئاً أصبحت الطبقات العليا معلقة فبدأت تتكسر وتسقط ، وهكذا أخذ الشلال يتراجع إلى الخلف حتى وصل إلى جزيرة جوت أيلند التى قسمته قسمين وأصبح قسم منهما يتبع الولايات المتحدة والآخر يتبع كندا ، لأن الحدود السياسية بين الدولتين تمر بمجرى نهر عبر الجزيرة التى تقع فى منتصفه.

ويقدر العلماء أن الشلال سيتراجع إلى ما وراء الجزيرة ، ومن ثم يصبح شلالاً واحداً مرة أخرى ، ثم يأخذ فى التراجع إلى أن يصل إلى بحيرة ايرى ويختفى تماماً ، ولكن ذلك سوف يستغرق آلاف السنين لا سيما أن المياه

التى تسقط من الشلال قد أصبحت أقل مما كانت عليه قبل مائة سنة مثلاً ، وهذا يؤدى إلى الإقلال من عملية النحر التى تؤدى إلى تراجع الشلال .

وتستغل المياه المتساقطة من فوق الشـــلال الآن فـــى إدارة توربينـــات ضخمة تولد كميات ضخمة هائلة من الطاقة الكهربائية.

عندما تتوارى عنا الشمس ... ويختفى القمر

لا يعطى القمر ضوءاً بذاته ، وما كان له أن ينير لولا إضاءة الشمس له، حيث يعكس ضوءها الواقع عليه ... ولكن كثيراً ما يقع القمر فى ظل منطقة الأرض – وقد يحدث هذا ثلاث مرات فى العام الواحد أحياناً – فتحجب الأرض ضوء الشمس ويتوقف القمر عن الظهور ، وتعرف هذه الظاهرة " بالخسوف الكلى" ، ويحدث أحياناً أن يكون مرور القمر بحافة ظل الأرض ، وعندئذ لا يظلم إلا جزء منه ويعرف هذا " بالخسوف الجزئى".

ولا يختفى القمر تماماً حتى فى الخسوف الكلى ، إذ يكسر الهواء المحيط بالأرض جزءاً من أشعة الشمس ، ولا يمكن أن يحدث خسوف القمر إلا إذا كان القمر فى الجانب الآخر من الأرض غير المواجه للشمس ، ويكون إذاك بدراً، ولا يمكن أن يقع القمر فى منطقة ظل الأرض فى أى وقت آخر.

وكما أن للقمر خسوفاً فكذلك للشمس كسوف ، ويحدث كسوف الشمس عندما يقع القمر بين الأرض والشمس ، فيحجب منظر الشمس عن جزء من الأرض ، والقمر من الصغر بحيث لا يمكنه أبداً أن يخفى الشمس عن الأرض كلها.

وإذا أخفى القمر قرص الشمس كله عن جزء من الأرض سمى الكسوف

" كسوفاً كلياً " فإذا لم يحجب سوى جزء منه سمى " كسوفاً جزيئاً " ويحدث الكسوف مرتين فى السنة على الأقل ، وقد يصل إلى خمس مرات ، ولكن معظمه ليس سوى كسوف جزئى.

وتقل مدة كسوف الشمس كثيراً عن مدة خسوف القمر ، فبينما يستمر الخسوف الكلى إلى نحو ساعتين لا يتجاوز الكسوف الكلى ثمانى دقائق على الإطلاق ... وفى الكسوف الكلى يختفى قرص الشمس المستدير كله ، ولكن حزم الأشعة المحيطة بالشمس والتى تسمى بالهالة تظل ظاهرة ، وتبقى كذلك ألسنة اللهب الممتدة من الشمس ، ومع ذلك فإن الكثير من الضوء يحتجب حتى تخيم العتمة وكأن الشمس قد غربت ، وغالباً ما تأوى الطيور إلى أعشاشها والحيوانات إلى حظائرها ولكن ما هى إلا دقائق حتى ينجلى " الليل ".

ويمكن أن يرى خسوف القمر من نصف الكرة الأرضية ، ولكن كسوف الشمس لا يمكن رؤيته إلا فى منطقة ضيقة هى التى يقع عليها ظل القمر ، وكثيراً ما يقوم الفلكيون برحلات طويلة ليشاهدوا الكسوف الكلى للشمس ، وهم على استعداد لأن يذهبوا بعيداً فى سبيل ذلك إذ أن كثيراً من المسائل المتعلقة بالشمس والنجوم يمكن دراستها بصورة أكمل خلال فترة الكسوف .

وكان الناس قديماً يفزعهم الخسوف والكسوف ، ولكن اليوم فهم العلماء هذه الظاهرة حتى أنهم يعرفون كل ما سيقع منهما فى سنوات طويلة مقبلة.

ابن زيدون

ولد الشاعر ابن زيدون (١٠٠٣ – ١٠٧١ م) بالرصافة من ضـــواحى قرطبة بالاندلس ، وهى الضاحية التى أنشأها عبد الرحمن الـــداخل ، واتخـــذها متنزهاً ومقراً لحكمه ، ونقل إليها النباتات والأشجار النادرة ، وشق فيها الجداول البديعة حتى صارت مضرب الأمثال ... كان والد بن زيدون من فقهاء قرطبـــة وأعلامها المعدودين ، أما جده لأمه فكان من العلماء البارزين فى عصره .

وما كاد " ابن زيدون " يبلغ الحادية عشرة من عمره حتى فقـــد أبـــاه ، فتولى جده تربيته ، وكان ذا حزم وصرامة ، واهتم الجد بتربية حفيده وتنشـــئته تنشئة صحيحة وتعليمه العربية والقرآن والنحو والشعر والأدب إلى غير ذلـــك من العلوم ، على يد عدد كبير من علماء عصره وأعـــلام الفكـــر والأدب فـــى الأندلس .

كان " ابن زيدون " من الصفوة المرموقة من شباب قرطبة ، ومن ثم فقد كان من الطبيعى أن يشارك فى سير الأحداث التى تمر بها ، وقد ساهم " ابـــن زيدون " بدور رئيسى فى إلغاء الخلافة الأموية بقرطبة ، كما شارك فى تأسيس حكومة جمهورية بزعامة " ابن جهور " وإن كان لم يشارك فى ذلـــك بالســـيف

والقتال ، وإنما كان له دور رئيسى فى توجيه السياسة وتحريك الجماهير ، وذلك باعتباره شاعراً ذائع الصيت .

وحظى " ابن زيدون " بمنصب الوزارة فى دولة " ابن جهور " واعتمد عليه الحاكم الجديد فى السفارة بينه وبين الملوك المجاورين ، إلا أن " ابن زيدون " لم يقنع بأن يكون ظلاً للحاكم ، واستغل أعداء الشاعر ومنافسوه هذا الغرور وميله إلى التحرر والتهور فأوغروا عليه صدر صديقه القديم ونجحوا فى الوقيعة بينهما ، حتى انتهت العلاقة بين الشاعر والأمير إلى مصيرها المحتوم .

كان ابن زيدون شاعراً مبدعاً مرهف الإحساس ، وقد حركت هذه الشاعرية فيه زهرة من زهرات البيت الأموى ، وابنة أحد الخلفاء الأمويين وهى " ولادة بنت المستكفى " وكانت شاعرة أديبة ، جميلة ، شريفة الأصل ، عريقة الحسب ، وأثنى عليها كثير من معاصريها من الأدباء والشعراء ، واجمعوا على فصاحتها ونباهتها ، وسرعة بديهتها ، وموهبتها الشعرية الفائقة .

وبعد سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس فتحت ولادة أبواب قصرها للأدباء والشعراء والعظماء ، وجعلت منه منتدياً أدبياً ، وصالوناً ثقافياً ، فتهافت على ندوتها الشعراء والوزراء مأخوذين ببيانها الساحر وعلمها الغزير .

وكان " ابن زيدون " واحداً من أبرز الأدباء والشعراء الذين ارتادوا ندوتها ، وتنافسوا فى التودد إليها ، ومنهم " أبو عبد الله بن القلاس " و " أبو عامر بن عبدوس " اللذان كانا من أشد منافسى ابن زيدون فى حبها ، وقد هجاهما " ابن زيدون " بقصائد لاذعة ، فانسحب " ابن القلاس " ولكن " ابن عبدوس " غالى فى التودد إليها ، وأرسل لها برسالة يستميلها إليه ، فلما علم "ابن زيدون" كتب إليه رسالة على لسان " ولادة " وهى المعروفة بالرسالة

الهزلية ، التى سخر منه فيها ، وجعله أضحوكة على كل لسان ، وهو ما أثار حفيظته على " ابن زيدون " فصرف جهده إلى تأليب الأمير عليه حتى سجنه ، وأصبح الطريق خالياً أمام " ابن عبدوس " ليسترد مودة " ولادة ".

وفشلت توسلات " ابن زيدون " ورسائله فى استعطاف الأمير حتى تمكن من الفرار من سجنه إلى " اشبيليه " وكتب إلى ولادة بقصديته النونية الشهيرة التى مطلعها :

اضحى التنائى بديلاً من تدانينا ونأب عن طيب لقيانا تجافينا

وما لبث الأمير أن عفا عنه ، فعاد إلى قرطبة وبالغ فى التودد إلى "ولادة" ولكن العلاقة بينهما لم تعد أبداً إلى سالف ما كانت عليه من قبل ، وإن ظل ابن زيدون يذكرها فى أشعاره ، ويردد اسمها طوال حياته فى قصائده .

ولم تمض بضعة أشهر حتى توفى الأمير ، وتولى ابنه " أبو الوليد بن جهور " صديق الشاعر الحميم ، فبدأت صفحة جديدة من حياة الشاعر ، نعم فيها بالحرية والحظوة والمكانة الرفيعة .

ولكن خصوم الشاعر ومنافسيه لم يكفوا عن ملاحقته بالوشايات والفتن والدسائس حتى اضطر الشاعر – فى النهاية – إلى مغادرة " قرطبة " إلى "اشبيليه" وأحسن " المعتضد بن عباد " إليه وقربه ، وجعله من خواصه وجلسائه، وأكرمه وغمره بحفاوته وبره .

واستطاع " ابن زيدون " بما حباه الله من ذكاء ونبوغ أن يأخذ مكانة بارزة فى بلاط " المعتضد " حتى أصبح المستشار الأول للأمير ، وعهد إليه "المعتضد " بالسفارة بينه وبين أمراء الطوائف وفى الأمور الجليلة والسفارات المهمة ، ثم جعله كبيراً لوزرائه ، ولكن " ابن زيدون " كان يتطلع إلى أن يتقلد

الكتابة وهى من أهم مناصب الدولة وأخطرها ، وظل يسعى للفوز بهذا المنصب ولا يدخر جهداً فى إزاحة كل من يعترض طريقه إليه حتى استطاع أن يظفر بهذا المنصب الجليل ، وأصبح بذلك يجمع فى يديه أهم مناصب الدولة وأخطرها وأصبحت معظم مقاليد الأمور فى يده ، واستمر ذلك لمدة عشرين عاماً.

فلما توفى " المعتضد " تولى الحكم من بعده ابنه " المعتمد بن عباد " وكانت تربطه بابن زيدون أوثق صلات المودة والألفة والصداقة ، وكان مفتوناً به متتلمذاً عليه طوال عشرين عاماً ، وكان بينهما كثير من المطارحات الشعرية العذبة التى تكشف عن ود غامر وصداقة وطيدة .

وحاول أعداء الشاعر ومنافسوه أن يوقعوا بينه وبين الأمير الجديد ، وظنوا أن الفرصة قد سنحت لهم بعدما تولى " المعتمد " العرش خلفاً لأبيه ، فدسوا إليه قصائد يغرونه بالفتك بالشاعر ، ويدعون أنه فرح بموت " المعتضد " ولكن الأمير أدرك المؤامرة فزجرهم وعنفهم.

وكان الشاعر عند ظن أميره به فبذل جهده فى خدمته ، وأخلص له ، فكان خير عون له فى فتح " قرطبة " ثم أرسله المعتمد إلى اشبيلية على رأس جيشه لإخماد الفتنة التى ثارت بها ، وكان " ابن زيدون " قد اصابه المرض وأوهنته الشيخوخة ، فما لبث أن توفى بعد أن أتم مهمته عن عمر بلغ نحو ثمانية وستين عاماً .

انطبع شعر " ابن زيدون " بالجمال والرقة وانعكست آثار الطبيعة الخلابة فى شعره ، فجاء وصفه للطبيعة يفيض بالخيال ، ويفيض بالعاطفة المشبوبة والمشاعر الجياشة ، وامتزج سحر الطبيعة بلوعة الحب وذكريات الهوى ، فكان وصفه مزيجاً عبقرياً من الصور الجميلة والمشاعر الدافقة ومن ذلك قوله :

إنى ذكرتك بالزهـــراء مشتاقاً والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا

وللنســـيم اعتلال فى أصائله كأنـــه رق لـــــى فاعـــتل إشـــفاقاً

أول من فكر فى تخزين مياه النيل عند أسوان

الحسن بن الهيثم ... فعندما كان الحاكم بأمر الله الفاطمى يتولى حكم مصر ، بلغه نبأ تفوق ابن الهيثم كما بلغه قوله " لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملاً يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته ، من زيادة ونقص ، فقد بلغنى أنه ينحدر من موضع عال وهو فى طرف القطر المصرى ".

ولم يلبث الحاكم بأمر الله حين سمع بذلك أن بعث إلى هذا العالم طالباً منه القدوم إلى مصر ، ولما جاء عام ١٠١٧ م خرج الحاكم بنفسه لاستقباله خارج القاهرة ، والتقى به فى قرية بالقرب من أحد أبوابها وذلك مبالغة منه فى إكرامه ، ثم طالب ابن الهيثم بتنفيذ مشروعه الذى يريد إنشاءه على النيل ، فأخذ ابن الهيثم معه جماعة من الصناع المختصين بالعمارة ، وسار يتتبع مجرى النيل من القاهرة إلى جنوبى أسوان يدرسه ويعاينه حتى بلغ مكاناً كان يسمى الجنادل – ولعله الشلال – فلم يجده كما بلغه من قبل موضعاً عالياً ينحدر منه النيل على حدود القطر المصرى ، ولم يجده متفقاً مع فكرته الهندسية التى خطرت له .

وعاد إلى القاهرة خجلاً واعتذر للحاكم عن عدم تنفيذ مشروعه الذى كان يهدف إلى إنشاء شئ من قبيل الخزان وبذلك يكون الحسن ابن الهيثم قد

سبق زمانه وفكر فى مشروع تحقق بعد وفاته بأكثر من ثمانية قرون ونصف قرن.

وقد ولاه الحاكم منصباً من مناصب الدولة ولكن ابن الهيثم كان يعلم أن تقدير الخليفة لعلمه قد قل ، وأن ثقته به لم تعد كما كانت ، ورأى أن الوظيفة لا تتيح له التفرغ لأبحاثه ، وخشى بطش الحاكم فادعى الجنون ، وحينذاك عزله الحاكم من منصبه وصادر أمواله وعين عليه من يقوم بخدمته.

ولما توفى الحاكم بأمر الله ، وتأكد ابن الهيثم من الخبر خرج من بيته وانتقل إلى مسكن صغير أمام الجامع الأزهر وعاد إلى ما كان عليه من الانقطاع للعلم والبحث وعاش بعد ذلك أكثر من (١٨ عاماً) ، وفى خلال هذه الفترة ظهر كتابه " المناظر " فى علم البصريات وهو أكبر أعماله العلمية ، وهو الكتاب الذى ظلت أوربا تحاول استيعاب ما فيه لمدة ستة قرون ، حيث أبطل علم المناظر الذى وضعه اليونان وأنشأ علم الضوء الحديث ، ولذلك لقب " برائد علم الضوء " ، حيث استطاع أن يبطل النظرية الشائعة التى تقول بأن العين تبصر عن طريق الأشعة الصادرة من المرئيات نفسها إلى العين التى تأخذ فى تصويرها بواسطة جسمها الشفاف وهو العدسة ، كما قام بعدة تجارب ناجحة لاختبار زوايا السقوط والانعكاس وهو بهذا يسبق " نيوتن " الذى وضع فيما بعد نظريته المعروفة عن انعكاس الضوء ، وقد ذكر " جوزيف هل " أنه يجب أن ينسب لابن الهيثم فضل التفريق بين الظل وشبه الظل ، وتحدث ابن الهيثم عن انكسار الأشعة الضوئية المارة فى الأوساط الشفافة كالهواء والماء وقد اخذه عنه " كبلر " فيما بعد واهتدى ابن الهيثم إلى سرعة الضوء فقد أعلن أن للضوء سرعة تختلف بحسب الوسط الذى يمر خلاله.

كما أن لابن الهيثم أبحاثاً فى علم الطبيعة عن ظواهر الشفق ، وألوان الطيف ، والهالة ، والظل ، والكسوف والخسوف ، وقد وضع رسالة عن المرايا

المحرقة وابتكر مرآة تفوق كثيراً مرايا الإغريق ، كما أدلى فى هـذه الرسـالة بآراء دقيقة عن طبيعة البؤرة والتكبير والانقلاب الموضعى للصورة ، كما فسر ظاهرة السراب ورؤية الشمس قبيل الشروق وبعد الغروب . كما أن لابن الهيثم أبحاثاً فى الرياضيات والفلك والطب والتشريح وخاصة تشريح العين.

عمر الخيام

ولد فى نيسابور بإيران وعاش بين عامى (١٠٤٠م – ١١٣١م) ، وكان والده يحترف صنع الخيام وبيعها ، لذا اشتهر بالخيام ... وفى نيسابور تلقى علومه الأولى وكانت آنذاك حافلة بأهل العلم وأعلام الأدب ، وفيها تخرج عدد كبير من أئمة العلم والفلاسفة والأدباء والفلكيين والفقهاء ، ثم تنقل كثيراً فى طلب العلم حتى استقر فى بغداد .

عرف الخيام بشعره الفلسفى الصوفى الذى يتمتع بجمال وقوة معانيه ، وقد فسر البعض هذه الفلسفة على أنها إلحاد وزندقة فأحرقت كتبه مما دفعه إلى السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، ولم يصلنا منها سوى " الرباعيات " الشهيرة ، غير أن الخيام كان عالماً عبقرياً ومبدعاً أكثر بكثير من كونه شاعراً، وقد حرم ضياع كتبه الإنسانية من الاستفادة منها ... ولم يفكر أحد ممن عاصره فى جمع الرباعيات ، فكان أول ظهور لها بعد ترجمتها إلى الإنجليزية عام ١٨٥٩م ، أما الترجمة العربية من الفارسية فقام بها الشاعر الكبير أحمد رامى ، وشدت بعضاً من أبياتها أم كلثوم .

رغم شهرة الخيام بكونه شاعراً فقد كان من علماء الرياضيات فى عصره ، واشتهر بالجبر واشتغل فى تحديد التقويم السنوى للسلطان ملكشاه ،

والذى صار التقويم الفارسى المتبع إلى اليوم ، وهو أول من اختـرع طريقـة حساب المثلثات ومعادلات جبرية من الدرجة الثالثة بواسطة قطع المخـروط ، وهو أول من استخدم الكلمة العربية (شئ) التى رسمت فى الكتـب العلميـة الإسبانية (Xay) وما لبثت أن استبدلت بالتدريج بالحرف الأول منها (X) الذى أصبح رمزاً عالمياً للعدد المجهول ، وقد وضع الخيام تقويماً سنوياً بالغ الدقة.

ولم يتوقف بحث الخيام عند تطوير علم الجبر فقـط باعتبـاره علمـاً مستقلاً، بل اهتم بإدخال الجبر على علم حساب المثلثات ، وتمكن مـن وضـع حلول للكثير من المسائل الصعبة فى علم حساب المثلثات باستعماله المعـادلات الجبرية ذات الدرجة الثالثة والرابعة ، كما امتدت إسهامات الخيام إلى الهندسة ، فعكف على دراسة هندسة إقليدس المشروحة والمطق عليها مـن قبـل علمـاء الرياضيات المسلمين ، فأولاها عناية شديدة وابتكر برهاناً جديداً بخلاف ذلـك الذى قدمه ابن الهيثم فى برهانه على المصادرة الخامسة من مصادرات إقليدس، وكان الخيام شغوفاً بأعمال الهندسة.

ترك عمر الخيام عدداً كبيراً من المؤلفات فى شتى فروع المعرفة مـن أهمها ميزان الحكمة ، مشكلات الحساب ، البراهين على مسائل الجبر والمقابلة، المساحة ، الكون والتكليف ، الموسيقى الكبير .

وفى آخر أيامه كان يتأمل الإلهيات من الشفاء لابن سينا ، فلما وصـل إلى فصل الواحد والكثير وضع علامة بين ورقتين وقام وصلى وأوصى ولـم يأكل ولم يشرب ، فلما صلى العشاء سجد وكان يقول فى سجوده : " اللهم إنـك تعلم أنى عرفتك على مبلغ إمكانى فاغفر لى فإن معرفتى إياك وسيلتى إليك " ، وتوفى عن عمر يناهز الواحد والثمانين عاماً.

الربع الخالى ... رمال لا تنتهى

صحراء الربع الخالى هى أكبر صحراء رملية فى العالم ، تقع بالكامل فى شبه الجزيرة العربية ، وتزيد مساحتها على مساحة فرنسا إذ تمتد على مساحة تزيد على ٦٠٠ ألف كم٢ ، بطول يقارب ١٢٠٠ كم وعرض يقارب ٦٤٠ كم ، وهى تغطى المساحة ما بين عمان والإمارات العربية المتحدة وسفوح جبال اليمن ، ومن هضبة حضرموت جنوباً حتى مناطق جنوب شرق السعودية شمالاً .

وتعد صحراء الربع الخالى المكان ذو الظروف المناخية الأصعب فى العالم ، حيث تتراوح درجة الحرارة بها بين أقل من درجة التجمد ليلاً إلى أكثر من ٦٠ درجة مئوية عند الظهر ، وترتفع بها الكثبان الرملية لتصل فى بعض الأماكن إلى ٣٣٠ متراً ، وتكاد الكثير من مناطقها تخلو من الحيانين النباتية والحيوانية خاصة فى سنوات القحط ، وإذا كانت الصحراء تطلق على المناطق التى تقل كميات الأمطار الساقطة بها عن ٢٥ ملم سنوياً ، فإن صحراء الربع الخالى لا تستقبل من الأمطار حتى نصف هذه الكمية.

وتعد مساحات كبيرة من صحراء الربع الخالى غير مكتشفة بعد ، وغير مأهولة ، حتى أن البدو لا يمرون سوى بأطرافها ، وقد قام الرحالة برترام

توماس بأول رحلة موثقة إلى هذه الصحراء عام ١٩٣١ ، ثم قام عبد الله فيلبى برحلة أخرى عام ١٩٣٢ ، ثم ثيسيجر عام ١٩٤٥ ، وتمثلت كتاباتهم فى مشاهدات سجلت الجيولوجيا والحياة النباتية والحيوانية ، وحركة الإنسان بها ، ويعود لهم الفضل فى تسجيل المشاهدات الأولى التى أصبحت مصدراً أساسياً لدراسات الربع الخالى .

وقد ازداد تصحر الربع الخالى خلال الألف سنة الأخيرة ، وهو ما جعل مرور القوافل بها شبه مستحيل ، بعد أن كانت قوافل تجارة البخور تعبرها عبر طرق ومساحات تلاشت تماماً وأصبحت أرضاً قاحلة ، فقد اعتمدت مدينة " ارم ذات العماد " التى يقال أن مدينة " عبار " الحالية تضمها على هذه التجارة .

أول جغرافى رسم خريطة سليمة للعالم

هو الشريف الإدريسى ... أكبر علماء الجغرافيا المسلمين ، ولد بمدينة سبته بالمغرب ، وفيها نشأ وتعلم ثم طاف البلاد حتى نزل بصقلية ضيفاً على ملكها (روجر الثانى) ... وقد قضى شطراً من تاريخ حياته فى رسم أول خريطة سليمة للعالم بناها على القواعد العلمية الصحيحة والحقائق الفنية التى عرفت آنذاك ، والتى لا تختلف كثيراً عما هو مستخدم فى هذا العصر.

صحح الشريف الإدريسى الذى عاش بين (١١٠٠ – ١١٦٦ م) للناس والأوربيين بصفة خاصة مفاهيمهم عن العالم ، وقد استخدم الأوربيون خرائطه فى سائر الكشوف الجغرافية التى كانوا يقومون بها فى عصر النهضة ، ويتميز الإدريسى بالدقة فى حساب الأطوال والعروض لمختلف البلاد وقد استخدم فى سبيل ذلك ما أطلق عليه اسم (لوح الترسيم) وهو مشروع خريطة العالم التى رسمها فيما بعد.

وعندما أراد أن يخلِّد تلك الخريطة حتى لا تتلف ، أمر له الملك روجر بأن يوضع تحت تصرفه دائرة من الفضة الخالصة تزن ٤٠٠ رطل ، فلما تم ذلك أمر العمال بأن ينقشوا عليها صور الأقاليم السبعة ببلادها وأقطارها وكل تفاصيلها ... وتشمل العالم القديم (آسيا ، أفريقيا ، أوربا) وقد ذكر الإدريسى

سبعة أقاليم ، وجعل الإقليم الأول منها يمتد من خط عرض صفر إلى ٢٣ ° درجة شمالاً ، وتلى ذلك الأقاليم الباقية بحيث يمتد الإقليم السابع من ٥٤ ° إلى ٦٣ ° درجة ، وما بعد هذه الدرجة الأخيرة منطقة غير مسكونة لكثرة البرودة ووفرة الثلوج.

ومما يذكر عن خريطة الإدريسى أنه جعل الجنوب إلى أعلى والشمال إلى أسفل على غير المألوف اليوم ، وبطبيعة الحال يكون الغرب إلى اليمين والشرق إلى اليسار.

إلى جانب هذا وضع الإدريسى مؤلفه المهم " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق " الذى ألفه للملك روجر الثانى بناءً على طلبه ، وضمنه كل ما عرفه الأقدمون من معلومات سليمة ، كما زاد عليها ما اكتسبه هو نفسه ، وما رآه ورصده فى رحلاته ولقد ظل هذا الكتاب مرجعاً لعلماء أوربا لمدة (٣٠٠ عام) أى حتى القرن السادس عشر ، وقد احتوى الكتاب على أكثر من سبعين خريطة ... ويعتبر أعظم ما ظهر فى العصور الوسطى من الكتب العلمية.

وقد أشار الإدريسى فى كتابه هذا إلى أن بحر الظلمات (المحيط الأطلنطى الآن) يحيط بالجزر البريطانية ، وأنه من المستحيل التوغل فيه ، كما ألمح إلى وجود جزر بعيدة هى أيسلندا وما حولها ، ولكنه ذكر كذلك صعوبة الوصول إليها بسبب الضباب والظلام الكثيف الذى يخيم على هذا البحر .

الكرملين

الكرملين ويعنى (القلعة) ... بناء معمارى مهيب وإبداع هندسى فريد للغاية ، بنى فى البداية كقلعة خشبية أقامها الأمير يـورى دولجـوروكى عـام ١١٤٧م على ضفاف نهر موسكو ، ومنذ ذلك التاريخ شهد الكـرملين أحـداث موسكو حتى قضت عليه الحرائق ذات يوم ... فقام إيفان الثالث بإعادة بنائه فى القرن الخامس عشر بالأحجار بدلاً من الأخشاب واسـتدعى لـذلك مهندسـين معماريين من روسيا وإيطاليا على أساس الجمع بين تقاليد العمـارة الروسـية والهندسة المعمارية الايطالية فى عصر النهضة ... ويعبق التاريخ الكرملين فى كل مكان فهناك مجوهرات وعروش ومخادع القياصرة ، والكنائس ، والمدافع ، والأجراس القديمة ، وقاعة الأسلحة ، وغنائم الحروب .

على أن الكرملين الذى تحولت عنه الأنظار منذ انتقال السلطة إلى سان بطرسبرج حتى عادت إليه مع الثورة البلشفية عام ١٩١٧ ، لا يقتصر على مقار السلطة الروسية الرسمية فحسب بل يتسع للكثير من الكاتدرائيات ذات القبـاب الذهبية المعروفة ، ومنها كاتدرائية أوسبينسكى التى كان يـتم فيهـا تتصـيب القياصرة ، وكاتدرائية ارخانجلسك التى تضم قبو ورفات عـدد مـن قياصـرة روسيا منذ القرن السادس عشر ، إلى جانب كاتدرائية بلاجوفيشينسـكى التـى

كانت أشبه بكنيسة خاصة لعائلة القيصر ، وكانت هذه الكاتدرائيات التى تحيط بساحة الكاتدرائيات فى قلب الكرملين قد سبق وتحولت إلى متاحف أثناء سنوات الحكم الشيوعى ، ثم عادت إلى دورها الطبيعى مع مطلع سنوات البيريسترويكا فى أواخر ثمانينيات القرن الماضى .

ومع هذه الكاتدرائيات يوجد (جرس الأجراس) الذى يزن ما يزيد على مائتى طن ويبلغ ارتفاعه ما يزيد على ستة أمتار ، ومن معالم الكرملين أيضاً عدد من المتاحف الشهيرة مثل متحف السلاح الذى يضم عدداً من أشهر مقتنيات العائلة القيصرية من مجوهرات وكنوز وغنائم وتحف أجنبية وعربات حرب ، وهناك كذلك ساعة سباسكى الشهيرة .

كما تضم مبانى الكرملين قصر الكرملين الكبير الذى أقيم فى مطلع الستينيات خصيصاً كمقر لعقد مؤتمرات الحزب ، وشهد أيضاً مولد الثورة الديمقراطية التى تمثلت فى اجتماعات مؤتمر نواب الشعب عام ١٩٨٩.

ومن أشهر معالم الكرملين الساحة الحمراء التى تمتد من كاتدرائية (بوكروفسكى) أمام بوابة الكرملين فى طرفه الشرقى ، وحتى نهاية جداره من الطرف الشمالى عند مبنى المتحف التاريخى وكانت تسمى بالسوق ، حيث كان المكان بالفعل ساحة كبرى تجمع البائعين والمشترين حتى بعد تحول الاسم فى القرن السابع عشر إلى الميدان الأحمر أو الساحة الحمراء ، وكان يوجد على ضفاف نهر موسكو مرفأ تجارى ترسو فيه السفن الآتية من الجنوب محملة بالجلود والمعادن والأحجار الكريمة وغيرها من احتياجات المواطن مما جعل السوق فى إزدهار متواصل ، ومع اندلاع الثورة البلشفية عام ١٩١٧ شهدت الساحة الحمراء مجازر كبيرة ، ثم قامت الساحة الحمراء بدور ايدولوجى بعد انتقال سلطة البلاشفة إلى الكرملين فى ١٩١٨ ، ففى هذا المكان كانت تقام الاستعراضات العسكرية والتظاهرات الجماهيرية المنظمة فى الأعياد القومية

السوفيتية أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية ، وفى ذلك الوقت كانت الجيوش تبدأ طريقها إلى الجبهة من هذا المكان ، وقد عاد الرئيس بوتين إلى استخدام الميدان الأحمر كساحة لإقامة الاستعراضات العسكرية فى المناسبات القومية والتاريخية .

ومن أهم معالم الساحة الحمراء (ضريح لينين) والتى تعود قصة إقامته إلى تاريخ وفاته فى يناير عام ١٩٢٤ عندما صدر قرار إقامة مدفن تاريخى يليق بدفن زعيم الثورة البلشفية ، وخلال ثلاثة أيام فقط صمم المعمارى شوسيف هذا المدفن الذى أعيد بناءه لاحقاً من أحجار الجرانيت وأفخر أنواع الرخام وصار منصة تقام أمامها الاستعراضات العسكرية ويعتليها فى المناسبات التاريخية والقومية زعماء الحزب والدولة.

وبالقرب من قبر لينين يوجد مكان آخر يضم الكثيرين من قادة الحزب والدولة ومنهم ستالين وبريجنيف واندروبوف وتشيرنينكو ممن تعتلى مقابرهم تماثيل نصفية بوصفهم عظماء الدرجة الأولى ، أما الآخرون من مشاهير العلماء ورواد الفضاء قد استقر رفات جثامينهم فى زجاجات وضعت فى تجويفات أعدت خصيصاً للاحتفاظ بها فى جدار الكرملين المطل على الميدان الأحمر خلف مدفن لينين ، غير أن هناك مقابر أخرى تسمى بمقابر عظماء الدرجة الثانية تقع فى أطراف موسكو على مقربة مباشرة من (دير العذارى) والذى دفن فيها خروشوف وغيره من العظماء ممن لم تكن القيادة الحزبية راضية عنهم بالدرجة التى يليق معها أن يحظوا بشرف الدفن فى الساحة الحمراء.

صلاح الدين الأيوبى

حين توفى لم يجدوا فى خزائنه شيئاً من الذهب والفضة سوى دينار واحد وسبعة وأربعين درهماً ... إنه صلاح الدين الأيوبى (١١٣٨ – ١١٩٣م) الذى غير حركة التاريخ ، وأسقط دولة كانت فى النزع الأخير ، واقام دولة حملت راية الجهاد ضد الصليبيين ، واسترد بيت المقدس بعد أن ظل أسيراً نحو قرن من الزمان .

ولد صلاح الدين الأيوبى فى تكريت فى عائلة كردية ، وقد تولى والده نجم الدين أيوب منصب والى بعلبك ، من قبل الملك عماد الدين زنكى ثم ولده نور الدين ، وكان صلاح الدين جندياً فى جيش نور الدين زنكى فى دمشق .

وقد شهدت السنوات الأخيرة من عمر الدولة الفاطمية فى مصر صراعاً محموماً بين " شاور " و " ضرغام " على منصب الوزارة ، ولم ينجح أحدهما فى حسم الصراع لمصلحته ، والإنفراد بالمنصب الكبير ، فاستعان كل منهما بقوة خارجية تعينه على تحقيق هدفه ، فاستعان ضرغام بالصليبيين ، واستعان شاور بنور الدين محمود سلطان حلب ، فلبى الفريقان الدعوة ، وبدأ سباق بينهما لاستغلال هذا الصراع كل لصالحه ، وللاستيلاء على مصر ذات الأهمية البالغة لهما فى بسط نفوذهما وسلطانهما فى تلك المنطقة.

وانتهى الصراع بالقضاء على الوزيرين المتنافسين سنة ١١٦٨ م وتولى " أسد الدين شيركوه " قائد حملة نور الدين منصب الوزارة للخليفة العاضد الفاطمى ، ثم ما لبث أن توفى شيركوه فخلفه فى الوزارة ابن اخيه صلاح الدين الذى كان فى الثانية والثلاثين من عمره .

كانت المفارقة أن يتولى صلاح الدين السنى المذهب الوزارة فى دولة شيعية ، وأن يدين فى الوقت نفسه بالولاء لنور الدين الزنكى سلطان حلب التابع لدولة الخلافة العباسية ، وتحولت مهمته من منع مصر من السقوط فى أيدى الصليبيين إلى السعى فى ردها إلى أحضان الخلافة العباسية .

ولكى ينجح صلاح الدين فى تحقيق هدفه كان عليه أن يقوى المذهب السنى فى مصر حتى يتمكن من إسقاط الدولة الفاطمية ، وإلغاء المذهب الاسماعيلى الشيعى ، واستغرقت هذه المهمة ثلاث سنوات ، لجأ فى أثناءها إلى العمل المتأنى والخطوات المحسوبة ، فعزل القضاة الشيعيين وأحل محلهم قضاة من أهل السنة ، وأنشأ عدداً من المدارس لتدريس الفقه السنى .

حتى وجد أن الفرصة المناسبة قد لاحت ، وأن الأجواء مستعدة للاعلان عن التغيير فأقدم على خطوة شجاعة حيث أعلن فى الجمعة الأولى من شهر محرم سبتمبر ١١٧١ قطع الخطبة للخليفة الفاطمى الذى كان مريضاً وملازماً للفراش وجعلها للخليفة العباسى ، فكان ذلك إيذاناً بانتهاء الدولة الفاطمية ، وبداية عصر جديد .

قضى صلاح الدين السنوات الأولى بعد سقوط الدولة الفاطمية فى تثبيت الدولة الجديدة وبسط نفوذها وهيبتها على كل أرجائها ، خاصة أن للدولة الفاطمية أنصاراً وأعواناً ساءهم سقوطها ، وأحزنهم إضعاف مذهبها الاسماعيلى فناهضوا صلاح الدين ، ودبروا المؤامرات للقضاء على الدولة الوليدة قبل أن

يشتد عودها ، وكان أشد تلك الحركات مؤامرة " عمارة اليمنى " للقضاء على صلاح الدين ، واشتعلت فتنة فى أسوان لإعادة الحكم الفاطمى ، لكن تلك الحركات باءت بالفشل ، وتمكن صلاح الدين من القضاء عليها تماماً .

وبعد وفاة " نور الدين محمود " سنة ١١٧٤م تهيأت الفرصة لصلاح الدين الذى يحكم مصر نيابة عنه ، أن يتطلع إلى ضم بلاد الشام إلى حكمه لتقوية الصف الاسلامى ، وتوحيد الجهود استعداداً للوقوف أمام الصليبيين ، وتحرير الأراضى المغتصبة من أيديهم ، فانتهز فرصة استنجاد أحد أمراء دمشق به ، فسار إلى دمشق ، وتمكن من السيطرة عليها دون قتال سنة ١١٧٤م ثم على حمص وحماة وبعلبك ، ثم أعلن استقلاله عن بيت نور الدين محمود وتبعيته للخلافة العباسية التى منحته لقب سلطان ، وأصبح حاكماً على مصر ، ثم عاود حملته على الشام سنة ١١٨٢ م ونجح فى ضم حلب وبعض المدن الشامية ، وأصبح شمال الشام كله تحت سيطرته ، وتعهد حاكم الموصل بإرسال مساعدات حربية إذا طلب منه ذلك .

واستغرق هذا العمل الشاق من أجل توحيد الجبهة الإسلامية أكثر من عشر سنوات ، وهى الفترة من سنة ١١٧٤ إلى سنة ١١٨٦ م وهى فترة لم يتفرغ فيها تماماً لحرب الصليبيين .

اطمأن الناصر صلاح الدين إلى جبهته الداخلية ، ووثق تماماً فى قوتها وتماسكها ، فانتقل إلى الخطوة الأخرى ، وانصرف بكل قوته وطاقته إلى قتال الصليبيين ، وخاض معهم سلسلة من المعارك كللت بالنصر ، ثم توج انتصاراته الرائعة عليهم فى معركة " حطين " سنة ١١٨٧ م وكانت معركة هائلة أسر فيها ملك بيت المقدس وأرناط حاكم حصن الكرك ، وغيرهما من كبار قادة الصليبيين .

وترتب على هذا النصر العظيم ، أن تهاوت المدن والقلاع الصليبية ، وتساقطت فى يد صلاح الدين ، فاستسلمت قلعة طبرية ، وسقطت عكا ، وقيسارية ، ونابلس ، وارسوف ، ويافا وبيروت وغيرها ، وأصبح الطريق ممهداً لأن يفتح بيت المقدس ، فحاصر المدينة المقدسة ، حتى استسلمت وطلبت الصلح ، ودخل صلاح الدين المدينة السليبة فى أكتوبر ١١٨٧ م ، وكان يوماً مشهوداً فى التاريخ الاسلامى .

ارتجت أوربا لاسترداد المسلمين لمدينتهم المقدسة ، وتعالت صيحات قادتهم للأخذ بالثأر والانتقام من المسلمين ، فأرسلت حملة من أقوى حملاتهم الصليبية وأكثرها عدداً وعتاداً ، وقد تألفت من ثلاثة جيوش ألمانية وفرنسية وإنجليزية ، نجح جيشان منها فى الوصول إلى موقع الأحداث ، فى حين غرق ملك ألمانيا فى أثناء عبوره نهراً بآسيا الصغرى ، وتمزق شمل جيشه .

استطاع الجيش الفرنسى بقيادة " فيليب أغسطس " أخذ مدينة عكا من المسلمين ، واستولى نظيره الإنجليزى بقيادة " ريتشارد قلب الاسد " على ساحل فلسطين من " صور " إلى " حيفا " تمهيداً لاستعادة بيت المقدس ، لكنه فشل فى ذلك ، واضطر إلى طلب الصلح ، فعقد صلح بين الطرفين ، عرف بصلح الرملة فى ٢ سبتمبر ١٠٩٢ م ولحق ريتشارد بملك فرنسا عائداً إلى بلاده .

وقد اهتم صلاح الدين ببناء الأسوار والاستحكامات والقلاع ، ومن أشهر هذه الآثار " قلعة الجبل " لتكون مقراً لحكومته ، ومعقلاً لجيشه ، وحصناً منيعاً يمكنه من الدفاع عن القاهرة ، غير أن صلاح الدين لم يتمكن من إتمام تشييدها فى عهده ، وأحاط صلاح الدين الفسطاط والعسكر وأطلال القطائع والقاهرة بسور طوله ١٥ كم ، وعرضه ثلاثة أمتار ، وتتخلله الأبراج ، ولا تزال بقاياه قائمة حتى اليوم فى جهات متفرقة .

واستقرت فى عهده النظم الإدارية ، فكان السلطان يرأس الحكومة المركزية فى العاصمة ، يليه نائب السلطان ، وهو المنصب الذى استحدثه صلاح الدين لينوب عنه فى أثناء غيابه يليه الوزير ، وكان يقوم بتنفيذ سياسات الدولة ، ويلى ذلك الدواوين .

وعنى صلاح الدين بالمؤسسات الاجتماعية التى تعين الناس وتخفف عنهم بعض عناء الحياة ، فألغى الضرائب التى كانت تفرض على الحجاج الذين يمرون بمصر ، وتعهد بالإنفاق على الفقراء والغرباء الذين يلجأون إلى المساجد، وجعل من مسجد " أحمد بن طولون " مأوى للغرباء من المغاربة .

واشتهر صلاح الدين بسماحته وجنوحه إلى السلم ، حتى صار مضرب الأمثال فى ذلك ، فقد عامل الصليبيين بعد استسلام المدينة المقدسة معاملة طيبة، وأبدى تسامحاً ظاهراً ، وكان دخول المسلمين بيت المقدس دون إراقة دماء وارتكاب آثام صفحة مشرقة ناصعة ، تناقض تماماً ما ارتكبه الصليبيون عند استيلائهم على المدينة سنة ١٠٩٩ م من الفتك بأهلها المسلمين العزل وقتل الألوف منهم .

جنكيز خان

رغم ما اتسم به تاريخه من دموية ووحشية ، وقدرة على سفك الدماء ، وحرق المدن ، وقتل الأبرياء ، إلا أن البعض يراه واحداً من أعظم غزاة العالم، فلقد استولى على عدد من البلدان أكثر مما استولى عليه نابليون أو الأسكندر الأكبر .

وكلمة جنكيز خان ليست اسماً وإنما هى لقب معناه " حاكم الحكام الأكبر" ... أما اسمه الحقيقى فهو " تيموجين بن يسوكاى بهادر " ، عاش بين عامى ١١٥٥ – ١٢٢٧ م ، ولد فى منغوليا ، كان أبوه رئيساً لقبيلة مغولية تدعى " قيات " وعرف بالشدة والبأس ، فكانت تخشاه القبائل الأخرى ، وقد سمى ابنه " تيموجين " بهذا الاسم تيمناً بمولده فى يوم انتصاره على إحدى القبائل التى كان يتنازع معها ، وتمكنه من القضاء على زعيمهم الذى كان يحمل هذا الاسم .

ولم تطل الحياة بأبيه فقد توفى تاركاً حملاً ثقيلاً ومسئولية جسيمة لـ"تيموجين" الإبن الأكبر الذى لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، وما كان ليقوى على حمل تبعات قبيلة كبيرة مثل " قيات " فانفض عنه حلفاء أبيه ، واستغلت قبيلته صغر سنه فرفضت الدخول فى طاعته على الرغم من كونه

الوريث الشرعى لرئاسة القبيلة ، والتفت حول زعيم آخر ، وفقدت أسرته الجاه والسلطان ، وهامت فى الأرض تعيش حياة قاسية ، وتذوق مرارة الجوع والفقر والحرمان .

نجحت والدة تيموجين فى أن تجمع الأسرة المستضعفة وتحث أبناءها الأربعة على الصبر والكفاح ، وتفتح لهم باب الأمل ، وتبث فيهم العزم والاصرار ، حتى صاروا شباباً أقوياء ، وبخاصة تيموجين الذى ظهرت عليه إمارات القيادة والنزوع إلى الرئاسة ، مع التمتع ببنيان قوى .

تمكن تيموجين بشجاعته من الحفاظ على مراعى أسرته ، فتحسنت أحوالها وبدأ يتوافد عليه بعض القبائل التى توسمت فيه القيادة والزعامة ، كما تمكن من إجبار المنشقين من الأتباع والأقارب على العودة إلى قبيلتهم ، ودخل فى صراع مع الرافضين للانضواء تحت قيادته حسمه لصالحه فى آخر الأمر ، حتى نجح فى أن تدين قبيلته " قيات " كلها بالولاء له ، وهو دون العشرين من عمره ، ثم واصل توسعه حتى تمكن من توحيد منغوليا بأكملها تحت سلطانه .

بعد أن استتب له الأمر اتجه إلى إصلاح الشئون الداخلية فانشأ مجلساً للحكم اسماه " قوريلتاى " سنة ١٢٠٦م ودعاه للاجتماع ، وفيه حدد لأول مرة شارات ملكه ، ونظم إمبراطوريته ، ووضع لشعبه دستوراً محكماً يسمى " قانون الياسا " لتنظيم الحياة ، بعد أن رأى أن الآداب والأعراف والتقاليد المنغولية لا تفى بمتطلبات الدولة الجديدة ، ولم تكن مدونة ، فأعاد النظر فى بعضها ، وقبل بعضها الآخر ، ورد ما رآه غير ملائم ، وتناول الدستور أموراً متعددة لتنظيم الحياة بالدولة الناشئة ، وألزم أجهزة الدولة بتطبيق بنودها والعمل بموجبها ، وشدد على معاقبة المخطئين .

اصطدم جنكيز خان بإمبراطورية الصين التى كانت تحكمها أسرة

"سونج" وكانت لا تكف عن تحريض القبائل المغولية ضد بعضها البعض ، كى ينشغلوا بأنفسهم وتأمن شرهم ، فأراد جنكيز خان أن يضع حداً لتدخل الصينيين فى شئون القبائل المغولية وفى الوقت نفسه تطلع إلى ثروة الصين وكنوزهـا ، فاشتبك معهم لأول مرة سنة ١٢١١م واستطاع أن يحرز عدداً من الانتصارات على القوات الصينية ، ويخضع البلاد الواقعة فى داخل سور الصين العظـيم ، ويعين عليها حكاماً من قبله .

ثم كرر غزو الصين مرة ثانية بعد أن حشد لذلك جموعاً هائلـة سـنة ١٢١٣ م لكنه لم يحرز نصراً حاسماً ، ثم جرت محاولة للصلح بين الطرفين ، ولكنها لم تفلح ، فعاود جنكيز خان القتال ، واستدار بجيشه الذى كان عائداً إلى بلاده ، واشتبك مع جحافل الصين ، التى لم تكن قد استعدت للقتال ، وانتصـر عليها فى معركة فاصلة ، سقطت على أثرها العاصمة بكين فى سنة ١٢١٥م ، وكان لسقوطها دوى هائل ، ونذير للممالك الإسلامية التى أوت الفـارين مـن أعدائه ، وأظهرت ما كان يتمتع به الرجل من مواهب عسـكرية فـى ميـادين الحرب والقتال .

بعد أن فرغ جنكيز خان من حربه مع الصين اتجه ببصره إلى الغرب ، وعزم على القضاء على أعدائه من قبائل " النايمان " و " الماركيت " ، وكـان "كوجلك خان بن تايانك " زعيم النايمان قد تمكن بالتعاون مع السـلطان محمـد خوارزم شاه سلطان الدولة الخوارزمية من اقتسام الدولـة القراخطانيـة سـنة ١٢١٠م وأقام دولة امتدت من بلاد التبت حتى حدود الدولة الخوارزمية ، لكنـه لم ينعم كثيراً بما أقام وأنشأ ، فقد أرسل إليه جنكيز خان جيشاً كبيراً ، يقوده أحد رجاله الأكفاء تمكن من القضاء على كوجلك وجيشه فى سنة ١٢١٨ م ، كمـا أرسل ابنه جوجى لتعقب زعيم قبيلة الماركيت فتمكن من القضاء عليه وعلـى اتباعه .

استعد جنكيز خان لحملة كبيرة على الدولة الخوارزمية ، وتحرك بجيوشه الجرارة إلى بلاد ما وراء النهر ، فلما بلغها قسم جيوشه عليها ، وتمكن بسهولة من السيطرة على المدن الكبرى مثل " أترار " و " بخارى " و "سمرقند"، ولم يجد ما كان ينتظره من مقاومة ودفاع ، وأقدم على ارتكاب ما تقشعر لهوله الأبدان من القتل والحرق والتدمير ، فقتلت جيوشه سكان مدينة أترار عن بكرة أبيهم ، وأحرقوا بخارى عن آخرها ، واستباحوا حرمة مسجدها الجامع الكبير ، وقتلوا الآلاف من سكانها الأبرياء ، وواصل الزحف بجيوشه متعقباً السلطان محمد الذى زلزل الخوف قلبه ، وفقد القدرة على المقاومة والصمود ، فظل ينتقل من بلد إلى آخر ، حتى لجأ إلى إحدى الجزر الصغيرة فى بحر قزوين ، حيث اشتد به المرض ، وتوفى سنة ١٢٢٠م.

تحمل جلال الدين منكبرتى لواء المقاومة بعد أبيه ، وكان أثبت جناناً ، وأقوى قلباً فنجح فى المقاومة ، وجمع الأتباع ، وحشد الأنصار ، وألحق الهزيمة بالمغول فى معركة " براون " سنة ١٢٢١م ، فلما سمع الناس بهذا النصر فرحوا فرحاً شديداً بعد أن استبد بهم اليأس وثارت بعض المدن على حاميتها من المغول ، وكان يمكن لهذا النصر أن تتلوه انتصارات أخرى لو خلصت النية وصدقت العزيمة ، لكن سرعان ما نشب الخلاف بين قادة جيوش جلال الدين ، وانسحب أحدهم بمن معه غير مدرك عظم المسئولية ، فانهار حلم الدفاع وتهاوى جلال الدين أمام جحافل المغول ، وتوالت الهزائم بعدما خارت العزائم ، واضطر جلال الدين إلى الانسحاب والفرار إلى الهند .

وعندما أطمأن جنكيز خان إلى ما حقق عاد إلى منغوليا لاخماد ثورة قامت ضده هناك وتمكن من إخمادها ... ثم توفى بالقرب من مدينة " تس جو " ودفن فى منغوليا ، وخلفه على الإمبراطورية ابنه أوكتاى .

اللوفر

كان اللوفر مسكناً لبعض ملوك فرنسا ، ويقع على الضفة الشمالية لنهر السين فى باريس ، بناه فيليب أغسطس عام ١١٩٠ م تحاشياً لمفاجآت الهجوم على المدينة أثناء فترات غيابه الطويلة فى الحملات الصليبية ، وأخذت القلعة اسم المكان الذى شيدت عليه ، وكان متوسط الحجم آنذاك ، ثم قام شارل الخامس فوسعه على شكل قلعة ، ثم حوله فرانسيس الأول وخلفاؤه إلى قصر وجعلوه واحداً من أجمل قصور أوربا ومثالاً لعصر النهضة فى فرنسا ، وقد جلب هنرى الرابع الفنانين إلى اللوفر ، وهيأ لهم المسكن فى ممراته الطويلة ، وبذلك بدأ اتصاله بالفنون التى يعرف بها الآن ، إلا أن نابليون الأول حوله إلى متحف يعد من أعظم وأشهر متاحف العالم.

يدخل الزائر إلى متحف اللوفر من خلال هرم زجاجى ضخم تم افتتاحه فى عام ١٩٨٩ م ، وأهم أقسام المتحف القاعة الكبرى التى شيدها كاترين دى ميدتشى فى القرن السابع عشر ، وتحتوى على العشرات من اللوحات النادرة لعباقرة الرسامين ، تتصدرها تحفة ليوناردو دافنشى الموناليزا الشهيرة .

والمتحف مقسم إلى أجزاء عدة حسب نوع الفن وتاريخه ، ويبلغ مجموع أطوال قاعاته نحو ١٣ كيلومتراً ، وهى تحتوى على أكثر من مليون

قطعة فنية سواء كانت لوحة زيتية أو تمثالاً. وبالمتحف مجموعة رائعة من الآثار المصرية والإغريقية والرومانية ، بالإضافة إلى لوحات وتماثيل يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر الميلادى .

كما يحتوى المتحف على العديد من الآثار الشرق أوسطية والتى قام الأوربيون بالاستيلاء عليها خلال حملاتهم الصليبية والاستعمارية على مدار القرون ، حيث يتم عرضها حالياً فى المعرض ، وقد كتب عن هذا المتحف العديد من الروايات المشوقة ، ومن أهمها رواية (شفرة دافنشى) للكاتب العالمى دان براون.

الماجنا كارتا

الماجنا كارتا (الميثاق الأعظم للحريات) واحدة من أهم الوثائق القانونية فى تاريخ الديمقراطية ، فهى الوثيقة التى وضعت أسس الحريات العامة فى إنجلترا ، وهى ذات أهمية تاريخية من حيث نشأة وسيادة النظام الدستورى ، وتأثيرها على الدساتير والوثائق فى الدول الأخرى.

انتزعها نبلاء إنجلترا عام ١٢١٥م من الملك " جون " ، وفيها اعترف الملك بحقوق الشعب وسيادة القانون ، وقد نصت على عدم فرض ضرائب على الشعب إلا بعد موافقة ممثليه ، وأن تكون إرادة الملك ملتزمة بالقانون ، وضمان الحقوق الأساسية ، وفى مقدمتها إلغاء السجن دون المثول أمام محكمة ، كما تنص على أن تكون الكنيسة حرة من التدخلات الملكية بشئونها ، كما تحصر حقوق الملك وتحد من نفوذه وسلطته ، كما أجازت للنبلاء استخدام القوة لإعادة الملك جون إلى الخط المستقيم فى حال إظهار أى تقاعس فى الإيفاء ببنودها .

وقد ضاعت النسخة الأصلية من الماجنا كارتا والتى تحمل ختم الملك جون منذ وقت طويل ، لكن توجد أربع نسخ أخرى تم توزيعها وقتها على مختلف أنحاء البلاد .

أسرار الألماس

الألماس هو مادة ذات تركيب بلورى يتكون بنسبة كبيرة من الكربون وذلك بعد تعرضه لضغط وحرارة شديدين ، وقد عرف منذ القدم كأحد الجواهر القيمة معنوياً وعملياً ، ازدادت شعبية الألماس فى القرن التاسع عشر مع تحسن تقنيات القطع والصقل ، يشتهر الألماس بصفات فيزيائية فائقة ، وخصوصاً صلابته العالية حيث يتحصل وحده على درجة $\frac{10}{10}$ فى سلم درجات صلابة الأحجار مع الأخذ فى الاعتبار أن الفرق فى درجات الصلابة بين الدرجة التاسعة (الزفير والياقوت) و الدرجة العاشرة كبير ، كما يشتهر بتشتيته العالى للضوء، ولهذا السبب فإن الألماس مادة ذات قيمة مهمة فى صناعة الحلى بالإضافة إلى استعمالات صناعية أخرى مثل استخدام الألماس على رأس أنابيب التنقيب عن البترول ، وذلك لقوته الشديدة.

يستخرج معظم الألماس من الفوهات البركانية حيث تلقى به الحمم البركانية من أعماق الأرض من مسافات قد تصل إلى ١٥٠ كيلومتراً حيث الحرارة والضغط العاليين لمدة طويلة تصل إلى ملايين السنين تهيّأن ظروفاً مناسبة لتشكيل الألماس ، وتقع معظم مناجم الألماس فى وسط وجنوب أفريقيا على الرغم من اكتشاف كميات لا بأس بها فى كل من كندا وروسيا والبرازيل وأستراليا.

جودة الألماس تقدر دائماً بالنظر إلى أربعة معايير مهمة وهى القيراط ، الوضوح (النقاء) ، اللون ، والقطع . وبالمقابل للألماس الطبيعى يتم إنتاج الألماس صناعياً بكميات تقارب أربعة أضعاف الكمية المستخرجة طبيعياً ، ومع ذلك فإن معظم الألماس الصناعى يكون صغيراً ويحتوى على تشوهات واضحة مما يجعل أسعاره بخسة أمام الألماس الطبيعى و يكون استعماله محصوراً بشكل كبير للأغراض الصناعية ، لذلك دائماً ما تجد شهادات ضمان تصاحب الألماس الطبيعى خصوصاً النادر منه وتكون هذه الشهادات صادرة من مراكز أو شركات تمتلك خبراء وباع طويل فى التعامل مع الألماس والأحجار الكريمة ، حيث تذكر أدق تفاصيل الحجر من بينها وزن قيراط الحجر ونوع قطعه ودرجة الوضوح واللون بالإضافة إلى الأبعاد (القياسات) ، وتعطى الشهادة رقم مسلسل ، وتدرج صورة من الشهادة فى سجلات الشركة وهى شهادات مضمونة لا يمكن الشك فيها وتجعل الألماس ذات قيمة أكبر.

تعد الماسة " الأمل " أشهر ماسة فى العالم ، يبلغ وزنها ١١٢٥ قيراطاً ، وقد وجدت فى الهند ونقلت بعد ذلك إلى فرنسا وورثها لويس السادس عشر وماري انطوانيت ، ثم سرقت وظهرت فى لندن عام ١٨٣٠م ، وما من أحد أمتلكها إلا وحلت به اللعنة ، وبعد رحلتها الطويلة اشتراها الجواهرجى " هارى ونستون " عام ١٩٤٧ م وتبرع بها لمؤسسة " سميث سونيون " خوفاً منها وليشاهدها ثلاثة ملايين متفرج سنوياً فى متحف المؤسسة بأمريكا .

وأقدم ماسة فى العالم تدعى " الكوهينور " زينت تاج الملكة اليزابيث الأم التى ارتدته بمناسبة تتويج زوجها الملك جورج السادس ، وجدت هذه الماسة بالهند ، ويقال أنها انتقلت من يد لأخرى من الأفغانيين إلى السيخ إلى حين وجدها اثنان من الضباط البريطانيين فى أحد كنوز لاهور عاصمة البنجاب وقدمت هدية للملكة فيكتوريا وكان وزنها حينذاك ١٨٦ قيراطاً ووصل سعرها

إلى ٤٠ ألف جنيه استرلينى فى ذلك الوقت ، وتوارثتها العائلة المالكة حتى أصبحت من نصيب ممتلكات التاج البريطانى.

أما أكبر ماسة فى العالم " كولينان " عثر عليها عام ١٩٠٥م فى منجم فى جنوب أفريقيا وقد أهدتها حكومة " الترانسفال " إلى الملك أدوارد السابع ملك بريطانيا كعربون للصلح بعد " حرب البوير " وكان وزنها ٣١٠٦ قيراطاً ، أمر الملك بإعادة صقلها وقطعها إلى " ٩ " ماسات كبيرة و " ٩٦ " ماسة صغيرة ، ولعل أكبر هذه القطع وأشهرها " نجمة أفريقيا الكبرى " وتزن ٥٣٠ قيراطاً وهى ضمن مجموعة مجوهرات التاج البريطانى ، أما القطع الأخرى فهى تزين التاج وتتزين الملكة بماستين منها ، إحداهما "٩٤ " قيراطاً والثانية " ٦٣ " قيراطاً.

المماليك

خليط من الأتراك والروم والشراكسة والروس جلبهم الحكام ليستعينوا بهم كقوة تساندهم وتدعم الأمن والاستقرار فى ممالكهم ، خاصة الأيوبيين فى عصورهم المتأخرة حين أصابهم الضعف ، وهنا كثر عدد المماليك وزادت قوتهم وتقلدوا المناصب المهمة ، حتى تولوا عرش السلطنة وحكموا مصر والشام والعراق والجزيرة العربية من ١٢٥٠ – ١٥١٧م .

فبعد انتهاء دولة الأيوبيين بمقتل توران شاه آخر سلاطين الأيوبيين أسس المماليك دولتين متعاقبتين كانت عاصمتهما القاهرة هما دولة المماليك البحرية (١٢٥٠ – ١٣٨٢ م) وسميت بهذا الاسم لأن الملك الصالح الأيوبى كان قد بنى قلعة فى جزيرة الروضة واستقدمهم إليها ، وبعد وفاته ومقتل ابنه توران شاه ، تولت زوجته شجر الدر الحكم ثمانين يوماً اضطرت بعدها إلى التخلى عن الحكم تحت ضغط الخليفة العباسى المستنصر بالله ، ولعدم اقتناع المصريين بأن تتولى أمورهم إمرأة ، وتزوجت عز الدين أيبك أول سلاطين المماليك البحرية ، ثم تعاقب بعد مقتله العديد من السلاطين كان من أبرزهم قطز ، وبيبرس البندقدارى ، والمنصور قلاوون ، ومحمد بن قلاوون ، وخليل بن قلاوون الذى استعاد عكا آخر معاقل الصليبيين فى الشام ... وكان آخر سلاطين

دولة المماليك البحرية الصالح زين الدين حاجى الذى شاركه فى السلطنة الأمير برقوق.

وحين انقلب الأمير برقوق على الصالح زين الدين حاجى وانفرد بعرش السلطنة ، انتهى ملك بيت قلاوون وانتهت دولة المماليك البحرية ، وبدأ عصر دولة المماليك البرجية أو الجراكسة (١٣٨٢ – ١٥١٧م) وعرفوا بالمماليك البرجية لأن السلطان قلاوون أسكنهم فى أبراج قلعة الجبل ، ومن أبرز سلاطينهم السلطان برقوق ، وابنه فرج ، والأشرف برسباى فاتح قبرص، وقنصوه الغورى ، وطومان باى آخر سلاطينهم .

قام المماليك فى أول عهد دولتهم بصد الغزو المغولى على بلاد الشام ومصر وكانت قمة التصدى فى موقعة عين جالوت ، بعدها وفى عهد السلطان بيبرس (١٢٦٠ – ١٢٧٧ م) والسلاطين من بعده ركز المماليك جهودهم على الإمارات الصليبية فى الشام وقضوا سنة ١٢٩٠ م على آخر معاقل الصليبيين فى بلاد الشام (عكا).

وأصبحت القاهرة مركزاً رئيسياً للتبادل التجارى بين الشرق والغرب ، وازدهرت التجارة ومعها اقتصاد الدولة ، وقام السلطان برقوق (١٣٨٢ – ١٣٩٩ م) بقيادة حملات ناجحة ضد تيمور لنك وأعاد تنظيم الدولة من جديد ، وحاول السلطان برسباى (١٤٢٢ – ١٤٣٨م) أن يسيطر على المعاملات التجارية فى مملكته ، وكان للعملية تأثير سيئ على حركة هذه النشاطات ، قام برسباى بعدها بشن حملات بحرية ناجحة نحو قبرص .

منذ عام ١٤٥٠ م بدأت دولة المماليك تفقد سيطرتها على النشاطات التجارية وأخذت الحالة الاقتصادية للدولة تتدهور ، ثم زاد الأمر سوءاً التقدم الذى أحرزته الدول الأخرى على حسابهم فى مجال تصنيع الآلات الحربية ،

وفى سنة ١٥١٧ م تمكن السلطان العثمانى سليم الأول من القضاء على دولتهم التى ضمت مصر والشام والحجاز إلى أراضى الدولة العثمانية .

تمتع المماليك خلال دولتهم بشرعية دينية فى العالم الإسلامى وذلك لسببين هما تملكهم لأراضى الحجاز والحرمين ، ثم استضافتهم للخلفاء العباسيين فى القاهرة منذ ١٢٦٠ م.

ولقد اهتم المماليك بالأوضاع الحضارية من بناء للمدارس والمساجد والعمائر ، حتى يعد عصرهم من أزهى العصور فى العمارة ، فقد كان للمماليك إسهام رائع فى مجال العمارة ، فقد أصبح فن العمارة على أيديهم إسلامياً يستقى قواعده من مبادئ الإسلام وأصوله ، ففى بناء البيوت انطلق فكرهم من مبدأ منع الاختلاط والغيرة على النساء فتبنى البيوت الطابق الأول للرجال ويسمى "السلاملك " والسفلى للنساء ويسمى " الحرملك " ومدخل البيت ينحرف نحو دهليز ومنه إلى حجرة الضيوف ، حتى لا يرى الداخل من فى وسط البيت، وكانت هناك مداخل خاصة بالنساء فقط ، وكانت شبابيك البيوت مرتفعة بحيث لا يرى السائر فى الطريق ولو كان راكباً من بداخل البيت ، وكانت هذه الشبابيك عبارة عن خشب مثقوب يسمح بدخول الضوء والهواء ، ويسمح لمن بداخل البيت برؤية من بالخارج بحيث لا يرى من بالخارج من بداخل الحجرات.

وهم الذين ابتكروا نظام دولاب الحائط الذى يوضع فيه الأطباق الخزفية، وعنهم أخذ هذا النظام وكان لهم اهتمامهم بالزراعة والصناعة إلى جانب تأليف الموسوعات العلمية والأدبية ومن هذه الموسوعات التى ازدهرت فى عهدهم " صبح الأعشى فى صناعة الإنشا " للقلقشندى و "نهاية الأرب فى فنون الأدب " للنويرى. كما ازدهرت فى عهدهم الكتب التاريخية ، مثل المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزى ، ومؤلفات ابن تغرى بردى وغيرهما.

شجر الدر ...
ملكة لثمانين يوماً

كانت شجر الدر – عصمة الدين أم خليل – تركية الأصل ، وقيل أيضاً إنها أرمينية ، اشتراها السلطان الصالح نجم الدين أيوب وتزوجها وأعتقها وأنجبت منه ابنها خليل ، الذى توفى فى حياة والده .

لقى السلطان " الصالح أيوب " ربه فى ١٢٤٩م والقوات الصليبية تزحف جنوباً على شاطئ النيل الشرقى لفرع دمياط للإجهاز على القوات المصرية الرابضة فى المنصورة ، وكانت إذاعة خبر موت السلطان فى هذا الوقت الحرج كفيلة بأن تضعف معنويات الجند ، وتؤثر فى سير المعركة .... فأخفت خبر موته وأمرت بحمل جثته سراً فى سفينة إلى قلعة الروضة بالقاهرة، وأمرت الأطباء أن يدخلوا كل يوم إلى حجرة السلطان كعادتهم ، وكانت تدخل الأدوية والطعام إلى غرفته كما لو كان حياً ، واستمرت الأوراق الرسمية تخرج كل يوم وعليها علامة السلطان .

وتولت شجر الدر ترتيب أمور الدولة وإدارة شئون الجيش فى ميدان القتال ، وفى الوقت نفسه أرسلت إلى توران شاه ابن الصالح أيوب تحثه على القدوم من الشام إلى مصر ، ليتولى السلطنة بعد أبيه ، وفى الفترة ما بين موت السلطان الصالح أيوب ومجئ ابنه توران شاه وهى فترة تزيد عن ثلاثة أشهر

نجحت شجر الدر فى مهارة فائقة أن تمسك بزمام الأمـور ، ونجـح الجـيش المصرى فى رد العدوان الصليبى ، وإلحاق خسائر فادحة بالصليبيين ، وحفظت السلطنة حتى تسلمها توران شاه الذى قاد البلاد إلى النصر .

بعد النصر تنكر السلطان الجديد لشجر الدر ، وبدلاً من أن يحفظ لهـا جميلها بعث يتهددها ويطالبها بمال أبيه ، فكانت تجيبه بأنها أنفقته فـى شـئون الحرب ، وتدبير أمور الدولة ، فلما اشتد عليها ورابها خوف منه ذهبـت إلـى القدس خوفاً من غدر السلطان وانتقامه ، ولم يكتف توران شاه بذلك ، بل امتـد حنقه وضيقه ليشمل أمراء المماليك ، أصحاب الفضل الأول فى تحقيق النصـر العظيم ، وإلحاق الهزيمة بالحملة الصليبية السابعة ، وبدأ يفكر فـى الـتخلص منهم، غير أنهم كانوا أسبق منه فى الحركة وأسرع منه فى الإعداد ، فتخلصوا منه بالقتل .

وجد المماليك أنفسهم فى وضع جديد فهم اليوم أصحاب الكلمة الأولـى فى البلاد ، وبدلاً من أن يختاروا واحداً منهم لتولى شئون البلاد اختاروا شـجر الدر لتولى هذا المنصب الرفيع ، ولم تكن شجر الدر أول امرأة تحكم فى العالم الإسلامى ، فقد سبق أن تولت " رضية الدين " سلطنة دلهى ، واستمر حكمهـا أربع سنوات (١٢٣٦-١٢٤٠م). وفى مايو ١٢٥٠م أخـذت البيعـة للسـلطانة الجديدة شجر الدر.

وما أن جلست شجر الدر على عرش الحكم حتى قبضت علـى زمـام الأمور ، وأحكمت إدارة شئون البلاد ، وكان أول عمل اهتمت به هو تصـفية الوجود الصليبى فى البلاد ، وإدارة مفاوضات معه ، انتهت بالاتفاق مع الملـك لويس التاسع الذى كان أسيراً بالمنصورة على تسليم دمياط ، وإخـلاء سـبيله وسبيل من معه من كبار الأسرى مقابل فدية كبيرة قدرها ثمانمائة ألف دينـار ،

يدفع نصفها قبل رحيله ، والباقى بعد وصوله إلى عكا ، مع التعهد منه بعدم العودة إلى سواحل الإسلام مرة أخرى .

غير أن الظروف لم تكن مواتية لأن تستمر شجر الدر فى الحكم طويلاً، على الرغم مما أبدته من مهارة وحزم فى إدارة شئون الدولة ، وتقربها إلى العامة وإغداقها الأموال والإقطاعيات على كبار الأمراء ، حيث لقيت معارضة شديدة داخل البلاد وخارجها ، وعارض العلماء ولاية المرأة الحكم ، وفى الوقت نفسه ثارت ثائرة الأيوبيين فى الشام لمقتل توران شاه ، واغتصاب المماليك للحكم بجلوس شجر الدر على سدة الحكم ، ورفضت الخلافة العباسية فى بغداد أن تقر صنيع المماليك .

ولم تجد شجر الدر إزاء هذه المعارضة الشديدة بداً من التنازل عن العرش للأمير عز الدين أيبك قائد العسكر الذى تزوجته ، وتلقب باسم الملك المعز ، وكانت المدة التى قضتها على عرش البلاد ثمانين يوماً .

وإذا كانت شجر الدر قد تنازلت عن الحكم والسلطان رسمياً ، وانزوت فى بيت زوجها فإنها مارسته بمشاركة زوجها مسئولية الحكم ، وخضع لسيطرتها ، فأرغمته على هجر زوجته الأولى أم ولده على ، وحرمت عليه زيارتها هى وابنها .

غير أنه انقلب عليها بعدما أحكم قبضته على الحكم فى البلاد ، وتخلص من منافسيه فى الداخل ومناوئيه من الأيوبيين فى الخارج ، وتمرس بإدارة شئون البلاد ، وبدأ فى اتخاذ خطوات للزواج من ابنة " بدر الدين لؤلؤ " حاكم الموصل ، فغضبت شجر الدر لذلك ، وأسرعت فى تدبير مؤامرتها للتخلص من أيبك ، فأرسلت إليه تسترضيه وتتلطف معه ، وتطلب عفوه ، فانخدع أيبك لحيلتها واستجاب لدعوتها ، وذهب إلى القلعة حيث لقى حتفه هناك فى ١٢٥٧م .

أشاعت شجر الدر أن المعز أيبك قد مات فجأة بالليل ، ولكـن مماليـك أيبك لم يصدقوها ، فقبضوا عليها ، وحملوها إلى امرأة عز الدين أيبـك التـى أمرت جواريها بقتلها بعد أيام قليلة ، وألقوا بها من فوق سور القلعة ، ودفنـت بعد عدة أيام ... وهكذا انتهت حياتها على هذا النحو بعد أن كانت ملء الأسماع والأبصار .

العز بن عبد السلام
يبيع أمراء المماليك

ولد الامام العز بن عبد السلام (١١٨١ – ١٢٦٢ م) فى دمشق وعاش فيها ، ثم انتقل إلى مصر بعد أن بلغ عامه الستين وعاش بها حتى وفاته ، نشأ فى أسرة متدينة ، وقصد العلماء ينهل من علومهم ، وجمع فى تحصيله بين مختلف العلوم.

وحين حكم دمشق الملك الصالح إسماعيل من بنى أيوب ولى العز بن عبد السلام خطابة الجامع الأموى ، وبعد فترة قام الملك الصالح إسماعيل بالتحالف مع الصليبيين على قتال ابن أخيه الصالح أيوب حاكم مصر وانتزاعها من يده ، وسمح لهم بدخول دمشق لشراء السلاح والطعام وعندها غضب العز وصعد المنبر وخطب الناس خطبة عصماء وأفتى بحرمة بيع السلاح للفرنجة وحرمة الصلح معهم ، علم الملك الصالح إسماعيل بخروج العز عن طاعته ، فغضب عليه غضباً شديداً ، وأمر بإبعاده عن الخطابة ، وسجنه ، واضطرب أمر الناس ، فأخرجه من السجن ومنعه من الخطبة بعد ذلك .

وتوجه الشيخ إلى مصر – وقد سبقته شهرته العلمية وغيرته الدينية وعظمته الخلقية – فاستقبله سلطانها نجم الدين أيوب وأكرمه وولاه الخطابة فى جامع عمرو بن العاص ، وقلده القضاء فى مصر ، والتف حوله علماء مصر

وعرفوا قدره ، وبالغوا فى احترامه ... لدرجة امتناع عالم مصر الجليل الشيخ زكى الدين المنذرى عن الإفتاء بحضوره احتراماً له وتقديراً لعلمه .

وكان أول من لاحظه بعد توليه القضاء قيام الأمراء المماليك المملوكين للدولة الإسلامية بالبيع والشراء وقبض الأثمان ، وهو ما يتعارض مع الشرع إذ أنهم فى الأصل مملوكين لا يحق لهم البيع والشراء والزواج من حرائر نساء مصر ، فكان لا يوقع لهم بيعاً ولا شراءً ، فاجتمع أمراء الدولة وأرسلوا إليه فقال الشيخ " نعقد لكم مجلساً وننادى عليكم (بالبيع) لبيت مال المسلمين" ، فاستشاط نائب السلطنة غضباً ، وكان من المماليك ، وأقسم ليقتلن الشيخ بسيفه ، وذهب إليه نائب السلطنة مع جماعة من الأمراء فطرق بابه ، ففتح ابن العز بن عبد السلام الباب وراعه منظر نائب السلطنة إذ رأى سيفه مسلولاً ، والغضب يعلو وجهه فدخل على والده وقال : أنج بنفسك إنه القتل ، فرد عليه الشيخ بقوله : أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله ثم خرج وحين وقع بصره على النائب سقط السيف من يد النائب وارتعد وسأل الشيخ أن يدعو له ، وقال ياسيدى ماذا ستفعل ؟ قال : أنادى عليكم وأبيعكم .

إلا أن السلطان لم يذعن لحكم الشيخ ، فأرسل إليه من يتلطف إليه ، وبعد إصرار الشيخ " أخبره الرسول أن السلطان لن يسمح ببيع الأمراء ، وأمر السلطان واجب ، وهو فوق قضاء الشيخ وعلى أيه حال فليس للشيخ أن يتدخل فى أمور الدولة فشئون الأمراء لا تتعلق به بل بالسلطان وحده !.

فأنكر الشيخ تدخل السلطان فى القضاء وقام فجمع أمتعته تاركاً مصر ، وتجمع الناس وراءه وتبعه العلماء والتجار والنساء والصبيان حتى كادت مصر أن تخلو من سكانها ، فخرج الملك الصالح مسرعاً ولحق بالعز وأدركه فى الطريق واسترضاه وطلب منه أن يعود وينفذ حكم الله ، فتم له ذلك واشتهر العز بعدها بأنه بائع الملوك ، وأودع ثمنهم بيت مال المسلمين فازداد الأمراء المماليك

غضباً وتأمروا على قتل الشيخ مرة أخرى وفشلوا بل وتاب من بعثوهم لقتله على يديه وصلوا صلاة توبة وكان هو أمامهم .

وكان العز بن عبد السلام فى مقدمة الرافضين لحكم شجر الدر ، وبعد وصول قطز لسدة حكم مصر ، وظهور خطر التتار ووصول أخبار فظائعهم ورسلهم المهددين ، وللاستعداد لملاقاة التتار الزاحفين ، أمر قطز بجمع الأموال للإعداد للحرب ، ووقف العلماء وعلى رأسهم العز بن عبد السلام أمام الأمراء وقادة الجند ، فقرروا ألا يؤخذ من الناس شيئاً إلا إذا كان بيت المال فارغاً ، وبعدما يخرج الأمراء والتجار وأغنياء الناس من أموالهم وذهبهم حتى يتساوى الجميع فنزل قطز على حكم العلماء.

عصر النهضة

يطلق عصر النهضة على فترة فى التاريخ الأوربى تمتد حوالى ٢٥٠ عاماً ... وكل ما بعث فى هذا العصر كان ذا أهمية بالنسبة للفن والعلم ، ولذلك تسمى هذه الفترة بالإنجليزية " البعث ".

فبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية بعدة مئات من السنين المظلمة ، رجعت الحضارة الأوربية إلى الوراء وأصابها الركود ، فقد أهملت المؤلفات الإغريقية والرومانية ، وقل عدد العلماء والفنانين وانعدم وجود الحكومات القوية، وكان على المرء فى ذلك الحين إما أن يقاتل وإما أن يؤدى أعمالاً شاقة لكى يحيا حياة بسيطة ... إلا أن المجتمع الأوربى استطاع بالتدريج أن يشق طريقه خارج العصور المظلمة ، وبلغ الاهتمام بالعلم والفن فى النهاية درجة كبيرة حتى سمى ذلك العصر فيما بعد بعصر النهضة.

ولما كان الاهتمام بالعلم والفن يأتى دائماً بالتدريج ، فمن الصعب أن نحدد متى بدأ عصر النهضة بالضبط ؟ ، وإن كان الكثيرون يشيرون إلى ما بين عامى ١٣٠٠ : ١٦٠٠م تقريباً ففى هذه الفترة حدث انقلاب فى فن الموسيقى من التأثير المتبادل بين خصائص الشمال والجنوب ، وفيه انتهت حرب المائة عام بين فرنسا وإنجلترا ، وفيه استولى الأتراك على القسطنطينية واختفت

الإمبراطورية البيزنطية ، وهو ما أدى إلى نزوح الفنانين المسيحيين منها إلى إيطاليا بوجه خاص.

وفى هذا العصر أيضاً اكتشفت أمريكا سنة ١٤٩٢م ثم جاء اختراع الطباعة الذى له أهمية بالغة فى تقدم الفنون وانتشارها ، كما اتسع نطاق التعليم اتساعاً كبيراً لزيادة عدد الكتب ورخصها.

وبدأت طباعة المدونات الموسيقية حوالى عام ١٥٠٠م ، وقد تخصص الإيطاليون فيها بادئ الأمر ، ثم أصبحت صناعة مزدهرة ، حيث انتشرت فى باريس ، ونورمبرج ، وغيرها من البلاد الأوربية ، وأصبحت الموسيقى تعزف فى بيوت المواطنين ومدارس المدن الصغيرة والقرى وانتشرت مؤلفات المشاهير بطريقة لم تكن متاحة من قبل.

ومن أهم أحداث ذلك العصر أيضاً قيام حركة الإصلاح البروتستانتية فى ألمانيا ، وتعريض سلطة الكنيسة الكاثوليكية للخطر ، وما ترتب على ذلك من قيام صراع بينهما دام طويلاً ، ولعبت الموسيقى دوراً فى هذا الصراع ، شأنها فى ذلك شأن الأدب وسائر الفنون .

كان لحركة الإصلاح الدينى أثرها فى التقليل من أهمية الألحان المتداولة فى الطقوس الكاثوليكية ، وانتشار الترتيل الجماعى الذى تتميز ألحانه بالبساطة والسهولة ، والذى تبنته الكنيسة الكاثوليكية .

وجاء مولد الأوبرا إشباعاً لرغبة المؤلفين فى إحياء الدراما اليونانية وتقديمها لا بالأسلوب الإلقائى والخط اللحنى المفرد ، بل بأحدث ما وصلت إليه الفنون الموسيقية فى التعبير ، وقامت مجموعة من الأدباء فى فلورنسا بدراسة طبيعة الموسيقى اليونانية القديمة ، وكيفية استخدامها فى الدراما ، وظهرت أولى المحاولات فى المسرحية الملحنة أى الاوبرا.

بدأت النهضة فى إيطاليا ، ومنها انتشرت إلى بقية أوربا وكان من مظاهرها معاودة الاهتمام بالمؤلفات الإغريقية والرومانية القديمة ، كما شملت النهضة كذلك ميادين أخرى كالأدب والفن والموسيقى والعلوم والكشوف الجغرافية ، وقد لمعت فى عصر النهضة أسماء كثير من الكتاب والرسامين والنحاتين والعلماء المكتشفين كما قام أيضاً بعض الزعماء بدور مهم ، ومن هؤلاء الزعماء " لورنزو العظيم " الذى تولى حكم البندقية سنوات عديدة وكان لمعاونته أثر كبير فى تشجيع عدد من الفنانين والكتاب الذين ذاع صيتهم ، ومن أشهر الأسماء التى ظهرت ليوناردو دافنشى ، ومايكل أنجلو ، ورافائيل ، وفاسكو دى جاما ، وكولومبس ، وشكسبير ، وهم قليل من كثير من العظماء الذين حفل بهم هذا العصر.

وكما لم تكن للنهضة بداية محددة ، كذلك لم يكن لها نهاية مفاجئة ، وإن كانت وفاة الملكة اليزابيث الأولى ملكة إنجلترا عام ١٦٠٣م تعد أحياناً نهاية لهذه الفترة المهمة من التاريخ ... ومن الطبيعى أن الاهتمام بالعلم لم ينته بانتهاء هذه الفترة بل يمكن القول أن الاهتمام شمل أيضاً نواحى أخرى كالعمل فى التجارة ومحاولة استيطان العالم الجديد ، ومما لاشك فيه أن سكان أوربا وإن كانوا اليوم أحسن حالاً مما كانوا عليه خلال عصر النهضة ، إلا أن هذا العصر قد هز مشاعر كل من عاش فيه.

حرب المائة عام
أطول حرب فى التاريخ

نشبت هذه الحرب بين إنجلترا وفرنسا فى الفترة من عام ١٣٣٧م حتى ١٤٥٣ م أى لأكثر من مائة عام ، ولم تماثلها فى هذه المدة أى حرب شـــهدها العالم ... وترجع قصة هذه الحرب إلى أن الملوك الإنجليز لم يستطيعوا نسيان أن عرش هنرى الثانى كان يشمل نصف فرنسا – معظم المنطقة الغربية فيمـــا بين جبال البرانس ونورماندیا – وكان ذلك عن طريق الوراثة والزواج ، وقـــد فقدت إنجلترا معظم هذه المناطق أثناء حكم الملك " جون " وإن بقى لها الجـــزء الجنوبى الغربى المعروف " أكويتين " القديمة ، وحتى هذه الدوقية كان بقائهـــا تحت ظل العرش الإنجليزى مشروطاً بنصوص معاهدة باريس التى وقعت عام ١٢٥٩ م ، والتى قضت بأن يحتفظ ملك إنجلترا بالدوقية باعتبارها ضيعة تحت إدارة ملك فرنسا وكان معنى ذلك أن ملك فرنسا كان فى اســـتطاعته دائمـــاً أن يتدخل فى شئون الدوقية ، وهذا هو ما كان يحدث فعلاً ، إلا أنه بحلول القـــرن الرابع عشر نشأت مشكلة معقدة حول وراثة العرش الفرنسى ، وهنا كان فـــى استطاعة ملك إنجلترا أن يدعى أحقيته فى المطالبة بعرش فرنسا ، غير أن هذا الادعاء لم تكن له فاعلية مؤثرة ومع ذلك فقد كان سلاحاً مفيداً فى سبيل الحـــد من التدخل الفرنسى فى دوقية أكويتين وقد كان هذا الموقف الدقيق هو الســـبب الرئيسى فى نشوب حرب المائة عام.

بدأت هذه الحرب فى عام ١٣٣٧ م بعد عشر سنوات من اعتلاء ادوارد الثالث عرش إنجلترا ، وكانت بدايتها بمناوشات أكثر منها معركة كبيرة ، وقام ادوراد بجمع عدد من الحلفاء وأمر بأن يصنع له تاج مرصع بالجواهر لكى يكون تاجاً لفرنسا يضعه عند دخول باريس ... غير أن الحلفاء سرعان ما تفرقوا واضطر ادوارد لرهن التاج كى يستطيع الإنفاق على جيوشه ، ولم يكن ذلك بالفأل الحسن لبداية الحرب وبعد ثلاث سنوات من الحرب المستمرة لم يكن لدى ادوارد ما يفكر فيه سوى الديون الباهظة التى أحاطت به.

وقد حقق ادوارد بعض الانتصارات على الفرنسيين وبالذات فى معركة "كريسى" أثناء محاولته الاستيلاء على " كاليه " ثم تمكن ابنه من بعده الملقب بالأمير الأسود من إلحاق هزيمة كبيرة أخرى بالفرنسيين عند " بواتييه " ، وفى عام ١٣٦٠ م كان المتحاربون قد أنهكهم القتال فعقدوا صلحاً اعترفت بمقتضاه فرنسا بجميع الفتوحات الإنجليزية ... وعلى الرغم من ذلك استمر الفرنسيون فى القتال بعد أن تدهورت صحة ادوارد الثالث وأخذوا ينتزعون بعض الممتلكات الإنجليزية معتمدين على حرب العصابات وتداعى موقف إنجلترا فى جميع المناطق الفرنسية .

وفى عام ١٣٩٩م تمكن " هنرى بولنجبروك " دوق لانكستر من خلع حفيد ادوارد الثالث عن العرش لأنه كان يرى أنه لا داعى لإعادة نبش الصراع مع الفرنسيين ، لكن هذه السياسة لم ترض عدداً من المستفيدين من الحرب ورأوا أنها سياسة حمقاء وتنم عن الضعف وبالتالى خلعوه عن العرش ، ونصبُوا مكانه دوق لانكستر الذى لقب بهنرى الرابع ، والذى لم يستطع بسبب مشاغله الداخلية أن يحارب فرنسا ، وكان الهجوم التالى من نصيب أخيه هنرى الخامس الذى هزم الفرنسيين هزيمة ساحقة فى معركة " أجنكور " وفى عام ١٤٢٠م وقع معاهدة نصت على منحه نصف فرنسا مع التعهد بأن يرث ابنه فرنسا كلها،

ولكنه توفى عام ١٤٢٢م تاركاً لوراثة العرش ابنه البالغ من العمر تسعه أشـــهر وفى ذلك الوقت وجد الفرنسيون خلاصهم الجديد فى شخصية " جـــان دارك " ، وعلى الرغم من أن القوات الإنجليزية قاتلت بعنف فى سبيل المحافظة على مـــا كسبوه ، إلا أن كل ما بقى لهم من الممتلكات فى فرنسا عام ١٤٥٣م لـــم يعـــد سوى قلعة كاليه.

المدينة المحرمة

تقع المدينة المحرمة فى وسط العاصمة الصينية بكين ، وتضم القصر الامبراطورى فى عهد اسرتى " مينغ " و " تشينغ " الذى يقع فى وسطها حيث يضم حوالى مليون قطعة من التحف الفنية النادرة ، استغرق تشييده ١٤ عاماً (١٤٠٦ – ١٤٢٠ م) ، وتقع القصور الرئيسية بالمدينة المحرمة على خط محورى يمتد من شمال مدينة بكين القديمة إلى جنوبها ويبلغ طوله ثمانية كيلومترات ، تحتل المدينة المحرمة ٧٢٠ ألف متراً مربعاً ويبلغ طولها من الجنوب إلى الشمال ٩٦٠ متراً وعرضها من الشرق إلى الغرب ٧٥٠ متراً ، ويصل إجمالى مساحة مبانيها إلى اكثر من ١٥٠ ألف متراً مربعاً يضم أكثر من ٨٧٠٠ غرفة ، ويحيط بالمدينة المحرمة سور يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار ، ويوجد خارج هذا السور نهر اصطناعى يبلغ عرضه ٥٢ متراً ويسمى بنهر هوتشنغ أى نهر الدفاع عن المدينة ، وعلى كل ركن من أركان السور المحيط بالمدينة المحرمة مقصورة جميلة ورائعة ، وكانت هياكل هذه المقصورات معقدة للغاية ، مكونة من تسعة دعامات وثمانية عشر عموداً واثنتين وسبعين دعامة فرعية .

أقام فى المدينة المحرمة ٤٢ امبراطوراً على التوالى فى عهد أسرتى

مينغ وتشينغ الملكيتين ، وسيطروا على الصين لمدة ٤٩١ سنة ، ووفقاً للوظائف المختلفة تنقسم المدينة المحرمة إلى جزئين وهما الجزء الأمامى والجزء الداخلى، يعتبر الجزء الأمامى مكاناً يقيم فيه الامبراطور المراسم الضخمة وتتوسطه ثلاثة أجنحة على الخط الوسط أما الجزء الداخلى فهو مكان يمارس فيه الامبراطور أعماله اليومية ، كما يقيم فيه الامبراطور وعائلته وتوجد فيه الأجنحة الستة الشرقية والأجنحة الستة الغربية وعمارات أخرى .

أطاحت الثورة عام ١٩١١ بحكم أسرة تشينغ الملكية ، وحسب الاتفاقية "التفضيلية لعائلة تشينغ الملكية" التى وقعتها الحكومة الديمقراطية وديوان أسرة تشينغ الملكية ، يسمح للإمبراطور الأخير بو يى بمواصلة الإقامة فى الجزء الداخلى من القصر الإمبراطورى ، وفى عام ١٩١٤ أصبح الجزء الأمامى من القصر الامبراطورى مفتوحاً للجمهور ، وفى عام ١٩٢٤ طرد بو يى من القصر الإمبراطورى وفتح الجزء الداخلى للجماهير عام ١٩٢٥ ، ويسمى بمتحف " القصر الإمبراطورى " ، وفى عام ١٩٤٧ دمج الجزء الأمامى والداخلى وسميا معاً " متحف القصر الإمبراطورى " وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ ، ظل الحزب والحكومة الصينية يهتمان بمتحف القصر الإمبراطورى ويرصدان كل سنة مبلغاً خاصاً لإصلاحه وإعادة ترميمه ، وفى عام ١٩٦١ صنفه مجلس الدولة الصينى وحدة أثرية ومحمية مهمة على مستوى البلاد وأدرج فى قائمة التراث الثقافى التى حددتها منظمة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة عام ١٩٨٧ ، والآن أصبح متحفاً شاملاً يجمع بين الفنون المعمارية القديمة والآثار الإمبراطورية والفنون القديمة المختلفة.

الاختراع الذى غير شكل العالم

كانت الكتب التى تنتجها أوربا تكتب باليد ، ولهذا كانت غالية الثمن وكثيرة التكاليف ، وكانت بعض الكتب تطبع على كتل خشبية تحفر فيها الرسوم والحروف ، وقد عرف الصينيون هذه الطريقة منذ قرون ولكنها كانت بطيئة ومجهدة لأن كل حرف كان يحفر على الخشب باليد ، ثم تعد الكتل الخشبية بعدد صفحات الكتاب.

ثم جاء جوتنبرج الذى كان يعمل فى دار سك النقود بمدينة "مينز" بألمانيا وكان يصنع القوالب التى تختم بها النقود ، وفى عام ١٤٣٠ م ترك مينز إلى ستراسبورج ليعمل فى صقل الأحجار لجواهرجى هناك ، ولكن المشروع لم ينجح ... وخطر لجوتنبرج أنه لو وضع عدداً من الحروف المنفصلة بعضها عن بعض لاستطاع أن يجمع منها كلمات ثم يعود بعد انتهاء حاجته منها إلى جمعها من جديد فى كلمات جديدة ، وهكذا ... ومن هنا كان جوتنبرج أول من استخدام حروف الطباعة المنفصلة المتحركة التى يستطيع جمعها ثم فصلها وإعادة جمعها وفى كل تتغير الكلمات والجمل والصفحات .

وأجرى يوحنا جوتنبرج عدة تجارب على مركبات من الرصاص والقصدير فى صنع حروف الطباعة وفى نفس الوقت استطاع أن يطبع أشياء

قليلة ... وهنا – كما يحدث عادة – نضب معين ماله وكان هذا فى حوالى عام ١٤٥٠ م ولكنه لم يلبث أن وجد مصرفياً ثرياً اسمه " جوهان فوست " رضى بأن يدفع لجوتنبرج مبلغاً يكفيه العيش لسنوات ، واستطاع أن ينتهى من طبع كتابه الأول ، وكان كتاباً باللاتينية يعرض كيفية إعداد الخطب وكان عدد صفحاته (٢٨ صفحة) طبعت كل منها على حدة ... ولهذا كان على الذين يشترون الكتاب أن يجمعوا الصفحات فى مجلد واحد بأيديهم.

وقد سر جوتنبرج بنجاحه وأكسبه هذا النجاح قوة حتى أنه بدأ يطبع "الكتاب المقدس" وكان هذا عملاً مليئاً بالجرأة ، فالكتاب المقدس متعدد الصفحات فضلاً عن أن جوتنبرج لم يكن قد انتهى من كل التفاصيل اللازمة لإعداد وصنع الحروف التى يستخدمها ... ولكن بعد خمس سنوات من تقديم المصرفى فوست القرض الذى مكن جوتنبرج من معاودة العمل احتاج المصرفى لنقوده وبدأ يطالب بسدادها ، ولم يكن هذا السداد مستطاعاً لأن جوتنبرج لم يكن يملك نقداً ، ذلك أن عدد الناس الذين كانوا يقرأون فى هذه الأيام كان قليلاً ، ورفع فوست الأمر للقضاء عندما ضاق بالمطالبة ... واضطر جوتنبرج كوسيلة لأداء الدين أن يعطيه آلة الطباعة وما أعده من الحروف ومعها كل أدواته وأوراقه ، ولكن فوست كان أكثر اهتماماً بالحصول على مال لا على أدوات للطباعة فأعطى ما تسلم من جوتنبرج إلى صانع قوالب آخر اسمه " بيتر شوبفير " وقد لعبت هذه الظروف دوراً مهماً فى تاريخ الطباعة حيث أدخل بيتر عدة تحسينات على طريقة صنع الحروف.

وفى عام ١٤٦٥م منح كبير أساقفة مينز جوتنبرج وظيفة فى بلاطه مع كسوة جديدة من الثياب كل عام ولكنها كانت عملاً لا صلة له بالطباعة ، وكان جوتنبرج إذ ذاك أكثر اهتماماً بما يساعده على العيش أكثر من اهتمامه بأى شئ آخر ، ولم يعمر جوتنبرج طويلاً ، ولم يفكر فيه أى فرد كمخترع كبير ، بل

الواقع أنه لم ينل اهتماماً كبيراً من أحد ، حتى أننا لا نعرف ماذا كانت سمات وجهه ، وهل كان متزوجاً ام لا ؟ ولكن مع هذا كله ... فمن الصعب أن نتصور صورة العالم كيف تكون اليوم لولا عمل يوحنا جوتنبرج ؟!.

وإذا عدنا إلى شكل الكتاب فى البداية فنجد أنه لم تكن ثمة صفحة مخصصة للعنوان فى الكتب التى طبعت فى أول عهد الطباعة ، إذ كان النص يبدأ من وجه الورقة الأولى بعد صيغة قصيرة يبين فيها عادة موضوع الكتاب وأحياناً اسم مؤلفه بينما بقية البيانات التى تشمل مكان الطابع والعنوان الدقيق للكتاب واسم مؤلفه فكانت ترد فى نهاية الكتاب.

ولما كان وجه الورقة الأولى من الكتاب معرضاً للاتساخ أكثر من أى صفحة أخرى فقد بدأ الطابعون فى طبع الكتاب على ظهر الورقة الأولى التى ظل وجهها أبيض وبالتالى طبعوا على هذه الصفحة التى ظلت بيضاء عنواناً مختصراً ، وهكذا بدأت تظهر صفحة العنوان ابتداء من عام ١٤٨٠ م ... ومن الغريب أن الكتب فى البداية وحتى عام ١٤٩٩م كان لا يتم ترقيم صفحاتها.

دراكولا ... هل هو شخصية حقيقية ؟

دراكولا هو أكثر شخصيات الرعب شهرة فى العالم ... وتقول المؤلفات والحكايات الشعبية المؤرخة لمرحلة حكم الأمير " فلاد الرابع " والذى كان يحكم منطقة " فلاكيا " الواقعة فى جنوبى ترانسلفانيا (برومانيا حالياً) فى القرن الخامس عشر الميلادى أن هذا الأمير قد اشتهر بعمليات الاغتيال الوحشية التى ارتكبها ضد الناس فى ترانسلفانيا والمناطق المجاورة لها ، ونجح فى تحقيق عمليات تصفية جماعية مما جعله يبدو كواحد من الوجوه الأكثر وحشية ، وحيوانية فى كل الأزمان .

أطلق عليه معاصروه لقب (دراكولا) أى الشيطان أو الوحش لاستنباطه أبشع مظاهر التعذيب والقتل والتى ذهب ضحيتها مئات الألوف من الناس ، ومن هذه المظاهر نذكر الخوازيق ، الحرق ، التمثيل بالضحية بعد ذبحها ، تقطيع أجزاء جسم الإنسان وهو حى .

وفى عام ١٤٦١م وعندما احتل السلطان العثمانى محمد الثانى مدينة "تاراغوست" عاصمة أقليم فلاكيا ، اقشعر بدنه واجتاحه رعب شديد (على الرغم من أنه أقسى قائد عرفته تركيا) عند مشاهدته لغابة من الرماح غرزت فيها نحو عشرين ألف جثة بأمر من الأمير فلاد الرابع.

إن تاريخ تلك المنطقة يروى لنا مذابح عديدة نفذت بناء على أوامر دراكولا ، ففى عام ١٤٦٤ م قتل ألف شخص من جنسيات مختلفة وأديان مختلفة بطرق متعددة منها " الخوازيق " التى تمت وفق نظام طبقى معين ، جعل الأعيان وكبار القوم على رماح تعلو على رماح العامة من الناس ، وفى عام ١٤٦٦ م أراد الأمير تكريم أعيانه فدعاهم إلى مأدبة غداء وسط ألوف من الجثث ، وعندما تضايق أحدهم من رائحة الموتى وسد أنفه ، أمر فلاد الرابع "بخزوقته " على سفح تل لكى لا يتضايق من الرائحة.

وبعد قتل فلاد الرابع على يد الأتراك بدأت الخرافات تنسج حوله ، خرافات استندت إلى أحداث حقيقية أعقبت وفاته ، فعندما عمد رهبان دير "سناغوف" إلى دفن أشلائه فى مكان مجهول من الدير ، توالت سلسلة من الكوارث على الدير ، فقد أحرقه الأتراك ثم جاءت عاصفة دمرت كنائسه الثلاثة وغاصت إحداها فى البحيرة ، وأعيد بناء الدير وقامت فيه مطبعة بناء على أمر من الراهب الباحث " أنتيم ليغريانو " الذى هرب فجأة ووجد مسموماً ، فتم التخلص من مؤلفاته ومطبعته ، وفى عام ١٩٤٠ م حدث أن انشقت أرض الكنيسة الموجودة فى الدير بفعل زلزال عنيف ، واعتبر فلاحو هذه المنطقة أن جنون الأمير ونهمه إلى القتل لا يزالان يضجان حتى ما وراء قبره.

أما قصر دراكولا فلم يعد اليوم أكثر من ذكرى عابرة لأمير وحش ، تحكى الأساطير أنه انضم بعد موته إلى العفاريت والغيلان الذين حكم عليهم بأن يعيشوا فى حالة تتوسط الحياة والموت ، وقد أصابت المنطقة التى يوجد بها قصر الأمير فلاد الرابع عام ١٩١٣ م هزة أرضية دمرت القصر وقذفت بحجارته إلى النهر المجاور ، وأزيلت تماماً بقايا القصر عام ١٩٤٠ فى زلزال آخر ، وحتى الآن ما زال أناس تلك المنطقة يخشون التجول على مقربة من مكان القصر لأن شبح الوحش ما زال يثير مخاوفهم.

وطوال أربعة قرون من الزمن ، أصبح الأمير منسياً إلى أن عرف شهرة متجددة فى مؤلف الكاتب " برام ستوكر " الذى أحيا ذكراه فى رواية "دراكولا" التى نشرت عام ١٨٩٧م وتعتبر من أفظع روايات الرعب فى تاريخ الأدب ... وعمد ستوكر إلى تطوير هذا الكائن المرعب فهو فى روايته عبارة عن جثة تعود إلى الحياة فى الليل وتهاجم الأبرياء من الناس وتمتص دماءهم ، وهؤلاء الناس بدورهم يصبحون بعد وفاتهم مصاصى دماء يطاردون الضحايا فى الليل على شكل وطواط ، وتصف رواية ستوكر بحث دراكولا عن ضحايا جدد ، حيث يقوده البحث إلى بريطانيا فيطارد امرأتين شابتين هما " لوسى وستيريا " و " مينا سيوارد " بينما هو مطارد من قبل خطيب الأخيرة وصديقه اللذين يتغلبان فى النهاية على دراكولا بعد العثور عليه وطعنه برمح فى قلبه.

لقد حظيت رواية ستوكر بنجاح شعبى هائل ، ولقيت أيضاً نجاحاً مماثلاً كمسرحية عام ١٩٢٧م ، وكأفلام سينمائية متعددة ... ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن شخصية مصاص الدماء التى تستكمل وجودها بشرب دماء الأحياء ، شخصية قديمة جداً نجد لها أثراً فى أدب الحضارات القديمة فى الصين ومصر الفرعونية وفى الحكايات المنقولة عن بنى اسرائيل قبل ظهور المسيح بحوالى ألف سنة.

السلطان محمد الفاتح

شاءت الأقدار أن يكون السلطان العثمانى محمد الفاتح (١٤٣٢ – ١٤٨١م) هو صاحب البشارة التى بشر بها النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه " لتفتحن القسطنطينية ، فلنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش ".

وانتظر المسلمون ثمانية قرون ونصف قرن حتى تحققت البشارة ، وفتحت القسطنطينية بعد محاولات جادة بدأت منذ عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه عام ٦٥٢ م ، وازدادت اصراراً فى عهد معاوية بن أبى سفيان مرتين الأولى عام ٦٦٦م ، والثانية بين سنتى ٦٧٣ – ٦٧٩ م ، واشتعلت أملاً فى عهد سليمان بن عبد الملك عام ٧١٩م ولكن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح .

ولد السلطان محمد الفاتح ونشأ فى كنف أبيه السلطان " مراد الثانى " سابع سلاطين الدولة العثمانية ، الذى تعهده بالرعاية والتعليم ليكون جديراً بالسلطنة والنهوض بمسئولياتها فأتم حفظ القرآن وقرأ الحديث وتعلم الفقه ، ودرس الرياضيات والفلك وأمور الحرب ، والى جانب ذلك تعلم العربية والفارسية واللاتينية واليونانية ، واشترك مع أبيه السلطان مراد فى حروبه وغزواته .

ثم عهد إليه أبوه بإمارة " مغنيسيا " وهو صغير السن ، ليتدرب على إدارة شئون الدولة وتدبير أمورها ، تحت إشراف مجموعة من كبار علماء عصره ، وهو ما أثر فى تكوين شخصية الأمير الصغير ، وبناء اتجاهاته الفكرية والثقافية بناءً إسلامياً صحيحاً .

تولى محمد الفاتح السلطنة بعد وفاة أبيه فى عام ١٤٥١ م وبدأ فى التجهيز لفتح القسطنطينية ، ليحقق الحلم الذى يراوده ، وليكون هو محل البشارة النبوية ، وفى الوقت نفسه يسهل لدولته الفتية الفتوحات فى منطقة البلقان ، ويجعل بلاده متصلة لا يفصلها عدو يتربص بها .

وبعد أن قطع أشواطاً مثمرة فى الإصلاح الداخلى تطلع إلى المناطق المسيحية فى أوربا لفتحها ونشر الإسلام فيها ، ولقد ساعدته عوامل عدة فى تحقيق أهدافه ، منها الضعف الذى وصلت إليه الإمبراطورية البيزنطية بسبب المنازعات مع الدول الأوربية الأخرى ، وكذلك بسبب الخلافات الداخلية التى عمت جميع مناطقها ومدنها ، ولم يكتف السلطان محمد بذلك بل أنه عمل بجد من أجل أن يتوج انتصاراته بفتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، والمعقل الاستراتيجى الهام للتحركات الصليبية ضد العالم الإسلامى لفترة طويلة من الزمن ، والتى طالما اعتزت بها الإمبراطورية البيزنطية بصورة خاصة والمسيحية بصورة عامة ، وجعلها عاصمة للدولة العثمانية وتحقيق ما عجز عن تحقيقه أسلافه من قادة الجيوش الإسلامية .

ومن أبرز ما استعد به لهذا الفتح أن صب مدافع عملاقة لم تشهدها أوربا من قبل ، وقام ببناء سفن جديدة فى بحر مرمرة لكى تسد طريق "الدردنيل" ، وشيد على الجانب الأوربى من " البوسفور " قلعة كبيرة عرفت باسم قلعة " روملى حصار " لتتحكم فى مضيق البوسفور .

وبعد أن أتم السلطان كل الوسائل التى تعينه على تحقيق النصر ، زحف بجيشه البالغ ٢٦٥ ألف مقاتل من المشاة والفرسان ، تصحبهم المدافع الضخمة ، واتجهوا إلى القسطنطينية ، وفى فجر يوم الثلاثاء ٢٩ من مايو ١٤٥٣م نجحت قوات محمد الفاتح فى اقتحام أسوار القسطنطينية ، فى واحدة من العمليات العسكرية النادرة فى التاريخ ، وقد لقب السلطان " محمد الثانى " من وقتها بـ "محمد الفاتح " ، فصار لا يعرف إلا به .

ولما دخل المدينة ترجل عن فرسه ، وسجد لله شكراً ، وأمر بإقامة مسجد فى موضع قبر الصحابى الجليل " أبى أيوب الانصارى " الذى كان ضمن صفوف المحاولة الأولى لفتح المدينة العريقة ، وقرر اتخاذ القسطنطينية عاصمة لدولته ، وأطلق عليها اسم " اسلام بول " أى دار الإسلام ، ثم حرفت بعد ذلك واشتهرت باستنبول ، وانتهج سياسة متسامحة مع سكان المدينة ، وكفل لهم ممارسة عباداتهم فى حرية كاملة ، وسمح بعودة الذين غادروا المدينة فى أثناء الحصار إلى منازلهم .

بعد إتمام هذا الفتح الذى حققه محمد الثانى وهو لا يزال شاباً لم يتجاوز الخامسة والعشرين اتجه إلى استكمال الفتوحات فى بلاد البلقان ، ففتح بلاد الصرب (سنة ١٤٥٩م) وبلاد المورة (سنة ١٤٦٠م) وبلاد الافلاق وبغدان (رومانيا) (سنة ١٤٦٢م) وألبانيا بين عامى (١٤٦٣ – ١١٤٧٩ م) وبلاد البوسنة والهرسك بين عامى (١٤٦٣ – ١٤٦٥ م) ، ودخل فى حرب مع المجر سنة ١٤٧٦ م ، كما اتجهت أنظاره إلى آسيا الصغرى ففتح طرابزون سنة ١٤٦١م.

كان من بين أهداف محمد الفاتح أن يكون إمبراطوراً على روما ، وأن يجمع فخاراً جديداً إلى جانب فتحه القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، ولكى يحقق هذا الأمل الطموح كان عليه أن يفتح إيطاليا ، فأعد لذلك عدته وجهز

أسطولاً عظيماً ، تمكن من إنزال قواته وعدد كبير من مدافعه بالقرب من مدينة " أوترانت " ، ونجحت تلك القوات فى الاستيلاء على قلعتها وذلك فى يوليو ١٤٨٠م .

وعزم محمد الفاتح على أن يتخذ من تلك المدينة قاعدة يزحف منها شمالاً فى شبه جزيرة إيطاليا ، حتى يصل إلى روما ، ولكن المنية وافته فى ٣مايو ١٤٨١م ، واتهم أحد اطبائه بدس السم له فى الطعام ، وكان لموته دوى هائل فى أوربا التى تنفست الصعداء حين علمت بوفاته ، وأمر البابا أن تقام صلاة الشكر ثلاثة أيام ابتهاجاً بهذا النبأ

لم تكن ميادين الجهاد والحرب التى خاضها محمد الفاتح خلال مدة حكمه التى بلغت ثلاثين عاماً هى أبرز إنجازات محمد الفاتح حيث اتسعت الدولة العثمانية اتساعاً عظيماً لم تشهده من قبل – وإنما كان رجل دولة من طراز رفيع فقد استطاع بالتعاون مع الصدر الأعظم " قرة مانلى محمد باشا " وكاتبه "ليث زاده محمد جلبى " وضع الدستور المسمى باسمه ، وقد بقيت مبادئه الأساسية سارية المفعول فى الدولة العثمانية حتى عام ١٨٣٩م .

واشتهر محمد الفاتح بأنه راع للحضارة والأدب ، وكان شاعراً مجيداً له ديوان شعر ، وقد نشر المستشرق الألمانى " ج.جاكوب " أشعاره فى برلين سنة ١٩٠٤م وكان الفاتح يداوم على المطالعة وقراءة الأدب والشعر ، ويصاحب العلماء والشعراء ، ويصطفى بعضهم ويوليهم مناصب الوزارة .

وعلى الرغم من انشغال الفاتح بالجهاد فإنه عنى بالإعمار وتشييد المبانى الراقية ، ففى عهده أنشئ أكثر من ثلاثمائة مسجد ، منها فى العاصمة "إستنبول" وحدها (١٩٢) مسجداً وجامعاً ، بالإضافة إلى (٥٧) مدرسة ومعهداً.

ومن أشهر آثاره المعمارية مسجد السلطان محمد ، وجامع أبى أيوب الانصارى ، وقصر " سراى طوب قبو ".

ملوك الطوائف

ملوك الطوائف ... هى فترة تاريخية فى الأندلس بدأت حوالى عام ١٠٣١ م عندما أعلن الوزير أبو الحزم بن جهور سقوط الدولة الأموية فى الأندلس ، وفى ذلك الوقت كان هناك قوتان رئيسيتان متصارعتان هما البربر والعرب ، واستطاع البربر بزعامة بنى حمود أن يسيطروا على المثلث الجنوبى فى شبه الجزيرة الأسبانية ، وأن يقيموا ملكاً وخلافة فى قرطبة وأشبيليه ومالقة والجزيرة ، وكانت إمارة باديس تحمى الجناح الشمالى الغربى لتلك الخلافة البربرية ، فلما انتهت دولة حمود عام ١٠٥٧م ، كان البربر بعد أن خسروا معركة قرطبة قد بسطوا سلطانهم على معظم القواعد الواقعة جنوبى نهر الوادى الكبير ، وبعض المناطق الشرقية والغربية الشمالية ، بينما كانت الأسر العربية المنافسة لهم قد فازت بمعظم القواعد الأندلسية الكبرى مثل قرطبة وأشبيليه وسرقسطة وبلنسيه ومرسيه وألمرية .

وهكذا أضحى صرح الأندلس وقد انهارت دعائمه ، وقامت على أنقاض الدولة الأندلسية الكبرى دويلات ، عرف حكامها بملوك الطوائف الذين قسموا الدولة الكبرى إلى (٢٢ دويلة) وكان هؤلاء الملوك ما بين وزير سابق ، وقائد من ذوى النفوذ ، وحاكم لإحدى المدن ، وشيخ للقضاء ، وزعيم من ذوى المال

والحسب ، وبسط كل منهم سلطانه على ما أتيح له من مدن ، وأسس أسرة حاكمة من أهله وذويه .

وبينما ورثت تلك الدويلات ثراء الخلافة الأموية ، إلا أن عدم استقرار الحكم فيها ، والتناحر المستمر بين بعضها البعض جعل كل منها فريسة لمسيحى الشمال .

أسرف ملوك الطوائف فى الترف ، وتفننوا فى صنوف البذخ ، وكانوا يبنون القصور وينفقون فى هندستها أموالاً باهظة فى سبيل تحقيق متعهم ، وكان كل ملك من هؤلاء الملوك يحاول أن يجعل من مملكته ملتقى للشعراء والأدباء والمغنيين ، ولجأ الملوك من أجل إرضاء نزواتهم إلى إثقال كاهل رعاياهم بالضرائب.

ووصل الأمر إلى أن ملوك الطوائف كانوا يدفعون الجزية للملك الفونسو السادس ملك قشتالة إلا أمير مملكة بطليوس المتوكل بن الأفطس ، وبينما كان المعتمد بن عباد يحكم أشبيليه ، جاءه ذات يوم وزير الفونسو لأخذ الجزية ، وأساء الأدب مع المعتمد ، حين طلب بكل وقاحة أن يسمح لزوجة الفونسو الحامل أن تضع مولودها فى أكبر مساجد المسلمين ، لأنه تم التنبؤ لها أنها إذا ولدت هناك سيدين المسلمين بالولاء لولدها ، فغضب المعتمد وقتل الوزير ، وعندما علم الفونسو السادس بقتل وزيره ، غضب وسار إلى أشبيليه وحاصرها بجيشه ، وبعث إلى المعتمد بن عباد يخبره أنه سيمكث هنا ولا يوجد ما يضايقه سوى الذباب ، ويأمره أن يبعث له بمروحة ليروح بها الذباب ، فلما وصلت هذه الرسالة إلى المعتمد قلبها وكتب على ظهرها : والله لئن لم ترجع لأروحن لك بمروحة من المرابطين ، حيث قصد المعتمد الاستعانة بدولة المرابطين ، فخاف الفونسو وجمع جيشه وانصرف .

وإزاء تصاعد الخلاف بين ملوك الطوائف وتزايد تهديدات ملك قشتالة ، فكر ملوك الطوائف فى الكارثة التى توشك أن تعصف بهم وهى سقوط دولة الأندلس فقاموا بعقد اجتماع يضم كافة أمراء الأندلس وعلماء الأندلس ، وأشار العلماء فى ذلك الاجتماع بالجهاد ، وبالطبع عارض الأمراء ذلك الرأى بشدة بحجة عدم قدرتهم على الوقوف وحدهم فى مواجهة القشتاليين ، فاقترح العلماء مرة أخرى الاستعانة بالمرابطين ، فتخوف الأمراء من ذلك الأمر لأن المرابطين دولة قوية ولو هزمت النصارى لأخذت دولة الأندلس وضمتها إلى دولة المرابطين ، فتجادلوا كثيراً حتى قام المعتمد على الله بن عباد وقال خطبة كان آخرها مقولته الشهيرة " ولا أحب أن ألعن على منابر المسلمين ، والله لئن أرعى الإبل فى المغرب خير لى من أن أرعى الخنازير فى أوربا ".

فلما انتهى من خطبته تشجع المتوكل على الله بن الأفطس ، وعبد الله بلقين ، ووافقا على طلب العون من المرابطين لمحاربة قشتالة ، وقام هؤلاء الأمراء الثلاثة بإرسال وفد مهيب من الوزراء والعلماء إلى دولة المرابطين فى المغرب.

عندما وصل الوفد إلى يوسف بن تاشفين فرح بهذه الفرصة للجهاد فى سبيل الله وجهز سبعة آلاف رجل وجهز السفن وعبر مضيق جبل طارق ، ولكن فى وسط المضيق ترتفع الأمواج ويهيج البحر وتكاد السفن أن تغرق فيقف ذليلاً خاشعاً يدعو ربه والناس تدعو معه يقول : " اللهم إن كنت تعلم فى عبورنا هذا البحر خيراً لنا وللمسلمين فسهل علينا عبوره وإن كنت تعلم غير ذلك فصعبه علينا حتى لا نعبره " فتسكن الرياح ويعبر الجيش ، ويدخل يوسف بن تاشفين أرض الأندلس ، ويستقبله الناس استقبال الفاتحين ويدخل إلى قرطبة ويدخل إلى أشبيليه ، ثم يعبر إلى اتجاه الشمال فى اتجاه مملكة قشتالة، حتى وصل إلى الزلاقة فى شمال الأندلس ، وعندما وصل هناك كان قد انضم إليه

الكثير من أهل الأندلس حتى وصل جيشه إلى حوالى ثلاثين ألف رجل ، وهناك وقعت معركة الزلاقة عام ١٠٨٦م وكانت معركة شرسة انتصر فيها المسلمون، ولم يصل من جيش القشتاليين مع ملكهم إلى طليطلة سوى مائة فارس فقط.

وبعد أن عاد يوسف بن تاشفين إلى أرض المغرب ، حدثت الصراعات بين أمراء المؤمنين الموجودين فى بلاد الأندلس على غنائم معركة الزلاقة ، وحدثت الصراعات على البلاد المحررة ، فضج العلماء وذهبوا إلى يوسف بن تاشفين يطلبون منه الدخول مرة أخرى إلى الأندلس لتخليص الشعب من هؤلاء الأمراء ، فتورع يوسف بن تاشفين من محاربة المسلمين ، فأتته الفتاوى من كل بلاد المسلمين ، تطلب منه أن يدخل إلى البلاد ، ويضمها إلى دولة المرابطين حتى ينجد المسلمين مما هم فيه ، ففعل ودخل عام ١٠٩٠م ، وهناك حاربه أمراء المسلمين ، وممن حاربه المعتمد بن عباد ، واستطاع يوسف بن تاشفين أن يضم كل بلاد الأندلس ، وأن يحرر سرقسطة ، ويضمها إلى بلاد المسلمين وأصبح يوسف بن تاشفين أميراً على دولة تصل من شمال الأندلس بالقرب من فرنسا إلى وسط أفريقيا وبهذا انتهى عصر ملوك الطوائف.

دولة المرابطين ...
صفحة رائعة من تاريخ مجهول

دولة إسلامية عظيمة حكمت شمال غرب أفريقيا حتى وسط أفريقيا ثم عبرت البحر المتوسط ووصلت إلى شمال الأندلس ، اتخذت فاس عاصمة لها ما بين عامى ١٠٥٦ – ١٠٨٦ ، ثم انتقلت العاصمة إلى مراكش منذ عام ١٠٨٦ ... وظلت دولة المرابطين حتى عام ١١٤٧م ... ولنبدأ الحكاية .

فى أعماق صحراء موريتانيا وبالتحديد فى الجنوب القاحل ، حيث الصحراء الممتدة والجدب المقفر والحر الشديد ، وحيث أناس لا يتقنون الزراعة ويعيشون على البداوة ، كانت تعيش قبائل البربر ، ومن قبائل البربر الكبيرة كانت قبيلة " صنهاجة " وكانت قبيلتى " جدالة ولمتونة " أكبر فرعين فى "صنهاجة " ، وكانت " جدالة " تقطن جنوب موريتانيا وكانت قد دخلت الإسلام منذ قرون ، وكان على رأس جدالة رئيسهم يحيى بن إبراهيم الجدالى ، وكان لهذا الرجل فطرة سوية وأخلاق حسنة ، فقد استشرى فى قومه تصرفات ودعوات منحرفة عن الإسلام وحقيقته ، وكان الرجل لا يملك من العلم ما يستطيع أن يغير الناس .

ثم هداه تفكيره أن يذهب فى طريق عودته من الحج إلى مدينة القيروان (فى تونس حالياً) وهناك قابل شيخ المالكية عام ١٠٣٩ م وقص عليه ما فى

قومه من بعد عن الإسلام ، وطلب منه أن يبعث معه أحد علمائه ليعلم الناس الإسلام فأرسل معه شيخاً جليلاً هو " عبد الله بن ياسين " الذى قبل هذه المهمة .

اتجه الشيخ عبد الله بن ياسين حتى وصل جنوب موريتانيا حيث قبيلة جدالة ، وهاله ما رآه فى الناس من جهل مطبق وبعد تام عن الإسلام ، وبدأ يعلمهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، فثاروا عليه ، وكرر محاولاته أكثر من مرة ، وهم يثورون عليه فى كل مرة حتى انتهى الأمر بهم إلى طرده من البلاد .

وما كان من عبد الله بن ياسين إلا أن تعمق فى الصحراء ناحية الجنوب حتى وصل إلى شمال السنغال ، وهناك اعتزل متعبداً فى جزيرة على ضفاف نهر النيجر ، وصنع خيمة ثم بعث برسالة إلى أهل جدالة الذين تركهم يخبرهم فيها بمكانه ، فمن يريد أن يتعلم الإسلام فليأته ، وبالفعل وصل إليه خمسة شبان من جدالة ، وفى خيمته أخذ الشيخ عبد الله بن ياسين يعلمهم الإسلام كما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكيف أن الإسلام نظام شامل متكامل ينظم كل أمور الحياة ، وبدأ يعلمهم العقيدة الصحيحة ، والجهاد فى سبيل الله وكيف يركبون الخيل ويحملون السيوف ، ويعتمدون على أنفسهم فى مطعمهم ومشربهم وكيف ينزلون إلى الغابات فيصطادون الصيد ويأتون به إلى الخيمة يطبخونه ويأكلونه ولا يستجدون الطعام ممن حولهم من الناس .

ذاق الرجال معه حلاوة الدين ثم شعروا أن واجبهم أن يأتون بمعارفهم وأقاربهم وذويهم ، لينهلوا من هذا المعين ، فذهبوا إلى جدالة – وكانوا خمسة رجال – وقد رجع كل منهم برجل فأصبحوا عشرة ، ثم زادوا إلى عشرين ، وحين ضاقت عليهم الخيمة أقاموا خيمة ثانية فثالثة ورابعة وبدأ العدد فى ازدياد مستمر .

ومع كثرة الخيام وازدياد العدد ، أصبح من الصعب على الشيخ توصيل علمه إلى الجميع ، فقسمهم إلى مجموعات صغيرة ، وجعل على كل منها واحداً من النابغين ، وازداد العدد حتى وصل عام ١٠٤٨م بعد أربعة أعوام فقط من بداية دعوته ونزوحه إلى شمال السنغال إلى ألف شخص على أفضل ما يكون من فهم الإسلام والواقع ... وعلى قبائل صنهاجة المفرقة والمشتتة توزع الألف رجل ، يأمرون بالمعروف ويعلمون الناس أمور دينهم لتبدأ بدايات المرابطين ، حيث أن المرابطين أو المجاهدين كانوا يتخذون خياماً على الثغور يحمون فيها ثغور المسلمين ، ويجاهدون فى سبيل الله وحيث أن الرباط هو ملازمة الجهاد فقد سمى الشيخ عبد الله بن ياسين ومن معه ممن كانوا يرابطون فى خيام على نهر السنغال بجماعة المرابطين ، وعرفوا فى التاريخ بهذا الإسم .

وفى عام ١٠٥٣ م اقتنع بفكر الشيخ عبد الله بن ياسين وجماعته يحى بن عمر اللمتونى زعيم قبيلة (لمتونة) ثانى أكبر قبيلتين من قبائل صنهاجة ، ودخل وكل قبيلته فى الإسلام كما ينبغى أن يكون الإسلام ، وبعد وفاته عام ١٠٥٥م دخل خليفته الشيخ أبو بكر بن عمر اللمتونى بحماسة شديدة مع الشيخ عبد الله بن ياسين ، وبدأ أمرهم يقوى وأعدادهم تزداد ، وبدأ المرابطون يصلون إلى أماكن أوسع حول المنطقة التى كانوا فيها فى شمال السنغال ، فبدأوا يتوسعون حتى وصلت حدودهم من شمال السنغال إلى جنوب موريتانيا ، وأدخلوا معهم جدالة ، فأصبحت جدالة ولمتونة وهما القبيلتان الموجودتان فى شمال السنغال وجنوب موريتانيا جماعة واحدة تمثل جماعة المرابطين .

أما الشيخ عبد الله بن ياسين فقد استشهد فى إحدى جولاته بينما كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر سنة ١٠٥٩ م ، بعد أن أمضى أحد عشر عاماً فى تربية الرجال على الجهاد والفقه الصحيح لمعانى الإسلام العظيمة ،

وقد ترك أثنا عشر ألف مجاهد قد تربوا على منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والسلف الصالح .

بعد الشيخ عبد الله بن ياسين تولى الشيخ أبو بكر بن عمر اللمتونى زعامة جماعة المرابطين وفى خلال سنتين من زعامته لهذه الجماعة الناشئة يكون قد ظهر فى التاريخ ما يعرف بدويلة المرابطين ، وأرضها آنذاك شمال السنغال وجنوب موريتانيا ، وهى بعد لا تكاد ترى على خريطة العالم .

وبعد سنتين من تولى الشيخ أبو بكر بن عمر اللمتونى زعامة المرابطين، علم بوجود خلاف بين المسلمين فى جنوب السنغال فى مكان بعيد تماماً عن دولة المرابطين ، فأخذ نصف المرابطين منطلقاً حيث الصراع تاركاً زعامة المرابطين لإبن عمه يوسف بن تاشفين ، وبعد أن حل الصراع فى جنوب السنغال ، فوجئ بوجود قبائل وثنية لا تعبد الله ولم يصل إليها الإسلام ، فبدأ على الفور دعوتهم إلى الإسلام وظل يتنقل من قبيلة إلى قبيلة يدعو الله لمدة خمسة عشر سنة كاملة .

منذ أن ترك الشيخ أبو بكر بن عمر اللمتونى دويلة المرابطين فى جنوب موريتانيا وشمال السنغال فى ١٠٦١ م والشيخ يوسف بن تاشفين ينتظر وصوله ، مر يوم ويومين وشهر وشهرين ولم يرجع ، وحين علم أنه قد توغل فى أفريقيا ما كان منه إلا أن بدأ ينظر فى الشمال باحثاً عمن ابتعد عن دين الله يعلمه ويرده إليه .

نظر يوسف بن تاشفين فى شمال موريتانيا (المنطقة التى تطوه) وفى جنوب المغرب العربى فرأى من حال البربر الذين يعيشون فى هذه المنطقة أموراً بعيدة عن الإسلام وتعاليمه بل وجد فيها من يدعى النبوة ، فأخذ جيشه وانطلق إلى الشمال يدعو إلى الإسلام ، وحين عاد الشيخ أبو بكر بن عمر

اللمتونى عام ١٠٧٦ م بعد خمسة عشر سنة من الدعوة وجد يوسف بن تاشفين أميراً على كل من السنغال وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس ومعه جيش من مائه ألف فارس يرفعون راية المرابطين ، فتنازل له عن الإمارة لإعجابه بما صنع ، وعاد إلى أدغال أفريقيا للدعوة من جديد ، فأدخل الإسلام إلى غينيا بيساو ، وسيراليون ، وجنوب السنغال ، وساحل العاج ، ومالى ، وبوركينافاسو، والنيجر وغانا ، وداهومى ، وتوجو ، ونيجيريا ، والكاميرون ، وأفريقيا الوسطى ، والجابون وظل على حاله من الدعوة حتى استشهد فى إحدى فتوحاته عام ١٠٨٧ م .

وفى ذلك الوقت كان ملوك الطوائف فى الأندلس قد استغاثوا بيوسف بن تاشفين لمحاربة الملك الفونسو السادس ملك قشتالة الذى استغل ضعفهم وتشتتهم، حيث عبر إليهم فى جيش من المسلمين لمواجهة جيش الفونسو السادس وهزمه فى موقعة " الزلاقة " الشهيرة عام ١٠٨٦م رغم العون الذى جاء إلى ملك قشتالة من فرنسا وإيطاليا وإنجلترا وألمانيا ، ورغم صكوك غفران البابا لكل من شارك فى هذه الحرب .

وبعد عودة يوسف بن تاشفين إلى المغرب عاد مرة أخرى إلى الأندلس عام ١٠٩٠ م استجابة للفتاوى التى قدمت إليه من دول العالم الإسلامى بضرورة التدخل وحسم الصراع بين ملوك الطوائف حتى لا تسقط الأندلس ، وبالفعل استطاع أن يضم إلى امبراطوريته كل بلاد الأندلس ، وأن يقضى على فترة ملوك الطوائف ، وحين توفى يوسف بن تاشفين عام ١١٠٦ م كانت دولة المرابطين متربعة على خريطة العالم من شمال الأندلس إلى وسط أفريقيا والجزائر شرقاً والمحيط الاطلنطى غرباً ، شاغلة ثلث مساحة أفريقيا كلها .

محاكم التفتيش

سقطت غرناطة آخر قلاع المسلمين فى أسبانيا عـام ١٤٩٢م ، وكـان ذلك نذيراً بسقوط صرحْ الأمة الأندلسية الدينى والاجتمـاعى ، وتبـدد تراثهـا الفكرى والأدبى ، وكانت مأساة المسلمين هناك من أفظع مآسى التاريخ ، حيث شهدت تلك الفترة أعمالاً بربرية وحشية ارتكبتها محـاكم التحقيـق (التفتـيش) لتطهير أسبانيا من آثار الإسلام والمسلمين ، وإبادة تراثهم الذى ازدهر فى هذه البلاد زهاء ثمانية قرون من الزمان .

وهاجر كثير من مسلمى الأندلس إلى الشمال الأفريقـى بعـد سـقوط مملكتهم فراراً بدينهم وحريتهم من اضطهاد النصارى الأسبان لهـم ، وعـادت أسبانيا إلى دينها القديم ، أما من بقى من المسلمين فقد أجبر علـى التنصـر أو الرحيل ، وأفضت هذه الروح النصرانية المتعصبة إلى مطاردة وظلم وترويـع المسلمين العزل ، وانتهت بتنفيذ حكم الإعدام ضد أمة ودين على أرض أسبانيا .

ونشط ديوان التحقيق أو الديوان المقدس الذى دعمه العرش والكنيسة فى ارتكاب الفظائع ضد الموريسكيين (المسلمين المتنصرين) وصدرت عشـرات القرارات التى تحول بين هؤلاء المسلمين ودينهم ولغتهم وعاداتهم وثقافتهم ، فقد أحرق الكاردينال "خمينيث " عشـرات الآلاف مـن كتـب الـدين والشـريعة

الإسلامية، وصدر أمر ملكى فى ٢٠ يونيو ١٥١١م يلزم جميع السكان الذين تنصروا حديثاً أن يسلموا سائر الكتب العربية التى لديهم ، ثم تتابعت المراسيم والأوامر الملكية التى منعت التخاطب باللغة العربية وانتهت بفرض التنصير الاجبارى على المسلمين ، فحمل التعلق بالأرض وخوف الفقر كثيراً من المسلمين على قبول التنصر ملاذاً للنجاة ، ورأى آخرون أن الموت خير ألف مرة من ذلك ، وفر آخرون بدينهم ، وكتبت نهايات متعددة لمأساة واحدة هى رحيل الإسلام عن الأندلس .

توفى فرناندو الخامس ملك أسبانيا فى ١٥١٦م وأوصى حفيده شارل الخامس بحماية الكاثوليكية والكنيسة ، وتوطيد المذهب الكاثوليكى ، وكان الملك " فرناندو الخامس " ملك أسبانيا لمدة عشرين عاماً بعد سقوط الأندلس قد أنزل العذاب والاضطهاد بمن بقى من المسلمين ، وكانت أداته فى ذلك محاكم التحقيق التى أنشئت بمرسوم بابوى وعين القس " توماس دى تركيمادا " محققاً عاماً لها ووضع دستوراً لهذه المحاكم الجديدة وعدداً من اللوائح والقرارات .

وقد مورست فى هذه المحاكم معظم أنواع التعذيب المعروفة فى العصور الوسطى ، وأزهقت آلاف الأرواح تحت وطأة التعذيب ، وقلما أصدرت هذه المحاكم حكماً بالبراءة ، بل كان الموت والتعذيب الوحشى هو نصيب وقسمة ضحاياها ، حتى أن بعض الضحايا كان ينفذ فيهم حكم الحرق فى احتفال يشهده الملك والأحبار .

وصدر مرسوم فى مارس ١٥٢٤ يحتم تنصير كل مسلم بقى على دينه وإخراج كل من أبى النصرانية من أسبانيا وأن يعاقب كل مسلم أبى التنصر أوالخروج فى المهلة الممنوحة بالرق مدى الحياة ، وأن تحول جميع المساجد الباقية إلى كنائس.

ولما رأى الموريسكيون هذا التطرف من الدولة الأسبانية ، استغاثوا بشارل الخامس ملك أسبانيا الجديد ، وبعثوا وفداً منهم إلى مدريد ليشرح له مظالمهم ، فندب شارل محكمة كبرى من النواب والأحبار والقادة وقضاة التحقيق برئاسة المحقق العام لتنظر فى شكوى المسلمين ، ولتقرر ما إذا كان التنصير الذى وقع على المسلمين بالإكراه ، يعتبر صحيحاً ملزماً ، بمعنى أنه يحتم عقاب المخالف بالموت .

وقد أصدرت المحكمة قرارها بعد مناقشات طويلة ، بأن التنصير الذى وقع على المسلمين صحيح لا تشوبه شائبة ، لأن هؤلاء الموريسكيين سارعوا بقبوله اتقاء لما هو شر منه ، فكانوا بذلك أحراراً فى قبوله .

وعلى أثر ذلك صدر أمر ملكى بأن يرغم سائر المسلمين الذين تنصروا كرهاً على البقاء فى أسبانيا باعتبارهم نصارى ، وأن ينصر كل أولادهم ، فإذا ارتدوا عن النصرانية ، قضى عليهم بالموت أو المصادرة وقضى الأمر فى الوقت نفسه ، بأن تحول جميع المساجد الباقية فى الحال إلى كنائس .

كان لقرارات هذا الملك أسوأ وقع لدى المسلمين ، وما لبثت أن نشبت الثورة فى معظم الأنحاء التى يقطنونها فى سرقسطة وبلنسية وغيرهما ، واعتزم المسلمون على الموت فى سبيل الدين والحرية ، إلا أن الأسبان كانوا يملكون السلاح والعتاد فاستطاعوا أن يخمدوا هذه الثورات المحلية باستثناء بلنسية التى كانت تضم حشداً كبيراً من المسلمين يبلغ زهاء (٢٧) ألف أسرة ، فإنها استعصت عليهم ، لوقوعها على البحر واتصالها بمسلمى المغرب .

وقد أبدى مسلمو بلنسية مقاومة عنيفة لقرارات التنصير ، ولجأت جموع كبيرة منهم إلى ضاحية (بنى وزير) فجردت الحكومة عليهم قوة كبيرة مزودة بالمدافع ، وأرغمت المسلمين فى النهاية على التسليم والخضوع ، وأرسل إليهم

الملك إعلان الأمان على أن يتنصروا ، وعدلت عقوبة الـرق إلـى الغرامـة، وافتدى الأندلسيون من الملك حق ارتداء ملابسهم القومية بمبلغ طائل .

وكانت سياسة شارل الخامس محاولة لتهدئة الأوضاع فى جنوب أسبانيا حتى يتفرغ للاضطرابات التى اندلعت فى ألمانيا وهولندا بعد ظهور مارتن لوثر وأطروحاته الدينية لإصلاح الكنيسة وانتشار البروتستانتية لذلك كان بحاجة إلى توجيه كل اهتمامه واهتمام محاكم التحقيق إلى " الهراطقة " فى شمال أوربا كما أن قيام محاكم التحقيق بما يفترض أن تقوم بـه كـان يعنـى احـراق جميـع الأندلسيين، لأن الكنيسة تدرك أن تنصرهم شكلى ولا قيمة له ، يضاف إلى ذلك أن معظم المزارعين الأندلسيين كانوا يعملون لحساب النبلاء أو الكنيسة ، وكان من مصلحة هؤلاء الإبقاء على المزارعين وعدم إبادتهم .

وكان شارل الخامس حينما أصدر قراره بتنصـير المسـلمين ، وعـد بتحقيق المساواة بينهم وبين النصارى فى الحقوق والواجبـات ، ولكـن هـذه المساواة لم تتحقق قط ، وشعر هؤلاء أنهم ما زالوا موضع الريب والاضطهاد ، ففرضت عليهم ضرائب كثيرة لا يخضع لها النصارى ، وكانت وطـأة الحيـاة تثقل عليهم شيئاً فشيئاً ، حتى أصبحوا أشبه بالرقيق ، ولما شـعرت السـلطات بميل الموريسكيين إلى الهجرة ، أصدرت قراراً يحرم عليهم تغيير مسـاكنهم ، كما حرم عليهم النزوح إلى بلنسية التى كانت دائماً طريقهم المفضل إلى الهجرة، ثم صدر قرار بتحريم الهجرة من هذه الثغور إلا بترخيص ملكى ، نظير رسوم فادحة ، وكان ديوان التحقيق يسهر على حركة الهجرة ويعمـل علـى قمعهـا بشدة .

وكانت الأمة الأندلسية خلال هذا الاستشهاد المحزن الذى فرض عليهـا تحاول بكل وسيلة أن تستبقى دينها وتراثها ، فكان الموريسكيون بـالرغم مـن دخولهم فى النصرانية يتعلقون سراً بالإسلام ، وكان كثيرون منهم يؤدون شعائر

الإسلام خفية ، وكانوا يحافظون على لغتهم العربية ، إلا أن السياسة الأسبانية فطنت إلى أهمية اللغة فى تدعيم الروح القومية ، لذلك أصدر شارل الخامس سنة ١٥٢٦ أول قانون يحرم التخاطب بالعربية على الموريسكيين ولكنه لم يطبق بشدة لأن هؤلاء الموريسكيين دفعوا له (١٠٠) ألف دوقة حتى يسمح لهم بالتحدث بالعربية ، ثم أصدر الملك فيليب الثانى سنة ١٥٦٦ قانوناً جديداً يحرم التخاطب بالعربية وطبق بمنتهى الشدة والصرامة ، وفرضت القشتالية كلغة للتخاطب والتعامل ، ومع ذلك وجد الموريسكيون فى القشتالية متنفساً لتفكيرهم وأدبهم فكانوا يكتبونها سراً بأحرف عربية ، وأسفر ذلك بمضى الزمن عن خلق لغة جديدة هى " ألخميادو" وهى تحريف إسبانى لكلمة " الأعجمية " ولبثت هذه اللغة قرنين من الزمان سراً مطموراً وبذلك استطاعوا أن يحتفظوا بعقيدتهم الإسلامية ، وألف بها بعض الفقهاء والعلماء كتباً عما يجب أن يعتقد المسلم ويفعله حتى يحتفظ بإسلامه ، وشرحوا آيات القرآن باللغة الألخميادية ، وكذلك سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان من أشهر كتاب هذه اللغة الفقيه المسمى " فتى أبيرالو " وهو مؤلف لكتب التفسير وتلخيص السنة ، ومن الشعراء محمد ربدان الذى نظم كثيراً من القصائد والأغنيات الدينية ، وبذلك تحصن الموريسكيون فصمدوا فى وجه مساعى المنصرين الذين لم تنجح جهودهم التبشيرية والتعليمية والارهابية فى الوصول إلى تنصير كامل لهؤلاء الموريسكيين فجاء قرار الطرد بعد هذه الاخفاقات .

ولم تفلح مساعى الموريسكيين فى الحصول على دعم خارجى فعال من الدولة العثمانية أو المماليك فى مصر ، رغم حملات الإغارة والقرصنة التى قام بها العثمانيون والجزائريون على السفن والشواطئ الأسبانية ودعم الثوار الموريسكيين .

واستمرت محاكم التحقيق فى محاربة هؤلاء المسلمين طوال القرن

السادس عشر الميلادى ، وهو ما يدل على أن آثار الإسلام الراسخة فى النفوس بقيت بالرغم من المحن الرهيبة وتعاقب السنين ، ولعل من المفيد أن نـذكر أن رجلاً اسبانياً يدعى " بدية " توجه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحـج سـنة (١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م) أى بعد ٣٢٩ سنة من قيام محاكم التفتيش .

وبعد مرور عدة قرون من سقوط الأندلس ، أرسل نابليون حملته إلـى أسبانيا واصدر مرسوماً سنة ١٨٠٨ بإلغـاء دواويـن التفتـيش فـى المملكـة الأسبانية .

اكتشاف العالم الجديد

فى يوم الجمعة ٣ أغسطس ١٤٩٢ م أقلعت من ميناء " بالوس " بأسبانيا ثلاث سفن صغيرة تحمل على ظهورها أقل من مائة رجل تحت قيادة كرستوفر كولمبس ، وشقت عباب بحر لم يكن قد عرف على الخرائط حتى ذلك الحين لتكشف طريقاً جديداً إلى الشرق الأقصى .

وفى تلك الأيام كانت كل أوربا ترنو إلى كشف طريق تجارى قصير يصل إلى الشرق الأقصى إذ أن التوابل والذهب والحرير كانت تجلب من آسيا إلى أوربا عبر طرق برية طويلة وكان هناك أمل فى كشف طريق بحرى أقل طولاً وأكثر سهولة ... ولا يعرف أحد على وجه التحقيق متى تبلورت فى ذهن كولمبس فكرة الإبحار غرباً ليكشف عن الشرق الأقصى ولكن يمكن القول بأنه كان مشتاقاً إلى تنفيذ فكرته عندما بلغ الثلاثين من عمره.

وكان كولمبس الذى ولد بجنوا بإيطاليا عام ١٤٤٦م وكثير من معاصريه يعتقدون أن الأرض كروية ، ولذا فكر فى أنه ما دام الأمر كذلك وما دامت آسيا تمتد إلى أقاق بعيدة صوب الشرق فلابد إذن أنها تحتل جزءاً كبيراً من الطريق حول الكرة الأرضية ، وجادل كولمبس فى أن الصين والهند ليستا بعيدتين أشد البعد جهة الغرب ولكنه لم يستطع تقدير مساحة الكرة الأرضية .

طلب كولمبس أول الأمر من ملك البرتغال أن يعطيه رجالاً وسفناً ولكنه رفض لأنه كان يريد كشف طريق حول أفريقيا ، فذهب إلى فرديناند وايـزابيلا ملكى أسبانيا فوافقا على ذلك ، ولكنهما رأيا أنه مغال فى تقدير مكافأته إذا مـا أصابه التوفيق لأنه طلب $\frac{1}{10}$ الثروات التى يعود بها ، وطالب فوق ذلك بتنصيبه "أميراً على البحار" فرفضا أول الأمر ، ولكنهما رجعا عن رأيهما عندما علمـا بأنه اعتزم الالتجاء إلى ملك فرنسا فأعطياه ما أراد من سفن.

أقلعت به السفن الصغيرة من بالوس حتى وصلت إلى جـزر كنـارى ومنها أبحرت متجهة نحو الغرب رأساً فى مياه مجهولة وكانت الريح مسـتقرة غير متقلبة فدفعت بها فى طريقها آمنة ... وظلت السفن تبحر غرباً لعدة أسابيع حتى استبدَّ القلق بالرجال إذ لم يسبق أن غابت الأرض عن أبصارهم هذه الفترة الطويلة ، ولما طال بهم الوقت هددوا بالعصيان ولكن كولمبس أقـنعهم وحـثهم على مواصلة الإبحار .

كان كولمبس حريصاً على تسجيل يومياته فى أثناء الرحلة ، وقـد دون فيها بتاريخ ١٠ أكتوبر ما نصه " هنا لا يستطيع الرجال أن يحتملوا أكثر مـن ذلك " ولكنه أقنعهم مرة أخرى بمواصلة إبحارهم ، وبعد ليلتين أبصروا الأرض ونزلوا إليها عند مطلع الفجر ، وقد أطلق كولومبس على المنطقة التـى نزلـوا إليها وهى أول مكان وصل إليه اسم سان سلفادور ، و يعنى هذا الاسم " المنقذ " أو " المخلص " .

ظل كولمبس يتنقل من جزيرة إلى أخرى وقد استولى اليأس على رجاله لأنهم لم يعثروا على مدن فيها ثروات ضخمة كما كانوا يأملون ، بـل وجـدوا قرى قليلة يقطنها أناس ملونون ، ولما كان قد خيل إلى كولمبس أنه قد أقتـرب من الهند ، لذلك سماهم الهنود الحمر لأنهم كـانوا يشـبهون الهنـود لكـنهم لا يتكلمون اللغة الهندية وكانت بشرتهم أقرب إلى النحاس الأحمر .

وبعد مسيرة شهرين أو ثلاثة متنقلاً بين الجزر رجع كولمبس إلى أسبانيا دون تحقيق ما وعد به فثار المسئولون لذلك ، ولكنه لم يلبث إلا قليلاً حتى قام برحلة أخرى ومعه (١٧) سفينة وما يزيد على ألف رجل ، ومع ذلك فإنه لم يجد فى هذه المرة أيضاً إلا الجزر ... وفى رحلته الثالثة إلى الدنيا الجديدة وصل إلى شاطئ أمريكا الجنوبية ، ولكنه ظن أنها لم تكن سوى جزيرة أخرى فى طريقه إلى الشرق الأقصى ، وفى هذه المرة أعيد إلى أسبانيا مقيداً بالأغلال وسجن ، ولكن سرعان ما عفا عنه الملك فقام برحلة أخرى ومع ذلك لم يجد بها ما كان يأمل من ثروات .

وفى عام ١٥٠٦ م مات كولمبس وهو يعتقد أن أمريكا ليست إلا مجموعة من الجزر فى الطريق إلى الشرق الأقصى ، ولم يدر بخلده مطلقاً أنه اكتشف عالماً جديداً.

وفى أوائل القرن السادس عشر أرسل ملك البرتغال أحد الملاحين الإيطاليين وهو " أمريجو فسبوتشى " ليستطلع الأرض التى تقع شرقى خط التقسيم الذى وضعه البابا لحسم النزاع الذى كان قد نشأ بين أسبانيا والبرتغال حول مجال نشاطهما الكشفى فقضى البابا – الذى احتكما إليه – بتصور خط وهمى يصل بين القطبين على بعد ١١١٠ ميل غربى جزر أزور بالمحيط الأطلنطى ويكون ما يقع شرقه للبرتغال وما يقع غربه لأسبانيا ثم حدثت التعديلات لصالح البرتغال ... وعلى هذا عندما ذهب أمريجو فسبوتشى ليستطلع منطقة نفوذ البرتغال رسى على شاطئ البرازيل وهناك أيقن أن ما كشف عن طريق الغرب ليس فى آسيا ، وإنما هو عالم جديد وكتب تقريراً عن رحلته يتضمن تلك الحقيقة ، وقد سمى العالم الجديد بأمريكا نسبة إلى اسمه.

الهنود الحمر ... الوطن لا يسقط بالتقادم

عندما وصل " كريستوفر كولومبس " إلى العالم الجديد عام ١٤٩٢ كان عدد الهنود الحمر يصل إلى حوالى ٧٥ مليون نسمة ... جاءوا إلى الأمريكتين عبر مضيق بيرنج بشمال شرق سيبيريا منذ ١٠ آلاف سنة قبل انحسار العصر الجليدى الأخير ، وكان المضيق وقتها يربط شمال غرب أمريكا الشمالية بشمال شرق آسيا ... واستطاع السكان الأوائل تسخير الطبيعة ، وتأقلموا مع المناخ والأرض ، وخلال آلاف السنين أقاموا ثقافتهم وحضارتهم بشمال شرق القارة ، وظهرت بأمريكا الشمالية حضارة النحاس ، كما عاشوا حول البحيرات الكبرى بكندا والولايات المتحدة ، ومن بين مئات القبائل كان لكل قبيلة نظامها العشائرى والسياسى ونموذج الملابس والاطعمة واللغة والفنون ونماذج موسيقية ومعتقداتها الفلسفية والدينية الخاصة ، وكانت لهم سمات ثقافية تشبه ما هو موجود فى مجتمعات أخرى بالعالم القديم من بينها الارتباط بالأرض التى يعيشون فيها ، وكانت أعيادهم مرتبطة بمواسم الحصاد والزراعة ، وكان للقبائل الهندية أعرافها وتقاليدها ، منها إجارة من يستجير بالقبيلة حتى لو كان من أعدائها ، وعدم قتل الأطفال والنساء أثناء القتال ، وظهرت بأمريكا الشمالية حضارة نسجت القطن وصنعت تماثيل المرمر .

ومنذ وصول كولومبس بدأت أكبر حرب إبادة فى التاريخ ، فبرغم أنه وصف سكان الإنديز الغربية " الاراواكس " بأنهم قوم خجولين بسطاء أحرار كرماء ، فإنه فى رحلته الثانية إلى الامريكتين أطلق العنان لفترة من الارهاب لم ير العالم مثلها ، وعندما انتهى من عمله كان ثمانية ملايين من الاراواكس ويمثلون تقريباً مجموع السكان قد أبيدوا عن آخرهم بالتعذيب والقتل والسخرة والموت جوعاً ومرضاً ويأساً ...

ومن البداية اعتبر الأسبان الهنود الحمر نوعاً من الغنائم ، وعندما كان اجهادهم بالعمل حتى الموت أكثر اقتصادية من معاملتهم بشكل إنسانى فقد كانوا بالفعل يجهدونهم حتى الموت ، أما الإنجليز فلم يجدوا أى جدوى من الهنود الحمر – الذين لا تستطيع الكنيسة التعامل معهم – إلا الموت أو الاستعباد .

وكانت " هايتى " قاعدة لاصطياد الهنود الحمر الذين ملئت بهم السفن عائدة إلى أسبانيا ، حيث كانوا يعرضون للبيع فى مزادات ، وخلال عامين مات حوالى نصف الهنود الحمر فى هايتى إما عن طريق القتل أو الانتحار ، وبطول عام ١٦٥٠م لم يعد على الجزيرة أحد من الهنود الحمر على الإطلاق بعد أن كان عددهم ربع مليون نسمة .

وفى عام ١٦٠٦ أعطى الملك " جاكوب الأول " شركتين إنجليزيتين حق استعمار أمريكا الشمالية بين خطى العرض ٣٤ و ٤٥ ، وأسست الشركتان مستعمرة " جيمس تاون " وأسموا المنطقة المحيطة " فيرجينيا " والتى وصفها قائد المستعمرة الإنجليزى قائلاً " لم يسبق أن اتحدت الأرض والسماء بهذا الانسجام المتكامل لتمنح سكناً رائعاً للبشر " المشكلة أن المكان كان وطن جماعة من الهنود الحمر هم هنود " البوهاتان" .

وبعد حوالى سنتين أصابت المستعمرة مجاعة فى شتاء ١٦٠٩ –

١٦١٠ ولم يبق من المستعمرين الـ ٦٠٠ غير ٥٠ شخصاً ، أما الباقى فمات أكثرهم ولجأ آخرون إلى البوهاتان من أجل الطعام وحين طلب المستعمرون من رئيس القبيلة طرد اللاجئين إليه منهم ، رفض بإباء فقتل المستعمرون ١٥ هندياً وأشعلوا الأكواخ ودمروا الحقول ثم أمسكوا زوجة الزعيم وطفليها وساروا بهم فى قارب تجديف ثم ألقوا بالطفلين فى الماء وأطلقوا النار عليهما أمام عين أمهما التى قتلوها بعد ذلك بالسكين .

ورغم ذلك كله لم يتورط البوهاتان فى الحرب إلا بعد عقد من السنين حيث هاجموا المستوطنين وقتلوا المئات منهم عام ١٦٢٢م.

وفى عام ١٦٤١م عرض الحاكم الهولندى فى مانهاتن لأول مرة "جائزة فروة الرأس" حيث تقدم الحكومة مبلغاً من المال لكل من يجلب لها فروة رأس رجل هندى ونصف المبلغ لفروات رؤوس النساء والأطفال ، وقام الهولنديون بإبادة جميع سكان نيوانجلند الأصليين ، وعقب مذبحة مروعة فى ستانفورد أعلنت كنائس مانهاتن يوم " عيد الشكر " إنتصاراً على الهنود الحمر أو ما أسموهم ... المتوحشين !!.

ومع مطلع القرن السابع عشر كان عدد الهنود الحمر فى عموم القارتين الأمريكتين أقل من ثمانى ملايين ، وفى عام ١٧٠٣ أصدرت الجمعية التشريعية (البرلمان) الأمريكى تشريعاً يبيح الإبادة الجماعية لمن تبقى من الهنود الحمر فأصدرت قراراً بتقديم مكافأة مقدارها ٤٠ جنيهاً مقابل كل فروة مسلوخة من رأس هندى أحمر ، و٤٠ جنيهاً مقابل أسر كل واحد منهم ، وبعد خمسة عشر عاماً ارتفعت المكافأة إلى ١٠٠ جنيه و ٥٠ جنيه مقابل فروة رأس إمرأة أوفروة رأس طفل.

وفى عام ١٧٦٣ أمر القائد الأمريكى (البريطانى الأصل) " جفرى

آهرست" بتوزيع بطانيات كانت تستخدم فى مصحات علاج الجدرى على الهنود الحمر بهدف نشر المرض بينهم مما أدى إلى انتشار الوباء الذى نتج عنه موت الملايين من الهنود ، ونتج عن ذلك شبه إفناء للسكان الاصليين فى القارة الأمريكية ، إنها حرب جرثومية بكل ما فى الكلمة من معنى ، وكان أخطر ما فيها أنه لم يكن لهذا المرض أى وجود فى القارتين الأمريكتين بما يعنى أن المرض لم يكن مستوطناً هناك ، ويعنى هذا أيضاً أن السكان الأصليين ليس لديهم مناعة ضد هذا الوباء الجرثومى .

وكان المؤرخ الأسبانى " لاس كاساس " الذى فضح جرائم الأسبان فى أمريكا الجنوبية بكتابه الشهير " تدمير الهنود الحمر " قد أثار القضية أمام المحاكم الأسبانية ... فلجأت الحكومة هناك إلى تهدئة الرأى العام الثائر بإصدار قانون يمنع استعباد الهنود بشكل شخصى ، لكن النصوص – كما يقول لاس كاساس – لم تعرف سبيلها إلى التطبيق الواقعى أبداً فى الأمريكتين ، وانتشر فى كل أمريكا الجنوبية كذلك نظام بمقتضاه يسيطر المالك الأبيض لقطعة أرض علىكل الهنود الذين يعملون فيها .

وفى عام ١٨٥٠م أصدر برلمان ولاية كاليفورنيا فى أول جلسة تشريعية له قانوناً جعل خطف الهنود الحمر واستعبادهم عملاً قانونياً ، وبموجب تعديلات أضيفت عام ١٨٦٠م تم اجبار عشرة ملايين هندى أحمر على القيام بأعمال "السخرة" حتى الموت ، ولم تمض سنوات على هذا التشريع حتى ضاق حاكم الولاية " بيتر بيزنت " بالسخرة فوجه رسالة إلى المجلس التشريعى قال فيها "إن الرجل الأبيض الذى يعتبر الوقت من ذهب ، والذى يعمل طوال النهار ، لا يستطيع أن يسهر طوال الليل لحراسة أملاكه ، وليس أمامه خيار آخر سوى شن حرب إبادة !!! .

وهكذا لم تنته إبادة الهنود الحمر حتى مع إعلان قيام دولة الولايات

المتحدة عام ١٧٧٦ بل استمرت لأكثر من قرن بعد ذلك ، حيث استمرت جائزة فروة الرأس ، وكان ثمنها فى ذلك الوقت يزيد عما يكسبه الفلاح من العمل سنة كاملة فى حقوله ، ولم تلغ هذه القوانين إلا قبيل القرن العشرين حيث ألغيت آخرها فى تكساس عام ١٨٨١م ... ولكن التاريخ لم ينس أنه كان هناك ذات يوم تاريخ وشعب وحضارة ... ووطن.

فاسكو دا جاما ... الإبحار إلى الهند بأى ثمن!

يعد فاسكو دا جاما (١٤٦٩ – ١٥٢٤ م) من أشهر مستكشفى البرتغال فى عصر الاستكشاف الأوربى ، وهو أول من سافر من أوربا إلى الهند بحراً عن طريق رأس الرجاء الصالح ، حين كلفه ملك البرتغال مانويل الأول بإيجاد طريق بحرى يوصل إلى شرق آسيا ، ويفتح أسواقها التجارية للبرتغاليين .

فى ٨ يوليو ١٤٩٧ خرج أسطول من أربع سفن من لشبونة بقيادة فاسكو دا جاما وشقيقه باولو ، ومع دخول السنة الجديدة وصل الأسطول إلى ما يعرف اليوم بموزمبيق على الشاطئ الشرقى لافريقيا والتى كانت جزءاً من الشبكة التجارية فى المحيط الهندى ، ولخوفه من أن يتخذ السكان المحليون موقفاً عدائياً منهم لكونهم مسيحيين ، تصنع دا جاما الإسلام وتمكن من أن يقابل سلطان البلاد، ولكن السكان المحليين شكوا فيهم فهاجموهم غاضبين فاضطر دا جاما ورجاله أن يغادروا البلاد وأبحر مبتعداً قاصفاً المدينة بالمدافع انتقاماً منهم .

لجأت الحملة إلى القرصنة عندما كانت بالمقربة مما يعرف اليوم بكينيا، حيث قامت بنهب سفن التجارة العربية ، خاصة غير المسلحة ، وبوصولهم إلى هذه النقطة ، أصبح البرتغاليون أول من زار ميناء مومباسا من الأوربيين ولكنهم قوبلوا بالسخط وما لبثوا أن غادروها .

بعد ذلك تابع دا جاما رحلته شمالاً باتجاه ماليندى التى كان قادتها على خلاف مع قادة مومباسا وهنالك لاحظت الحملة وجود التجار الهندوس لأول مرة، وهناك تعاقدت الحملة مع الدليل العربى احمد بن ماجد والذى استطاع بخبرته التعامل مع الرياح الموسمية وأن يصل بالحملة إلى كاليكوت (ما يعرف اليوم بكوزيكود) فى جنوب غرب الهند.

وصلت الحملة إلى الهند فى ٢٠ مايو من عام ١٤٩٨ م تلى ذلك بعض المفاوضات مع الحاكم المحلى ساموثيرى راجا والتى كانت عنيفة فى بعض الأحيان نتيجة لمعارضة التجار العرب ، واستطاع دا جاما فى النهاية أن يحصل على وثيقة مريبة تعطيه حق التجارة فى البلاد ، ولكنه اضطر أن يترك جميع بضائعه كضمانة ، وترك دا جاما مع البضائع بعضاً من رجاله وأمرهم أن يبدأوا تجارتهم .

وعندما وصل دا جاما إلى البرتغال فى سبتمبر ١٤٩٩م كوفئ لإنجاحه خطة دامت ثمان سنوات من طور التحضير ، فقد قلد لقب ادميرال المحيط الهندى ، ومنح حقوقاً اقطاعية فى ساينز، وأعطى أيضاً لقب (كونت) من قبل مانويل الأول والذى عين له مرتباً مقداره ٣٠٠,٠٠٠ ريال سنوياً له ولذريته من بعده.

كان من نتائج رحلة دا جاما أن أدرك البرتغاليون أهمية الشاطئ الشرقى من أفريقيا لمصالحهم ، فقد كانت الموانئ فى هذه المنطقة توفر لهم الماء والزاد، بالإضافة إلى الخشب والمرافئ للقيام بعمليات إصلاح السفن ، كما أنها توفر لهم المأوى إلى حين انقضاء الفصول الصعبة من السنة ، وكان من نتائجها أيضاً أن أصبحت سلعة البهارات من العناصر الأساسية فى اقتصاد البرتغال .

وفى مطلع القرن السادس عشر ، كان بيدرو ألفاريس كابرال قد أرسل

إلى الهند حيث اكتشف أن التجار الذين تركهم دا جاما قد قتلوا ، وقوبل هو بمقاومة أشد دفعته لقصف كاليكوت ، جلب بيدرو معه الحرير والذهب إلى البرتغال ليثبت أنه كان فى الهند أيضاً ، بعد ذلك بعامين عاد دا جاما إلى الإبحار مرة ثانية فى ١٢ فبراير ١٥٠٢م ولكن فى أسطول من عشرين سفينة حربية لمحاولة تدعيم المصالح البرتغالية .

وفى طريقه انتظر دا جاما سفينة كانت عائدة بالحجاج من مكة وقام بسلب جميع بضائعها ، ثم قام بحشر جميع الركاب والبالغ عددهم ٣٨٠ فى سفينة واضرم بها النار ، استغرقت السفينة أربعة أيام لتغرق فى البحر مما أدى إلى مقتل جميع من فيها من رجال ونساء وأطفال .

قام دا جاما بعد ذلك بالاعتداء وجمع الاتاوة من ميناء كيلوا فى شرق أفريقيا وهو أحد الموانئ التى استعصت أمام مخططات البرتغاليين ، وكان وقتها أحد الولايات الإسلامية الغنية ، كما عمل دا جاما على خطف سفن التجارة العربية ، ثم حطم أسطول من كاليكوت تعداده تسع وعشرون سفينة محتلاً بذلك المدينة ، طلب دا جاما من حاكم المدينة أن يقصى جميع المسلمين من البلاد ، وفى محاولة منه لارهابهم قام دا جاما بشنق ٣٨ صياداً ، ثم قطع رؤوسهم وأيديهم وأرجلهم ، ثم رمى بالجثث والأشلاء لتطفوا بالقرب من الشاطئ ، عرضت المدينة على دا جاما تسهيلات تجارية كبيرة مقابل السلام والصلح ، وقام هو بعمليات نهب ضخمة الأمر الذى رفع من مكانته لدى حاكم البرتغال .

وعند عودته قلد دا جاما لقب كونت فاديغويرا واقطعت له الأراضى فيها وفى فيلا دوس فرادس وأعطى السلطة القضائية فيهما .

أرسل دا جاما مرة ثالثة إلى الهند فى عام ١٥٢٤م بعد أن اكتسب شهرة بكونه قادراً على حل المشاكل التى تعترض البرتغاليين هناك ، وكان الهدف من

إرساله هذه المرة هو استبدال إدوارد دى مينيزس الـذى لـم يتمتـع بالكفـاءة المطلوبة ، ليقوم على أملاك البرتغال هناك لكنه مات بعد وصوله إلى كاليكوت بفترة قصيرة .

الساموراى ... روح اليابان

فى حوالى القرن السادس عشر ظهرت فى اليابان طبقة من المحاربين الأشداء عرفت باسم " الساموراى " ومعناها " الرجل الذى ينتظر الأوامر" وشكلوا فيما بعد طبقة أشبه بطبقة النبلاء ، واستمر الساموراى حتى نهاية القرن التاسع عشر عندما أنهى الإمبراطور " ميجى " النظام الاقطاعى فى اليابان ، حيث حظرت الحكومة وجود الساموراى عام ١٨٧١ ، وحظرت عليهم إمتيازاتهم وحمل اسلحتهم ، ومنحتهم منحة خاصة مقابل ما كانوا يتقاضونه كمرتبات قبل الحظر كخطوة انتقالية إلى أن يندمجوا فى المجتمع الجديد ، وهو ما حدث بالفعل .

كان دور محاربى الساموراى هو حمل السلاح وخوض المعارك لصالح حكامهم العسكريين الذين عرفوا باسم " شوغون " وكانوا بذلك يشكلون طبقة خاصة مثل " الحرس الخاص " فى أيامنا هذه ، ولذلك لم يكن محارب الساموراى يعمل فى أى وظيفة أخرى غير الخدمة العسكرية ، ومع الوقت تشكلت لدى هذه الطبقة مفاهيم وقيم خاصة أثرت فى المجتمع اليابانى ، وما زالت آثارها موجودة حتى اليوم على الرغم من نهاية عهد الساموراى قبل أكثر من مائة عام .

إلا أن الذى جعل الساموراى طبقة فريدة فى المجتمع اليابانى وفى التاريخ الإنسانى على وجه العموم هو الالتزام الاخلاقى لأفراد هذه الطبقة أو ما يطلق عليه اسم " بوشيدو " وهى " طرائق الفارس المحارب " ... أنها وصايا النبل التى اتفق عليها الساموراى فهى قانون للمبادئ الأخلاقية التى يحكم حياتهم، وعلى الرغم من أنه قانون غير مكتوب ويتألف من بعض الشعارات التى كانت تتناقل شفاهة ، إلا أن تأثيره كان أكبر من كثير من الدساتير الموجودة فى العالم اليوم ... وتستمد مصدرها من مجموعة المعتقدات الدينية التى كانت سائدة فى اليابان والتى تقوم على التأمل والتفكير العميق والسمو بالروح إلى طبقات الكمال الإنسانى .

تعليم البوشيدو يتألف أساساً من المبارزة والرماية والجودو وركوب الخيل والمناورة والأخلاق والأدب والتاريخ .

من أهم مبادئ البوشيدو الاستقامة والعدل فقد كان لقب " جيشى " أعظم الألقاب التى يمكن أن يحصل عليه الساموراى وهو يعنى (رجل الاستقامة) ، حيث لم تقل مكانة الاستقامة والشرف عن البسالة فى الحرب بل إنهما لصيقان ، حيث لا يجرؤ الساموراى على الخيانة حتى لو كان ذلك على حساب حياته .

ولكن الاستقامة لا تعدو شيئاً دون التفكير السليم أو كما يسميه الساموراى " الجيرى " وهو الإطار الذى يحكم الاستقامة والعدل ، وعند الساموراى تعد الشجاعة والجسارة أحد أهم الأمور المكونة لمبادئ البوشيدو وهى كما يعرفها كونفوشيوس " فعل ما هو صواب " ، ويقول عنها أحد محاربى الساموراى " الشجاعة هى الموت عندما يكون الموت صواباً ، وهى الحياة عندما تكون الحياة صواباً " ، فالساموراى يعمل طوال حياته من أجل قضية معينة ومن دون ذلك لا تكون لحياته أو حتى موته قيمة ، حتى أنه يقدم على الانتحار " الهاراكيرى " للموت بشرف .

وعلى حين يظن الكثير بأن محارب السامورای شخص متوحش لا قلب له ، وهو ما كاد أن يكونه نتيجة التدريبات الشديدة التى يخضع لها منذ نعومة أظافره ، إلا أن تعاليم البوشيدو التى كان جوهرها الترفع بالنفس عن كل ما هو مشين وفهم روح الحياة ، أدت إلى خلق التوازن فى نفس محارب السامورای الذى يحمل بين جنبيه شجاعة وبأساً فى إطار رحيم يجعله يمعن القلب قبل العقل فى جميع أعماله .

لقد اشتهر السامورای بصدقه وإخلاصه حتى أن القسم كان يعد انتقاصاً من كرامته ، فوعده لا يخلف وكلمته تحمل فى طياتها شرفه الذى هو أغلى شئ عنده ، وفى تعاليم البوشيدو فإن الإخلاص هو غاية كل الأشياء ومبتداها ومن دونه يسود العدم ، أما بالنسبة للشرف فهو أهم شئ سواء كان حياً أو ميتاً وهو المعيار الذى تصنف على أساسه العائلات فى المجتمع .

لقد شكل السامورای ٥% فقط من المجتمع اليابانى إلا أن تعاليمهم تسمى " روح اليابان " حيث سرت هذه الروح فى كل يابانى ، فكما قال أحد الحكماء "لا حاجة إلا لحكيم واحد وسط مجموعة من الناس لتسود الحكمة ، فعدواها سريعة للغاية " .!

عبقرية دافنشى

إنه رجل استيقظ ذات ليلة مبكراً جداً ، حين كان الجميع يغطون فى نوم عميق ، أطال التحديق إلى أعماق عصره ، وقاد مرحلة طويلة من مراحل عصر النهضة ليسبق حاضره ويتخطى حدود الزمن ... كان عبقرى عمالقة عصر النهضة ، فقد أظهر نبوغاً منقطع النظير فى الرسم والنحت والهندسة المدنية والعسكرية والموسيقى وعلم التشريح والعمارة والمخترعات ... إنه ليوناردو دافنشى .

ولد دافنشى (١٤٥٢ – ١٥١٩م) فى قرية فنشى الإيطالية ، ثم انتقل مع عائلته إلى فلورنسا ، فدرس الأدب والرياضيات والموسيقى والتصوير واللغة اللاتينية ، وقد لاحظ والده سرعة تعلمه الفائقة فألحقه مساعداً للفنان الكبير "فيركيو" ، وهناك اكتسب الأسس النظرية الكافية لبلورة اهتمامه فى تآلف الفن والعلم وكيفية تهيئة العلم بالوسائل التقنية المتطورة ، واستفاد من فلسفة أفلاطون التى كان أكاديميو فلورنسا من أنصارها ، وقد شهدت سنوات دراسته ما بين ١٤٦٦ – ١٤٧٩م ظهور مجموعة كاملة من الرسامين البارزين مثل بياتر ديللا فرنشيسكا – بوتشيللى – مونتالى وغيرهم ، وقد أبدى دافنشى اهتماماً كبيراً بالعلوم الطبيعية فى فلورنسا بتأثير من كونها مركزاً كبيراً لصناعة النسيج

وساعدت تجاربه وملاحظاته الشخصية على بلورة اهتماماته العلمية ، وينبغي الإشارة إلى أنه قرأ كثيراً وتردد على مكتبات فلورنسا واستعار الكتب من أصدقائه فتعرف على مؤلفات أرسطو وبطليموس واسترابون وارخميدس وإقليدس وفيروفيوس وبليتوس ، وعلى علماء الشرق .

وحين بلغ الثلاثين من عمره كان قد دخل فى خدمة دوق ميلان فى وظيفة فنان ومهندس ، وقد ظل فى هذه الوظيفة حتى عام ١٤٩٩م ، حين طرد لويس الثانى عشر ملك فرنسا الدوق من ميلان ، فذهب ليوناردو إلى فلورنسا ، وفى خلال الفترة التى قضاها فى ميلان نصب التمثال الذى نحته " لفرنسسكو سفورزا " وهو يمتطى صهوة جواد ، كما أنه رسم بين عامى ١٤٩٤ – ١٤٩٨م تحفته الخالدة " العشاء الأخير " وقد دب العطب فيها على مر القرون ولكنها أعيدت اليوم إلى حالتها الأولى ، ولقد صارت الظلال منذ اكتشاف ليوناردو دافنشى عنصراً أساسياً كما أوضحها فى هذه اللوحة التى رسمها على جدران قاعة طعام الرهبان الدومنيك بدير القديسة ماريا ديل جراتسيا ، وتصور هذه اللوحة موضوع العشاء الربانى فى الوقت الذى قال فيه المسيح للحواريين "سوف يغدر بى أحدكم " ... وقد قام ليوناردو بعمل دراسات تحضيرية لمشروع هذه اللوحة تدل على اهتمامه بفن المنظور ، وفى دراستنا للأشخاص المرسومين فى اللوحة تلاحظ عبقرية ليوناردو فى استخدام الأسلوب المسرحى القصصى فى التعبير عن الموضوع حيث وضحت الانفعالات فى حركات الرؤوس وفى المشاعر المنعكسة على وجوه رفاق المسيح عندما فاجأهم بالخبر فصاروا ينظرون إلى بعض ويتساءلون بدهشة من هو الخائن ؟!

وفى خلال إقامته بفلورنسا رسم ليوناردو دافنشى لوحته الرائعة "الموناليزا" وتعرف أحياناً باسم " الجيوكندا " نسبة للكشف الذى أعلن عنه بعض المتخصصين أن اللوحة لامرأة من عائلة " جيوكوندو " واقترح البعض أن تكون

اللوحة لامرأة شهيرة فى المجتمع الإيطالى آنذاك مثل " إيـزابيلا ديسـتى " أو "سيليا جاليرانى " وذهب آخرون إلى أن تكون الصورة لإحدى فتيات الليـل أو لوالدة " دافنشى " ، وأشارت إحدى النظريات الغربية إلى أن اللوحة قد تكـون صورة ساخرة رسمها " دافنشى " لنفسه نظراً لتقارب ملامح المرأة فى اللوحـة وملامح "دافنشى" نفسه ...!؟

إن تعددية اهتمامات دافنشى العلمية والفنية ، جعلـت عبقريتـه الفـذة تتصف بالتكامل الإبداعى ، وأدت فى الوقت نفسه إلى توزع قدراته واهتماماته وتجلت فى تركه إرثاً فنياً ضخماً من الرسوم والتخطيطات والجداريات والنصب المنحوتة واللوحات التاريخية والدينية غير المنتهية ، فقد كان دافنشى يبدأ العمل فى عمل فنى ما ويتوقف عن إنجازه النهائى لانشغاله بأبحاثه العلمية أو النظرية أو اختباراته فى علم الميكانيكا والجيولوجيا وعلم النبـات والطيـر ... وكـان ليوناردو دافنشى هو الذى أبدع أول نظرية تقليدية عن نقل المياه فى النباتـات عندما قال إن القطاع العرضى للجذع لابـد أن يسـاوى مجمـوع القطاعـات العرضية للأفرع ، ويعرف عن دافنشى أيضاً أنه طرق باب العلوم الفيزيقيـة ، كما ابتدع العديد من الأعمال فى النحت وهندسة البناء ، وترك لنا مـا يقـرب أربعة آلاف رسم ، وقد اشتهرت أعماله الهندسية والفنية فى إيطاليا وفرنسـا ، وبالنسبة للموسيقى فقد اشتهر ليوناردو بعزفه على القيثارة ، أما فى مجال الرسم والتصوير بوجه خاص فهناك الحصيلة الكبـرى المتميـزة وتكـاد ابتكاراتـه وتطلعاته وأفكاره لا تعد ولا تحصى ، والروائع التى أنجزها جاءت دقيقة متقنة، والمؤثرات فيها ذات تفنن بليغ عميق فقد تجاوز بما كان يحمل من موضوعات وأساليب فى التركيب حدود التقليد وتخطى المدارس الإيطالية فى عصره إلى حد بعيد ، وقد وضع فى مذكراته وفى كتابه " كتـاب التصـوير " مجمـل آرائـه ونظرياته ، حول تأثير الطبيعة على فن التصوير وعلاقة الضوء والظل.

مايكل أنجلو

يعد سقف كنيسة سيستين فى روما أحد عجائب الفن العديدة ، حيث تبلغ مساحته الكاملة عشرة آلاف قدم مربعة كلها مغطاة باللوحات الزيتية المذهشة ، ويحتوى السقف على (٣٤٣ صورة) لوجوه بشرية أغلبها ثلاثة أو أربعة أمثال الحجم الطبيعى ، قام بعملها فنان كان يقول أنه مثالاً وليس برسام ، إنه الفنان العظيم " مايكل أنجلو " ... ومن الغريب أنه رفض فى البداية طلب البابا بأن يرسم سقف الكنيسة لأنه لم يكن يود قضاء وقته فى الرسم ، لكن البابا أصر ووافق مايكل فى النهاية ، واستغرق العمل أربع سنوات ونصف ، وكان فى أثناءها يضطر إما إلى الاستلقاء على ظهره على " سقالة " أو الجلوس مطرحاً رأسه إلى الخلف ، وفى الصيف كان الهواء قرب السقف شديد الحرارة وفى الشتاء كان قارس البرودة ، لكنه استمر فى عمله الساعة تلو الساعة ، وعندما طلب منه البابا سرعة إنجاز العمل ، نقل سريره إلى الكنيسة وأقام هناك ليتم واحداً من أعظم الأعمال فى التاريخ الفنى.

ولد مايكل أنجلو (١٤٧٥ م – ١٥٦٤ م) بالقرب من مدينة "كابريزى" فى إيطاليا وكان والده يفخر بانتمائه إلى واحدة من أعرق أسر فلورنسا ، وقد أرسل مايكل الصغير إلى المدرسة لكى ينجح فى دراسته ويرفع من شأن

الأسرة، إلا أن الصبى لم يظهر ميلاً إلا للنحت ، ولعلمه بأنه لن يفلح مثالاً ما لم يدرس الرسم فقد قصد وهو فى الثالثة عشرة من عمره مرسم الفنان "جيرلاتداجو" أشهر رسامى فلورنسا وتتلمذ عليه ، وكانت عادة طلبة الفنون فى تلك الأيام أن يبدأوا بنقل لوحات الفنانين المرموقين ، فأرسل مايكل أنجلو مع زملائه لنقل اللوحات المرسومة فى إحدى الكنائس ، وهناك سخر من عمل أحد زملائه فما كان من هذا الزميل وهو فى ثورة غضبه إلا أنه هشم أنف مايكل أنجلو ليبقى معوجاً طول حياته .

وفى فلورنسا حالف الحظ السعيد مايكل أنجلو ، إذ كان حاكمها لورنزو العظيم من محبى الفنون ، وقد سمح لاثنين من طلبة الفنون الموهوبين بارتياد حدائقه ، وكان مايكل أنجلو أحدهما فاستطاع أن يدرس عن كثب كل التحف الفنية المنحوتة فى الحدائق فضلاً عن إقامته فى القصر لمدة سنتين .

أخطأ مايكل أنجلو عندما قال أنه ليس رساماً ولكنه كان على صواب عندما قال أنه مثال ، فلم ير التاريخ من هو أعظم منه ، كان مقاولاً ومهندساً فى الوقت نفسه ، وفى وقت ما كان المهندس الأول فى مدينة فلورنسا .

ومن أشهر أعماله فى النحت تمثال " داود " ... ولهذا التمثال قصة ... فقد بقيت كتله ضخمة من الرخام قائمة فى مدينة فلورنسا لمدة قرن ، ولم يعرها أحد الفنانين أى اهتمام ، إلى أن تصورها مايكل أنجلو فى هيئة عملاق ضخم يملأ الكتلة كلها ، ومنها نحت تمثاله الشهير ، ولكى يثبت أنه استعملها بأكملها ترك قطعة صغيرة من الحجر الخام فوق رأس التمثال.

الرحلة التى أثبتت أن الأرض ... كروية

فى عام ١٥١٩ م ... أبحر فرديناند ماجلان من أسبانيا على رأس قافلة بحرية مكونة من خمس سفن ، وكان يدفعه الأمل فى أن يصل إلى جزر الهند الشرقية عن طريق الإبحار غرباً.

وصادفت الرحلة الصعوبات منذ بدايتها ، فقد ظلت الأمطار تهطل دون انقطاع طوال ستين يوماً ، واضطرت السفن إلى أن تبحر جنوباً بمحاذاة ساحل إفريقيا الشمالى الغربى ، ثم عبر المحيط الأطلسى ، وعندما وصلت القافلة إلى ساحل أمريكا الجنوبية دارت معه جنوباً ، وفى هذا الجزء من الرحلة فقد ماجلان إحدى سفنه الخمس.

وأخيراً وصلت السفن إلى شريط ضيق من الماء يمر بين جبال مرتفعة وكان هذا الشريط هو ما نسميه الآن بمضيق ماجلان ، وكانت مياه المضيق مضطربة فى ذلك الوقت نتيجة لهبوب عواصف هوجاء ، واضطرت إحدى السفن تحت وطأة العواصف إلى أن تعود دون أن تعبر المضيق بينما واصلت السفن الثلاث الباقية عبور المضيق حتى خرجت إلى المحيط الهادى .

وكانت سفن ماجلان – بالطبع – سفناً شراعية لابد من الرياح لتسييرها، ومع ذلك فقد مرت بالسفن وهى فى المحيط الهادى أربعة أيام كاملة كانت ساكنة

فيها سكوناً تاماً حتى أوشكت المؤونة ومياه الشرب أن تنفذ لـولا أن وصـلت السفن فى آخر الأمر إلى جزر الفلبين وهناك قتل ماجلان فى عراك نشب مـع أهالى الجزر ، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت سفينتان من مواصلة الرحلة مع أن إحداهما تعطلت فيما بعد وأصبحت لا تصلح للملاحة .

واستطاعت السفينة الخامسة والأخيرة (فيكتوريا) أن تحمل معها شحنة من التوابل حتى جزر الهند الشرقية ، ثم أبحرت عائدة إلى أسبانيا التى وصلت إلى موانيها بعد نحو ثلاثة أعوام ... وعندما ألقت فيكتوريا مراسيها لـم يكـن عليها سوى (ثمانية عشر رجلاً) هم كل من بقى على قيد الحياة من(٢٨٠) رجلاً بدأوا الرحلة ، وبذلك كانت فيكتوريا أول سفينة دارت حـول العـالم ... وقـد برهنت رحلة ماجلان وأتباعه بصورة عملية على أن الأرض كروية ، وأكـدت أن حجم الكرة الأرضية أكبر بكثير مما تصور الناس ، كما لفتت أنظار الأسبان إلى قارة واسعة بإمكانهم استعمارها وهى قارة أمريكا الجنوبية.

ومما يذكر عن ماجلان أنه كان برتغالياً ، والعجيب أنه نشأ فى الإقلـيم الوحيد بالبرتغال الذى لا يطل على البحر ، وعندما كان صبياً عمل حاجباً فـى المحكمة الملكية فى لشبونه ، وهناك سمع روايات غريبة عن أحداث مثيرة تقع فى أجزاء أخرى من العالم ، كما علم أن فاسكو دى جاما قد أبحر حول إفريقيا فى طريقه إلى الهند ، وأن كولمبس اكتشف أمريكا ، وعندئذ فكر ماجلان محدثاً نفسه ... لماذا لا يكون هو الآخر أحد هؤلاء المكتشفين ؟

ولما أصبح فى سن الشباب أبحر إلى جزر الهند الشرقية عـن طريـق الشرق ، وعندما عاد إلى البرتغال كانت الأفكار قد ملأت عليه رأسه لكى يصل إلى جزر الهند الشرقية عن طريق الإبحار غرباً ، ولكن العمر لم يمهله ليتأكـد بنفسه أن هذا من الممكن فعلاً.

وليم شكسبير

وليم شكسبير (١٥٦٤ – ١٦١٦ م) كاتب مسرحى وشاعر إنجليـزى من أعظم الكتاب العالميين ، ليس لمكانته المسرحية فى عصره أو غزارة إنتاجه المسرحى والشعرى فحسب ، بل لاستمرار شهرته عبر قرون ، ولاهتمام النقاد والمخرجين المسرحيين والسينمائيين من كل المذاهب الأدبية والفنية بإنتاجه عبر العصور ، فقد عرضت مسرحياته ، ولا تزال تعرض فى كل أرجاء العـالم ، وترجمت إلى أكثر من سبعين لغة .

ولد شكسبير فى مدينة ستراتفورد وكان والده صانع قفـازات وتـاجراً صغيراً ومالك عقارات ، تلقى تعليمه فى المدرسة الثانوية فى مسقط رأسه لكنه لم يتلق تعليماً جامعياً ، تزوج آن هاثاوى وهو فى الثامنة عشرة ، وكانت تكبره بثمانية أعوام ، ورزق منها بثلاثة أطفال .

بدأ إنتاجه الشعرى والمسرحى يتوالى فنشر عام ١٥٩٣ قصيدة " فينوس وأدونيس " ، وبعد عام نشر قصيدة " اغتصاب لوكريس " ، وتبلورت شـهرته شاعراً غنائياً مع نشر " السونيتات " عام ١٦٠٩ التى بلغ عددها ١٥٤ ، وكان قد كتبها بين عامى ١٥٩٣ – ١٥٩٨ وتداولها القراء فى مخطوطات لسـنوات

قبل نشرها ، إلا أن شهرته العالمية ترتكز على نصوصه المسرحية الثمانية والثلاثين .

عمل شكسبير مع " فرقة اللورد حاجب الملك " ممثلاً وشريكاً وكاتباً ، وفى عام ١٥٩٩م بنت الفرقة مسرحها الخاص ، وبقى مع الفرقة طوال حياته المهنية ، كما شكلت مسرحياته الجزء الأكبر من مخزونها المسرحى ، فتحولت إلى أهم فرقة مسرحية آنذاك .

وعندما تبوأ الملك جيمس الأول عرش إنجلترا عام ١٦٠٣م أصبح اسم الفرقة " رجال الملك " واستقرت فى مسرح " بلاك فرايرز " منذ شتاء عام ١٦٠٨م ولعل شكسبير هو الكاتب الوحيد فى عصره الذى بقى يعمل طوال حياته مع فرقة مسرحية واحدة.

يمكن تقسيم نتاج شكسبير المسرحى إلى ثلاثة أنواع رئيسية هى المأساة والملهاة والمسرحيات التاريخية ، كما كتب عدداً من المسرحيات التى يصعب إدراجها ضمن هذه التصنيفات المألوفة ، ومن الممكن تقسيم إنتاجه إلى أربع مراحل ، مع أن تاريخ كتابته للمسرحيات غير معروف بصورة مؤكدة ، تمتد المرحلة الأولى من بداياته وحتى عام ١٥٩٤ ، والثانية من ١٥٩٤ – ١٦٠٠ ، والثالثة من ١٦٠٠ – ١٦٠٨ ، والأخيرة من ١٦٠٨ – ١٦١٢ ، وهذه التقسيمات تقريبية وضعها مؤرخو ونقاد المسرح لمتابعة حياته الأدبية ضمن إطار واضح ، تقع المرحلتان الأولى والثانية ضمن مرحلة المسرح الاليزابيثى نسبة إلى الملكة اليزابيث الأولى ، أما المرحلتان الثالثة والرابعة فتقعان ضمن مرحلة المسرح اليعقوبى نسبة إلى الملك جيمس (يعقوب) الأول الذى تولى العرش فى ١٦٠٣ وتوفى فى ١٦٢٥.

فى المرحلة الأولى كان شكسبير كاتباً مبتدئاً بالمقارنة مع معاصريه ولم

تتسم أعماله فى هذه المرحلة بالنضج الأدبى والفنى ، بل جاءت بنية نصوصه سطحيه وغير متقنة ، وتركيباته الشعرية متكلفة وخطابية ، وانتشرت فى هذه الفترة المسرحيات التاريخية نتيجة الاهتمام الكبير بتاريخ إنجلترا ، خاصة بعد هزيمة أسطول الأرمادا الاسبانى علم ١٥٨٨ ولرغبة الجمهور بتمجيد البطولات والتعلم من عبر التاريخ . كتب شكسبير فى هذه المرحلة مسرحيات عدة تصور الحقبة ما بين ١٢٠٠ و ١٥٥٠ من تاريخ إنجلترا ، وتحديداً الحرب الأهلية التى دارت رحاها بين عائلتى لانكستر ويورك ، مثل ثلاثيته " الملك هنرى السادس " و " الملك ريتشارد الثالث " التى صور فيها النتائج السلبية لحكم ملك ضعيف ، وتغطى هذه المسرحيات الأربع المرحلة الممتدة منذ حكم هنرى السادس وحتى هنرى السابع وبدء حكم سلالة تيودور التى تنتمى الملكة اليزابيث إليها.

كما كتب أيضاً عدداً من النصوص مثل " كوميديا الأخطاء " و " ترويض الشرسة " و " وسيدان من فيرونا " و " خاب سعى العشاق " .

وفى المرحلة الثانية كتب شكسبير أهم مسرحياته التاريخية فى هذه المرحلة ، مثل " الملك ريتشارد الثانى " و " الملك جون " و " الملك هنرى الرابع " فى جزئين و " الملك هنرى الخامس " ، كما كتب نصوصه الكوميدية الأكثر مرحاً وتميزاً ، مثل ملهاة " حلم ليلة منتصف الصيف " و " الليلة الثانية عشرة " و "جعجعة بلا طحن" و " على هواك " إضافة إلى " روميو وجولييت " و" يوليوس قيصر " و " تاجر البندقية " و " زوجات وندسور المرحات " ، ويظهر فى هذه المرحلة تطور ملحوظ فى أسلوبه الذى صار يميل إلى الخصوصية والتميز .

وتميزت المرحلة الثالثة بأفضل ما كتب شكسبير ، ولذا سماها بعض النقاد مرحلة النضج الأدبى ، إذ كتب أعظم نصوصه التراجيدية وتلك التى تقترب من الكوميديا السوداء ، وتظهر مأسى هذه المرحلة عمق الرؤية عند

شكسبير وبراعة الحبكة الدرامية ، فقد وظف فى هذه المسرحيات أدواته الشعرية بما يناسب النص والعرض المسرحيين فوصل إلى حد الإتقان فى الدمج بين العواطف البشرية والفكر الإنسانى مع الشعر والمواقف المؤثرة .

كتب شكسبير فى هذه المرحلة مأساة " هاملت " التى تعد أشهر مسرحياته عالمياً ، وصور فيها الوضع الإنسانى من عظمة وجبروت وضعف فى ذات الوقت ، أما فى مأساة " عطيل " فقد قدم شكسبير تحليلاً عميقاً لآلية الإيقاع بقائد عظيم اسود البشرة ضحية الغيرة على زوجته البيضاء المخلصة ديدمونة من خلال مخطط خبيث يستغل اختلاف موضوع الحب والغيرة والشرف فى الثقافة الشرقية عنه فى الثقافة الغربية .

يعتبر بعض النقاد أن " الملك لير " مسرحية شكسبير الأهم لكونها تتميز بأبعاد ملحمية لقصة صراع عائلى بين الأباء والأبناء . أما فى مسرحية "أنطونيو وكليوباترا " فيتناول شكسبير موضوع الحب المحرم سياسياً وأخلاقياً بين القائد الرومانى وملكة البطالمة كليوباترا والذى سبب الدمار له ولاسمه فى روما ، وفى مسرحية " ماكبث " يقدم شكسبير تحليلاً لرجل يستسلم لطموحه الجامح لضعف فى شخصيته فيفقد إنسانيته ويصبح قادراً على أى جريمة .

وفى المرحلة الرابعة كتب شكسبير أهم نصوصه الرومانسية ، وبدا فى أواخر حياته وكأنه يقدم رؤى جديدة متفائلة باستخدامه أدوات ومفاهيم عدة من الفن والعاطفة وعالم الجن والسحر والخيال ، إضافة إلى استخدامه الشعر الغنائى أكثر من أى وقت مضى ، كما فى مسرحية " بريكلس " و "سيمبلين" و"حكاية الشتاء " ، ولعل " العاصفة " أفضل ما ما كتب شكسبير فى هذه المرحلة وقدم من خلالها مفهومه للحياة الذى يجمع بين القوة والحكمة وتضمنت بعض أفضل شعره .

شعوب الثلج

ظل الإسكيمو مجهولين فى العالم ... حتى كان أحد أيام القرن السادس عشر حيث كان ملاح إنجليزى يدعى " مارتن فروبيشر " يبحث عن طريق قطبى إلى الصين ، فنزل فى جزيرة جرينلاند ، ثم خرج أفراد طاقمه لصيد ما ظنوه فى بداية الأمر نوعاً غريباً من عجول البحر ، وكانت المفاجأة أن ما رأوه ما كان إلا الإسكيمو ... الأمر الذى أدى إلى الحديث عنهم فترة من الوقت ثم عادوا بعد ذلك إلى النسيان حتى القرن ١٨ عندما بدأت الأبحاث المتصلة بهم وبطرق معيشتهم .

تشمل بلاد الإسكيمو الطرف الشمالى الشرقى لسيبريا ، وجزر بحر بيرنج ، وجزءاً رئيسياً من المناطق الساحلية من ألاسكا ، كما تشمل أيضاً الساحل الشمالى لكندا وكثيراً من الجزر الشمالية الكندية ، ومعظم الساحل الغربى وجزءاً من الساحل الشرقى لجرينلاند .

أخذ لقب الإسكيمو من كلمة هندية أمريكية تعنى آكلى اللحم النىء أو الناطقين بلغة غريبة ، ويطلق الإسكيمو على أنفسهم عدة أسماء مثل إنويت فى كندا ، واينوبيات ويوبيك فى ألاسكا ، ويووبت فى كل من سيبريا وجزيرة سانت لورنس ، وهم يفضلون أياً منها على كلمة إسكيمو التى يعتبرونها مهينة ، إلا أنهم على أية حال ، اشتهروا بالإسكيمو .

وقد نشأ أسلاف الإسكيمو فى شمال شرق آسيا ، ويرى معظم العلماء أن الإسكيمو جاءوا إلى ما يعرف اليوم بألاسكا عبر ممر أرضى كان يربط بين آسيا والمنطقة الشمالية من أمريكا منذ ما يقرب من ١٠,٠٠٠ عام تقريباً ، ثم اتجه الإسكيمو من ألاسكا ناحية الشرق ، حيث توجد المنطقة القطبية لقارة أمريكا الشمالية .

ويرى الخبراء أن الإسكيمو انتشروا من ألاسكا إلى ما يعرف اليوم بجرينلاند فى حركتين كبيرتين ، بدأت الأولى منذ ما يقرب من ٥,٠٠٠ سنة ، ومن الجائز أن تكون الثانية قد بدأت منذ أقل من ١,٢٠٠ سنة تقريباً .

ولا يعرف العلماء بدقة المدة التى استغرقتها كل من الحركتين ، ولكن فى الوقت الذى بدأت فيه الحركة الثانية ، كانت سلالة الإسكيمو التى قامت بحركة الهجرة الأولى قد انقرضت ، ويعد هؤلاء الذين قاموا بالهجرة الثانية أسلاف الإسكيمو الذين يعيشون اليوم فى كل من جرينلاند وكندا وشمال شرق ألاسكا .

اتبع الإسكيمو عبر آلاف السنين أسلوباً تقليدياً فى الحياة منسجماً مع بيئتهم ، فمن المعروف أن الغالبية العظمى من الإسكيمو تعيش بالقرب من البحر، وقد وفر لهم ذلك أغلب طعامهم حيث اصطاد الإسكيمو الفقمات ، وفيلة البحر ، والدببة القطبية ، والحيتان ، وكذلك الأسماك ، كما اصطادوا أيضاً نوعاً من الوعول يسمى الكاريبو ، وقد استخدم الإسكيمو جلود هذه الحيوانات فى صنع الملابس ، وفى فصل الصيف اعتاد الإسكيمو العيش فى خيام مصنوعة من جلد الحيوان ، كما كانوا يبحرون فى المياه القطبية فى قوارب مصنوعة منه . أما فى فصل الشتاء فكانوا يعيشون فى بيوت من الجليد ، وينتقلون على الأرض المغطاة بالثلوج بواسطة الزلاجات التى تجرها الكلاب ، وكانت رحلات الإسكيمو الكبيرة كلها بحثاً عن الطعام ، وقد كيف الإسكيمو حياتهم لتتلاءم مع

فصول السنة وقرنوا أنفسهم بالتغيرات الموسمية تماماً كما تفعل الحيوانات .

وبدأت حياة الإسكيمو فى التغير فى بداية القرن التاسع عشر الميلادى بعد توافد أعداد كبيرة من صائدى الحيتان وتجار الفراء إلى أقصى الشمال ، حيث إنضم الإسكيمو إليهم فى مهنة الصيد إلى أن تدهورت الصناعة التى قامت على صيد هذه الحيتان ، وحينئذ تحول الإسكيمو إلى صيد الحيوانات ذات الفراء وباع التجار للإسكيمو البنادق وبضائع أخرى مفيدة فى مقابل الفراء وما كانوا يؤدونه لهم من خدمات ، ولوشكت أنواع كثيرة من هذه الحيوانات على الانقراض كلية رغم حاجة الإسكيمو الشديدة إليها ، ويرجع هذا إلى الصيد الجائر للحيوانات والحيتان ، وباستعمال هذه الوسائل الحديثة تغيرت طريقة الحياة التقليدية للإسكيمو ، ولكن الأوربيين جلبوا معهم أيضاً أمراضاً لم يستطع الإسكيمو مقاومتها فتوفى منهم أعداد كبيرة.

ويبلغ عدد الإسكيمو ما يقرب من ١٢٠,٠٠٠ شخص يعيشون فى كل من روسيا وألاسكا وكندا وجرينلاند ، ويعيش معظمهم فى مدن أو مستعمرات صغيرة ، ويلبسون ملابس حديثة ويقطنون منازل حديثة أيضاً ، ويأكلون أطعمة مما يباع فى الأسواق ، ويعمل الكثير منهم فى أعمال نظير أجر ، ولكن الغالبية العظمى من الإسكيمو فى ألاسكا وكندا بخاصة لا يستطيعون العثور على وظائف ويحتاجون إلى مساعدة من الحكومة ليتمكنوا من العيش .

وعلى النقيض من جماعات الهنود الأمريكيين ، لم يكن لدى الإسكيمو قبائل أو زعماء ، ولكنهم شكلوا فى بعض المناطق المختلفة جماعات ثقافية منفصلة ، وتحكم الإسكيمو فى كل جماعة ثقافية تقاليد خاصة وهم يتبعون اسلوباً فى الحياة يختلف اختلافاً طفيفاً عن أى جماعة أخرى ، ويعيش معظم الإسكيمو حياتهم كلها فى محيط جماعتهم الثقافية الخاصة.

طومان باى
فارس المائة يوم

تبدأ حكاية طومان باى الذى حكم مصر لمدة مائة يوم ، بعد مقتل عمه السلطان الغورى فى موقعة (مرج دابق) أمام العثمانيين والتى اختفت فيها جثته ولم يعثر لها على أثر ! ... ولولا خيانة أمراء المماليك لسلطانهم وقائدهم الغورى ، لاستطاع أن يهزم العثمانيين الزاحفين إلى مصر ، وأن يصدهم عن التقدم نحوها ... لكن الموقعة انتهت بهزيمة الغورى ، وأخذت فلول جيشه تعود إلى مصر ، وأخذ جيش الغزاة العثمانيين يواصل زحفه إلى مصر بقيادة السلطان سليم الأول ، وساور الناس فى مصر القلق ، وأصبحوا فى حيرة من المستقبل ، وأثار بعض المماليك فتنة ... وتم نهب خان الخليلى ، وقتل من فيه من التجار الأروام بحجة انتمائهم إلى العثمانيين ، وكان الغورى قد عين ابن أخيه (طومان باى) نائباً له قبل خروجه لقتال العثمانيين ، وبعد قتله ، أجمع أمراء القاهرة على اختيار الأمير طومان باى سلطاناً للبلاد ... لكنه امتنع لحرج الموقف وقلة المال وضعف وسائل الدفاع وتفرق قلوب الأمراء والجند ، ثم عاد ووافق بعد إلحاح ، وبعد أن اقسم أمراء المماليك أمامه على المصحف على عدم خيانة سلطانهم الجديد .

وأخذ يعد العدة لمواجهة الغزاة ... ولم يعتمد طومان باى على المماليك

وحدهم ، وإنما حرص على أن يشترك أبناء القاهرة فى الدفاع عن وطنهم ، وكان معسكر تجمع القوات المصرية عند منطقة (الريدانية) وهى حى العباسية الآن .

وكان من رأى طومان باى أن يخرج بقواته لقتال العدو قبل أن يصل إلى القاهرة ، ولكن الأمراء لم يطيعوا وفضلوا الانتظار حتى يقتحم عليهم العدو ديارهم ، ويشير ابن إياس أن طومان باى كان يرتدى رداء الحرب ويحمل الحجارة مع البنائين والتراب مع العمال أثناء حفر الخنادق ، ويصف ما جرى يوم معركة الريدانية فيقول : (وصلت طلائع عسكر ابن عثمان عند بركة الحاج بضواحى القاهرة ، فاضطربت أحوال العسكر المصرية ، وأغلق باب الفتوح وباب النصر وباب الشعرية وباب البحر ... وأغلقت الأسواق ، وزعق النفير ، وصار السلطان طومان باى راكباً بنفسه وهو يرتب الأمراء على قدر منازلهم ، ونادى للعسكر بالخروج للقتال ، وأقبل جند ابن عثمان كالجراد المنتشر ، فتلاقى الجيشان فى أوائل الريدانية ، فكان بين الفريقين معركة مهولة وقتل من العثمانية ما لا يحصى عددهم ثم دبت الحياة فى العثمانية فقتلوا من عسكر مصر ما لا يحصى عددهم وكان ذلك بإرشاد بعض الأمراء الخونة .

لكن السلطان طومان باى ثبت وهو يقاتل بنفسه فى نفر قليل من الرماة والمماليك السلحدارية ، ثم تكاثرت عليه العثمانية ورأى العسكر قد قل من حوله، فخاف أن يقبضوا عليه ، فطوى (السنجق) السلطانى – أى العلم – واختفى جهة طره) .

ودخل العثمانيون مدينة القاهرة فى اليوم الثانى للمعركة وخطب باسم السلطان سليم شاه على منابر المساجد ، إلا أن طومان باى لم يستسلم وراح ينظم الصفوف وانضمت إليه جموع حاشدة من فتيان القاهرة وشجعانها ، واستمرت المواجهات بين طومان باى والعثمانيين فترة طويلة شهدت فيها

شوارع القاهرة وأحيائها القديمة معارك وهجمات المقاومة الشعبية ضد العثمانيين ، وفى واحدة من هجمات المقاومة الشعبية والتى جرت فى بولاق ، كاد أن يقتل سليم الأول بعد أن أحاط طومان ورجاله بمعسكره وأخذوا يرجمونه بالنيران والحجارة ، وفى مرحلة من مراحل المقاومة ضد الغزاة ، اتخذ طومان باى من جامع شيخون مركزاً للمقاومة الشعبية ، وهذا الجامع يقع فى شارع شيخون ، وكان يسمى قديماً شارع (الصليبة) وعرفت المنطقة من حوله بمنطقة الصليبة ، وقد دارت فى هذه المنطقة معارك عنيفة بين قوات المماليك والعثمانيين استبسل فيها طومان باى ثم هرب وانسحب بعد أن تأكد من أن ميزان القوة لم يعد فى صالحه .

وبعد هروبه أحرق العثمانيين جامع شيخون والبيوت من حوله ، وقتلوا أكثر من عشرة آلاف من العامة ، ورغم بشاعة هذا الانتقام إلا ان المقاومة لم تنته ، واستمر طومان يحشد الرجال لصد الغزاة ، إلى أن كانت المعركة الأخيرة التى وقعت عند منطقة وردان (إمبابة الآن) وأحرز فيها عسكر مصر انتصارات فى البداية ، إلا أن العثمانيين قد انتصروا فى النهاية لتفوقهم فى العدد والعتاد ، وكانت تلك هى المعركة الفاصلة التى انكسرت بعدها المقاومة ، وأخذ طومان باى يبحث عن مكان يلجأ إليه حتى لا يقع فى أيدى غريمه السلطان سليم الأول ، ولجأ إلى صديقه شيخ العربان (حسن بن مرعى) والذى كان قد أخرجه من السجن أيام السلطان الغورى ، ولكن شيخ العربان وشى به ... وأبلغ عنه السلطان سليم ! الذى أعجبته شجاعته وصلابته خاصة فى حواره الأخير معه ، وبعد أن احتجزه لمدة عشر أيام أمر بشنقه .

وفى ٢٢ أبريل ١٥١٧ خرج موكب السلطان الأسير طومان باى مقيداً إلى فرسه وهو يلقى التحية بثبات على أبناء شعبه ، وعند باب زويلة توقف ركب السلطان الأسير ، وكان فى حراسة ٤٠٠ جندى ، وتطلع طومان باى إلى

(قبو البوابة) فرأى حبلاً يتدلى ، فأدرك أن نهايته قد حانـــت ... فترجـــل ... وتقدم نحو الباب بخطى ثابتة ... ثم توقف وتلفت إلى الناس الذين احتشدوا من حول باب زويلة ... وتطلع إليهم طويلاً ... وطلب من الجميع أن يقـــرأوا لـــه الفاتحة ثلاث مرات ... وقرأها معه الناس وهم يبكونه حباً وتقـــديراً ، وحـــين مسح وجهه بكفيه ، نظر إلى جلاده وطلب منه أن ينفذ مهمته ، وقيل أن حبـــل المشنقة قد انقطع به مرتين ، ثم شنقوه مكشوف الرأس ، وكان عمره نحـــو ٤٤ عاماً ، وظل جسده معلقاً على باب زويلة عدة أيام ، وانتهت بذلك دولة المماليك بمصر وبلاد الشام والحجاز ، وصار طومان باى رمزاً للمقاومة والشجاعة حتى فى أحلك الأوقات .

ملك المعادن

فى المائة عام التى تلت اكتشاف كولمبس لأمريكا غزا الأسبان المكسيك كما غزوا جزءاً كبيراً آخر من أمريكا الجنوبية ، وكان أكثر اهتمامهم بالذهب الذى وجدوه فاستولوا على مخازنه الهائلة التى كان يحتفظ بها الحكام الهنود هناك ، ولكنهم لم يقنعوا وظلوا يطلبون المزيد ... ومع الذهب وجدوا كتلاً صغيرة من معدن رمادى ، ولكنهم لم يعبئوا بها ولم يحافظوا عليها ، إذ لم يفطنوا حينذاك إلى أن المعدن الموجود بتلك الكتل الصغيرة أندر من الذهب أو أنه سيصبح يوماً ما أغلى منه بكثير .

وظل ذلك المعدن الرمادى دون تسمية طوال مائتى عام تقريباً إلى أن جئ به إلى أوربا وسمى " بالبلاتين " وهى كلمة من أصل أسبانى معناها "الفضة الصغيرة" .

واليوم يسمى البلاتين " ملك المعادن " فهو سهل التشغيل ولا يصدأ ، ويتحمل أشد الحرارة ولا يتآكل بأى حمض ، وهو صلب جداً يمكن صنعه فى صورة أسلاك رفيعة بدرجة مدهشة .

وتصنع من البلاتين حلى كثيرة ، لكن الجانب الأكبر من البلاتين المستخرج من المناجم لا تصنع منه حلى ، وإنما يدخل فى صنع أجهزة الراديو

والتليفزيون والأشعة السينية وفيشات الشرارات فـــى الطـــائرات والمصـــابيح الشمسية وبواتق صهر الزجاج والصـــخور وآلات غـــزل النـــايلون والحريـــر الصناعى وخيوط الزجاج ، كما يستخدمه أطباء الأسنان فـــى تثبيـــت الأســـنان الصناعية ، ويستخدمه الأطباء فى ربط العظام المكسورة بعضها ببعض.

وهو متوافر فى جنوب أفريقيا وبعض بلاد أمريكا الجنوبيـــة ، ولكـــن أغنى مصادره كندا والاتحاد السوفيتى.

أكبر تجارة رقيق عرفها التاريخ

كانت أكبر تجارة رقيق عرفها التاريخ بين أفريقيا وأمريكا فقد بلغ حجمها أكثر من عشرين مليون أفريقى على مدى أربعة قرون ... وأكثر من اشتغل بهذه التجارة كانوا من الإنجليز فقد كانوا يشترون الرقيق من رؤساء القبائل مقابل كميات من المنسوجات والخمر والبنادق فقد كانت تجارة الرقيق شائعة فى أفريقيا ... إلى جانب أن الإنجليز كانوا يخطفون الزنوج إذا كانوا صغاراً لا يفرط فيهم آباؤهم ... ولكن الإنجليز لم يكونوا أول الأوربيين فى تجارة الرقيق فقد سبقهم إلى هذا البرتغاليون والأسبان والهولنديون عندما كانت بلادهم هى القوى البحرية الأولى فى أوربا ... وقد بدأت أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى تستوردان الرقيق قبل أمريكا الشمالية لأن الأوربيين استقروا وانتشروا فى الأجزاء الجنوبية من العالم الجديد أولاً .

وفى عام ١٦١٩ م جاءت أول مجموعة من الرقيق الأفريقيين إلى أمريكا الشمالية على ظهر سفينة هولندية ، وكان قد نفذ ما فيها من طعام خلال الرحلة الطويلة التى استغرقت أربعة شهور فى المحيط قبل أن تصل إلى أمريكا فاشترت ما يلزمها من الطعام ودفعت الثمن عشرين رجلاً وامرأة من حمولتها من الرقيق.

ويرجع السبب فى تجارة الرقيق إلى أن الأوربيين بعد أن قهروا الهنود الحمر وأجلوهم عن بلادهم وأخذوا منهم جموعاً من الأسرى سخروهم فى زراعة الأرض وفى أعمال المناجم ، ولم تكن هذه مهمتهم فهلك منهم عدد كبير كما أهلكتهم أيضاً الأمراض الوافدة ، فلم تكن بأجسامهم مناعة ضد أمراض الغزاة ففتكت بهم مثل الوباء ، مما دفع الأسبان والبرتغاليون إلى أن يستبدلوا الهنود الحمر برقيق من أفريقيا ، ومن هنا بدأت تجارة الرقيق واستمرت سنوات طويلة.

وفى عام ١٨٦١م جاءت معركة الانتخابات لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ... وكان محورها مشكلة الرق ، وتقدم ابراهام لنكولن المحامى الشاب الذى كان اسمه يتردد على ألسنة الناس منذ عدة سنوات أمضاها يخطب ويكتب داعياً إلى إلغاء الرق وتحرير الرقيق ، وكانت دعوته تقوم أساساً على أن مشكلة الرق فضلاً عن أنها تتافى الإنسانية فإنها قد قسمت الشعب الأمريكى إلى قسمين ، وانتخب لنكولن وتولى الرئاسة فى عام ١٨٦١م ، واعتبرت ولايات الجنوب انتخابه تحدياً لها لأنها كانت تؤيد تجارة الرقيق ، ولم تلبث أن أعلنت انفصالها عن الولايات الأمريكية ، وأخذت كل ولاية تقيم لنفسها حكومة مستقلة ثم كونت فيما بينها " الولايات المتحدة المتحالفة " وأنزل العلم الأمريكى من فوق الولايات ورفع مكانه علم الولايات المتحالفة.

وأشرفت أمريكا على حرب أهلية سرعان ما نشبت بين الشمال والجنوب واستمرت أربع سنوات (١٨٦١ – ١٨٦٥م) وأعلن ابراهام لنكولن وسط هذه الحرب الأهلية إلغاء الرق ابتداء من يناير ١٨٦٣م ، وعرض القرار على الكونجرس فظل أعضاؤه يتجادلون ويراوغون ثلاث سنوات حتى صدر قانون إلغاء الرق فى عام ١٨٦٥م ، وهو ما يعرف بالتعديل الثالث عشر للدستور الأمريكى .

وانتقل الزنوج بحكم الدستور من العبودية إلى الحرية ، ولكن إلغاء الرق ترك مرارة وحقداً فى نفوس أهل الجنوب جميعاً ... فاغتيل لنكولن فى ١٤ أبريل ١٨٦٥م حينما كان يشاهد مع زوجته إحدى المسرحيات ... وبعد أن ألقى خطبته الشهيرة عن الحرية التى يحفظها التلاميذ فى مدارسهم ويستشهد بها الكتاب فيما يكتبون عن الحرية.

ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن الرق قد عرف منذ أقدم عصور التاريخ ، وعرفته كثير من دول العالم ، واستمرت تجارة الرقيق فى بريطانيا على سبيل المثال حتى ألغيت عام ١٨٣٣م ، ثم ألغيت فى كثير من بلاد أوربا بعد هذا التاريخ ... بينما ألغى فى البرازيل عام ١٨٨٨م ، كما ألغى فى نيبال عام ١٩٢٦م.

أول من شاهد جبال القمر

جاليليو ... ذلك أنه بمجرد أن سمع عن اختراع يسمى التليسكوب أو المنظار حتى قام بصنع عدة مناظير لنفسه وتوصل عن طريقها إلى اكتشافات كثيرة ، فقد كان أول من شاهد الجبال على سطح القمر ، والبقع الشمسية على وجه الشمس ، كما اكتشف عدداً من الأجرام السماوية التى كانت مجهولة كالزهرة والمشترى ، وكشف أقماراً لكوكب المشترى تدور حوله ، كما توصل إلى أن كوكب الزهرة يغير من شكله .

وكان جاليليو (١٥٦٤ – ١٦٤٢م) والذى سمى فيما بعد " أبو العلم " قد عاش فى إيطاليا منذ أكثر من ٣٠٠ سنة ، وفى الوقت الذى عاش فيه كان معظم الناس يأخذون أفكارهم عن العلم من كتب أعدت منذ قرون مضت ، لكن جاليليو حاول أن يكتشف الأشياء بنفسه ، وأخذ فى تجاربه عندما بلغ السابعة عشرة من عمره، فقد كان يقف يوماً فى كنيسة (بيزا) وهى المدينة التى عاش فيها ، وقد تدلى من فوق رأسه مصباح معلق بسلسلة يتأرجح من جهة لأخرى ، ولاحظ أن المصباح يتحرك أحياناً لمسافة بعيدة وأحياناً لمسافة قريبة ولكنه يأخذ نفس المدة فى الحركة الطويلة والقصيرة ، وقد حسب الزمن بعدد نبضات قلبه ، ومن فكرة المصباح درس جاليليو البندول ، لأن المصباح الذى يتدلى من سلسلة

يمثل البندول تماماً ، وقد مهدت هذه الدراسة لاختراع أولى ساعات الحائط.

وعندما كان جاليليو يدرس الرياضيات فى جامعة بيزا قام بواحدة من أشهر تجاربه ، إذ أسقط كرتين مختلفتين فى وزنهما من أعلى مكان فى برج بيزا المائل ، وقد أثار دهشة معظم الناس إذ صدمت الكرتان الأرض فى وقت واحد ، وكانت الفكرة القديمة هى أن المادة الثقيلة تسقط أسرع من غيرها.

ولكن أهم أبحاث جاليليو هى تلك التى برهن فيها بشكل حاسم ونهائى على صدق العالم الكبير (كوبرنيكس) الذى قال إن الأرض هى التى تدور حول الشمس وليس العكس كما كان شائعاً ... وأحدث هذا الإعلان ضجة هائلة ، وكان جاليليو على عكس كوبرنيكس يمتلك أسلوباً جدلياً وقدرة على تبسيط الأمور العلمية وبالتالى وصل بحثه إلى كافة الناس.

ولذلك اصطدم جاليليو بالكنيسة وحوكم بتهمة الإلحاد والخروج عما هو معروف ، واقتيد وهو فى شيخوخته إلى محكمة التفتيش ، وكان عليه إما أن يعلن أنه مخطئاً ويتوب عن آرائه وإما أن يواجه أبشع أنواع التعذيب ... ولم يجد مفراً من أن يعلن فى المحكمة أنه مذنب وأنه مخطئ وأن اكتشافاته غير صحيحة ومنافية للإيمان ... وكانت المحكمة تعلم جيداً أنه غير صادق فيما يقول ، ولذلك لم تحكم ببراءته وفى نفس الوقت لم يحكم عليه بالتعذيب بسبب اعترافه ، وإنما صدر حكم بتحديد إقامته فى منزل فى قرية بعيدة عن روما ، وأن يظل به مدى الحياة ، وعاش فى الإقامة الجبرية ثمانى سنوات فقد خلالها بصره ... ثم مات دون أن يرى نور الحرية مرة أخرى.

وتقول الروايات إنه بعد صدور ذلك الحكم عليه ، خرج من قاعة المحكمة وهو يتمتم للجندى القابض عليه قائلاً : ومع ذلك ... فإن الأرض تدور ...!!

والغريب فى الأمر أن هذا العالم الكبير لم يتم رفع كتبه من قائمة الكتب الممنوعة من الكنيسة إلا عام ١٨٣٥م ، ولم يرد له اعتبار من الكنيسة إلا عـام ١٩٩٢م بعد أن قامت لجنة بأمر البابا بإعادة النظر فى قضية جاليليو التى شكلت أمراً محرجاً للكنيسة ، وقضت فى دراستها عشر سنوات مـن عـام ١٩٨٢م ، وانتهت إلى الاعتراف بفلسفة وفكر جاليليو.

الشهب والنيازك

الشهب قطع صلبة صغيرة من بقايا المذنبات ، تسبح ملايين الملايين منها حول الشمس وعندما تقترب الأرض من هذه الشهب تشدها قوى الجاذبية الأرضية فتهوى فى اتجاه الأرض ، وبمجرد أن تخترق الغلاف الغازى تحترق وتتحول إلى غبار هو الذى نسميه الغبار الكونى ولما كانت هذه الشهب تحدث لمعاناً شديداً قبل احتراقها ، إذ تبدو من بعيد وكأنها نجوم هاوية فقد ظنها الناس بقايا نجم كبير تحطم وأخذ يتساقط على سطح الأرض.

وتدور الشهب فى مجموعات كبيرة فى الفضاء على شكل عواصف هائلة ونراها تهوى إلينا بأعداد كبيرة إذا اخترقت كوكبنا واحدة من تلك العواصف ، إذ يحدث حينئذ أن تهوى تلك الشهب بفعل الجاذبية الأرضية وتحترق لدى ملامستها للغلاف الغازى للأرض ، وقد حيرت ظاهرة الشهب الإنسان منذ آلاف السنين فقد ورد فى بردية مصرية قديمة أن النجوم أخذت تتقافز ذات ليلة ، والواقع أن النجوم الحقيقية لم تتقافز كما جاء فى البردية وإنما الذى حدث أن الأرض اخترقت مجال عاصفة من عواصف الشهب ، أما الرومان فكانوا يعتقدون أن سقوط الشهب يدل على غضب الآلهة عليهم.

وتسقط الشهب على الأرض بالملايين كل عام ، وينتج عن الغبار

المترسب منها زيادة طفيفة جداً فى حجم الأرض ، ومن حسن الحظ أنها تحترق جميعها وتتحول إلى غبار قبل أن تصل إلينا ، إذ لو قدر أن سقطت على سطح الأرض قبل احتراقها لحدث الكثير من الحوادث والتخريب ، ومع ذلك فإن بعض هذه الشهب تكون كبيرة الحجم ولا تحترق كلها فى أثناء اختراق الغلاف الغازى للأرض .

وإذا اصطدمت بسطح الأرض واستقرت عليه سميت بالنيازك ومن أمثلتها عدد من النيازك سقط فى غابة تقع شمال الاتحاد السوفيتى وأباد أشجار الغابة فى دائرة قطرها بضعة أميال ، وفى أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية توجد حفرة كبيرة على هيئة فجوة عرضها قرابة الميل يعتقد العلماء أنها نشأت بسبب نيزك سقط على هذه المنطقة وأحدث الحفرة .

وليس لدينا ما يدل على أن هذه النيازك قد تسببت فى وفاة أحد من البشر وإن كانت التسجيلات الصينية القديمة قد جاء فيها ما يفيد أن نيزكاً اصطدم بسطح الأرض وتسبب فى وفاة عشرة أشخاص ، ويوجد فى المتاحف عدد كبير من النيازك التى جمعها الإنسان أكبرها النيزك الذى عثر عليه الرحالة (بيرى) فوق الجليد فى طريقه لارتياد القطب الشمالى ، ويبلغ وزن ذلك النيزك ($\frac{٥}{٦}$) من الطن.

وتتكون بعض النيازك من الصخور والبعض الآخر من الحديد ، ويعتقد أنها كانت أول مصدر للحديد الذى استخدمه الإنسان.

ويعتقد العلماء أن الشهب التى تسبح فى مجموعات كبيرة هى مذنبات – المذنب هو كوكب محطم – تدور حول الشمس فى مسارات تشبه مسارات الكواكب وهى تنجذب إلى غلافنا الغازى عندما تنحرف عن مسارها وتصطدم به.

مذنب هالى

المذنب جسم يدور حول الشمس وله رأس ساطع وذيل أقل سطوعاً يكون دائماً منحرفاً عن الشمس ... وتشبه المذنبات الكواكب السيارة فى أنها تدور باستمرار حول الشمس ، وتختلف عنها فى أن مساراتها فى الغالب شديدة الاستطالة ، ولذا قد يكون المذنب فى وقت من الأوقات بعيداً جداً فى أعماق الفضاء الباردة وفى وقت آخر يكون قريباً كل القرب من الشمس .

والمذنبات لا ترى عادة حتى تتعرض تماماً لضوء الشمس وحرارتها وعندئذ تظهر بل ويهتم بها الناس اهتماماً كبيراً لا يتناسب مطلقاً مع أهميتها الحقيقية ، وهى أيضاً تتمزق عندما تدخل المنطقة الخطرة المحيطة بجسم كبير مثل الشمس أو المشترى ، والقطع التى تنفصل عنها تكون ما نسميه النيازك.

ومن أشهر المذنبات على الإطلاق مذنب هالى والذى ينسب إلى العالم الإنجليزى أدموند هالى الذى كان مغرماً برصد المذنبات ودراستها ، ومن حسن حظه أنه عاصر المذنب الذى ظهر عام ١٦٨٢م (وعرف لاحقاً باسمه) وبعد رجوعه إلى السجلات الفلكية أصبح على قناعة بأن المذنب الذى شاهده هو نفسه الذى ظهر أيضاً فى عامى ١٥٣٠م و ١٦٠٦م ، ولأن الفرق بين التواريخ الثلاثة يبلغ (٧٦ عاماً و ١٠ أيام) توقع هالى ظهوره مجدداً فى الأعوام

١٧٥٨م و ١٨٣٤م و ١٩١٠م و ١٩٨٦م (والتاريخ الأخير هو آخر مرة شوهد فيها قبل عودته التالية عام ٢٠٦٢م) ، ورغم أن هالى توفى قبل ظهوره مجدداً إلا أن توقعاته كانت فى محلها وظهر المذنب بعد ٧٦ عاماً بالضبط (فأطلق عليه مذنب هالى تكريماً له)!!.

ورغم أن الفضل يعود إلى أدموند هالى فى لكتشاف دورية المذنبات لكنه بالطبع ليس أول من رصدها ، ذلك أن أولى الكتابات التى تشير إلى ذلك تعود إلى رسم تركه قدماء المصريين منذ حوالى ٣٢٠٠ عام ... حاول الفنان المصرى فيه التعبير عن مشاهدته للمذنبات ... ومن خلال رسم للألهة " نوت " وقد تهدل شعرها ،وانسابت منه ضفائر تشبه الذنب الطويل .

واعترف اليونانيون القدماء ، بأن المصريين هم أول من سجل ظاهرة المذنبات ، من خلال تشبيهها بالشعر الطويل المنسدل من رؤوس الجميلات !!.

كما أن التاريخ الإسلامى يزخر بوصف مذنبات كثيرة من بينها "هالى " نفسه ويتضح هذا من تطابق تواريخ الرصد مع مواعيد ظهور المذنب (التى تطلب فقط طرح ٧٦ عاماً من تاريخ آخر ظهور...) فقد تحدث ابن إياس مثلاً عن ظهور مذنب " هالى " فى كتاب، بدائع الزهور عام ١٤٥٤ م كما سجل ظهوره ابن الأثير عام ١٢٢٢م وقبل ذلك سجله المقريزى فى رسالة إتحاف الحنفاء عام ٩٨٩ م ، كما سجله ابن الجوزى فى كتاب المنتظم عام ٩١٣ م .

ويعد التسجيل الأخير أدق وأوضح رصد للمذنب هالى فى التراث الإسلامى ، فقد ألف عنه الفيلسوف أبو إسحاق الكندى رسالة بعنوان " رسالة خاصة فيما رصد من الأثر العظيم الذى ظهر فى سنة اثنين وعشرين ومائتين للهجرة " ... كما وصفه ابن الأثير فى قوله " فى سنة اثنين وعشرين ومائتين للهجرة ظهر عن يسار القبلة كوكب ذو ذنب وكان أول ما طلع من المغرب ثم

رنى نحو المشرق وكان أبيضاً طويلاً فهال الناس وعظم أمره عليهم " ... وتتحدث الأخبار عن رعب جماعى أصاب الناس فى ذلك الوقت اعتقاداً منهم أن كوكباً غريباً سيسقط على الأرض ... وحين اختفى عن الأنظار بقى فى ذاكرة الناس .

بقى أن أشير إلى أن هناك مذنبات كثيرة – ورد ذكرها فى الرسائل العلمية وكتب التراث العربية – لا تتفق مع دورة هالى – ولكنها تتوافق مع مذنبات أخرى تمر بالأرض فى أوقات منتظمة ... فهناك مثلاً المذنب أنكى صاحب أقصر دورة (٣,٣ أعوام فقط) والمذنب كوهوتيك (نحو ٨٠ عاماً) والمذنب هيل – بوب الذى لا يمر بالأرض إلا مرة واحدة كل ٤٢١٠ أعوام (ولولا مروره بالأرض فى يوليو ١٩٩٥ م لما علم بوجوده أحد).

قوس قزح

ظاهرة جوية تشاهد فى السماء بعد سقوط المطر وتشبع الجو بقطـرات الماء ، ذلك أن أشعة الشمس عند مرورها خلال هذه القطرات تتكسر كما ينكسر الشعاع الضوئى النافذ إلى منشور زجاجى ويتحلل إلى ألوان الطيف ، فيشـاهد فى السماء قوس يتكون من الأحمر والبرتقالى والأصـفر والأخضـر والأزرق والنيلى (أزرق غامق) والبنفسجى ، وأوضح مـا يشـاهد قـوس قـزح علـى المرتفعات عندما تكون الشمس خلف الناظر ، كما يمكن مشاهدته فـى الـرذاذ الذى يصدر من شلالات المياه ، وفى بعض الليالى القمرية للسبب ذاته .

يظهر قوس قزح عادة بشكل نصف دائرى ، وفى حالات نادرة يكـون قمرياً ، حين يكون إنكسار ضوء القمر هو المسبب له عبر قطـرات المـاء ، وعندها يظهر للمشاهد ونتيجة لضوئه الخافت أبيض اللون ، لأن العين البشرية لا تستطيع أن ترى الألوان فى الليل .

وقد استطاع العالم الحسن بن الهيثم فى القرن العاشر الميلادى التعبيـر عن حالات تمازج الألوان وتفسير ظاهرة قوس قزح بشكل علمى فـى كتابـه المناظر بما يتفق والحقائق العلمية المؤكدة.

باخ ... عبقرى الموسيقى الكلاسيكية

يعد الموسيقى الألمانى " يوهان سباستيان باخ " (١٦٨٥م – ١٧٥٠م) بحق عبقرى الموسيقى الكلاسيكية ... ولد فى عائلة موسيقية أنجبت ما يزيد على الخمسين موسيقياً هو أعظمهم على الإطلاق ، ويدين له كل فرع من فروع الموسيقى ، ما عدا الأوبرا فهى الشكل الموسيقى الوحيد الذى لم يستلهمه .

كان أبوه موسيقياً ولذلك علمه منذ الصغر العزف على الكمان والبيانو ومختلف الآلات الوترية وعلمه أخوه الأكبر العزف على الأرغن ... وكان الشاب قد ولع بالموسيقى فأخذ يعمل بجد ومثابرة وبدأ يؤكد عبقريته.

ويقول عنه " ريتشارد فاجنر " أنه كان " أعظم معجزة فى تاريخ الموسيقى كله " فقد كانت أعماله تتفق وعصر حفل بتغييرات كبيرة فى تطور الموسيقى الأوربية ، وقد وصل باخ بموسيقى العصور الوسطى الدينية متعددة الأصوات إلى ذروتها ، وفى نفس الوقت أضفى أبعاداً جديدة على الموسيقى الدارجة التى كانت فى بداية نشأتها ، وهى موسيقى كانت تعتمد على علم النغم محتفظاً فى مجال التأليف الموسيقى بمكان بارز لمفهوم جديد للغناء والرقص وصل إلى أوج ازدهاره فى موسيقى الآلات والموسيقى السيمفونية لبتهوفن ، وقد مزج باخ فى أعماله بين هذين المجالين المتعارضين وجمعهما بطريقة تدل

على العبقرية فى شكل موسيقى واحد.

كانت موهبته غير العادية فى الإبداع مبعث العديد من الأعمال الرائعة فى كل الأشكال الموسيقية وقد ظل طيلة حياته موضع التقدير كعازف أرغن يتميز بموهبة عالية وكمؤلف ، وبعد وفاته أسدل الستار على أعماله إلى أن اكتشفها بيتهوفن وأعلنها " مندلسون " إلى عشاق الموسيقى الرومانتيكية ، وإلى اليوم لا يزال كثيرون من الموسيقيين يستلهمون حركاته الموسيقية التى تتسم بالكمال.

تزوج باخ مرتين وكان يرتبط دائماً بأسرة كبيرة العدد فقد أنجب من زوجته الأولى العديد من الأطفال ، وبعد اقترانه بزوجته الثانية وجد نفسه أباً لأحد عشر ابناً وتسع بنات ، وكان أداؤه الموسيقى فى محيط الأسرة باعثاً له على تأليف عدد من القطع البسيطة التى يستطيع الأطفال تأديتها ، ومن أشهر هذه القطع " الكتب الموسيقية الصغيرة ".

وعلاوة على الموسيقى الآلية البحتة ألف باخ موسيقى صوتية رائعة ... وبالرغم من اختفاء عدد من مؤلفاته لعدم طبعها فقد بقى لنا منها مائتا " كونتاتا " مكتوبة للكورس أو للصوت الفردى وهذا الجمع يعد فريداً من نوعه فى كل التاريخ الموسيقى ... ولكن أشهر أعماله الصوتية وأكثرها كمالاً هى " الآلام " التى استلهمها من العهد الجديد ... وتلمع عبقرية باخ الموسيقية فى " قداس ليلة عيد الميلاد " الذى يروى قصة مولد المسيح فهى على مستوى التأليف للآلات الموسيقية كانت تنطوى على شئ جديد تماماً بالنسبة للعصر ولم يسبق أن وجد ما يفوقها حتى يومنا هذا .

وقد كان من أبناء باخ " ويلهام فريد مان " و " وكارل فيليب امانيويل " و " جوهان كريستيان " وكانوا موسيقيين مبدعين أسهم كل منهم مساهمة قيمة فى تطور الموسيقى.

قصر الإليزيه

كان فى البداية فندقاً ، وضع تصميماته المهندس المعمارى " موبليه " ، وافتتح عام ١٧١٨ باسم فندق " إيفرو " حيث كان يملكه الكونت ايفـرو ، فـى حفلة راقصة امتلأت بالمدعوين من وجهاء الطبقة الراقية فـى فرنسـا وعلـى رأسها العائلة المالكة وحاشيتها ، يتقدمهم جميعاً الوصى على العـرش آنـذاك والذى كان عاشقاً كبيراً لحياة الترف ، والذى قرر منح " كونت ايفرو " قطعـة الأرض المجاورة لحديقة الفندق ، كى تستوعب أكبر عدد من المـدعوين فـى المستقبل ، وهكذا ظل الإليزيه يكبر ويتوسع ويشهد الحفلات الصاخبة من النوع الأسطورى الباذخ حتى نال تلك التسمية التى أطلقتها عليه إحدى قريبات الملـك لويس السادس عشر " الإليزيه " وتعنى " جنة الصالحين " هذا الاسم الذى ظـل يعرف به هذا المبنى حتى اليوم .

وبعد وفاة الكونت ايفرو صاحب الفندق ، قامت الماركيزة مدام بومبادور الصديقة الخاصة للملك لويس الخامس عشر بشراء الإليزيه عام ١٧٥٣ ، ليكون منزلاً ومرتعاً لحفلاتها الصاخبة ، مما جعل هذه الماركيزة أشهر من ملكة فرنسا نفسها ، يسعى إليها النبلاء والوزراء ورجال الدولة ، وبدأ الإليزيه كمكان يدار منه الحكم ، وفيه تتخذ القرارات ، وتصدر المراسيم ، ولكـن بطريقـة غيـر رسمية .

بعد وفاة الماركيزة بومبادور هدأ الإليزيه قليلاً إذ استخدمته الحكومة الفرنسية كقصر ضيافة لكبار الزوار الأجانب ، من مبعوثى الملوك والوزراء والسفراء فوق العادة ، كما خصص جانب منه للحرس الملكى ، ومع أفول الملكية اشترى أحد كبار أغنياء فرنسا " نيقولا بوجون " قصر الإليزيه ، ليكون سكناً له مما جعل " بوجون " يستمد من هذا البناء التاريخى نفوذاً كبيراً فى أوساط الحكم ، وبعد وفاة بوجون صار الإليزيه مقراً للمطبعة الوطنية ومن ثم أصبح فى وقت لاحق " منتدى الثورة ".

ومنذ انقلاب ١٧٩٩ رافق الإليزيه نابليون بونابرت أعظم أباطرة فرنسا على مر تاريخها ، واستقبل عودته منتصراً بعد أن أسس أوسع امبراطورية فرنسية ، كما اتسع الإليزيه أيضاً لحياته الخاصة ، إلى أن كان الجرح الكبير فى القصر يوم هزيمة نابليون ، على أثر الحملة الروسية والجيوش المتحالفة معها فى معركة " لايبزغ " عام ١٨١٣ ليرى سيده يوقع على وثيقة تنازله ويحمل حقائبه ويرحل إلى جزيرة منفية ليحل فى أجنحة القصر " الكسندر " قيصر روسيا ومعه فرق القوزاق ، وسرعان ما هرب نابليون من المنفى وعاد إلى باريس إمبراطوراً ، لكن فرحة الإليزيه بهذه العودة لم تطل ... فقد كانت أياماً معدودة أحصاها التاريخ يوماً يوماً ، فكانت مائة يوم آخرها يوم " ووترلو " حين انهزم الإمبراطور العظيم أمام القائد الإنجليزى " دوق ولينجتون " .

وكان عزاء الإليزيه فى نابليون فى استقباله لابن نابليون من ماري لويز " نابليون الثانى" وكان معروفاً باسم " ملك روما " ، وبعد نابليون الثانى جاء "نابليون الثالث" ابن أخت نابليون الكبير والذى كان معروفاً باسمه " لويس نابليون " وهو أول رئيس للجمهورية الثانية ، وقد أنفق نابليون الثالث مبالغ طائلة على إصلاح الإليزيه وترميمه ، وأضاف إليه أجنحة كثيرة ، قبل أن يتم عزله عام ١٨٥١ نتيجة الحرب الفرنسية – الروسية والتى كانت كارثة بالنسبة

له ولفرنسا ، فاضطر لأن يقضى بقية حياته فى قصر التويليرى الشهير .

لم يصبح الإليزيه المقر الرسمى والدائم لرئيس فرنسا إلا فى عهد المارشال " موريس ماكماهون " عام ١٨٧١ حين أصدر مرسوماً ينص على أن الإليزيه هو المقر الرسمى لرئيس الجمهورية الفرنسية ، وقد أضاف رؤساء الجمهوريات العديد من التفاصيل التى أضفت على قصر الإليزيه بهاءً ورونقاً مثل إنشاء الحديقة الشتوية ، وقاعة الاحتفالات ، والزخارف والتماثيل ... ولعل أصعب فترة فى تاريخ الإليزيه هى فترة إغلاقه عام ١٩٤٠ عقب احتلال الألمان لفرنسا ودخولهم باريس ، فقد تجاهل الألمان الإليزيه ورمزه التاريخى فظل مغلقاً طيلة سبع سنوات إلى أن فتحه " فانسان أوريول " الذى جعل فى القصر دائرة مدنية وأخرى عسكرية ، وجهازاً صحفياً خاصاً بالقصر ، وقام بتخصيص قاعات الدور الأول لاستقبال واستضافة الشخصيات المهمة وشيد فى القصر مطبخاً تحت الأرض ، خلف أوريول فى الإليزيه " رينيه كونى " لكن أحداث الجزائر قضت على مستقبله السياسى ، فجاء بعده الجنرال ديجول ، حيث تحول القصر فى عهده إلى مكان يضج بالهيبة والجدية والعمل .

السيارات ... وحلم الانتقال

ظل حلم ابتكار وسيلة ميكانيكية تنقل الناس من مكان إلى آخر يـراود الإنسان زمناً طويلاً ، وذلك بدلاً من العربة التى تجرها الخيول أو الحيوانـات الأخرى ، والتى ظلت الوسيلة الرئيسية التى تقوم بهذا الدور آلاف السنين ، إلى أن تحقق ذلك الحلم عام ١٧٦٩م تقريباً ، عندما قام الفرنسى " نيقولا كونيـو " باختراع أول سيارة تعمل بالبخار ، والتى تعد الجد الأول للسـيارة ، وكانـت عبارة عن سيارة ضخمة ثقيلة الوزن ، لها ثلاث عجلات ، وغلاية ضخمة فى مقدمتها لتوليد البخار اللازم لحركة الموتور ، وكانت تسير بسرعة بطيئة مـن ٣ : ٥ كيلومترات فقط فى الساعة الواحدة ، وكانت تتوقف كل ١٥ دقيقة ليعـاد ملؤها بالماء .

وقد أوقعت هذه السيارة مخترعها فى أول حادث سيارة فـى العـالم ، عندما اصطدمت بحائط ، وقد توقف استخدام هذا الطراز من السيارات بعد فترة قصيرة جداً من اختراعه .

استمرت المحاولات المضنية لتطوير السيارة البخارية على مدار مائـة عام تقريباً ، لكن لم تظهر خلال هذه المدة سيارة سريعة الحركة سهلة الاستخدام فى متناول الناس ، إلى أن ظهر أول المحركات ذو الاحتراق الداخلى ، والتـى

سرعان ما حلت محل المحركات التى تدور بالبخار ، ويعود اختراع هذا المحرك إلى عدد من الفنيين فى مجال " الميكانيكا " مثل " رينوار " الفرنسى ، و" أوتو " و " لانجن " الألمانيين ، و " بارسانتى " و " ماتوتشى " الإيطاليين .

ويعد الألمانيان " كارل بنز " و " جوتليب ديملر " الأبوين الحقيقيين للسيارة الحديثة ، فقد صنعا أولى العربات بمحرك يعمل بالبنزين ، بفارق زمنى بينهما لا يتعدى بضعة أشهر ١٨٨٥ – ١٨٨٦.

ففى سنة ١٨٨٣ صنع " ديملر " أول المحركات الخفيفة الوزن التى تعمل بالبنزين ، وتدور بسرعة كبيرة ، وركبه على دراجة خشبية سنة ١٨٨٥ ، وفى السنة التالية صنع أولى سياراته ، وكانت تسير على أربع عجلات ، وبطريقة مستقلة قام " بنز " بصنع سيارته الأولى ذات العجلات الثلاث ومحرك يركب بالعرض فى مؤخرة السيارة .

ثم ظهرت الإطارات المصنوعة من المطاط المنفوخ بالهواء عام ١٨٨٨ على يد مبتكرها الإنجليزى " جون دانلوب " وكان لهذه الإطارات دور كبير فى زيادة سرعة السيارة وسهولة حركتها .

ولعل من أهم الأمور التى أدت إلى انتشار السيارة على نطاق واسع فى جميع أنحاء العالم هو ما حدث فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٠٨ عندما صمم الأمريكى " هنرى فورد " أول سيارة شعبية رخيصة الثمن ، سهلة القيادة، جميلة المنظر تسير بسرعة عالية ، وقد أطلق على سيارته اسم " تى فورد " .

وقد راجت هذه السيارة رواجاً كبيراً حتى أنه بيع منها أكثر من ١٥ مليون سيارة تقريباً ، وذلك قبل توقف صنعها سنة ١٩٢٧ ، وبذلك تعد سيارة "فورد" هى أول سيارة للجميع .

وكانت معظم السيارات عند بداية تصنيعها بدون غطاء يحمى من

يركبها ، ثم صارت لها أغطية قوية ، وهيكل معدنى قوى انسيابى الشكل ، كما زودت بمستودع لحفظ الحقائب ، وأصبحت السيارة أكثر قوة ومتانة وسرعة ، وخلال الحرب العالمية الثانية ظهرت سيارات يمكنها السير على الأراضى الوعرة ، ثم ظهرت بعد الحرب نماذج أخرى من سيارات ، يمكنها السير فى الصحارى ووسط الغابات ، أو على شواطئ البحار أو فى الماء ، وهى ما تعرف باسم السيارة البرمائية التى ظهرت فى الستينيات .

ثم أجريت بعد ذلك تعديلات شتى جعلت من التنقل بالسيارة متعة كبيرة، فأصبحت مكيفة الهواء ، مزودة بوسائل الاتصال المختلفة ، كالتليفون والراديو والتليفزيون ... وغيرها .

كيف مال برج بيزا ؟

كثير من الناس لا يعرفون شيئاً عن مدينة بيزا الإيطالية ، وكل ما يعرفونه عنها أن بها البرج المائل ، وقد أنشئ هذا البرج أصلاً ليكون برج أجراس .

وبرج بيزا المائل عبارة عن بناء جميل من الرخام الأبيض ذو أعمدة رفيعة تبدو من بعيد وكأنها أسلاك من الفضة ، وشهرة برج بيزا لا ترجع إلى كونه آية فى البناء بل لأنه يخيل للناظرين إليه أنه فى طريقه إلى السقوط ومهما يكن الأمر فما زال البرج قائماً.

بدأ العمل فيه عام ١٧٧٣ م ، واستغرق بناؤه (١٧٤) عاماً ، وبدأ يأخذ هذا الوضع المائل قبل أن ينتهى العمل فيه بمدة طويلة ، ويرجع سبب الميل إلى أن أساسات البناء لم توضع على أرض صلبة ، واستمر البناءون فى عملهم يعملون بالبرج طابقاً بعد طابق حتى بلغ ارتفاعه ٥٥ متراً ... ولقد زادت نسبة الميل خلال السنين التى أعقبت بناء البرج ، ولكن من مدة ليست بعيدة تمت عملية تقوية لأساسات البرج ، ولا ينتظر أن تزداد نسبة الميل مرة أخرى ، وقد استبعد كل خطر فى أن يسقط البرج على جانبه فمركز الوزن وهو ما يسميه

العلماء بمركز الثقل ما زال ضمن نطاق قاعدة البرج ... وطالما ظـل مركـز الثقل باقياً داخل دائرة قاعدة البرج فلن يسقط.

وقد أضيفت شهرة أخرى إلى شهرة برج بيزا المائل ، عندما قام العالم المشهور جاليليو بعمل إحدى تجاربه البارزة من فوقه إذ أسقط كرتين مختلفتين فى وزنهما فى لحظة واحدة واصطدمتا بالأرض فى وقت واحد أيضـاً واثبـت بذلك خطأ الفكرة القديمة القائلة بأن المادة الثقيلة تسقط أسرع من غيرها.

موزارت ... الطفل المعجزة ...!

عاش خمسة وثلاثين عاماً ... ألف خلالها ٦٠٠ عملاً من بينها عدد من السيمفونيات والأوبرات ، كان موزارت وهو طفل معجزة زمانه ... إذ كان يؤلف الألحان ويعزف على الهاربسكورد والارغن والكمان فيما بين الرابعة والسابعة من عمره ، وتميز باستعداد موسيقى نادر ... وكان والده ليوبولد موزارت موسيقى أشتهر بمؤلفاته وبمدرسة للكمان عرفت فى كل أنحاء أوربا.

وتيقظت مواهب موزارت – الذى ولد عام ١٧٥٦م بمدينة سالزبورج بالنمسا – فى الرابعة من عمره وأشرف أبوه على تعليمه ، فما أن أتم السادسة حتى أخذ أبوه يجول به أوربا طولاً وعرضاً ، فعزف فى بلاط فيينا الإمبراطورى ، وأمام مدام بومبادور ولويس الخامس عشر فى فرساى ، وجورج الثالث ملك إنجلترا ، وأمير أورانج فى لاهاى ، وفى قصور أمراء الدويلات الألمانية كلها.

وحرص أبوه على تقويم ثقافته الموسيقية ، فمر به على مانهايم لكى يسمع أشهر أوركسترا أوربى فى ذلك الزمان ، واصطحبه إلى إيطاليا قمة الفن الغنائى ، فطلب الإيطاليون إلى الغلام أن يؤلف رواية تمثل فى ميلانو ونفذت بنجاح تحت قيادته وأنعم عليه البابا بوسام ، واختارته الأكاديمية " الفلهارمونية "

فى فلورنسا عضواً مؤلفاً ... كل هذا وعمره لم يتعد الرابعة عشر فقط.

إن موزارت ، معاصر هايدن ، قد ألف رباعيات وخماسيات وأعمالاً اوركسترالية شتى بروح جديدة ، وفى تعمق لم يبلغه هايدن ، كما ألف روايات غنائية لا تصل إليها أعمال أعظم الموسيقيين فى إيطاليا وألمانيا مثل " زواج فيجارو " و " دون جيوفانى " و " الناى المسحور " التى تعد كنز المسرح الغنائى ... وكتب الكونشرتو لكثير من الآلات ويعتبر ما ألفه منها للبيانو فاتحة عصر الكونشرتو الحديث ، ووضع فى الموسيقى الدينية أعمالاً رفيعة.

ولهذه الإنجازات الكبيرة عمل موزارت كملحن رسمى فى القصر الإمبراطورى بالنمسا ولكن من المعروف أنه لم يكن على علاقة جيدة مع الطبقة الحاكمة والبلاط ، فقد استخف بأهل القصر ولم يكن سلوكه يليق دائماً بمقام الإمبراطور والعائلة المالكة علاوة على ذلك اعتبر الموسيقار أن الأجر الذى يتلقاه مقابل عمله لم يكن كافياً لتغطية تكاليف حياته وحياة زوجته وطفله الصغير، وبعد مغادرة القصر بدأ يعمل لحساب مسارح ودور أوبرا خاصة ، مما أوقعه فى الديون ومرض بالاكتئاب ، وفى هذه الفترة بالذات صعقه خبر موت أبيه فى مسقط رأسه سالزبورج ، ما دفعه إلى البدء بكتابه أوبرا تكريماً لروح أبيه الذى عمل هو أيضاً كموسيقى محترف وكان له الفضل فى اكتشاف موزارت الصغير وتنمية مواهبه ، وفى عام ١٧٩١م توفى موزارت فى شقته المتواضعة فى فيينا عن عمر يناهز ٣٥عاماً ودفن فى مقبرة جماعية شأنه شأن أبسط أهل مدينة الموسيقى والموسيقيين.

حفل شاى بوسطن
شرارة حرب الاستقلال الأمريكية

كان حفل شاى بوسطن الشرارة الأولى فى حرب الاستقلال الأمريكية ، وأطلق اسم حفل شاى بوسطن على تلك العملية التى حاصر خلالها خمسون من الأهالى المتنكرين فى زى الهنود الحمر السفن الراسية فى ميناء بوسطن والمحملة بالشاى ، وحطموا صناديق الشاى ثم أفرغوه فى البحر ، مما اعتبر بمثابة الطلقة الأولى فى حرب الاستقلال .

وقام بهذه الحرب أهالى المستعمرات الثلاث عشرة فى أمريكا الشمالية بين عامى (١٧٧٥ – ١٧٨٣م) تلك المستعمرات التى كانت تحتلها بريطانيا ، وكانت الأسباب التى أدت إلى هذه الحرب هى اعتراض تلك الولايات على ما تفرضه بريطانيا من ضرائب والمطالبة بحرية التجارة مع الدول الأخرى ، ومن هذه الضرائب ما فرضته بريطانيا على الشاى مما أثار الأمريكيين فأعلنوا معارضتهم لكافة الضرائب سواء داخلية أو خارجية.

وسرعان ما نشب القتال بين القوات البريطانية وأهالى الولايات ... وعهد الأمريكيون إلى جورج واشنطون ليقود جيوشهم ... وفى أثناء الحرب ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية فى ٤ يوليو ١٧٧٦م وهو اليوم الذى اختارته ثلاث عشرة ولاية لإعلان الاستقلال ... فقد كان كثير من الناس فى هذه

الولايات يحاولون الاستقلال عن إنجلترا ، ولكن لم تكن هناك لولاية بمفردها قوة كافية تمكنها من الوقوف وحدها ، وفى عام ١٧٧٥م دعا زعماء الولايات إلى اجتماع يعقد فى فيلادلفيا ، وكونوا " الكونجرس القارى " نسبة إلى القارة ، وفى شهر يوليو من العام التالى اجتمعوا ثانية وقرروا العمل معاً لإعلان استقلالهم فى وثيقة تاريخية شهيرة.

نصت الوثيقة على أسباب رغبة الولايات فى الحرية ، ودونت المظالم التى نزلت بها ، ونص الإعلان على أن الولايات ستخوض حروبها بنفسها وتضع سلامها بنفسها وتزاول التجارة بما تراه ملائماً لها وتسلك كل الأمور بوصفها أمة مستقلة ... وكان " جون هانكوك " رئيساً للكونجرس القارى عندما اختارت الولايات إعلان الاستقلال ، وقد كتب " توماس جيفرسون " الجزء الأعظم من وثيقة هذا الإعلان ، وعاونه فى هذه المهمة مشاهير الرجال من أمثال جون آدمز ، وبنيامين فرانكلين ... وقد وقع ستة وستون رجلاً على الإعلان الذى تنص الجملة الأخيرة منه على أن هؤلاء الرجال بتوقيعهم ، قد تعهد كل منهم للآخر " بحياتنا وثرواتنا وشرفنا المقدس ".

وفى الوقت الذى أعلنت فيه الولايات استقلالها ، كانت حرب الاستقلال التى بدأت بإطلاق النيران فى لكسنجتون عام ١٧٧٥م لا تزال مستمرة ولقى واشنطن هزيمة فى محاولة طرد الإنجليز من بوسطن ثم تحالف مع الفرنسيين فتمكن من هزيمة الإنجليز أمام فلادلفيا ، ثم انتصر انتصاراً حاسماً فى عام ١٧٨١م ضد القائد الإنجليزى " كورن ولاس " فى معركة يوركتون ، وتلا ذلك إخلاء الإنجليز لنيويورك ... وفى عام ١٧٨٣م اعترفت بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة ، وفى عام ١٧٨٩م انتخب جورج واشنطن أول رئيس للجمهورية الأمريكية المستقلة ثم أعيد انتخابه فى عام ١٧٩٣م ولكنه انسحب بعدها من الحياة العامة.

ومما يذكر عن جورج واشنطن أنه من أسرة إنجليزية الأصل ، هاجرت إلى أمريكا فى القرن (١٧) واشتغل بالفلاحة ، ونال ثروة ورثها عن عمه زادها بزواجه من أرملة ثرية ، وبدأ حياته العامة بالدفاع عن ولاية فرجينيا بالاشتراك مع قوة بريطانية ضد التحرش الفرنسى ، ولكنه انصرف بعدها إلى العناية بمزرعته الشهيرة " ماونت فرنون " ، حتى بدأ الصراع بين الولايات المتحدة وبريطانيا ، عاش بين عامى (١٧٣٢ – ١٧٩٩م).

الفيدرالية ... والكونفدرالية

الفيدرالية هى اتحاد اختيارى بين دول أو ولايات تختلف قومياً أو عرقياً أو ديانة أو لغة أو ثقافة ، حتى تتحول إلى شخصية قانونية واحدة أو نظام سياسى واحد ، مع احتفاظ أجزاء هذه الشخصية المتحدة بخصوصيتها وهويتها ، ويوجد تفويض للكيان المركزى للإتحاد ببعض الصلاحيات المشتركة ، مع الاحتفاظ ببعض الصلاحيات لهذه الأجزاء أو الولايات .

وعلى ذلك ففى الاتحاد الفيدرالى (المركزى) تفقد الدول أو الولايات أو الأقاليم المتحدة شخصيتها الدولية بالاتصهار فى الدولة الفيدرالية ، كما توجد جنسية واحدة هى جنسية الدول الفيدرالية ، ويعتبر اقليم الدولة الفيدرالية اقليماً واحداً يتكون من مجموع أقاليم الولايات الداخلة فى الإتحاد وتعتبر حدود هذا الإقليم الموحد حدوداً للدولة الاتحادية ، وعلى ذلك تعد الحرب داخل الاتحاد حرباً أهلية ، ولا يجوز للولايات الداخلة فى الاتحاد الانفصال بل يمكن إرغامها على البقاء داخل الاتحاد ، وللاتحاد الفيدرالى دستور موحد ، بالإضافة إلى دستور خاص بكل اقليم من الأقاليم على ألا يتعارض مع الدستور الفيدرالى ، كما يتسم الاتحاد الفيدرالى بوجود السلطات الثلاث (التشريعية ، التنفيذية ، القضائية) على مستوى الاتحاد الفيدرالى تكون مختصة بشئون الاتحاد وتمارس

اختصاصاتها بالاستناد إلى الدستور الفيدرالى ، بالإضافة إلى وجود سلطات ثلاث مثلها فى كل اقليم من الأقاليم المكونة للاتحاد وتمارس اختصاصاتها استناداً إلى دستور الإقليم ، وتعتبر هيئات الأقاليم هيئات حاكمة مستقلة فى ممارسة اختصاصاتها فى حدود دستور الإقليم ومن أبرز أمثلة الاتحاد الفيدرالى الولايات المتحدة الأمريكية .

أما فى الاتحاد الكونفدرالى (الاستقلالى) فإن الدول أو الأقاليم المتحدة تحتفظ بشخصيتها القانونية والدولية ويكون لكل منها الحق فى مباشرة كافة مظاهر السيادة ، كما تتعدد الجنسيات داخل الاتحاد بعدد الحكومات المؤلفة ، وتعد الحرب داخل الاتحاد حرباً دولية ، ويحق لكل دولة الانفصال عن الاتحاد الكونفدرالى ، كما أن قرارات الاتحاد تكون بإجماع الدول أو الأقاليم المتحدة. ومن أبرز أمثلة الاتحاد الكونفدرالى الاتحاد الأوربى ، واتحاد دول الكومنولث.

ومن الناحية التاريخية فإن أصول الفيدرالية تعود إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد ظهرت أمريكا على مسرح الأحداث على أنها كونفدرالية ، وحكمت البلاد حكومة مركزية ضعيفة منذ سنة ١٧٨٣ إلى سنة ١٧٨٩م وكان لكل ولاية صوت واحد فى الكونجرس لكنه لم يكن قادراً على جمع الضرائب لتفعيل عمل الحكومة المركزية ، وكانت الكونفدرالية تفتقر إلى سلطة تنفيذية عليا ولم يكن لها جسم مركزى يستطيع إخضاع الأطراف لقوانينه ، فكان أن رفضت بعض الولايات تطبيق اتفاقيات باريس سنة ١٧٨٣م الخاصة بإنهاء الثورة الأمريكية رغم أن الدستور الكونفدرالى يعطى الكونجرس حق عقد الاتفاقيات بالنيابة عن جميع الولايات ، وعلى الجانب الاقتصادى وقف الكونجرس عاجزاً عن الوقوف بوجه التنافس التجارى مما شل الاقتصاد الوطنى، وزاد الطين بلة ما قامت به بعض الولايات حين فرضت ضرائب كبيرة على البضائع التى تأتى من الولايات المجاورة ، كانت الأزمة الاقتصادية

تهدد أميركا الفتية بالانهيار ولم تكن هناك سلطة سياسية تستطيع أن تلقى على عاتقها مهمة إصلاح الوضع، وعبر جورج واشنطن – الرئيس بعد ذلك – عن الأزمة بقوله : " إن عجلة الحكومة متوقفة " كما اعرب مع غيره من السياسيين عن حاجة البلاد لاعطاء الحكومة المركزية سلطات أكثر لكنهم أرادوا ألا تهدر حقوق الولايات فى الوقت نفسه ، فعقد رجال السياسة الأمريكيين اجتماعاً لمناقشة الدستور ، واتفقت الولايات فى سنة ١٧٨٧م على تطوير هذا الاتحاد إلى اتحاد فيدرالى قوى وحددت مبادئ الفيدرالية الحديثة منذ ذلك الحين ، فقد حدد دستور سنة ١٧٨٧م الذى أصبح نافذ المفعول سنة ١٧٨٩ اختصاصات الدولة الفيدرالية على سبيل الحصر وترك ما عدا ذلك من السلطات إلى سلطة الولايات .

سلويت

السلويت نوع من الفنون يعتمد على استخدام اللون الأسود على خلفية بيضاء ، لإظهار الحدود الخارجية للرسم أو الصورة ، ويطلق عليه أحياناً التصوير التضادى .

سمى هذا الفن بالسلويت نسبة إلى ايتين دى سلويت وزير مالية فرنسا أثناء حكم لويس الخامس عشر حيث كان يصنع أشكالاً من الورق الأسود ، ويقصها بالمقص ، ثم يلصقها على ورق أبيض.

ويعتمد هذا الفن فى الأساس على الرسم ، لذا يجب أن يكون فنان السلويت رساماً ، حتى يجيده ، وهو فن يتميز بقوة التركيز ، معتمداً على أدوات بسيطة هى المقص والأوراق البيضاء والسوداء ، ولا يستغرق تنفيذ اللوحة الواحدة من هذا الفن سوى ثوانٍ معدودة.

كما يعتبر فن السلويت إضاءة عكسية ، حيث يتم التصوير عكس الضوء، فتكون الخلفية منيرة والأمامية التى بها الشئ المراد تصويره مظلمة ، ولم ينتشر هذا الفن على نطاق واسع كباقى الفنون لكنه موجود بصورة أكبر فى فرنسا وألمانيا واليابان عن باقى دول العالم.

الثورة الفرنسية

تعد الثورة الفرنسية فترة تحولات سياسية واجتماعية كبرى فى التاريخ السياسى والثقافى لفرنسا وأوربا بوجه عام ، بدأت الثورة عام ١٧٨٩ وانتهت تقريباً عام ١٧٩٩ ، عملت حكومات الثورة الفرنسية على إلغاء الملكية المطلقة، والامتيازات الإقطاعية للطبقة الأرستقراطية ، والنفوذ الدينى الكاثوليكى .

وقد تضافرت عوامل عديدة فى فرنسا أدت إلى حدوث الثورة ، فعلى صعيد الأحوال الاجتماعية والسياسية كانت فرنسا تعيش حالة من الاستقرار النسبى فى ظل حكم لويس الرابع عشر الذى اهتم بالفنون والآداب ونال حب الشعب واحترامه ، ولكن بعد وفاته وانتقال العرش إلى رجال أقل منه شأناً ، بدأ العبء ينزلق تدريجياً عن كاهل الملك ووزرائه إلى كاهل الطبقة المتوسطة التى كانت قد بدأت تبرز للوجود ، وبخاصة فى عهد لويس السادس عشر الذى اتسم بضعف الشخصية ، وكان أفراد هذه الطبقة المتوسطة فى معظمهم متعلمين وميسورى الحال ، ومن ثم بدأوا يشعرون بعدم الرضا عن المكانة الدنيا التى يحتلونها بالقياس بطبقة النبلاء وأصحاب المقام الرفيع فى الكنيسة ، فكان تذمرهم وتمردهم على هذه الأوضاع من العوامل التى أشعلت فتيل الثورة

بالتحالف مع العامة أو من يسمونهم بالطبقة الثالثة التى كانت ترزح فى أوضاع سيئة فى ظل النظام الاقطاعى السائد آنذاك .

أما عن الأحوال الاقتصادية فقد بلغت غاية السوء للدرجة التى لم تستطع فيها الحكومة أن توفر للشعب الغذاء الكافى وكان ذلك نتيجة الحروب الطويلة ، والبذخ على المستويين العام والخاص ، وضعف الملوك وعجز الوزراء عن التمسك بالسياسات الموحدة ، كل هذا أدى إلى حالة من الفوضى الاقتصادية فى البلاد ولم يستطع أحد علاجها حتى تفاقمت الديون على فرنسا .

وبعد أن ساءت الأحوال الاقتصادية وزادت الضرائب المفروضة قرر الملك عقد مجلس الطبقات فى ٥ مايو ١٧٨٩ م الذى جاء على هوى الطبقة الأرستقراطية فقد كانت التقاليد تقضى بأن يتألف المجلس من ثلاث هيئات منتخبة تمثل إحداها (الملك – الكنيسة) وتمثل الثانية " النبلاء " والثالثة تمثل "الشعب" وكان الاقتراع يتم على هيئة ثلاث وحدات منفصلة وليس طبقاً لعدد الأعضاء ، ولما كانت طبقة رجال الكنيسة خاضعة لسيطرة النبلاء الذين يتقلدون المناصب الرفيعة فى الكنيسة لقاء الخدمات التى يقدمونها ، فقد كانت هاتان الطبقتان على يقين دائم من الحصول على أغلبية الأصوات ، وبالتالى يقوم أبناء الطبقة الثالثة – الشعب – بتحمل عبء الضرائب المفروضة وحدهم .

وقد دامت أحداث الثورة الفرنسية عشر سنوات ، ومرت عبر ثلاث مراحل أساسية ، المرحلة الأولى (يوليو ١٧٨٩ – أغسطس ١٧٩٢ م) وهى فترة الملكية الدستورية التى تميزت بتأسيس الجمعية الوطنية ، واحتلال سجن الباستيل ، وإلغاء جميع الامتيازات الإقطاعية ، وإصدار بيان حقوق الإنسان ، ووضع أول دستور للبلاد ... أما المرحلة الثانية (أغسطس ١٧٩٢ – يوليو ١٧٩٤ م) فكانت بداية النظام الجمهورى حيث تم إعدام الملك لويس السادس

عشر وزوجته الملكة مارى انطوانيت ، وتم إلغاء الملكية ، وإقامة نظام جمهورى ... ثم شهدت الفترة الثالثة (يوليو ١٧٩٤ – نوفمبر ١٧٩٩م) تراجعاً فى التيار الثورى ، وعودة التيارات المعتدلة التى سيطرت على الحكم ووضعت دستورا جديداً ، وتحالفت مع الجيش وانتهت بقيام نابليون بونابرت بانقلاب عسكرى ، وضع حداً للثورة وأقام نظاماً جديداً .

نابليون بونابرت

ولد نابليون بونابرت فى جزيرة كورسيكا التى كانت تابعة لفرنسا عام ١٧٦٩م من أبوين فقيرين على الرغم من أن والده كان من سلالة أسرة نبيلة ، وعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره التحق بالمدرسة الحربية فى باريس وبعد سنة واحدة أصبح جندياً نظامياً ثم ضابطاً ، وفى عام ١٧٨٩م اشترك فى الثورة الفرنسية التى أطاحت بالملكية وتحولت فرنسا إلى جمهورية .

ولمع اسمه لأول مرة فى حصاره تولون عام ١٧٩٣م حين كان يقاتل من أجل الجمهورية الفرنسية الجديدة ، وفى سنة ١٧٩٦م ذاع صيته فى إيطاليا حين هزم النمساويين والسردينيين هزيمة ساحقة ، ثم انتخب قائداً للحملة على مصر عام ١٧٩٨م لتحويل تجارة الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى طريق البحر الأحمر ، رغبة فى هدم سيادة بريطانيا التجارية وإنشاء قاعدة لغزو ممتلكاتها فى الشرق نظراً إلى أن سيادتها البحرية كانت تحول بين فرنسا وغزو إنجلترا فى بلادها ... وفى عام ١٧٩٩م عاد سراً إلى باريس ووجد البلاد فى حالة سيئة فتمكن من قلب نظام الحكم وإعلان القنصلية الثلاثية ثم انتخابه قنصلاً مدى الحياة .

وتمكن بإصلاحاته الداخلية وانتصاراته الخارجية وتحالفه مع البابوية من

تنصيب نفسه إمبراطوراً على فرنسا فى عام ١٨٠٤م ثم أعقب ذلك سلسلة من الانتصارات العظيمة وحاول غزو إنجلترا ولكن نلسون باغت قواته فى موقعة الطرف الأغر عام ١٨٠٥م وهزمها.

وفى عام ١٩١١م حاول نابليون غزو روسيا بعد أن سيطر على أغلب دول أوربا ، واتبع معه الروس خطة محكمة ، فقد تراجعوا أمامه ومضى طويلاً فى بلادهم الواسعة الأطراف والمتشعبة المسالك ، ولم يشتبكوا معه إلا عند نهر (برودينو) حيث تقاتل الفريقان على غير جدوى ، ثم عاد الروس إلى خطتهم الأولى ، وأخذوا يتقهقرون دون أن يتركوا مدينة واحدة أو قرية إلا وجردوها من كل ما ينتفع به الغزاة ، وظل نابليون يتقدم فى تلك الأراضى الموحشة حتى دخل موسكو فى ١٤ سبتمبر ١٨١٢م ، وذهل لما رآه فيها من السكون المخيم والوحشة الشاملة بعد انسحاب أهلها منها.

وما كاد الليل يحل حتى اشتعلت فى موسكو النيران من كل جانب بفعل حاكم المدينة ، فارتد نابليون إلى خارج أسوارها ، وظل ينتظر عبثاً أن يطلب الروس الصلح فلم ير بديلاً عن أن يعود لأن فصل الشتاء كان قد دنا ، وفى طريق عودته صوب الحدود الأوربية لاقت قواته فى طريقها نكبات وكوارث مزقتها ، إذ كان البرد قارساً والطريق مقفراً ، وجيوش الروس تهاجمها من كل جانب ولم يفلت عند الحدود من ذلك الجيش الضخم الذى بلغ ستمائة ألف مقاتل إلا نحو مائة ألف فقط.

وانقلب عليه الفرنسيون ، وتكاتفت ضده الدول ، فنزل عن العرش بلا قيد ولا شرط ، وفى أبريل ١٨١٤م استقر الرأى على أن يحتفظ بلقب إمبراطور وأن يمنح ملك جزيرة (إلبا) ولكنه بعد عام عاد سراً إلى فرنسا حيث هرع إليه أنصاره وجنده القدماء ، فزحف إلى باريس ودخلها فى ٢١ مارس ١٨١٥م وحكم فيها " مائة يوم " ، ولكن دول أوربا تعاونت عليه مرة أخرى وهزمته

جيوش "ولنجتون" فى موقعة " ووترلو " ونفى إلى جزيرة " سانت هيلانة " وبقى سجيناً بها إلى أن مات فى المنفى فى ٥ مايو ١٨٢١م ، وظل مدفوناً بها حتى نقلت رفاته عام ١٨٤٠م إلى قبة " الانفاليد " بباريس.

وقد تزوج نابليون مرتين الأولى من جوزفين بوهارنيه عام ١٧٩٥م ، ولكن لرغبته الشديدة فى ابن يخلفه على العرش طلقها وتزوج من مارى لويز ابنة إمبراطور النمسا عام ١٨٠٩م ، وأنجبت له ابناً أحيط بأعظم مظاهر الترف والأبهة التى لم يحظ بها طفل من قبل ، ومنحه نابليون لقب ملك روما.

سجن الباستيل

الباستيل سجن أنشئ فى فرنسا بين عامى ١٣٧٠ و ١٣٨٣م كحصن للدفاع عن باريس ، ثم كسجن للمعارضين السياسيين والمسجونين الدينيين والمحرضين ضد الدولة ، وأصبح على مدار السنين رمزاً للطغيان والظلم وانطلقت منه الشرارة الأولى للثورة الفرنسية فى ١٤ يوليو ١٧٨٩ ، وما تزال فرنسا حتى اليوم تحتفل بمناسبة اقتحام السجن باعتباره اليوم الوطنى لفرنسا فى الرابع عشر من يوليو من كل عام.

كان اسمه الاصلى " الباستيد " ويعنى " الحصن " باللغة الفرنسية ، وقد أقيم بأمر من شارل الخامس ويتكون من ثمانية أبراج بارتفاع ٢٤ متراً ، وبسمك ثلاثة أمتار من القاعدة ، وحوالى مترين عند القمة ، واستغرق البناء ١٢عاماً ، وكان للباستيل باب جانبى يستخدمه الملك للدخول والخروج سراً من باريس .

ولم يكن الباستيل مخزناً للسلاح والذخيرة فقط ، بل كان أيضاً من القرن الخامس عشر حتى عهد لويس الرابع عشر مخزناً لجواهر التاج وكنوزه ومقراً لخزانة الدولة ، ومما يذكر أن هنرى الرابع ملك فرنسا أودع فى الباستيل عام ١٦٠٠م مبلغ ١٣ مليون جنيه ذهباً استعداداً لحربه مع أسبانيا .

ومنذ البداية تقريباً تحول الباستيل من حصن عسكرى إلى سجن لأعداء الملك ولتأديب النبلاء الذين ينحرف سلوكهم فى البلاط . وبعد مائة سنة من الهدوء النسبى اتسع الأمر ليشمل سجناء العقيدة الدينية مثل البروتستانت والجزويت ، كما دخل الباستيل قلة من منتهكى القانون العام ، وتميز الباستيل عن سجون فرنسا الأخرى بأهمية ضيوفه أو بشهرة الجرائم التى ارتكبوها .

ومن أشهر نزلائه المتهمون فى قضية السموم فى عهد لويس الرابع عشر ، وقضية جواهر الملكة أيام لويس السادس عشر . وكان لويس الحادى عشر أو موحد فرنسا أول من استعمل الباستيل سجناً للدولة وخصصه للمسجونين السياسيين المتآمرين عليه لقلب نظام الحكم ولا سيما فى صراعه مع شارل الجسور وقد أضاف لويس الحادى عشر إلى الباستيل "أقفاصاً" من قضبان الحديد لا تسمح بالوقوف داخلها ، وكان أول من ابتكرها له الأسقف " فردان " الذى زود هذه الأقفاص بسلاسل غليظة تنتهى بكرات حديدية ثقيلة تقيد حركة القدمين ، وسجن هذا الأسقف نفسه فيها ١٤ سنة لأنه تآمر على الملك ، ثم أفرج عنه .

كذلك سجن لويس الحادى عشر الكونت لويس دى لوكسمبروج عام ١٤٧٥ وجاك ارمنياك ودوق نمور حاكم باريس عام ١٤٧٧ ، وبقى كل منهما فى الباستيل عدة أسابيع فقط ريثما يحاكمه البرلمان بتهمة التآمر على الملك ثم خرج لتنفيذ حكم الإعدام فيه علناً فى ميدان السوق (الهال) ومنذ عهد لويس الحادى عشر كانت هناك فى الباستيل غرف خاصة بالتعذيب ، لا لاستخلاص الاعترافات ولكن للتحضير للموت .

منذ تحول الباستيل من قلعة إلى سجن كان سجناً " ملكياً " تابعاً للملك مباشرة ينفق عليه من أمواله الخاصة ، ويجرى فيه كل شئ بعيداً عن رقابة القانون العام ، ولم تكن تجرى فيه الاعدامات ، وإنما كان محطة للتحقيق

والمحاكمة السياسية عن طريق برلمان باريس ثم التوزيع على السجون الأخرى، وفى بعض الأحوال النفى أو الاعتقال مدى الحياة فى الأديرة أيضاً أو الإعدام، وهذا لم يمنع طبعاً احتجاز بعض الشخصيات فى الباستيل بـــأمر الملـــك مـــدى الحياة أو لسنوات مديدة .

أشهر متحف شمع فى العالم

يعد متحف " مدام توسو " الذى يوجد فى لندن أشهر متاحف العالم التى تضم تماثيل من الشمع ... ومدام توسو هى السيدة الشابة التى أنشـــأته بعـــد أن عاصرت أهوال الثورة الفرنسية ثم انتقلت إلى إنجلترا لتعيش بقيه حياتها إلى أن توفيت عام ١٨٥٠م عن ٨٩ عاماً .

ولدت فى سويسرا واسمها الحقيقى (آن مارى جروشولتز) ومهـــرت فى استخدام شمع النحل لعمل تماثيل كانت الحياة تكاد تشع منها بدرجة لم يسبقها إليها أحد ، وقد اكتسبت هذه المهارة من عمها وهى لا تزال فى مرحلة الشباب.

بدأت فى صنع أول تماثيلها وهى فى السابعة عشرة ، وكـــان للكاتـــب الفرنسى " فولتير " ولا يزال التمثال موجوداً بالمتحف حتـــى الآن ... وذاعـــت شهرة مارى وأصبحت صديقة مقربة لملك فرنسا لويس السادس عشر والملكـــة مارى أنطوانيت ، وقد تسببت هذه الصداقة فيما بعد فى كثير من المعاناة لمارى التى كانت فى باريس فى عام ١٧٨٩م عندما اقتحم الثوار الباستيل ، وقد قتل فى أحد القصور ثلاثة أخوة لها واثنان من أعمامها ، وعلى الرغم من ذلك رفضت مارى الهرب ، بالرغم من أن تعاطفها مع الملكين جعل موقفها خطراً .

ويرجع الفضل فى إنقاذ حياتها إلى مهارتها الفنية ، ذلك أنه عندما ألقى

بها فى سجن " لافورس " المخيف وحلق شعرها تماماً ، ظلت تعمل والمقصلة فوق رأسها ، وقد أجبرت على عمل تماثيل من الشمع للرؤوس التى كان يتم إعدام أصحابها بالمقصلة ، وكان كثير من هذه الرؤوس لأعز أصدقائها منها رأس لويس السادس عشر ورأس مارى أنطوانيت ، وكان رجال الثورة يحتاجون لتلك التماثيل لعرضها فى أماكن أخرى إثباتاً للانتصارات التى حققوها.

وأخيراً أطلق سراحها وعلمت أن عمها قد توفى وأنها أصبحت مسئولة عن ديونه ، لذلك بدأت على الفور فى إعادة بناء متحف الشمع الخاص به ، وانكبت على العمل بجد ومثابرة وبدأت الحياة تعود إلى طبيعتها ، وفى عام ١٧٩٥م تزوجت من مهندس يدعى " فرنسوا توسو " إلا أن حياتها الزوجية لم تستمر فانفصلا عام ١٨٠٢م ، وعلى الرغم من ذلك إلا أنها استمرت تحمل اسمه إلى نهاية حياتها ، وفى نفس العام نقلت بعض تماثيلها إلى لندن والى أدنبره ، غير أنه حدث فى عام ١٨٠٤ م وهى فى طريقها بحراً إلى ايرلندا أن تحطمت السفينة التى كانت تقلها وغرقت جميع تماثيلها ، ولكن لم تمض ثلاثة شهور على ذلك الحادث حتى تمكنت من إعادة افتتاح المعرض الذى كانت تعمل لإقامته ، غير أن سوء الحظ لم يتوقف عند ذلك ففى عام ١٨٠٨م صودرت تماثيل الشمع التى كانت قد تركتها فى عهدة زوجها بباريس وفاءً لديونه.

وفى عام ١٨١١م عادت مدام توسو إلى إنجلترا ، وأخذ حظها يتبدل ، واستقرت بمعرضها فى لندن ، واستمرت هناك حتى عام ١٨٤٢م عندما صنعت آخر تماثيلها ، وهو تمثال لها يحفظ الأن بمكان دائم فى المتحف ، ثم تقاعدت عن العمل حتى توفيت عام ١٨٥٠م.

وفى عام ١٨٨٤م نقل متحفها إلى مكانه الحالى ... وقد تعرض المتحف عام ١٩٢٥م لحريق هائل واستغرق إصلاح التلفيات ثلاث سنوات ، وفى

الحرب العالمية الثانية أصابته قنبلة وبعد ثلاثة شهور عاد للعمل.

ويضم المتحف اليوم أكثر من (٥٠٠ تمثال) وقد ظل الأسلوب المستخدم فى صناعة التماثيل هو نفس الأسلوب الذى كانت تستخدمه مدام توسو ... فيما عدا أن الصور الفوتوغرافية أصبحت تستخدم للمساعدة فى إبراز ملامح الشخصيات لاسيما أن بعض هذه التماثيل لشخصيات من أقصى أنحاء العالم ... ويلاحظ أن جميع التماثيل تصنع بالحجم الطبيعى تماماً ويستخدم الشعر الطبيعى فى تغطية الرأس وهو عمل يقوم به خبراء متخصصون ، وفى بعض الأحيان تقوم الشخصيات التى تمثل بتقديم الملابس التى ستكسو التمثال.

جوته ... يبحر فى تيار الفكر العربى

يعد يوهان فولفغانغ فون جوته (١٧٤٩ – ١٨٣٢ م) الذى ولد فى مدينة فرانكفورت ، أشهر أديب وشاعر ألمانى ، ويعتبره بعض النقاد رابع عظماء الأدب العالمى إلى جانب هوميروس مؤلف الإلياذة ، ودانتى مؤلف الكوميديا الإلهية ، وشكسبير ، أدهشته الحضارتان العربية والفارسية ، وترجمات معانى القرآن الكريم التى برزت واضحة المعالم فى أشعاره ، إلى الحد الذى جعل البعض يؤكد أنه توفى مسلماً .

رحل جوته إلى " ستراسبورج " كى يتم بها دراسة الحقوق حيث كانت هذه الرحلة نقطة تحول فى حياته كشاعر وفنان إذ أنه التقى أثناء هذه الرحلة بالشاعر هردر وكذلك إحساسه بالحب لأول مرة فى حياته .

بعد هذه الرحلة عاد جوته ثانية إلى بلدته " فرانكفورت " حيث أخذ يمارس مهنة المحاماة وأثناء إقامته فى " فيتسير " التقى بحبه الثانى إلا أنه هذه المرة أخذ شكل المأساة حيث أحب خطيبة أحد أصدقائه الأمر الذى دعاه إلى كتابة رائعته (آلام فارتر) حيث كانت تحكى هذه الرواية نفس تجربته الشخصية فقد عاش بطل هذه الرواية نفس تجربة جوته إلا أنه أقدم فى النهاية على الانتحار .

كان جوته فى هذه المرحلة من اتباع الاتجاه الأدبى السائد فى ذلك العصر (العاصفة والتيار) الذى كان يقدم المشاعر على كل الاعتبارات .

إلا أنه وما كاد جوته يترك مرحلة الشباب إلى مرحلة النضج حتى شعر أنه بحاجة إلى دافع جديد ومحرك لفنه وهذا ما كان فى رحلته إلى إيطاليا ، حدث فى هذه الرحلة ما قلب حياة جوته رأساً على عقب فتحول جوته من الاتجاه الأدبى (العاصفة والتيار) إلى (الكلاسيكية) ، ففى هذه الرحلة احتك جوته بالأدب والفن الرومانى اليونانى القديم واتخذ من أدبائه مثله العليا مثل هومر وسوفوكليس ، وهناك أتم جوته عمله الأدبى (إيجمونت) وكتب أعمالاً أخرى واهتم أيضاً بكثير من أبحاث علم النباتات .

بعد رحلة جوته إلى إيطاليا التقى بـ " شيللر " والذى كان يصغره بحوالى عشر سنوات إلا أن أواصر الصداقة لم تجمع بينهما فى ذلك الوقت فلقد كان جوته منتمياً للاتجاه الكلاسيكى وكان شيللر منتمياً لاتجاه (العاصفة والتيار) ولم يلبث أن جمع القدر بينهما مرة أخرى فى صداقة قوية كان من نتاجها العمل الأدبى (إكسين) الذى جمع بين عقل حر متفتح على العالم يعشق الطبيعة بكل ما فيها من تمرد وتهور وجمال وبين عقل هو أقرب ما يكون للنموذجية فى الفكر والرأى والروح والعمل .

تأثر جوته بالفكر الأدبى العربى فقد بدأ فى كتابة مسرحية عن محمد صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يتم كتابتها ، وقد وجدت بعد وفاته مخطوطات بها مشاهد من هذه المسرحية والتى يظهر منها أن جوته أراد أن يكتب نصاً منصفاً عن هذه الشخصية العربية الإسلامية العالمية ، حتى أنه صور النبى صلى الله عليه وسلم هادياً للبشر فى صورة نهر يبدأ التدفق رقيقاً هادئاً ثم لا يلبث أن يندفع فى شكل سيل عارم آخذاً معه البشرية نحو النهر المحيط (رمز

الألوهية) ... وفى هذا الصدد يكتب عن الإسلام فيقول :-

يـــا لحـــماقة البشـــــر عندمـــا

يصـــــر كل منـــــا على رأيه

إذا كـــان الإســـــلام معنـــــاه

أن نســـــــلـــم أمـــرنـــــا لله

فعلى الإسلام نعيش ونموت كلنا

كما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه جاء بأفكار عالمية جديدة ليشيع السلام والمساواة والإخاء فى العالم .

تعرف جوته على الشاعر الفارسى حافظ الشـيرازى ، وقـرأ كـذلك لشعراء فارسيين آخرين منهم الفردوسى وجلال الدين الرومى وأيضاً السعدى ، أما اهتمامه بالآداب العربية فلم يكن بالشئ الحديث فقد قرأ لكثير مـن شـعراء الجاهلية مثل امرئ القيس ، طرفة بن العبد ، زهير بن أبى سلمى ، عنترة بـن شداد وأيضاً عمرو بن كلثوم .

كما أن جوته لم يكتف بالقراءة فى الشعر العربى فقط بل قرأ أيضاً فـى النحو والصرف ، فقد كانت روحه متعطشة دائماً للعلم والمعرفة خارج حـدود المكان والزمان حتى أنه توجد مخطوطات حاول فيها جوته محاكاة وتقليد الخط العربى .

أما عن كتابه " الديوان الشرقى الغربى " فلم يظهر فيه الأثر العربى فقط وإنما ظهر فيه أيضاً بعض الكلمات العربية حتى أن جوته الحق بالديوان فصلاً

ضخماً يتضمن معلومات شارحة لموضوعاته ومعلومات عن الشعر الفارسى والعربى حتى يستطيع القارئ الألمانى أن يفهم هذا العمل .

والأكثر دليلاً على ذلك استخدام جوته لكلمة (ديوان) وهى كلمة عربية ذات أصل فارسى وغير شائعة الاستخدام فى اللغة الألمانية مما يؤكد رغبته فى إضفاء الروح العربية على هذا العمل .

ظهرت أولى طبعات الديوان عام ١٨١٩ وقسمه جوته إلى أثنى سفراً ، الشادى ، حافظ ، الحب ، التأمل ، الحزن ، الحكم ، تيمور ، زليخة ، الساقى ، الأمثال ، الفارسى ، والفردوس .

ويظهر فى هذا الديوان الكثير من التشبيهات العربية والغربية فى نفس الوقت على القارئ الألمانى وأيضاً الكثير من القرآن لغة ومضموناً مثل قصيدته :

" لله المشرق ، ولله المغرب ، والشمال والجنوب ، يستقران فى سلام يديه "

ونراه أيضاً يصف الجنة وشهداء المسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :

" إن موتاه يجب أن يحزنوا على الأعداء لأنهم يرقدون بلا عودة أما إخواننا فلا يجب أن نحزن عليهم إنهم يتجولون فى السماء ".

ويقول أيضاً :

منحنى الله حباً بحب

ومثلما فى عيون الحبيب عيونى

وأنا أذكـــر أســـماء الله المائة

يســـتجـــيب الله لك بكل اســـم

ثم عاود جوته العمل فى رائعته " فاوست " والتى أنهـــى الجـــزء الأول منها بعد موت شيللر فى ١٨٠٨ م ثم انتهى من الجزء الثانى منها فى عام وفاته ١٨٣٢ .

مات جوته وحيداً بعد موت زوجته وولده ودفن إلى جانب شـــيللر فـــى (فايمر) ، وكتب على شاهد قبره :

" وعلى شاهد قبرك سيقرأ الناس : إنك كنت بحق إنساناً "

بيتهوفن ... والألم العبقرى

لودفيج فان بيتهوفن (١٧٧٠ – ١٨٢٧ م) مؤلف موسيقى ألمانى ولد فى مدينة بون ، يعتبر من أبرز عباقرة الموسيقى فى جميع العصور ، وأبدع أعمالاً موسيقية خالدة ، له الفضل الأعظم فى تطوير الموسيقى الكلاسيكية ، وتشمل مؤلفاته للأوركسترا تسعة سيمفونيات وخمس مقطوعات موسيقية على البيانو ومقطوعة على الكمان ، كما ألف العديد من المقطوعات الموسيقية كمقدمات للأوبرا .

ظهر تميزه الموسيقى منذ صغره ، فنشرت أولى أعماله وهو فى الثانية عشرة من عمره ، اتسعت شهرته كعازف بيانو فى سن مبكرة ، ثم زاد إنتاجه وذاع صيته كمؤلف موسيقى ، عانى بيتهوفن كثيراً فى حياته ، عائلياً وصحياً ، فبالرغم من أن أباه هو معلمه الأول الذى وجه اهتمامه للموسيقى ولقنه العزف على البيانو والكمان إلا أنه لم يكن الأب المثالى ، فقد كان مدمناً للكحول .

انتقل إلى فيينا والتقى بموزارت وأخذ منه بعض الدروس فى التأليف ولفتت عبقريته نظر موزارت فقال لأصدقائه " التفتوا إلى هذا الشاب فسوف يحدث ضجة فى عالم الموسيقى " ، وفى هذه الفترة توفيت والدته فعاد إلى بون،

ولما بلغ الثانية والعشرين انتقل إلى فيينا ثانية وتتلمذ على يد " هايـدن " إلا أن عبقريته كانت تفوق قدرات أساتذته دائماً .

وعندما سافر هايدن إلى لندن تحول بيتهوفن إلى معلمين آخرين مثـل ساليرى وشينك وألبريشتبيرجر ، وقد أسهمت كل هذه الدروس والاحتكاكات فى تكوين شخصية بيتهوفن الفنية ، وحاول أن يشق لنفسه طريقـاً كعـازف فـى عاصمة الموسيقى ، وسرعان ما شغل مكانة كبـرى خاصـة فـى الأوسـاط الأرستقراطية ، فقد حاز بإعجاب الأسرة الملكية وعومل كصديق أكثـر منـه مؤلفاً .

وكان بيتهوفن فى شبابه ديموقراطياً مقتنعاً بالنظام الجمهورى متحمسـاً لشعار الثورة الفرنسية " الحرية " و " الإخاء " و " المساواة " كما كان معجبـاً إعجاباً فائقاً بنابليون حتى أهداه أحد مؤلفاته الرائعة ، ثم أصيب بصدمة عنيفـة عندما وصلت الأنباء إلى فيينا بأن نابليون قد نصب نفسـه إمبراطـوراً علـى فرنسا، فمزق فى ثورة غضب عنيفة ذلك الإهداء الذى كتبـه علـى الصـفحة الأولى من مخطوطة تلك السيمفونية .

بدأت إصابة بيتهوفن بالصمم عام ١٨٠٢ ، فبدأ فـى الانسـحاب مـن الأوساط الفنية تدريجياً ، وأمضى حياته بلا زواج ، إلا أنه لم يتوقف عن الإنتاج الفنى ، ولكن أعماله اتخذت اتجاهاً جديداً ، ومع ازدياد حالة الصمم التى أصابته امتنع عن العزف فى الحفلات العامة ، وابتعد عن الحياة الاجتماعيـة واتجـه للوحدة ، وقلت مؤلفاته ، وأصبحت أكثر تعقيداً ، حتى أنه رد على انتقادات نقاده بأنه يعزف للأجيال القادمة ، وبالفعل ما زالت أعماله حتى اليوم من أهـم مـا أنتجته الموسيقى الكلاسيكية العالمية ، واكتسبت اثنتان من السـيمفونيات التـى كتبها فى صممه أكبر شعبية ، وهما السيمفونية الخامسة والتاسعة ، كمـا أنـه

أحدث الكثير من التغييرات فى الموسيقى ، وأدخل الغناء والكلمات فى سيمفونيته التاسعة ، فجاءت رسالته إلى العالم " كل البشر سيصبحون إخوة ".

وبالرغم من اليأس الذى أصابه فى أوقات عديدة ، وكاد يصل به للانتحار ، إلا أنه قاوم ووجه طاقته كلها للإبداع الفنى ، حتى أنه قال يوماً " يا لشدة ألمى عندما يسمع أحد بجانبى صوت نای لا أستطيع أنا سماعه ، أو يسمع آخر غناء أحد الرعاة بينما أنا لا أسمع شيئاً ، كل هذا كاد يدفعنى إلى اليأس وكدت أضع حداً لحياتى اليائسة ، إلا أن الفن وحده هو الذى منعنى من ذلك " وطالما أضاف عدم تفهم الناس لحالته ألماً على ألمه ، ولكن معاناته لم تطل كثيراً فقد توفى عن عمر يناهز السابعة والخمسين ، بعد أن أثرى الموسيقى الكلاسيكية العالمية ، وصار أحد أعلامها الخالدين .

حرب الأفيون

كانت هذه الحرب من أكثر الأحداث التى تركت مرارة فى نفوس الصينيين ، وكانت بريطانيا هى البادئة فى إشعالها ، لحماية تجارة الأفيون ... تلك الحرب التى انتهت بالتنازل عن هونج كونج للتاج البريطانى.

فقد ظلت مصادر الثروة الصينية الوفيرة تجذب إليها دائماً تجار أوربا المتلهفين عليها وكانت بريطانيا أوفر البلدان تجارة مع الصين ... وحافظت شركة الهند الشرقية على احتكار بريطانيا لهذه التجارة ... لكن الحكومة فى بكين لم ترحب بالتجار الأجانب ورأى الإمبراطور الصينى أن البريطانيين إذا ما رغبوا فى التجارة مع الصين فلابد لهم من أن يمارسوها وفقاً للشروط الصينية .

وقد أوهنت الصين عزائم التجار بما فرضته من قيود فالتجارة مقصورة على ميناء واحد وهو ميناء كانتون الذى وضع تحت سيطرة جماعة صغيرة يستطيع أعضاؤها تثبيت أسعارهم المرتفعة لأنهم يحتكرون التجارة ، وعلى التجار الإقامة فى أحياء محدودة ومحظور عليهم مغادرتها ، كما أنهم لا يستطيعون البقاء بها إلا خلال الموسم التجارى من أكتوبر إلى مايو بالإضافة إلى أنهم خاضعون للقانون الصينى ، وربما بدت تلك التنظيمات معقولة ولكنها

أحدثت بلا ريب ضيقاً وظلت الشكاوى تنهال على الحكومة البريطانية ، لكن الكثير منها كان يتعلق بأحد فروع التجارة ، هو تجارة الأفيون الذى كان السلعة الوحيدة المصدرة إلى الصين بأية مقادير ، وكان يأتى من الهند الخاضعة للنفوذ البريطانى أى على بواخر بريطانية وبواسطة تجار بريطانيين ، ومع حلول منتصف القرن الثامن عشر ، أصبح تدخين الأفيون خطراً عظيماً على صحة الأهالى فى الصين.

وفى عام ١٨٠٠ م حرمت الحكومة الأفيون ، ولكن تجارته استمرت بمعاونة بعض الصينيين المخالفين ، ولم تكن الحكومة البريطانية على علاقة طيبة بالصين ، وبالإضافة إلى سياسة " الباب المغلق " رفض الصينيون اعتبار شعوب البلدان الأخرى سواسية معهم ... وفى عام ١٨٣٤م بذلت محاولات لإنشاء علاقات عندما عين اللورد " نابيير " للإشراف على شئون التجار البريطانيين فى كانتون لكن الصينيين رفضوا الاعتراف بشرعية وظيفته ... ولقد كان وقع الإهانة فى لندن قوياً وسيئاً وكان الأسوأ منها الأثر الذى خلفه إلغاء احتكار شركة الهند الشرقية فى عام ١٨٣٣م وكان ذلك يعنى الزيادة الكبيرة المفاجئة فى عدد التجار الذين يزاولون تجارتهم مع الصين ... وفى نفس الوقت حدث ما أدى إلى تصاعد الأزمة حيث زادت تجارة الأفيون على مدى السنوات التالية ووصلت إلى أربعين ألف صندوق عام ١٨٣٩م فى حين كانت خمسة آلاف صندوق فقط عام ١٨٢١م.

وهنا عزم الإمبراطور الصينى " تاو كوانج " على التخلص من هذا الخطر ، فأرسل " لين تسى هسو " إلى كانتون فى عام ١٨٣٩م فأصدر أوامره بتسليم جميع صناديق الأفيون ، وألقى القبض على ١٦ تاجراً كرهائن وحاصر الباقين حتى استسلموا ووقعوا تعهدات بألا يمارسوا التجارة ثانية ، وفى احتفال تم إحراق أكثر من عشرين ألف صندوق من الأفيون ... وغضب وزير

الخارجية البريطانى وأعلن أن الصينيين قبضوا على تجار بريطانيين وليس على أفيون بريطانى ، وأرسل الأسطول فى نوفمبر من نفس العام وهكذا اشتعلت الحرب.

وكانت حرب الأفيون سلسلة طويلة من الكوارث انصبت على رؤوس الصينيين وسقطت النقط الحاكمة على طول الساحل واستولى الإنجليز على عدة مناطق صينية ، وفى عام ١٨٤٢م أصبح الخطر يهدد بكين وطلب الصينيون السلام ... وفى أغسطس من نفس العام انتهت الحرب باتفاقية " نانكنج " التى كان من أهم بنودها تملك بريطانيا لهونج كونج ، ومنح التجار البريطانيين حقوقهم كاملة فى ارتياد الموانئ الصينية الخمس ... وكان على الصينيين الاعتراف بالمساواة السياسية ، كما كان عليهم أن يدفعوا تعويضات ضخمة تعادل ٢١ مليون دولار ... ولم يذكر الاتفاق شيئاً عن الأفيون الذى ظل مصدراً للنزاع.

وقد استغلت دول أخرى كفرنسا والولايات المتحدة ضعف الصين لتحصل على امتيازات مماثلة لنفسها ، واستمرت الصين فى رفضها اعتبار الدبلوماسيين الأجانب سوى برابرة ، وتبعت ذلك حروب كثيرة وقعت فيها الصين معاهدة أخرى مهينة عام ١٨٦٠م ، نصت على فتح المزيد من الموانئ أمام تجارة هذه الدول ، ومنح حق الاقامة لرعاياهم فى بكين ، والتعامل المباشر مع البلاط الإمبراطورى ، وحرية تجول المبشرين فى الصين ، والتنازل عن منطقة كولون وهى منطقة واقعة فى الصين والأكثر قرباً من هونج كونج ، وارتفع بذلك عدد المدمنين فى الصين من مليونى مدمن عام ١٨٥٠م إلى ١٢٠ مليوناً عام ١٨٧٨م.

سيمون بوليفار
محرر أمريكا اللاتينية

قائد ثورى وسياسى من فنزويلا تدين له جمهوريات فى أمريكا اللاتينية باستقلالها عن الحكم الأسبانى ، ولد سيمون بوليفار فى كاراكاس فى عام ١٧٨٣، تأثر خلال دراسته بالفلسفة ، ودرس بشكل خاص جان جاك روسو الذى ترك أثراً عميقاً فى شخصيته ، سافر بوليفار فى مطلع شبابه إلى فرنسا حيث التقى بالعالم الألمانى اسكندر هومبولت الذى نقل له اعتقاده بأن المستعمرات الأسبانية فى حالة استعداد للتحرر ، فراقت الفكرة لبوليفار وأخذ يمعن النظر فى تحرير بلاده.

وفى عام ١٨٠٧ عاد بوليفار إلى فنزويلا حيث اشترك فى اجتماعات وطنية عدة للتآمر على السلطات الأسبانية التى كانت تحكم بلاده ، واستطاع فى عام ١٨١٠ الإطاحة بالحاكم الأسبانى فنسينت دى امبران وإقامة حكم عسكرى.

وفى عام ١٨١١ أعلن المجلس الوطنى استقلال فنزويلا فانخرط بوليفار فى الجيش تحت قيادة فرانسيسكو ميراندا وأصبح عقيداً ثم عميداً ، إلا أن أسبانيا لم تعتبر نفسها مهزومة فقامت بهجوم مضاد على فنزويلا مما دفع ميراندا إلى توقيع الهدنة معها عام ١٨١٢ ، وغادر بوليفار إلى كارتاجينا فى غرناطة الجديدة التى أصبحت فيما بعد كولومبيا ، ومن هناك أكد أن انقسام شعب

فنزويلا هو الذى أعادها إلى العبودية ، فتجاوب معه شعب غرناطة وتم تعيينه قائداً لحملة هدفها تحرير فنزويلا ، فى عام ١٨١٣ اشتبك مع الأسبان فى ست معارك ودخل منتصراً إلى كاراكاس بصفته منقذاً للبلاد ، وحصل على لقب "المحرر" واستولى على الحكم ، إلا أنه أسس حكماً ديكتاتورياً قوياً وأنزل أحكاماً قاسية بمعارضيه مما أدى إلى اندلاع حرب أهلية ، فاستغلت أسبانيا الوضع وأعادت احتلال كاراكاس ، فى حين غادر بوليفار فنزويلا والتجأ إلى كارتاجينا .

واصل بوليفار ثورته وأقام اتصالات مع ثوار السهول الذين انضموا إليه، وفى ربيع ١٨١٩ قاد حملة لضرب القوات الأسبانية فى غرناطة الجديدة ، ويعتبر هذا الهجوم من أكثر الحملات جرأة فى تاريخ الحملات العسكرية إذ قام به جيش صغير (٢٥٠٠ رجل) سلكوا طريقاً صغيراً فى جو ممطر ، وقطعوا بحيرات وجبالاً ، كان الأسبان يعتبرون المرور فيها متعذراً وحتى مستحيلاً .

بعد استسلام القوات الملكية لبوليفار ، تم إعلان جمهورية كولومبيا الكبرى وانتخابه رئيساً عسكرياً لكن هذه الدولة الفيدرالية التى ضمت فنزويلا وكيتو (الاكوادور) وغرناطة الجديدة ، كانت حبراً على ورق ، لأن فنزويلا وكيتو كانتا لا تزالان تحت سيطرة أسبانيا ، وشعر بوليفار أن الثورة فى أمريكا الجنوبية أصبحت حتمية ، فعاد لمجابهة القوات الملكية وحرر كاراكاس فى ١٨٢١ ، والاكوادور فى ١٨٢٢ ، وبذلك تم تحرير جمهورية كولومبيا بأسرها ، ولم يبق بأيدى المستعمرين سوى البيرو التى تمكن بوليفار من تحريرها فى ١٩٢٤ باستثناء القسم الأعلى منها الذى حرره مساعده بعد عام فقط ، واتخذت هذه المنطقة اسم بوليفيا تيمناً ببوليفار .

فى عام ١٨٢٦ أقام القائد المنتصر حلفاً يضم دول أمريكا الأسبانية ووقعت أثر ذلك معاهدات بين كولومبيا والبيرو وأمريكا الوسطى والمكسيك التى

اتخذت قراراً فى ما بينها بإنشاء جيش وأسطول مشترك ، وتعهدت بـــأن تحـــل جميع مشاكلها بالتحكيم.

فى مطلع عام ١٨٢٧ دب الخلاف بين غرناطة الجديدة وفنزويلا فاصلح بوليفار الوضع ، إلا أن الأخيرة ما لبثت أن انفصلت عن كولومبيا فـــى شـــتاء ١٨٢٩ ، فأصيب بوليفار باليأس وغادر البلاد وتوفى عام ١٨٣٠.

تشارلز ديكنز ... رحلة إلى الآمال الكبرى

" كان ذلك الزمن أفضل الأزمنة ... وكان أسوأها " عبارة شهيرة قالها الروائى الإنجليزى الكبير تشارلز ديكنز (١٨١٢ - ١٨٧٠م) فى افتتاحية روايته الشهيرة قصة مدينتين ، وكأنه يصف طفولته التى أطلقت كل هذا النبوغ الأدبى ، فقد ولد ديكنز فى عائلة كبيرة وفقيرة فكان الابن الثانى من بين ثمانية أخوة ... كان والد تشارلز ديكنز كاتب حسابات أما جده وجدته لأبيه فكانا خادمين وقد كان والده مسرفاً مما أدى إلى صعوبة الأحوال المادية التى عذبت طفولة الإبن ولكن هذا العذاب هو الذى خلق منه العبقرى الذى خلده التاريخ وكان سبباً فى أن يصبح كاتباً كبيراً .

ساءت الأمور وكثرت الديون على آل ديكنز وبيع الأثاث وجاء الدور على كتب تشارلز وقصصه مما جعله يحس بالتعاسة ، وأرسله أبواه ليعمل فى مصنع مما أثر فى نفسه تأثيراً لم ينته بمرور السنين .

ثم أصيب هو وعائلته بكارثة إذ قبض رجال الشرطة على والده لعدم قدرته على سداد ديونه ، وأرسل إلى السجن المخصص للمدينين العاجزين عن السداد ، وأمضى ديكنز الأب ثلاثة أشهر فى السجن ، ويصف تشارلز حالته فى هذه الفترة " كنت اتجول فى الشوارع وأنا جائع ولولا رحمه الله لأصبحت لصا

أو متشرداً صغيراً ... لقد تأثرت طبيعتى كلها من الحزن ، والتحقير اللذين لحقانى نتيجة الأحداث التى مرت بى ، حتى أننى الآن وأنا شهير وسعيد أنسى أحياناً فى أحلامى أننى رجل ولى زوجة وأطفال وأعود بخيالى إلى تلك الأيام البائسة من حياتى ".

فى سن الخامسة عشرة بدأ العمل صبياً فى مكتب أحد المحامين وعمل بعد ذلك فى إحدى المحاكم وقد ساعده ذلك فى إتقان النواحى القانونية فى قصصه ، وفى نفس الوقت كان يعمل مراسلاً لإحدى الجرائد المحلية الصغيرة لقاء أجر متواضع أيضاً ، ولكنه لم يهتم بالأجر فلقد تفانى فى العمل الصحفى الذى كان بمثابة أولى خطواته لتحقيق أحلامه ، فقد تدرب من خلاله على حرفة الأدب ، ولقد أتاح له هذا العمل الصحفى أن يتأمل أحوال الناس على مختلف مستوياتهم الاجتماعية والأخلاقية فخرج بالعديد من التجارب الإنسانية والأخلاقية التى وسعت آفاقه ومداركه الأدبية والحياتية ، كما أغرم بفن التمثيل فكان يكثر من الذهاب إلى المسارح وقاعات الموسيقى .

بدأت شهرته الأدبية حيث نشرت الصحف انطباعاته عن لندن التى عشق التجول بين أحيائها وشوارعها الراقية والفقيرة التى وصفتها معظم قصصه الروائية ، ثم بدأ فى رواياته الطويلة ومن أهمها " اوليفر تويست " وتعد من روائع الأدب العالمى ، وترجمت إلى جميع لغات العالم ، وتحولت إلى فيلم سينمائى ومسلسل تليفزيونى ، ولا زالت تدرس كنموذج للرواية الكلاسيكية ، وهى تدور حول حياة صعبة لطفل يحمل اسم الرواية يولد فى ملجأ للأطفال من أم مجهولة توفيت بعد ميلاده مباشرة .

كما كتب ديكنز رواية " الآمال الكبرى " التى تلاقى بين أحداثها الأمل والتفائل بأنه ما زال فى هذه الحياة متسع لآمال كبار تنمو بفضل آخرين توجد بداخلهم الإنسانية بأحلى صفاتها .

كما تعتبر رواية " ديفيد كوبرفيلد " واحدة من أشهر رواياتـــه وأجملهـــا حيث يرى بعض الكتاب أنها تقريباً قصة حياته ، حيث عرف عنه نشأته الفقيرة، وإجباره على ترك المدرسة فى سن مبكر ، وقد انعكست هذه النشأة بالطبع على رواية ديفيد كوبرفيلد .

وفى عام ١٨٥٩ نشر ديكنز " قصة مدينتين " أى قصة باريس ولندن ، وقد اعترف فيما بعد بأنه كتبها تحت تأثير الفيلسوف الإنجليزى توماس كارلايل، ويبدو أن كلتا المدينتين كانتا عزيزتين على قلب ديكنز ولكن معرفته بهما لم تكن متساوية فلندن أقرب إليه بكثير ، يضاف إلى ذلك أنـــه كـــان يخشـــى الثـــورة الفرنسية وأعمال العنف التى حدثت فى مرحلتها الثانية ، ولذلك فـــإن روايتـــه كانت تهدف ضمنياً إلى تحذير الإنجليز من القيام بثورة كهذه.

ومن رواياته أيضاً " ترنيمة عيد الميلاد " و " أوقات عصيبة " و "أوراق بيكويك " وذلك ضمن أربعة عشرة رواية كتبها ، إلى جانب الكثير من القصص القصيرة ، وتميزت أعماله بالوصف الدقيق للشخصيات ، وبعرضـــها الثـــرى للحياة الاجتماعية فى مختلف صورها ، ونزعتها العاطفيـــة وانتقـــاء الشـــرور الاجتماعية مثل الديون وسوء التعليم ، وقد عجلت كتابات ديكنز بالاصلاح فـــى ميادين كثيرة.

فى عام ١٨٥٠ أصدر ديكنز مجلة " كلمات عائلية " التى حققت نجاحـــاً استثنائياً ، وكانت وسيلة لتواصله المباشر مع قرائه من خلال كتاباته الصـــحفية الأسبوعية ، كما كان ديكنز يلقى الخطب فى المآدب من أجل القضايا الخيريـــة، كما قام بزيارة فرنسا وأمريكا وإيطاليا ، وبحلول نهاية هـــذه الفتـــرة وصـــلت شهرته ذروتها ، رغم أن بعضاً من أعظم إبداعاته الروائية جاءت فـــى فتـــرة لاحقة .

توفى تشارلز ديكنز وهو لم يتعد الثامنة والخمسين من عمره ، جراء أصابته بإرهاق شديد فى جولة له بأمريكا الشمالية ، وكان فى غمرة كتابة روايته البوليسية " سير ادوين درود " التى لم تكتمل ، وعند وفاته عام ١٨٧٠ بكته إنجلترا كلها ومشت وراء جنازته ، ولم يحظ أى كاتب بهذا التشريف الرسمى والشعبى ، لقد كان من الروائيين الأكثر شعبية فى كل تاريخ العالم ، بل يرى البعض أن شهرته كانت تعادل شهرة الملكة فيكتوريا ذاتها .

أول خط سكة حديدية فى العالم

تم مد أول خط حديدى فى العالم بين مدينتى ستوكتن ودارلنجتن بإنجلترا عام ١٨٢٥م ، وأشرف على إقامته جورج ستيفنسن مخترع القاطرة البخارية التى أطلق عليها " الروكت " وكانت سرعتها ٣٥ ميلاً فى الساعة وهى محفوظة الآن فى متحف لندن لوسائل النقل.

ومما يذكر عن جورج ستيفنسن أنه عاش بين عامى ١٧٨١ – ١٨٤٨م، وقد ولد فى أسرة فقيرة بإحدى قرى اسكتلندا واشتغل راعياً ثم عاملاً بأحد مناجم الفحم ، وقام بتعليم نفسه واخترع مصباحاً للأمان أدر عليه بعض المال ، ومن ثم انصرف إلى محاولة استخدام البخار فى تسيير الآلات ، وتم له تركيب أول قاطرة حديدية فى عام ١٨١٤م.

وكانت مصر أول دولة فى الشرق تمد خطاً لسكة حديد ، وتم هذا عام ١٨٥١ م أثناء ولاية عباس باشا الأول وافتتح عام ١٨٥٦م وهو الخط بين القاهرة والإسكندرية ، وأشرف على إقامته روبرت ستيفنسن ابن جورج ستيفنسن ... وما أن تم مد هذا الخط حتى بدئ فى مد خط جديد من القاهرة إلى ميناء السويس عبر الصحراء وقد تم افتتاحه لحركة النقل فى نوفمبر ١٨٥٨ م

وبذلك اكتملت الحلقة التى ربطت بين البحر الأحمر والبحر المتوسط وسهلت الاتصال بين الشرق والغرب.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية اعتبر يوم ٢٠ مايو ١٨٦٩م مناسبة تاريخية ، ففى هذا اليوم تقابل قطاران بولاية اوتاوا ، وكان أحد القطارين قادماً من الشرق والآخر من الغرب ، وسجلا بذلك أول خط حديدى عبر الولايات المتحدة من نيويورك إلى سان فرانسسكو وكان هذا يعنى اتصال جانبى القارة اللذين يبعدان عن بعضهما البعض مسافة ٤٨٠٠ كيلو متر تقريباً ، وظل هذا الخط أطول خط فى العالم لعدة سنوات ، ولكن فى أواخر القرن التاسع عشر من ١٨٩١ إلى ١٩٠٥م شُيِّد خط حديدى أطول منه بكثير وهو الذى أطلق عليه اسم "الخط الحديدى عبر سيبريا" وكان يصل بين موسكو وفلاديفوستوك ويبلغ طول هذا الخط حوالى ١٢٨٠٠ كم ، وعلى الرغم من أن الرحلة كانت غير مريحة فى الشتاء إلا أنها كانت مغرية للعديد من المسافرين ، وكتب عنها الكثيرون.

ومما يذكر أنه فى الأيام المبكرة للسفر بالسكك الحديدية ، كان على معظم الركاب أن يواجهوا ظروفاً من التعب والإرهاق البالغين فلقد كانت عربات الدرجة الثالثة مكشوفة للجو ومزودة بمقاعد خشبية فى حين لم تكن عربات الدرجة الثانية تفوقها كثيراً فى توفير الراحة للركاب ، بينما كان يسافر ركاب الدرجة الأولى فى عربات فاخرة ولكنها ليست مثل عربات الدرجة الأولى حالياً ... وفى عام ١٨٤٤ م وافق البرلمان البريطانى على قانون أجبر شركات السكك الحديدية على تجهيز عربات مغطاة لركاب الدرجة الثالثة.

وبعد ذلك تطورت القطارات فى سرعتها وامكانياتها وخدماتها ومن ذلك على سبيل المثال إنشاء عربات النوم ، وكان صاحب هذه الفكرة بولمان مورتيمر (١٨٣١ – ١٨٩٧م) وهو من رجال الصناعة الأمريكيين وكان

مضطراً للسفر ليلاً بالقطارات لمسافات بعيدة ثلاث مرات على الأقل في الاسبوع الواحد ، وكثيراً ما تألم بسبب النوم على المقاعد الخشبية بالقطار في أثناء الليل ، وشحذت معاناته ذهنه في تصميم أول عربة سكة حديدية للنوم وهي المعروفة حالياً في خطوط السكك الحديدية الطويلة ، ولقى مشروعه معارضة في بادئ الأمر بحجة التكاليف الباهظة لعربات النوم هذه ، لكن سرعان ما أقبل المسافرون على حجزها لتقيهم شر التعب والبرودة التي تلحق بهم من النوم على المقاعد الخشبية بالقطار ... وتشجع بولمان فأسس عام ١٨٦٨ م شركة مركبات بولمان وجمع ثروة طائلة ولذلك أطلق اسمه على عربات النوم بالقطارات في جميع أنحاء العالم.

أما عن أول خط حديدى فى العالم شيد تحت الأرض فقد كان فى لندن عام ١٨٦٣م وكان قصيراً جداً ، كما كانت القطارات حتى ذلك الحين تسير بالبخار ، أما أول سكة حديد تحت الأرض تسير فيها القطارات الكهربية فقد مدت منذ أكثر من خمسين عاماً وكان ذلك فى بودابست عاصمة المجر ، وبمدينة نيويورك اليوم من السكك الحديدية الأرضية ما يفوق أية مدينة أخرى فى العالم من حيث أطوال مسافاتها ، وفى مدينة موسكو بالاتحاد السوفيتى عدد من محطات السكك الحديدية الأرضية هى أجمل ما يوجد منها في أى مكان بالعالم.

مذبحة المماليك ... أكون أو لا أكون !!

بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر عام ١٨٠١ ، سادت مصر حالة من الاضطراب والفوضى ، فقد عاد المماليك للصراع على الحكم ، على حين ظهرت قوة لا تقل عنهم تأثيراً هى قوة القيادات الوطنية المصرية التى استطاعت فى النهاية تنصيب محمد على والياً على مصر عام ١٨٠٥م.

وكان لتحالف تلك القيادات الوطنية ومن حولها جموع الشعب مع محمد على أكبر الأثر فى إلحاق الهزيمة بالحملة العسكرية الإنجليزية (حملة فريزر) التى ضمت نحو أربعة آلاف جندى قرب " رشيد " فى ١٨٠٧م والتى جاءت لتأييد بعض عناصر المماليك ، وتمكينهم من الوصول إلى الحكم فى مصر ليكونوا أعواناً لهم.

وأحس محمد على بخطورة المماليك ، وتهديدهم لأمن واستقرار البلاد ، فعمل على إبعادهم عن القاهرة ، وتعقبهم فى الصعيد ، حتى استطاع أن يخضع الصعيد لحكمه ، واستقرت له الأمور ، وأبدى له بعض المماليك الذين فروا إلى الصعيد الطاعة والولاء ، فسمح لهم بالعودة إلى القاهرة ، ولكنهم ظلوا يتآمرون عليه ويدبرون المكائد للتخلص منه .

أصبحت مقاليد السلطة فى مصر بيد محمد على ، واستقر له حكم

البلاد، ولكنه بدأ يشعر بالقلق إزاء تصاعد نفوذ القيادة الشعبية ، والزعامة الوطنية التى كانت سبباً فى وصوله إلى الحكم ، واختارته والياً على البلاد ، فبدأ يسعى إلى التخلص منها خوفاً من انفرادها بالحكم بعد أن تستنزف قوته فى حرب المماليك ، وسعى محمد على إلى الوقيعة بين القيادة الشعبية متمثلة فى المشايخ ، ثم نفى السيد " عمر مكرم " خارج القاهرة فى عام ١٨٠٩م واستطاع أن يقلص نفوذ المشايخ ، ويحد من دورهم فى الحياة العامة .

وبالرغم من محاولات محمد على الدؤوبة للتخلص من مراكز القوى فى دولته متمثلة فى زعماء المماليك ، فإنه ظل يقاسى من مؤامرتهم وغدرهم ، وكانت كل الدلائل تشير إلى أن المماليك سيتعاونون مع الإنجليز .

وفى بداية يناير ١٨١١ سافر محمد على إلى السويس ليتفقد الأعمال التى كانت تجرى فى مينائها ، ولكنه لم يلبث أن عاد إلى القاهرة فى فبراير ١٨١١ بعد أن وصلته الأخبار بضبط رسائل مريبة متبادلة بين المماليك فى القاهرة والمماليك فى الوجه القبلى .

فى تلك الأثناء أرسل إليه السلطان العثمانى يطلب منه إرسال قواته إلى نجد للمساعدة فى القضاء على الثورة الوهابية ، وعندئذ قرر محمد على القضاء على المماليك قبل خروج الجيش بقيادة ابنه " طوسون " إلى " نجد " حتى لا يثوروا ضده بعد خروج الجيش.

أعد محمد على مهرجاناً فخماً بالقلعة دعا إليه كبار رجال دولته ، وجميع الأمراء والبكوات والكشاف المماليك ، فلبى المماليك تلك الدعوة واعتبروها دليل رضاه عنهم ، وقبل ابتداء الحفل دخل البكوات المماليك على محمد على فاستقبلهم بالحفاوة ، ودعاهم إلى تناول القهوة معه ، وشكرهم على اجابتهم دعوته، والمح إلى ما يناله ابنه من التكريم إذا ما ساروا معه فى

الموكب، وراح محمد على يتجاذب معهم أطراف الحديث ، إمعاناً فى اشعارهم بالأمن والود .

وحان موعد تحرك الموكب ، فنهض المماليك وبادلوا محمد على التحية، وانضموا إلى الموكب وكان يتقدم الركب مجموعة من الفرسان فى طليعة الموكب ، بعدها كان والى الشرطة ومحافظ المدينة ، ثم كوكبة من الجنود الأرناؤود ، ثم المماليك ، ومن بعدهم مجموعة أخرى من الجنود الأرناؤود ، وعلى إثرهم كبار المدعوين ورجال الدولة .

وتحرك الموكب ليغادر القلعة ، فسار فى طريق ضيق نحو باب "العزب" فلما اجتاز الباب طليعة الموكب ووالى الشرطة والمحافظ ، أغلق الباب فجأة من الخارج فى وجه المماليك ، ومن ورائهم الجنود الأرناؤود ، وتحول الجنود بسرعة عن الطريق ، وتسلقوا الصخور على الجانبين ، وراحوا يمطرون المماليك بوابل من الرصاص ، أخذت المفاجأة المماليك وساد بينهم الهرج والفوضى ، وحاولوا الفرار ، ولكن كانت بنادق الجنود تحصدهم فى كل مكان ، ومن نجا منهم من الرصاص فقد ذبح بوحشية .

وسقط المماليك صرعى مضرجين فى دمائهم ، حتى امتلأ فناء القلعة بالجثث ، ولم ينج من المماليك الأربعمائة والسبعين الذين دخلوا القلعة فى صبيحة ذلك اليوم إلا واحد يسمى " أمين بك " كان فى مؤخرة الصفوف ، واستطاع أن يقفز بجواده من فوق سور القلعة ، وهرب بعد ذلك إلى الشام ، وصاغ جورجى زيدان قصته فى رواية " المملوك الشارد " الشهيرة.

وصل خبر تلك المذبحة إلى الجماهير المحتشدة فى الشوارع لمشاهدة الموكب فسرى الذعر بينهم ، وتفرق الناس ، وأقفلت الدكاكين والأسواق ، وهرع الجميع إلى بيوتهم ، وخلت الشوارع والطرقات من المارة .

وسرعان ما انتشرت جماعات من الجنود الأرناؤود فى أنحاء القـاهرة يفتكون بكل من يلقونه من المماليك وأتباعهم ، ويقتحمون بيوتهم فينهبـون مـا تصل إليه أيديهم.

وكثر القتل ، واستمر النهب ، وسادت الفوضى ثلاثة أيام ، قتل خلالها نحو ألف من المماليك ونهب خمسمائة بيت ، ولم يتوقف السلب والنهب إلا بعد أن نزل محمد على إلى شوارع المدينة ، وتمكن من السيطرة على جنوده وأعاد الانضباط ، وهكذا استطاع محمد على الإنفراد بالحكم.

إبراهيم باشا ...
قائد عظيم لم يهزم

كان يجاهر بإحياء القومية العربية ويعد نفسه عربياً وحين سئل كيف يطعن فى الأتراك وهو منهم ، فأجاب : " أنا لست تركياً فإنى جئت إلى مصر صبياً ، ومن ذلك الحين مصرتنى شمسها وغيرت من دمى وجعلته دماً عربياً ".

ولد إبراهيم باشا بن محمد على (١٧٨٩ – ١٨٤٨ م) فى قولة وهى ثغر صغير على حدود مقدونيا وتراقيا ، ولما توطد مركز محمد على فى مصر أرسل فى طلب ولديه إبراهيم وطوسون من موطنهما سنة ١٨٠٥ م واستدعى فيما بعد زوجته وأولاده الصغار ، وهم إسماعيل وشقيقتاه سنة ١٨٠٩ ، لم يكن إبراهيم قد أتم السابعة عشرة من عمره حينما عينه والده على قلعة القاهرة ، ثم أرسله سنة ١٨٠٦ رهينة لقاء الخراج الذى وعد الدولة العلية به وتوكيداً لإخلاصه ، فرده الباب العالى بعد سنة نظير خدمات أبيه ، وإعراباً عن نجاح محمد على فى هزيمة حملة الجنرال فريزر الإنجليزية على مصر عام ١٨٠٧.

تعلم إبراهيم فى مصر ، وكان يتكلم اللغات العربية والتركية والفارسية، وتلقى العديد من مبادئ العلوم والفنون ، وفى عام ١٨١٦ أرسله محمد على إلى الجزيرة العربية بغية الوصول إلى نتيجة حاسمة فى الحرب مع الوهابيين التى كان يقودها أخوه طوسون .

حاصر إبراهيم باشا الرس جنوبى القصيم واستولى عليها ثم زحف إلى عنيزة فاستسلمت واقتحم بريدة عنوة ، ثم حاصر الدرعية فى ٦ أبريل سنة ١٨١٨ ، واستمر حصارها خمسة أشهر وبضعة أيام ، وفى ١٩ سبتمبر ١٨١٨ استسلم عبد الله بن سعود ، فأرسله مع أفراد أسرته إلى مصر وانتهت الحرب .

عمل إبراهيم على كسب ود القبائل التى حاربته ، فأعلن الأمان وأغدق المال على من انضم إليه ، ورد النخيل الذى كان قد صادره إلى أصحابه ، وكان لحسن لقائه وسعة صدره وكرمه أثر ايجابى بالغ ، وعنى بتحصين المواقع الحربية المهمة فى البلاد ووضع فى الوقت نفسه أساس الإصلاح الزراعى فأمر بحفر الآبار ، وعنى بتنظيم التموين فى مكة والمدينة ، وحرص على توفير الأمن على طريق الحج ، وعلى توزيع مرتبات من الغلال على فقراء الحرمين والمجاورين ، ونال فى أثناء ذلك لقب الباشوية من السلطان العثمانى ، عاد إبراهيم مظفراً إلى القاهرة سنة ١٨١٩ ، وبعد ذلك بقليل ولاه السلطان على جدة .

وفى عام ١٨٢٤ م عمت الثورة بلاد اليونان خاصة فى شبه جزيرة المورة و أعلن اليونانيون استقلالهم ، فالتجأ السلطان محمود إلى محمد على باشا وولاه بلاد المورة فأرسل ابنه إبراهيم باشا على رأس جيش من ١٧ ألف مقاتل و ٧٠٠ فارس مجهزين بالمدافع والبنادق ، وأذهل إبراهيم باشا أوربا حيث قام فى مدة قصيرة بما عجزت عنه الدولة العثمانية فى أربع سنوات فاستولى على مراكز الثوار الحصينة وعلى عاصمة المورة فى يونيه ١٨٢٥ م بعد الاستيلاء على مدينة (كلاماتا) وأعظم الموانئ (نفارين) ، ولم يبق سوى (نوبلى) عاصمتهم فلما بدأ حصارها استغاث به قائد الجيوش التركية لفتح مدينة (ميسولونجى) التى حاصرها لمدة عام كامل فهزمهم واستولى على المدينة الباسلة التى فضل أهلها الموت على الاستسلام .

وفجرت هزيمة الثوار غضب أوربا التى كانت تدعمهم ضد العثمانيين فتحالفت روسيا وإنجلترا وفرنسا فى يونيه ١٨٢٧ م وهزمت أساطيلهم الأسطولين المصرى والعثمانى بميناء (نفارين) ، ورغم رفض إبراهيم باشا وقع محمد على اتفاقية مع الدول الثلاث على سحب الجيش المصرى من اليونان مقابل إعادة باقى سفن أسطوله وأسراه وإطلاق سراح الأسرى اليونانيين إلا أنه نفذ أمر أبيه فقام بالجلاء عنها فى أكتوبر ١٨٢٨م .

وحدث أن ساءت العلاقات بين محمد على وعبد الله باشا الجزار (والى عكا)فسير إليه محمد على جيشاً بقيادة يكن باشا سنة ١٨٣١م من ٣٠ ألف مقاتل ولحق بالجيش إبراهيم باشا قائداً للحملة ورئيس أركانه (سليمان باشا الفرنساوى) ، فاستولى على غزة ويافا وحيفا بسلام واستولى على عكا التى عجز نابليون عن دخولها واستقبله الشعب السورى بالترحاب ووجده خير مخلص من ظلم الأتراك ، وهزم جيشاً عثمانياً قوامه ٢٠ ألف بقيادة (والى طرابلس) فى سهل الزراعة جنوب (حمص) فى أبريل ١٨٣٢م واستولى على حمص بعد أن هزم (السير عسكر حسين باشا) أكفأ قواد تركيا واستولى على دمشق وحماه وحلب شمال سوريا ، وتحصن الجيش العثمانى بـ (مضيق بيلان) الوعر جنوب الاسكندرونة وبمواقعه الجبلية فخاض معه معركة رهيبة استمرت ثلاث ساعات واستولى على الاسكندرونة وانطاكية واللاذقية وعينتاب وقصرية ، وإثر الهزائم المتوالية ألف السلطان العثمانى جيشاً جديداً بقيادة الصدر الأعظم محمد باشا رشيد أعظم من بقى من القواد الأتراك وبلغ الجيش ٥٣ ألف مقاتل .

وتمت المعركة المعروفة باسم (قونية) بعد سبعة ساعات بهزيمة ساحقة للجيش العثمانى فاقت هزائمه السابقة وأسر محمد باشا رشيد نفسه ولم يبق للسلطان جيش يدافع به عن اسطنبول عاصمة ملكه .

واستولى إبراهيم باشا على (كوتاهية) فاستنجد السلطان العثمانى باعدائه الروس فأرسلوا ١٥ ألف جندى لحماية اسطنبول وضغطوا على محمد على لإيقاف حربه وإبرام اتفاقية (كوتاهية) سنة ١٨٣٣ م (خوفاً من إحلال دولة شابة محل الدولة العثمانية المريضة) .

وأبرم السلطان العثمانى معاهدة دفاعية هجومية مع أعدائه الروس فلم يكن صلح كوتاهية سوى فرصة لإعادة تجهيز الجيش العثمانى ، وبادر السلطان بتدريب جنوده على الأنظمة الحديثة والأسلحة الحديثة تحت رعاية وإشراف الضباط الألمان (أعظم العسكريين فى أوربا) ، وبعث فى يونيه ١٨٣٩ بجيش تركى نظامى قوامه ٤٠ ألف جندى تسانده قوة مماثلة من الجنود غير النظاميين تحصنوا بقلعة حصينة بقرية (نزيب) ، وهاجم إبراهيم باشا الجيش العثمانى فى موقعة (نزيب) أو كما يطلق عليها (نصيبين) وانتهت بهزيمة نكراء فاقت كل هزائم الأتراك السابقة وتوفى السلطان العثمانى بعد تجرعه لنبأ الكارثة ، واجتمعت إنجلترا وروسيا والنمسا وفرنسا وبروسيا وتم الاتفاق على معاهدة لندن ١٨٤٠ م فى غيبة فرنسا وأملوا شروطهم على محمد على بموافقة الباب العالى بالانسحاب .

وجاءت الهزيمة من الداخل وليست من الخارج ألا وهى ثورة الشعب السورى واللبنانى فى وقت متزامن ضد حكم محمد على وبتأييد من أساطيل إنجلترا ... وأصدر محمد على أوامره إلى إبراهيم باشا بإخلاء سوريا والعودة لمصر ، وطويت الصفحة العسكرية لهذا القائد العظيم .

وفى عام ١٨٤٧ م قام إبراهيم باشا برحلة لأوربا فأستقبل استقبالاً حافلاً فى إيطاليا وباريس وإنجلترا باعتباره القائد العسكرى الذى لم يهزم فى أى موقعة حربية خاضها وأحيط بمظاهر الإجلال من الملوك والشعوب .

ونظراً لمرض محمد على فى عام ١٨٤٨م صدر فرمان بتعيين إبراهيم باشا والياً على مصر ، لكن القدر لم يمهله ليترك بصمته على ولاية مصـــر أو لإقامة الوحدة العربية التى سعى إليها ، فوافته المنية فـــى ١٥ نـــوفمبر ســـنة ١٨٤٨م وعمره لم يتجاوز الستين سنة ولم تزد فترة حكمه عن سبعة اشهر .

باعث نهضة الشرق الحديثة

أفغانى الأصل ... ينتمى إلى الحسين بن على رضى الله عنه ، ولد فى قرية " سعد أباد " عام ١٨٣٩ م ، وقد تعلم الفارسية والعربية ، ودرس العلوم الإسلامية العالية من تفسير وحديث وفقه وتصوف وتاريخ وعلوم اللغة العربية ، وتعلم الفلسفة والرياضة والطبيعة ... إنه جمال الدين الأفغانى .

وقد ظهرت دعوته إلى الجهاد والحرية حوالى عام ١٨٥٠ م ، وبدأ بها فى بلاد الأفغان موطنه الأصلى ، ثم قام برحلة طويلة فى الأقطار الإسلامية إلى مكة ، فأكسبه ذلك تجارب علمية واسعة وخبرة بحياة الشرق ، وتعلم الفرنسية وهو كبير ، وزار فارس والهند والحجاز والأستانة ، وأخذ ينشر دعوته فيها.

غير أن أخصب فترات حياته هى تلك التى قضاها فى مصر من مارس ١٨٧١ إلى أغسطس ١٨٧٩ م ، فقد أحدث انقلاباً فى الأدب ، وجعله يخدم الشعب ويطالب بحقوقه ودفع الظلم عنه ، بعد أن كان الشعراء والأدباء لا هم لهم إلا امتداح الحكام مهما بلغ ظلمهم ... وكان يلقى درساً فى بيته على طائفة من مجاورى الأزهر وبعض علمائه ، منهم الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وأخذ يهيب بالنفوس أن تنهض وتتحرك ، مما جعل الخديو توفيق حين تولى الحكم بعد إسماعيل ، ينفيه هو وخادمه الأمين " أبو تراب " إلى الهند فى ٢٤

أغسطس ١٨٧٩ م ، وكان هذا آخر عهد مصر بجمال الدين الأفغانى ، وإن لم يكن آخر عهدها بآرائه ومبادئه .

وقد أقام جمال الدين الأفغانى فى " حيدر أباد " فى الهند ، منفياً لا يسمح له بمفارقتها ولا يستطيع التحدث أو الخطابة ، وفى هذه الفترة ألف كتابه المشهور فى الرد على الدهريين وعنوانه " رسالة فى إبطال مذهب الدهريين " ، وبيان مفاسدهم ، وإثبات أن الدين أساس المدنية ، والكفر فساد العمران ، وقد كتب هذه الرسالة بالفارسية ثم ترجمت إلى الأردية ، ثم ترجمها الشيخ محمد عبده بمعاونة أبى تراب ، وقد رد جمال الدين فى هذه الرسالة على " دارون " ومذهبه فى النشوء والارتقاء .

ولما شبت فى مصر الثورة العرابية ، نقلته حكومة الهند من "حيدر أباد" إلى " كلكتا " وألزمته الإقامة فيها وهو مراقب من قبلها حتى انتهت الثورة بالاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢ م ، فأتيح له الذهاب حيث شاء (فى غير الشرق) ، فذهب إلى لندن عام ١٨٨٣ م ، ولم يطل الإقامة بها فانتقل إلى باريس ، وناضل ضد الاحتلال نضالاً مجيداً ، وأنشأ فى باريس صحيفة العروة الوثقى ، وشاركه فى تحريرها تلميذه الشيخ محمد عبده ، ووضع لها يميناً يقسمه من يدخل فيها ، ويتعهد " بأن يبذل ما فى وسعه لإحياء الإخوة الإسلامية ، وإنزالها منزل البنوة والأبوة الصحيحتين ، وألا يقدم إلا ما قدمه الدين ، وألا يؤخر إلا ما أخره الدين " ... وكان الهدف من إصدار هذه الصحيفة الدعوة إلى الأمل فى المستقبل والتمسك بالمبادئ التى سار عليها الأولون ، والدفاع عن التهم التى توجه إلى الشرقيين ، وتقوية الصلات بين الأمم الإسلامية .

وقد ناهض فى الجريدة الاحتلال الأجنبى فى الأقطار الإسلامية – وخاصة فى مصر – بكل قوته واستعمل لهذا الغرض أشد أنواع التعبير ، وأعنف أساليب الإثارة ، مما دعا وزارة نوبار باشا إلى إصدار قرار بمنعها ،

وكانت نتيجة ذلك أن احتجبت الجريدة والألم يحز فى نفس جمال الدين الأفغانى، لأن من دعاهم للثورة لم يستجيبوا ، ولأن الجريدة لم تستطع المضى فى دعوتها، وبذلك انتهت مرحلة أخرى من حياة الأفغانى .

ورحل إلى فارس ولكن تنكر له الشاه ، فرحل إلى سان بطرسبرج عاصمة روسيا حينذاك وأقام بها ثلاث سنوات ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م ، وأخذ يناضل عن المسلمين فى روسيا ، كما أخذ يحمل هناك على سياسة إنجلترا ، ثم سافر إلى أوربا ونزل فى ميونيخ بألمانيا ، وتقابل مع شاه الفرس ناصر الدين فعرض عليه العودة معه إلى فارس ، واعداً بأن يمهد له طريق الإصلاح الذى يقترحه ، وما أن رجع الأفغانى إلى طهران وأخذ يدعو دعوته إلى إصلاح الإدارة وتنظيم الحكم النيابى ، حتى أصبحت النفوس تغلى وتريد الإصلاح فحقد عليه الشاه مرة أخرى ، وقبض عليه جنوده فى هوان وتحقير ، وبعد ذلك سافر إلى لندن ، ثم استدعاه سلطان تركيا فسافر إلى الأستانة ، وأقام بها أربع سنين وبضعه أشهر ، وأخذ يدس له عدوه اللدود " أبو الهدى الصيادى " عند السلطان، إلى أن وفاه الأجل عام ١٨٩٧ م .

وقد تواترت الروايات بأن جمال الدين الأفغانى قد مات مقتولاً ، وتدل الملابسات على ترجيح هذه الرواية ، اختلاف الشاه وسلطان تركيا معه ، وحبس الأخير له فى قصره ووشايات أبو الهدى الصيادى مما يقرب إلى الذهن فكرة التخلص منه بأية وسيلة ، خاصة أن الغدر والاغتيال كانا من الأمور المألوفة فى الأستانة فى ذلك الوقت.

عبد الله النديم ... الثورة من يد إلى يد

برز عبد الله النديم خطيب الثورة الثائر كأحد أهم قادة الثورة العرابية منذ تصاعد الأحداث فى صيف ١٨٨١ حتى هزيمة العرابيين فى سبتمبر ١٨٨٢، ورغم أنه لم يتجاوز السادسة والثلاثين عند اشتعال الثورة إلا أنه احتل مكانة مرموقة بين رجالها وفى تاريخ مصر .

ولد عبد الله النديم (١٨٤٥ – ١٨٩٦ م) فى الإسكندرية فى أسرة متوسطة الحال ، وقد لمح أبوه علامات نبوغه فدفعه ليتلقى العلوم الدينية لكن الفتى اهتم بفنون الأدب ونبغ فيها فبرع فى الكتابة والشعر والزجل ، وتميز النديم فى المناظرات المرتجلة واشتهر بروحه الساخرة .

لم يحترف عبد الله النديم الأدب فى بداية حياته العملية لكنه اتجه إلى تعلم صنعة يتعيش بها فدرس فن التلغراف وكان قد دخل مصر حديثاً ، واشتغل النديم فى مكتب بنها للتلغراف ثم انتقل إلى مكتب القصر العالى حيث تسكن الوالدة باشا أم الخديوى إسماعيل ، وكان انتقاله إلى القاهرة بداية لاختلاطه بأعلام الأدب والفن والثقافة فى ذلك العصر فأخذت شهرته تذيع بينهم ، إلا أن إقامته لم تطل بالقاهرة فقد اصطدم بخليل أغا الرجل القوى صاحب النفوذ فأمر بفصله .

رحل عبد الله النديم إلى الدقهلية وأقام بالمنصورة حيث افتتح متجراً هناك ، وخلال إقامته التى لم تستمر طويلاً كان مجلسه مقصداً لرجال الأدب وطلاب العلم ، وبعد تجواله فى عدة مدن وقرى بالدلتا عاد إلى الإسكندرية ليستقر بها وكان ذلك سنة ١٨٧٦ فى فترة صعود الحركة الوطنية ، وهناك اتصل بعناصر من جماعة مصر الفتاة التى كانت تطرح مشروعاً للاصلاح الوطنى والدستورى وهى غير جماعة مصر الفتاة التى أسسها أحمد حسين فى ثلاثينيات القرن العشرين ، وفى تلك المرحلة المهمة من تاريخ مصر والتى شهدت صعوداً للدعوة لسيطرة المصريين على مقدرات بلادهم بدأ عبد الله النديم الكتابة بانتظام فى عدد من الصحف التى أصدرها أديب اسحاق وسليم النقاش ، وفى سنة ١٨٧٩ شارك فى تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية وأصبح مديراً لمدرستها ، كما تولى تدريس الإنشاء وعلوم الأدب والخطابة بها ، وانشأ فريقاً للمسرح بالمدرسة وقام أعضاء هذا الفريق من تلاميذ المدرسة بالاشتراك مع النديم بتمثيل بعض الأعمال الأدبية الأولى التى ألفها .

ونظراً للنجاح الذى حققته مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية فقد وضعت تحت رعاية الأمير عباس حلمى الذى أصبح الخديوى فيما بعد .

لقد ظهر عبد الله النديم على الساحة الأدبية والفكرية فى مصر فى وقت كانت البلاد تموج فيه بتيارات الإصلاح والتجديد ، وكان الشعور الوطنى فى تصاعد مستمر خاصة فى السنوات الأخيرة من حكم إسماعيل حيث سعى الوطنيون المصريون إلى إنقاذ البلاد من عبء الديون الخارجية التى كانت قد أوشكت أن تهدر استقلال مصر.

وتناول النديم الأوضاع المزرية والأساليب الاستبدادية بالنقد والثورة عبر مجلة اللطائف ، ثم مجلته الساخرة " التنكيت والتبكيت " وهى المجلة التى سببت صداعاً دائماً فى رأس السلطة ، ولم ينج من لسان النديم كبير ولا صغير

بدءاً من الخديوى نفسه ، وانضم إلى رفاقه فى الثورة العرابية وأصبح خطيبها الأول بلا منازع ، ومع شجاعته التى لا تقف عند حد قام بالطواف شرقاً وغرباً يخطب بلسان يبعث الحياة فى قلب الحجر .

ومع انفجار المعركة ازداد النديم نشاطاً واشتعالاً وحرك قلوب الصامتين حتى هب الجميع خلفه وانطلقوا خلف عرابى فى التل الكبير لرد القوات البريطانية عن البلاد بعد أن دعاها الخديوى المتواطئ .

انطلق الجيش وخلفه الشعب يمده بالعتاد والمؤن والسلاح البدائى دفاعاً عن الحرية وتحت تأثير الخيانة المعروفة التى تعرض لها جيش عرابى ، وتمكن " فرديناند ديليسبس " من خداع عرابى عندما أوهمه أن قناة السويس لن يستخدمها الجيش الإنجليزى وهو ما لم يحدث ، ليواجه الجيش المصرى معركة غير متكافئة ، وينسحب عرابى وبعض رفاقه وفيهم النديم ويصلون إلى القاهرة فجراً .

ويتم القبض على معظم قيادات الثورة التى تم قهرها وكوفئ المتواطئون على أعمالهم ، وانطلقت أعمال الانتقام تنال كل من ساعد وتكاتف من أجل وطنه فوقع عرابى ورفاقه بين أيديهم ... وتم نفيهم ... لم ينج من هذا المصير إلا عبدالله النديم والذى استفاد من كونه خبيراً بحياة الصعاب وما كانت بجديدة عليه وفشلت جميع الجهود فى القبض عليه ... وفر نحو تسع سنوات كاملة لأنه لم يكن يحتمل عقوبة النفى ولو ليوم واحد خارج تلك الأرض .

وبعد تسع سنوات من الفرار قبض على النديم ، وحملوه إلى وكيل النائب العام للتحقيق فإذا به " قاسم أمين " الاصلاحى الشهير والذى عرف جيداً رسالة النديم وأثره فأكرم وفادته وعامله معاملة حسنة ثم صدر الحكم ونفى النديم إلى يافا ... غير أن موت الخديوى توفيق أتاح له العودة بعد أن أتى الخديوى الجديد فأصدر أمره بالعفو عنه ... وعاد المجاهد الكبير إلى مصر

ليجد أزمة مشتعلة بين اللورد كرومر والخديو عباس حلمى ويستشعر النديم سكوناً فى الحركة لم يعهده فى الشعب المصرى .

وتساءل بينه وبين نفسه هل عادت النفوس لسابق عهدها؟ ... غير أنه حمد الله بعد قليل على بقاء الجذوة مشتعلة عندما طرق بابه شاب فى مقتبل العمر متحمس ثائر ... جاء إلى النديم يرجوه أن يقص عليه القصة الحقيقية للثورة بعد أن ضاعت ملامح الكفاح بالروايات المغلوطة ... وتأمله النديم فى صمت ... ثم سأله عن اسمه فأجابه الفتى الثائر : " مصطفى كامل " ، الذى تولى الثورة فيما بعد .

وعلى الرغم من أن النديم كان على أبواب عامه الخمسين وقد أدى رسالته إلا أنه لم يصمت ... فأسس مجلة " الأستاذ " وكانت تختلف عن مجلته القديمة " التنكيت والتبكيت " التى كانت تزاوج بين الفصحى والعامية لأن الأستاذ جاءت رصينة الكلمة بالفصحى الوقورة ... فثار رفاق النديم القدامى على صاحبهم ودعوه إلى العودة للعهد القديم ... وعاد النديم ... ليشطها ناراً بحق ... وبدأت الخواطر تهيج شاهدة على القدرات الفائقة لهذا المجاهد ... وتصرخ الجرائد والصحف البريطانية وعلى رأسها التايمز التى طالبت بضرورة اسكات هذا الرجل ... وتدخل الباب العالى وقام السلطان عبد الحميد باستدعائه إلى استنبول ومنعه من الذهاب إلى مصر وقام بإكرامه وتعيينه فى لجنة مستشاريه إلا أن النديم يضيق بالقفص الذهبى الذى نسجه حوله السلطان فيوجه نقده اللاذع إلى السلطان نفسه ويهرب منه وعاد النديم إلى مصر ولم يلبث إلا فترة قصيرة ... ووافته المنية ... فى يوم ١٠ أكتوبر عام ١٨٩٦ م .

لويس داجير ... وحلم امتلاك اللحظات للأبد

لعقود طويلة حاول العديد من العلماء الوصول إلى حلم امتلاك لقطات فوتوغرافية واضحة لأشخاص أو أماكن ، على ألا تتلاشى بعد فترة قصيرة حتى يمكن الاحتفاظ بها وتعددت المحاولات فى هذا المجال حتى جاء لويس داجير الفنان والكيميائى الفرنسى الذى يعد بحق مبتكر التصوير الفوتوغرافى.

ظل لويس داجير (١٧٨٧ – ١٨٥١م) طوال سنوات حياته يرسم الطبيعة والريف الفرنسى ويتجول هنا وهناك لينقل من خلال خطوطه وألوانه جوانب من الحياة المحيطة به ، ونظراً لوجوده فى القرن التاسع عشر وما حواه من تقدم وتطور فى العديد من مجالات الحياة خصوصاً فى مجالات الابتكار والبحث ، راح " داجير " يتساءل أليس هناك طريقة تنقل جمال الطبيعة نقلاً دقيقاً غير الفرشاة ؟

وفى عام ١٨٢٧ التقى لويس داجير بالمبتكر " جوزيف نيبسى " وحاولا فى نفس الاتجاه ، وقد كونا معاً فريقاً يتبادل المعلومات والتجارب ، وصادفهما نجاح محدود فيما يتعلق " بتثبيت " الصورة لتظل دائمة على السطح الحساس للضوء ، وعندما مات " جوزيف نيبسى" عام ١٨٣٣م استأنف " لويس داجير " التجارب بمفرده ، وذات يوم وبعد أن عالج لوحاً معدنياً باليود وضع بإهمال

ملعقة فضية على سطح اللوح وعندما رفع الملعقة فيما بعد لاحظ شيئاً غريبـاً ، فقد كانت هناك صورة باهتة للملعقة على السطح المعدنى .

وأدرك " داجير " على الفور حقيقة ما حدث ... لقد تفاعل اليـود مـع الفضة ليكونا مادة جديدة ، وعندما تعرضت تلك المادة للضوء صـارت داكنـة وظهرت صورة مهزوزة على الصفحة المعدنية .

عندئذ بادر " داجير " بمعالجة الألواح الفضية المصقولة باليود وعرضها للضوء ، فظهرت على الألواح صورة باهتة ، وأدرك " داجير " أنه على أعتاب شئ ما إلا أنه كانت هناك مشكلتان فقد احتاجت الصور إلى وقت طويـل مـن التعرض للضوء حتى تظهر ، ثم أنها كانت تخبو سريعاً لأن " داجير " لم يكـن يعرف كيف يثبتها بشكل دائم على الألواح .

وذات يوم ربيعى عام ١٨٣٥م وبعد أن عرض لوحاً فضياً آخر للضوء، قرر " لويس داجير " أن يخلد للنوم مبكراً ، ولذلك وضع اللوح الذى لم يكتمـل تعرضه للضوء داخل خزانة الكيماويات ، وعندما عاد فى صباح اليوم التـالى لإحضار اللوح من الخزانة لم يصدق عينيه لقد كانت هناك صورة واضحة على اللوح ، فقد تم إظهار الصورة – بطريقة ما – خلال الليل ... من نفسها .

وأدرك " داجير " أنه صار قريباً من كشف مهم ، وشك فى أن شيئاً ما داخل الخزانة قد قام بإظهار الصورة ، ولكن أى الكيماويات قد كان السـبب ؟ فعمد كل يوم إلى وضع ألواح لم يكتمل تعرضها للضوء داخل الخزانة ، وأخـذ يستبعد كل يوم مادة كيميائية من الأرفف ، ولكن الألواح ظلت بطريقة غامضة ترفض أن تظهر عليها الصورة .

وعندما لم يعد هناك بالخزانة أى مواد كيميائية قام " داجير " بوضع لوح بها وفى الصباح ظهرت صورة على اللوح فأصيب " داجير " بالحيرة الشديدة ،

فكيف يمكن أن يكون ذلك قد حدث ؟ ثم قام بفحص الخزانة جيداً واكتشف قطرات صغيرة من الزئبق الذى انسكب فى أحد الأركان ، إنه إذاً بخار الزئبق، وقد استخدم " داجير " بخار الزئبق ليقلل من زمن تعرض الألواح للضوء ، ثم بقيت مشكلة واحدة وهى أن الصورة ظلت تسود بعد إظهارها .

و بعد بضعة سنين من التجارب اكتشف " داجير " أن مادة كيميائية أخرى هى " هيبوكبريتات الصوديوم " قادرة على " تثبيت " الصورة فوق اللوح الحساس وأدى ذلك الاكتشاف إلى اكتمال عملية التصوير ، فالصور يمكن اسقاطها على اللوح الحساس للضوء ثم يتم اظهارها ثم تثبيتها بشكل دائم لا تخبو بعده مرة أخرى .

وقد أحدث ابتكار " داجير " دوياً هائلاً عندما أعلنه على الملأ حين عرض أول مجموعة من صوره فى قصر " مازران " عام ١٨٣٩.

ثم طور العالم الإنجليزى " وليام فوكس تالبوت " عام ١٨٣٥ م عملية التصوير الفوتوغرافى التى ما زالت تستخدم حتى اليوم فقد اكتشف أن تغطية ورقة بأحد مركبات الفضة ثم تعريضها للضوء يؤدى إلى تكون صورة سلبية (نيجاتيف) ومنها يمكن الحصول على أى عدد من الصور الإيجابية .

ثم حقق الألمانى " أوسكار بارناك " فى عام ١٩١٣ شهرة عالمية من خلال آلة التصوير لايكا ، فقد كان اختراع " إدوين لاند " للتصوير الفورى عام ١٩٤٧ انطلاقة كبيرة لعالم التصوير ، وكان ذلك الاختراع يعنى التخلى عن الطريقة القديمة بتحميض الأفلام حيث أصبحت هذه العملية تتم داخل الكاميرا وفى وقت قصير جداً ، كما لم تعد الأفلام تحتاج لكثير من المواد الكيميائية والإضاءات الخاصة لتظهير الأفلام ، وإنما استخدمت التقنية الجديدة نفس مواد الأفلام ولكن بإضافة بعض المواد الجديدة .

والحقيقة أن تقنية التصوير الفورى كانت لها الكثير من الفوائد فى كثير من المجالات ، إلا أن المجال الطبى كان له نصيب الأسد من هذه التقنية . وفى عام ١٩٦٩ رافقت آلة التصوير السويدية – هازيل بلاد – رواد الفضاء فى أول رحلة حقيقية إلى القمر ومنذ ذلك الحين أخذت هذه الآلـــة تـــدهش المحتـــرفين بتقنياتها العالية والمتلاحقة بعد انتشار الكاميرا – الديجيتال – الرقمية .

تشايكوفسكى
أعظم الموسيقيين الروس

يعد تشايكوفسكى (١٨٤٠ – ١٨٩٣م) من أوائل الموسيقيين الروس الذين اشتهروا عالمياً ، فقد كان متمكناً من تنسيق الفرقة الموسيقية – الأوركسترا – بمقدرة فذة على مزج أصوات الآلات الموسيقية المختلفة لخلق الأثر الموسيقى المتنامى ، وكانت له أيضاً موهبة خاصة فى كتابة المقطوعات الغنائية .

ولد تشايكوفسكى فى مدينة فوتكنسك فى روسيا ، دخل مدرسة القانون فى سان بطرسبرج عام ١٨٥٥م ثم اتجه إلى دراسة الموسيقى فى معهد الموسيقى بسان بطرسبرج من عام ١٨٦٢ – ١٨٦٦م ، كان تشايكوفسكى أول الموسيقيين الذين تلقوا تدريباً منظماً فى أساسيات الموسيقى ، وفى السادسة والعشرين من عمره عين أستاذاً لتدريس الموسيقى فى معهد موسكو للموسيقى من عام ١٨٦٦ – ١٨٧٧م ، كانت بدايته الجدية فى التأليف فى حوالى عام ١٨٦٦ م ، تطورت أحاسيسه وانفعالاته فى هذه الأثناء خلال فترات طويلة من الإحباط النفسى ، ومن المثير للعجب أنه قد ألف بعضاً من أكثر مقطوعاته الموسيقية بهجة خلال هذه الفترة.

وكانت تمده بالمال سيدة واسعة الثراء لم يرها فى حياته ، وهى

الكونتيسة " ناديجدة فوميك " التى أحبته بالسماع فكتبت إليه ، واستمرت العلاقة الوثيقة بينهما بالمراسلة حتى قبيل وفاته بثلاث سنوات ، هى تمده بالمال وتشير عليه بالنصيحة وهو يبثها لواعجه ويسرد عليها مشاكله لمدة أربعة عشر عاماً.

كانت موسيقى تشايكوفسكى تجمع بين أناقة الكلاسيكية وديناميكية إيقاع أغانى الفولكلور الروسى بسهولة متوازنة ، أما فيما قبل تشايكوفسكى فقد كانت الموسيقى تكتب مصاحبة للرقص فقط لا غير ، إذ كان الباليه عادة يتكون من مجموعة من الرقصات أكثر منه عمل مترابط يدخل فى إطار الدراما ، ومن أهم ما يميز موسيقى المؤلف الروسى قدرة موسيقاه على تجسيد الحركة لكونها قابلة للرقص بشكل طبيعى ، وتدعم الحركة على المسرح أكثر من أى باليه روسى سابق .

وأهم مؤلفات تشايكوفسكى الغنائية " أوبرا أوجين أونجين " و " سيدة الكونتشينة " ، أما فى موسيقى الآلات فأهم مؤلفاته رباعيته الوترية الثالثة وقصيدته السيمفونية " مانفرد " وافتتاحياته السيمفونية " العاصفة " و " روميو وجوليت " و " هاملت " و " فرانشسكا داريمينى " كما ألف كونشرتو للبيانو "الأول" وآخر للفيولينه ومؤلفات عدة للباليه أهمها " بحيرة البجع " و " كسارة البندق " و " الجمال النائم " .

ومن المفارقات المثيرة أن " بحيرة البجع " أول أعمال تشايكوفسكى للباليه الذى كتبه بتكليف من المسرح الإمبراطورى فى موسكو وقدم لأول مرة على مسرح البولشوى عام ١٨٧٧م ، لم يحقق النجاح المنتظر لأسباب متعددة ليس من بينها بالطبع ما يتعلق بقيمة وتأثير الموسيقى فى حد ذاتها ، لكن السبب الحقيقى فى صدمة هذا الإخفاق يرجع لمصمم الرقصات يوليوس ريزينجر، ووجهة نظره القاصرة التى افترضت أن هذه الموسيقى غير قابلة للرقص بشكل كامل ، فقام باقتطاع أجزاء منها واستبدلها بقطع موسيقية لمؤلفين آخرين ،

أضف إلى ذلك أن قائد العرض الأول كان من الهواة حتى أنه أعلن بعد العرض أنه لم يشاهد من قبل مدونة موسيقية للباليه بهذا التعقيد، والغريب أن تشايكوفسكى صدق بالفعل أن الباليه فشل بسبب موسيقاه ، فإذا به يقرر فى ذلك الوقت إعادة كتابة النوتة الموسيقية ، لكن القدر لم يمهله وفارق الحياة قبل تنفيذ قرار إعادة كتابة رائعته الموسيقية الفريدة من نوعها ، إلى أن جاء عام ١٨٩٥م أى بعد وفاة تشايكوفسكى بعامين ، عندما قام مصمم الرقصات الفرنسى ماريوس بتيبا ١٨١٩ – ١٩١٠ م وبمعاونة الروسى ايفانوف ١٨٣٤ – ١٩٠١م بوضع تصميم وإخراج جديد للباليه ملتزمين بموسيقى تشايكوفسكى.

كارل ماركس

فيلسوف ألمانى وسياسى وصحفى ومنظر اجتماعى قام بتأليف العديد من المؤلفات إلا أن نظريته المتعلقة بالرأسمالية وتعارضها مع مبدأ أجور العمال هو ما أكسبه شهرة عالمية ، لذلك يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية ، ويعتبر مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعى .

ولد كارل ماركس (١٨١٨ – ١٨٨٣ م) فى مدينة ترير بولاية رينانيا الألمانية ، ونشأ فى أسرة يهودية اعتنقت المذهب البروتستانتى بعد ذلك ، التحق كارل ماركس بالمدرسة الثانوية فى سن الثانية عشرة وحصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية بتقدير امتياز فى سن السابعة عشرة ، وبعد حصوله على شهادة الدكتوراه فى الفلسفة سنة ١٨٤١ التحق كاستاذ بجامعة بون.

كانت فترة إقامة ماركس فى برلين فرصة للتعرف على عدد من المدارس الفكرية وبعد انتقاله إلى مدينة بون بدأ شغب ماركس الفكرى ينتقل إلى السياسة حيث أنشأ صحيفة تنتقد أسس الحكم فى بروسيا ، مما أدى إلى مصادرة الصحيفة وتجريده من الجنسية البروسية ، فهاجر ماركس إلى باريس بصحبة زوجته .

وفى عام ١٨٤٤ وعندما زاره صديقه فريدريك إنجلز فى باريس وبعد

عدة مناقشات مع بعضهما البعض وجد الصديقان بأنهما قد توصلا إلى أفكار متطابقة حول طبيعة المشاكل الثورية وبشكل مستقل عن بعضهما البعض ، ونتيجة لهذا التوافق بينهما عملا معاً وتعاونا لتفسير أسس ومبادئ نظريات الشيوعية والعمل على دفع الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة الديمقراطية لتعمل وتتفانى من أجل تلك المبادئ ، فقد عاش كارل ماركس وصديقه فى القرن التاسع عشر ، وهى فترة اتسمت بانتشار الرأسمالية الصناعية من خلال تشكيل الطبقات العمالية الأوربية .

وفى عام ١٨٤٥ أجبر ماركس على مغادرة فرنسا الى بروكسل بسبب نشاطاته الثورية .

وفى عام ١٨٤٧ اجتمع الشيوعيون ليؤسسوا عصبتهم وفوض ماركس وإنجلز ليشكلوا مبادئ هذه العصبة وبرنامجها المتبع ، وكان هذا البرنامج قد عرف فيما بعد باسم (البيان الشيوعى) وكانت عصبة الشيوعية قد قامت على أنقاض جماعة رابطة العادلين فى فرنسا والتى كانت لا تؤمن بضرورة الثورة والاستيلاء على السلطة وكان شعارها (الناس كلهم إخوة) وقد أقنع ماركس أعضاءها بأنهم يحلمون بعالم وردى واستبدل الشعار إلى أن صار (يا عمال العالم اتحدوا).

كان البيان الشيوعى يمهد لعقيدة الاشتراكية العلمية ويجسد المادية التاريخية بعيداً عن الكنيسة أو الدين (باعتقاد ماركس أن الدين أفيون الشعوب) .

إن أسس وجوهر البيان الشيوعى تقوم على افتراض أنه منذ فجر الإنسانية وحتى اليوم كانت العلاقة علاقة صراع بين المستغل والمستغل ... بين المالك والعامل ... بين الفلاح والاقطاعى ... استغلال الإنسان للإنسان وأمة لأمة ، وكانت الغلبة تنتهى إما لإحداهما أو بسقوطهما معاً .

وبالطبع فإن غلبة أى منهما تحدد طبيعة الاقتصاد القائم ، وعلى افتراض بأن تفكك الطبقة الإقطاعية كان نتيجة فسادها واعاقتها للبرجوازية ... فإن المنطق يفرض حتماً بأن مستوى تطور الطبقة البرجوازية (الإنتاج الكبير) سيصل بها إلى حد لا تستطيع فيه التقدم ، وعندها ستقوم البروليتاريا بسحق هذه الطبقة (البرجوازية) ورفع الظلم عن الطبقة العاملة (البروليتاريا) ، وعندها يتحقق المجتمع الشيوعى حيث تنتفى فيه الملكية الخاصة (وليس الملكية الشخصية) حيث الملكية الخاصة هى الناتجة عن استغلال العمال وأخذ ما ينتجونه من القيمة المضافة دون أدنى جهد يذكر من قبل الرأسمالى ... أما الملكية الشخصية هى ما تحصل عليه نتيجة القيام بعمل .

فى عام ١٨٤٨ قامت الثورة فى فرنسا وألمانيا وخافت الحكومة البلجيكية من امتداد الثورة إليها ، وقامت بنفى ماركس الذى ذهب أولاً إلى باريس ثم كولونيا وقام بتأسيس صحيفة جديدة وانضم إلى أعمال ثورية هناك ودأب على تنظيمها ، وفى عام ١٨٤٩ تم اعتقاله وحوكم فى كولونيا بتهمة التحريض على التمرد العسكرى ... ثم تمت تبرئته ونفيه من ألمانيا وتم إيقاف مجلته الجديدة التى كان يرأس تحريرها .

وفى عام ١٨٤٨ شهدت أوربا ثورة عندما قامت الطبقة العاملة فى فرنسا بالسيطرة على السلطة ، وقامت الحكومة الثورية باستدعاء ماركس للبقاء فى فرنسا بعدما طردته حكومات فرنسية سابقة ، وعندما أفلت شعلة الحكومة الثورية الفرنسية فى عام ١٨٤٩ انتقل ماركس للعيش فى لندن وقام بكتابة الكثير من المؤلفات التى تعنى بالسياسة والاقتصاد ، كما عمل كمراسل أوربى لصحيفة " نيويورك تربيون " من موقعه فى أوربا وخلال هذه الفترة كان قد قام بعدد من الأعمال وصنفت على أنها كلاسيكيات النظرية الشيوعية .

وفى لندن ألف ماركس كتبه التى مهدت الطريق للاتجاه الفلسفى

والفكرى الذى حمل اسم الماركسية ، من بين مؤلفاته " الصراعات الطبقية فى فرنسا من سنة ١٨٤٨ حتى ١٨٥٠" و " نقد الاقتصاد السياسى " الذى قام بنشره عام ١٨٥٩ ، وفى سنة ١٨٦٧ ظهر الجزء الأول من مؤلفه الضخم " رأس المال" ، أما الجزء الثانى فنشره إنجلز بعد وفاة رفيق عمره ماركس وبجانب الكتابة حاول الاثنان تنظيم الحركة العمالية ، حيث أسسا " الجمعية الدولية للعمال " التى كان لها شعبية فى عدد من دول العالم كأمريكا والمانيا ، وشكلت هذه الجمعية الانطلاقة الأولى لتأسيس عدد من الأحزاب اليسارية منها الحزب الاشتراكى الديمقراطى الألمانى ، وفى عام ١٨٨٣ توفى كارل ماركس فى منفاه بلندن عن عمر يناهز الخامسة والستين.

أعظم ممثلة فى تاريخ المسرح

سارة برنار ... فرنسية ... ولدت عام ١٨٤٥ م من أبوين احدهما فرنسى والآخر هولندى ، تلقت بعد ذلك أوفى دراسة مسرحية كانت متاحة فى ذلك العصر ... وفى سن الثالثة عشرة بدأت تتمرن تمريناً جدياً على التمثيل ، والتحقت " بكونسرفتوار باريس " ووقفت لأول مرة على خشبة المسرح لتؤدى دوراً صغيراً فى مسرحية " ايفيجلين " للشاعر الفرنسى الكبير راسين ولكنها لم تنل نجاحاً كبيراً فى هذا الدور ... وكان أول نجاح حقيقى أحرزته عندما مثلت دورها فى مسرحية " العابر " للكاتب الفرنسى " فرانسوا كوبيه " عام ١٨٦٩ م ولكن سرعان ما نشبت الحرب بين فرنسا وبروسيا فعملت سارة برنار فى الإسعاف .

وعندما أعيد افتتاح مسرح " الاوديون " عام ١٨٧٢ م مثلت سارة برنار دور " كورديليا " فى مسرحية " الملك لير " لشكسبير ، كما مثلت دور الملكة فى مسرحية " روى بلاس " لفيكتور هوجو ... وبتمثيلها هذين الدورين أدرك الشعب الفرنسى أنه أمام عبقرية جديدة سيلمع نجمها بين عظماء المسرح.

وفى عام ١٨٧٤ م اكتشفت سارة أن القوة هى ميزتها الأولى وموهبتها المميزة وتجلى هذا الاكتشاف واضحا عندما مثلت دور " فيدرا " فى مسرحية

راسين المعروفة بهذا الاسم ... ومنذ قيامها بتمثيل هذا الدور انطلقت من نجاح إلى نجاح ، وعندما مثلت دور " دوناسول " فى مسرحية " هرنـــانى " لفيكتـــور هوجو اختار الناس لها مجمعين صفة العبقرية واستطاعت أن تحصـــل لنفســـها على لقب أعظم ممثله مسرحية فى التاريخ.

وفى هذه الفترة انتشرت فى أنحاء العالم " أساطير سارة برنار " التـــى سرعان ما تحولت إلى حقائق عندما قامت برحلات ناجحة عرضت فيها فنها فى معظم عواصم أوربا وأمريكا واستراليا ومصر.

تزوجت عام ١٨٨٢ م بممثل يونانى ... غير أن زواجها لم يستمر أكثر من عام واحد ولم يؤد إلا إلى تغيير جنسيتها من فرنسية إلى يونانية ، وهو مـــا عاقبتها عليه فرنسا بالتسويف فى رد جنسيتها إليها حتى عام ١٩١٦ م .

وفى عام ١٨٩٩ م افتتحت مسرحها الخاص " مسرح ســـارة برنـــار " وقدمت فى حفلة الافتتاح مسرحية " توسكا " مرة أخرى ... وفى عـــام ١٩٠٠م قدمت مسرحية " النسر الصغير " لادمون روستان وكانت قد بلغـــت الخامســـة والخمسين ومع ذلك قدمت برهاناً ساطعاً على قدرتها على تمثيل أدوار الشـــبان فى أدائها لدور النسر الصغير أو ابن نابليون .

وعندما بلغت سن الشـــيخوخة ظهـــرت فـــى إنجلتـــرا علـــى مســـرح "الكوليزيوم" فى مقتطفات من مسرحياتها واستطاعت أن تسمع الجمهور الكبيـــر – الذى ملأ ذلك المسرح الواسع – صوتها مجلجلاً دون الاستعانة بـــأى مكبـــر للصوت ، وأن تنال إعجاب ذلك الجمهور الذى لم يكن معظم أفراده قد شـــاهدوا شيئاً من أمجادها السابقة.

وفى عام ١٩١٥ م أصيبت بمرض فى إحدى ساقيها وعلى الرغم مـــن ذلك المرض ، انتقلت إلى خطوط القتال الأمامية لتشترك بمسرحياتها فى الترفيه عن الجنود المقاتلين .

وعندما بلغت السابعة والسبعين كانت لا تزال محتفظة باعتدال قوامها وأهم مواهبها وهى موهبة الصوت والإلقاء ... بل إن السينما دعتها للظهور فى بعض أفلامها ولكن المرض غلبها على أمرها وتوفيت فى ٢٦ مارس ١٩٢٣م بباريس ، وخرجت المدينة كلها لتشييع جنازتها ، وفى لندن أقيم لها احتفال جنائزى رسمى فى كاتدرائية وستمنستر حضره الملك والوزراء والسفراء .

المافيا

نشأت المافيا فى وقت ما خلال منتصف القرن التاسع عشر فى جزيـرة صقلية ، وأصبحت بحلول الربع الأخير من القرن التاسع عشر القوة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المسيطرة فى غربى صقلية ، وعملت فى بادئ الأمر فى أعمال الحماية والابتزاز فى منطقة بالرمو وما حولها مـن مـزارع الليمـون والبرتقال ، وضمت بين طياتها بعضاً من أفراد الارستقراطية الحاكمة ، حيـث انقسم المجتمع فى بداية الدولة الإيطالية الناشئة إلى الساسة وأصحاب الأراضى، ودخلت المافيا بين هذين الفريقين كما كانت المحرك للعديد من أفراد الحكومـة ورجال الأعمال ، واتبع أفرادها شفرة خاصة تسمى " أومرتـا " تمنـع إفـادة الشرطة بالجريمة .

وأصبحت المافيا بقوانينها ومجالس قضـائها وشـرطتها وجواسيسـها وجامعى الضرائب لها وأساليبها فى معاقبة من يتصـدى لمنافسـتها وخـوف الأهالى منها دولة داخل الدولة ، ثم أصبحت دولة فوق الدولة.

وفى مطلع القرن التاسع عشر تبدد شمل جيش الاقطاعيين المكون مـن هؤلاء الحراس المسلحين ، ولكن هؤلاء الحراس عاشوا بعد ذلك ومنهم نشـأت المافيا ، ولما التجأ بلاط نابولى إلى صقلية فراراً من جيش نابليون ، امـتلأت

الجزيرة بأعضاء المافيا ، واتخذ الملك من بعض رجال هذه العصابات حرساً يدفع لهم من ماله الخاص ، ويعتمد عليهم فى المحافظة على الأمن فى الجزيرة، وقد تغلب رجال حرس الملك على غيرهم، واحتكروا وحدهم اللصوصية والإجرام ، وقويت شوكتهم وصار الناس ينظرون إليهم بعين الإعجاب والخوف، وأصبح أعيان الجزيرة وفقراؤها يدفعون لهم ضريبة الحماية وحفظ الأمن ، وظلت المافيا نافذة الكلمة مرهوبة الجانب حتى شهر مايو سنة ١٩٢٤.

ففى هذا الشهر جاء موسولينى إلى الجزيرة وألقى فى مدينة بالرمو خطبة من خطبه الحماسية وهدد فيها المافيا بالحديد والنار .

واستدعى موسولينى " شيزارى مورى " حاكم بالرمو ، وكان قد اشتهر بقدرته على تناول مشكلة المافيا ، فعقد مورى العزم على مهاجمة المافيا فى أمنع معاقلها ليقنع أهل الجزيرة بأن الحكومة أقوى ساعداً وأعظم صولة من المافيا التى طال استبدادها بالأمر فى الجزيرة .

وكان معقل المافيا الحصين يقع فى سلسلة الجبال الممتدة بين مسينا وبالرمو ، وكانت المافيا مسيطرة سيطرة تامة على القرى الواقعة فى سفوح الجبال ، وكانت الرحلة إليها شاقة تعترض السائر خلالها الأجراف الشاهقة والهاويات العميقة ، ولا تأمن فيها اعتداء كمين أو هجوماً مفاجئاً من الخلف ، وكانت فى وسط هذه المنطقة الوعرة قرية " جانجى " الواقعة فوق جبل بعيد منعزل ، وكانت البيوت الواقعة على جانب الجبل تشرف على جزيرة صقلية برمتها ، ومعظمها يمكن الدخول إليه من طريق أعلى ومن طريق آخر أسفل ، ولها بابان باب من ناحية سقفها وباب آخر من الطبقة السفلى من البيت ، وكان يربط بين الكثير من هذه البيوت ممرات تحتية محفورة فى الجبل ، ولها مخابئ وأبواب سرية مختبئة خلف المرايا وتحت الأرض .

وبدأت الحملة الحاسمة بمناوشات بعيدة عن قرية " جـانجى " وكانـت بدايتها لا تختلف عن الحملات السابقة ، ولكن الحملة أخذت تشتد وتقوى فى أيام قلائل ودنت الحملة من " جانجى " وقبل أن يفطن رجال المافيا لقـوة الحملـة ويستشعروا عنفها ، كانوا قد أحيط بهم من كل ناحية ، ولم يبق أمـامهم سـوى الاعتصام بقرية جانجى نفسها ، ولما علم مورى بذلك من عيونه وطلائعه أرسل قوات أخرى لمحاصرة جانجى ، وطوقت القرية تطويقا تاماً ، وقطعت أسـلاك التليفون والتلغراف بها ، وأرسل مورى منادياً من قبله يعلن أن على المختبئين أن يخرجوا من مكامنهم ويسلموا أنفسهم خلال اثنتى عشرة ساعة ، وبعد انقضاء هذه الفترة ستتخذ إجراءات شديدة حاسمة ، وعمـل مـورى علـى أن يظـل المُختبئون منعزلين منفردين ليفيد من تخويفهم وإرهـابهم ، وكـان يقصـد ألا يهزمهم فى ميدان الحرب لأن هزيمتهم فى ساحة الحرب تحفظ لهم مكـانتهم ، وهو يحرص على أن يكتشف الناس ضعفهم ، وينظهرهم فى مظهـر الجبنـاء المستسلمين ، ويجعلهم أضحوكة للعالم ، وأخذ رجال الشرطة يدخلون البيـوت بيتاً بيتاً ويذبحون الماشية المسروقة ويبيعون لحمها للناس بأسـعار مضـحكة ، وكان الخوف ما يزال يمنع الناس من التقدم لشرائها ، ولكن هذه الأنباء بلغـت المختبئين ، وكان لها فى نفوسهم وقع شديد ، وأخذ الكثير من الأشياء المسروقة المحفوظة فى منازلهم، وبيعت بأثمان زهيدة ، وأخذ أهل الجزيرة يسخرون من هؤلاء الأبطال المعروفين بقوة العزم وشدة البأس الذين تنهب بيوتهم ويباع مـا بها بأبخس الأثمان ، وهم مع ذلك لاتذون بالمخابئ شأن الجبناء المستضـعفين وأخذ هؤلاء الرجال الذين ملأوا نفوس الناس خوفاً ورعباً فى الاستسلام والقاء السلاح ، والكف عن المقاومة ولم يحتفظ بإبائه سوى الزعيم القـديم " جيتـانو فاريلو " فقد أرسل لمورى رسالة يعده فيها بشرفه بأنه سيسلم نفسه فـى قاعـة استقبال عمدة القرية وسار فى خطوات رزينة رافع الرأس إلـى دار العمـدة ،

وسلم هناك عصا كبيرة كما يسلم قائد الجيش عصاه بعد هزيمة جيشه ، وقد شنق نفسه بعد ذلك فى السجن .

واستسلم سائر أعضاء المافيا بين ضحكات المزارعين الساخرة وسرورهم وفرحتهم ، وامتلأت سيارات الحكومة بمجرمى الجزيرة وجمعت الأدلة التى تدينهم ، ولقى كل مجرم العقاب الرادع ، وأقسم الأعيان والمزارعين يمين الولاء للملك والقانون وطاعة الدولة ، وتطهرت أودية جبال الجزيرة وأدغالها ، وقضى على قوة المافيا .

ولم تقوى شوكة المافيا فى إيطاليا حتى قيام الحرب العالمية الثانية حيث هاجر الكثير من الصقليين إلى الولايات المتحدة ، وفى العشرينيات أصبح الأمريكيون الذين ينحدرون من أصل إيطالى يسيطرون على كل الجرائم المنظمة فى الولايات المتحدة خاصة فى شيكاغو ونيويورك .

وقد استخدمت أمريكا الاتصالات الإيطالية بالمافيا الأمريكية خلال اجتياح إيطاليا وصقلية فى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣ فقد قام لاكى لوتشيانو وأعضاء آخرين فى المافيا الذين اعتقلوا خلال هذا الوقت بأمريكا بمد الاستخبارات الأمريكية بالمعلومات لتسهيل الطريق أمام القوات الأمريكية المتقدمة ، وسمح للوتشيانو بإدارة شبكته من زنزانته جزاء مساعدته ، وبعد الحرب تمت مكافأته بترحيله إلى إيطاليا ، حيث استكمل نشاطه هناك .

مثلث برمودا

فى عام ١٩٤٥ ، وفوق منطقة مثلث برمودا كانت قد انطلقت من قاعدة لوديردیل بولاية فلوريدا الأمريكية خمس طائرات فى مهمة تدريبية فى رحلة تبدأ من فلوريدا وكانت تطير على شكل مثلث .

كان عدد أفراد هذا السرب خمسة طيارين وثمانية مساعدين على قدر عال من المهارة والخبرة ، وكان قائد هذا السرب الملازم " تشارلز تيلور " الذى يمثل رأس المثلث وفى أثناء أداء المهمة كان السرب يتجه فى لحظة ما نحو حطام سفينة شحن بضائع يطفو على سطح المحيط جنوب بيمينى وأثناء انتظار القاعدة الجوية لرسالة من (السرب ١٩) لتحديد ميناء الوصول وتعليمات الهبوط ، تلقت القاعدة رسالة غريبة من قائد السرب تقول : " القائد (الملازم تشارلز تيلور) ينادى القاعدة : نحن فى حالة طوارئ يبدو أننا خارج خط السير تماماً ، لا أستطيع رؤية الأرض ، لا أستطيع تحديد المكان ، اعتقد أننا فقدنا فى الفضاء ، كل شئ غريب ومشوش تماماً لا أستطيع تحديد أى اتجاه حتى المحيط أمامنا يبدو فى وضع غريب لا أستطيع تحديده "

يقع مثلث برمودا غرب المحيط الأطلنطى تجاه الجنوب الشرقى لولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية ، تبلغ مساحته حوالى ٧٧٠,٠٠٠ كم مربعاً،

ويقع رأسه الشمالى فى جزيرة برمودا وهى مستعمرة بريطانية عاصمتها "هاملتون" ، ويقع رأسه الجنوبى الشرقى فى " بورتوريكو " وهى قاعدة عسكرية أمريكية تتكلم الأسبانية ، ويقع رأسه الجنوبى الغربى فى ميامى بولاية فلوريدا الأمريكية ، ثم إلى كوبا ثم هاييتى ثم بورتوريكو ثم مرة أخرى إلى برمودا .

ويحتوى مثلث برمودا على أكثر من ٣٠٠ جزيرة ، مائة منها لم تطأها قدم إنسان أجنبى لأن الملاحين والصيادين يتجنبونها لسر غامض يحيط بها من قديم ، واشتهرت باسم "جزر الشيطان ".

وقد استعمل تعبير " مثلث برمودا " لأول مرة فى مقال كتبه فنسينت غاديز لمجلة المركب التجارى عام ١٩٦٤ ، أشار فيه إلى أن عدداً من السفن والطائرات اختفت بدون تفسير فى هذا المكان الغريب ، ولم يكن غاديز أول من تحدث عن هذا الأمر فقد كان الرحالة الشهير كريستوفر كولمبس أول من اجتاز هذه المنطقة وحكى عن مشاهدات وظواهر غريبة صادفها أثناء اجتيازه لها ، ثم تتابعت الكتابات المختلفة حول هذا الموضوع .

وقد أشارت رحلات البحث الجديدة إلى وجود عدد كبير من السفن والقوارب والغواصات راقدة فى أعماق هذا البحر حيث يرجع تاريخها إلى فترات زمنية مختلفة ، ومعظم هذه السفن غاصت فى أعماق هذا البحر فى ظروف غامضة ، هذا إلى جانب اختفاء عدد كبير من السفن والقوارب دون أن تترك أى أثر ، وأيضاً فى أعماق هذا البحر يوجد المئات من الهياكل العظمية لبحارة وركاب هذه السفن الغارقة .

وقد بدأت ظاهرة اختفاء السفن فى هذه المنطقة عام ١٨٥٠ حيث اختفت خمسون سفينة ، استطاع بعض قادتها أن يبعثوا رسائل فى لحظات الخطر ، وكانت هذه الرسائل مبهمة وغامضة ، ولم يستطع أحد أن يفهم منها شيئاً ، وتلى

ذلك أحداث من أهمها السفينة الإنجليزية " أتلنتا " التى اختفت عام ١٨٨٠ وعدد أفرادها ٢٩٠ فرداً ، والسفينة الأمريكية " سايكلوب " التى اختفت عام ١٩١٨ وعدد أفرادها ٣٠٩ فرداً ، والغواصة الأمريكية " سكوربيون " التى اختفت عام ١٩٦٨ وعلى متنها ٩٩ بحاراً.

وفى عام ١٩٤٥م اختفت طائرتان من قاذفات القنابل تابعتان للقوات الأمريكية، وفى عام ١٩٤٨م اختفت طائرة الركاب البريطانية " ستارتيجر " وعلى متنها ٣١ راكباً ، وفى عام ١٩٤٩ اختفت طائرة الركاب البريطانية "ستار أريل" وعلى متنها ٣٧ راكباً ، وفى عام ١٩٥٦م اختفت الطائرة (P5M) التابعة للبحرية الأمريكية مع طاقمها المكون من عشرة أفراد .

وقد تعددت التفسيرات حول مثلث برمودا ، وإن لم يتم التأكد من أى منها ، مثل نظرية الزلازل التى تشير إلى أن حدوث الهزات الأرضية فى قاع المحيط تتولد عنها موجات عاتية وعنيفة ومفاجئة تجعل السفن تغطس وتتجه إلى القاع بشدة فى لحظات قليلة ، وبالنسبة للطائرات يتولد عن تلك الهزات والموجات فى الأجواء ما يؤدى إلى اختلال فى توازن الطائرة وعدم قدرة قائدها على السيطرة عليها ، ونظرية الجذب المغناطيسى التى تشير إلى أن أجهزة القياس فى الطائرات أثناء مرورها فوق مثلث برمودا تضطرب وتتحرك بشكل عشوائى وكذلك فى بوصلة السفينة مما يدل على وجود قوة مغناطيسية أو قوة جذب شديدة وغريبة .

حرب القرم

وقعت بين عامى ١٨٥٣ – ١٨٥٦م ، حيث اتسمت العلاقات بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية بقدر كبير من العداء والدموية ، فمنذ سيطرة القياصرة على الحكم فى روسيا ، أراد الروس أن تكون روسيا دولة كبرى على مسرح السياسة الأوربية والدولية ، واختلطت هذه الأطماع فى بعض الأحيان بعواطف دينية متعصبة ، متمثلة فى حماية الارثوذكس فى العالم ، والسيطرة على القسطنطينية التى فتحها السلطان محمد الفاتح ، وكذلك السيطرة على الأماكن المقدسة المسيحية فى فلسطين .

حين رأت الدولة العثمانية التنافس بين الدول الكبرى على إدارة الأماكن المقدسة للمسيحيين فى فلسطين عملت على حفظ التوازن بين هذه الدول ، لكن ضغوط بعض الدول الكبرى جعلت العثمانيين يمنحون بعض الدول امتيازات خاصة ، فقام السلطان العثمانى بمنح امتيازات جديدة عام ١٨٥٢ للكاثوليك (الذين كانت تمثلهم فرنسا) وهو ما يعنى أنه خضع للضغوط الفرنسية .

تسبب هذا الموقف فى استياء روسى من السلطان العثمانى ، ووجدت روسيا فيه ذريعة ومبرراً يتيح لها حرب الدولة العثمانية ، معتمدة على البعد الدينى وحماية المسيحيين الارثوذكس .

أرسل القيصر الروسى بعثة دبلوماسية إلى استانبول رأسها السفير الروسى فوق العادة " منشكوف " الذى كان يشغل منصب وزير البحرية ، للتفاوض مع السلطان العثمانى فى قضية الأماكن المقدسة ، والحصول على امتيازات للرعايا الارثوذكس فى الدولة العثمانية ، إلا أن مسعى هذه السفارة الحقيقى كان السعى إلى إيجاد المبرر لحرب الدولة العثمانية .

أدركت بريطانيا أن تجاوب الباب العالى مع المطالب الروسية معناه زيادة النفوذ الروسى على حسابها ، ولذا استدعت بريطانيا أبرز دبلوماسيها وهو السير ستراتفورد لاحباط هذه المساعى الروسية كما أرسلت فرنسا بعض وحدات من أسطولها إلى المياه العثمانية ، وبدأت باريس ولندن تعملان على تحويل مهمة منشكوف من كونها خلافاً مذهبياً بين الكاثوليك والارثوذكس إلى كونها خلافاً سياسياً بين العثمانيين والروس ، ولهذا شجع السفير البريطانى فى الاستانة الدولة العثمانية على الوقوف فى وجه الأطماع الروسية ، مؤكداً للاستانة وقوف فرنسا وبريطانيا إلى جانب العثمانيين فى أى حرب قادمة مع الروس.

نجحت الدبلوماسية البريطانية فى اقناع السلطان العثمانى باستصدار فرمان للتجاوب مع المطالب الروسية فيما يتعلق بالأماكن المقدسة فى القدس ، وبذلك ضيعت بريطانيا على روسيا حجة الخلاف المذهبى لتصعيد لهجة العداء مع الدولة العثمانية .

أغرى قبول السلطان العثمانى للمطالب الروسية منشكوف على أن يعلن بصلف واضح عن طبيعة مهمته فى الاستانة ، وتقدم بمطالب جديدة منها ضرورة إعلان استقلال الجبل الأسود .

ناقش البريطانيون مع السلطان العثمانى مطالب منشكوف الجديدة ،

وحثوه على رفضها ، فأرسل الباب العالى إلى منشكوف يعلمه بأن مطالبه ما هى إلا اعتداء صريح على حقوق السلطان العثمانى ، وتدخل فى الشئون الداخلية للدولة العثمانية ، وخروج على مهمته التى انتهت بصدور فرمان بخصوص الرهبان الكاثوليك فى القدس ، ورفض الباب العالى تغيير الأوضاع فى البلقان إلا بعد التباحث وموافقة الدول الكبرى.

أثار الرفض العثمانى غضب منشكوف ، وأرسل بدوره رسالة تحمل صفة الإنذار إلى حكومة الاستانة طلب فيها أن يعترف السلطان العثمانى لروسيا بحق حماية الارثوذكس حماية مطلقة وغير مقيدة (وكان عددهم فى الدولة العثمانية حوالى ١٠ ملايين نسمة) واعطى الدولة العثمانية مهلة للرد على مذكرته تنتهى فى ١٠ مايو ١٨٥٣م ، وأمام الرفض العثمانى رحل منشكوف من الدولة العثمانية مصطحباً معه جميع العاملين فى السفارة الروسية فى استانبول ، وبذلك قطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين استعداداً للحرب .

بدأت الحرب العثمانية الروسية فى ٣ يوليو ١٨٥٣ وكان مسرحها الأول فى أوربا بمنطقة البلقان ، حيث قام حوالى ٣٥ ألف جندى روسى باحتلال رومانيا التى كانت تابعة آنذاك للدولة العثمانية ، وأبلغت روسيا الدول الأوربية أنها لن تدخل فى حرب شاملة ضد الدولة العثمانية ، وأن ما فعلته إجراء وقائى لحين اعتراف السلطان العثمانى بحقوق الارثوذكس فى كنيسة القيامة فى القدس، وأنها سوف تنسحب فور هذا الاعتراف .

قامت الدولة العثمانية وروسيا بحشد قوات ضخمة على جبهات القتال ، وعلى جبهتى الدانوب والقوقاز ، واستطاع القائد العثمانى عمر باشا أن يلحق هزيمة كبيرة بالروس على نهر الدانوب ، وأن يدخل رومانيا ، وفى جبهة القوقاز ساند الزعيم الشيشانى الإمام شامل القوات العثمانية أثناء القتال ضد الروس .

أرادت الدولة العثمانية دفع بريطانيا وفرنسا إلى دخول الحرب إلى جوارها ، ودبرت إرسال مجموعة من قطع الأسطول البحرى العثمانى القديمة إلى ميناء سينوب على البحر الأسود ، وهى تدرك أن هذه السفن لابد أن يهاجمها الروس ، وبالفعل هاجم الروس هذه السفن وتم اغراقها جميعاً ، واستشهد حوالى ألفى جندى عثمانى ، واثارت هذه المعركة قلقاً فى الأوساط فى لندن وباريس ، وحذرت الصحافة فى العاصمتين من الخطر الروسى.

عرض الإمبراطور الفرنسى نابليون الثالث الوساطة لانهاء القتال بين العثمانيين وروسيا ، إلا أن القيصر الروسى رفض ذلك خاصة بعد انتصارات عمر باشا فى رومانيا ، فبادر نابليون الثالث بالاتفاق مع بريطانيا ضد القيصر ، وقبلت لندنْ العرض الفرنسى بحماسة شديدة ، وغادر سفيرا لندن وباريس مدينة سان بطرسبرج الروسية فى ٦ فبراير ١٨٥٤ ، وتم عقد معاهدة استانبول فى ١٢ مارس ١٨٥٤ بين الدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا ، ونصت على ألا تعقد أى دولة من هذه الدول صلحاً منفرداً مع روسيا ، وأن يتفاهم قادة الدول الثلاث فى الحرب ضد روسيا ، وأن تكون الوحدات الإنجليزية والفرنسية والسفن التابعة لهما فى استانبول خاضعة للقوانين العثمانية .

أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على روسيا فى ٢٧ مارس ١٨٥٤ ونشبت معارك ضخمة فى عدة جبهات أثناء حرب القرم .

فى هذه الأثناء توفى القيصر الروسى نيقولا الأول ، وخلفه فى الحكم ابنه الكسندر الثانى الذى شعر بعدم قدرة بلاده على مواصلة الحرب ، فقرر التفاوض للسلام ، خاصة بعد المذكرة التى تقدمت بها النمسا لروسيا وحذرتها فيها من أن دولاً أوربية أخرى قد تدخل الحرب ضدها .

استمرت الحرب أكثر من عامين ونصف ، حاربت فيها الدولة العثمانية

منفردة فى السنة الأولى منها ، وتميزت هذه الحرب بمتابعة الصحافة لها ، من خلال إرسال مراسلين عسكريين على جبهات القتال.

بعد توقف حرب القرم نشر السلطان العثمانى عبد المجيد فى ١٨ فبراير ١٨٥٦ م فرماناً عرف باسم المرسوم الهمايونى للاصلاحات ،اعترف الفرمان بالمساواة بين جميع رعايا الدولة العثمانية من مسلمين ومسيحيين ، ونص على تجنيد المسيحيين فى الجيش العثمانى ، على أن يدفع المسيحيون غير الراغبين فى الخدمة العسكرية بدلاً نقدياً ، وأن يمثل المسيحيون فى الولايات تبعاً لأعدادهم فى تلك المناطق.

وفى ٣٠ مارس ١٨٥٦ تم توقيع معاهدة باريس التى تضمنت حرية الملاحة فى نهر الدانوب ، وتشكيل لجنة دولية للاشراف على ذلك ، وإعلان حياد البحر الأسود وكانت هذه المادة كارثة بالنسبة لروسيا حيث أجبر هذا النص روسيا على سحب سفنها الحربية من هذا البحر ونقلها إلى بحر البلطيق ، وبالتالى أصبح البحر الأسود بحيرة عثمانية من الناحية الفعلية وليس القانونية .

واعترفت المعاهدة بالاستقلال الذاتى لكل من ولايتى الأفلاق وبغدان (رومانيا حالياً) ضمن الدولة العثمانية ، وأن يتم احترام استقلال الدولة العثمانية وعدم التدخل فى شئونها الداخلية مقابل تعهدها بتحسين أحوال الرعايا المسيحيين فى البلقان ، وأعلنت الدولة العثمانية قبول مبدأ التحكيم فى حالة وقوع خلاف بينها وبين غيرها من الدول ، وكان هذا النص مهماً فى القانون الدولى الناشئ.

وقررت المعاهدة إعادة ميناء سيواستوبول لروسيا ، كما احتفظ العثمانيون بحق حماية الأراضى الصربية ، ووعدت الدول الكبرى بالعمل على حل أى خلاف ينشأ بين الصرب والعثمانيين .

وثبتت معاهدة باريس امتيازات فرنسا فى الأماكن المقدسة المسيحية

دون غيرها من الدول ، وأضفت عليها الطابع الحقوقى الدولى ، حيث أن الامتيازات فى السابق كانت نابعة من التعاقد الثنائى بين الدولة العثمانية ذات السيادة على هذه الأماكن وبين فرنسا منفردة .

وتكمن أهمية هذه المعاهدة فى أنها كشفت بجلاء أن المصالح هى التى تصنع الأحداث ومن ثم تصنع التاريخ ، فالتحالفات لا تصاغ وفق العقائد الدينية بقدر ما تصاغ وفق المصالح التى تحققها تلك العقائد ، ولذا كانت أطر التحالفات واسعة ومرنة وقابلة للتحرك مع تغير المصلحة ، وتلك قصة طويلة دامية كشفتها بجلاء معاهدة باريس.

لويس باستير

لم تظهر عليه ملامح النبوغ فى سنوات دراسته الأولى ، بل أن أحد أساتذته وصفه بأنه تلميذ عادى فى الكيمياء أو دون ذلك ... وكان ميله كبيراً للرسم ... ولا تزال بعض لوحاته التى رسمها قبل بلوغه السادسة عشرة لوالده ولوالدته وبعض أصدقائه باقية تدل على دقة كبيرة وقوة ملاحظة .

إنه عالم الكيمياء والأحياء الفرنسى " باستير " الذى يعتبر من أعظم الشخصيات فى تاريخ الطب ... فقد ساهم باجتهادات كثيرة فى العلوم الحديثة ولكن فضله الأول يرجع إلى اكتشافه الجراثيم وعلاقتها بالمرض وأيضاً إلى اكتشافه التطعيم الواقى منها.

ولد لويس أولوى باستير فى ٢٧ ديسمبر عام ١٨٢٢ م ، فى بلدة "دول" بفرنسا وانتقلت العائلة بعد مولده بقليل إلى بلدة " مارنو " ثم إلى " أربوا " حيث لا يزال منزله القديم قائماً على حاله وقد تحول إلى متحف صغير ... وقد بدأ باستير الطفل دراسته فى المدرسة الابتدائية ببلدة " أربوا " ثم تابعها منتسباً بسبب ضيق الموارد بكلية " أربوا " وقد نصح مدير الكلية أباه أن يلحقه بكلية المعلمين فى باريس وبالفعل ذهب باستير إلى باريس ١٨٣٨م ولكن نظراً لضيق ذات يده لم يتمكن من البقاء طويلاً هناك فعاد إلى بلدته ليكمل دراسته بها ولمس

فى نفسه شغفه بالعلوم فانتقل إلى بلدة " بيزانسون " ليدرس فى كليتها وفيها تخرج عام ١٨٤١م.

وفى عام ١٨٤٧م تخرج فى كلية المعلمين بعد حصوله على درجة الدكتوراه فى العلوم وفى العام التالى مباشرة اكتشف ظاهرة عدم التماثل الجزيئى فى بعض أملاح أحد الأحماض مما رفع قدره كثيراً وجلب له كرسى الأستاذية فى كلية " ديجون " .

ثم بدأت مرحلة مهمة فى تاريخ حياته وتاريخ العلم عامة وذلك عند تعيينه أستاذاً وعميداً لكلية العلوم فى جامعة " ليل " فى المدة من ١٨٥٤م إلى ١٨٥٧م ، وفى هذه الفترة بدأ بحوثه على عملية التخمر وكيف تحدث واستخدم الميكروسكوب فى ذلك ، واهتدى إلى أن سبب التخمر يرجع إلى كائنات جرثومية صغيرة وأن هذه الكائنات هى المسئولة عن إفساد المشروبات المخمرة.

وبسرعة توصل إلى نتيجة أخرى هى أن هذه الكائنات من الممكن أن تؤدى إلى إيذاء الإنسان والحيوان ، ولم يكن باستير هو أول من لاحظ ذلك فقد سبقه كثيرون ولكنه أول من أثبت بالتجربة صحة نظريته وهذا وحده هو الذى أدى إلى اقناع كل العلماء فى عصره.

من أجل ذلك ابتكر " باستير " طريقة " البسترة " نسبة إليه للقضاء على الجراثيم والميكروبات التى تصيب اللبن وبعض الأطعمة الأخرى وذلك بتسخينها لدرجة حرارة معينة ثم تبريدها تبريداً مفاجئاً ويعتبر ذلك تعقيماً لها.

ثم لجأ إليه أستاذه القديم " دوماس " طالباً منه إنقاذ صناعة الحرير فى جنوب فرنسا من مرض يصيب دودة الحرير فيقضى عليها فانتقل باستير مع أعوانه إلى مناطق الإصابة وتعلم من الفلاحين دورة حياة الدودة والأعراض

التى تظهر على المريض منها وفحصها تحت الميكروسكوب فوجد ان هناك مستعمرات صغيرة من الميكروبات هى التى تسبب المرض ، وبعد ست سنوات قضاها باستير وثلاثة من أعوانه أمكن القضاء على مرض دودة الحرير وأمكن إنقاذ صناعته التى تقدر بملايين الفرنكات.

كما نجح باستير أيضاً فى القضاء على مرض كوليرا الدجاج وعلى مرض الجمرة الخبيثة التى تصيب الماشية ... لقد أمكن تحضير أمصال من ميكروب هذا المرض وغيره وحقنها فى الحيوانات المريضة فشفيت بعد فترة.

ثم ركز باستير أبحاثه بعد ذلك على مرض الكلب ، وبعد أبحاث متعددة وتجارب فاشلة وأخرى ناجحة توصل باستير إلى تحضير لقاح ضد هذا المرض اللعين . وفى السادس من يوليو عام ١٨٨٥م بدأ علاج أول أدمى من عضة كلب مسعور .

وقد جاءه يوماً تسعة عشر فلاحاً من مدينة "مولنسك " الروسية عضهم ذئب مسعور ومضت على إصابتهم ما يقرب ثلاثة أسابيع ، جاءوا إلى باريس يطلبون النجاة على يد باستير وكان خمسة منهم فى حالة سيئة جداً ، وقام باستير بحقنهم بأمصاله التى أعدها ... واقتصاداً للوقت كان يحقنهم صباحاً ومساء ... وانتظر العالم ليسمع نتائج هذه التجربة ، وكانت النتيجة نصراً هائلاً لنظريات باستير ... فقد نجا ستة عشر مصاباً ... ومات ثلاثة ، كان من الواضح أن "الميكروب" قد سبق إلى جهازهم العصبى فلا حيلة للأمصال فيها ... وعاد الفلاحون إلى بلادهم والعالم كله يهلل لباستير ... وبعث قيصر روسيا له وساماً إضافة إلى الأوسمة الكثيرة التى ازدحم بها صدره ... كما أرسل إليه هبة من المال لبناء معامل جديدة وبعهدها انهالت الهبات الأخرى التى رصدت لإنشاء "معهد باستير" فى باريس والذى افتتح فى نوفمبر عام ١٨٨٨ م.

وبمناسبة بلوغه عامه السبعين ، أقامت له فرنسا حفلاً كبيراً واجتمعت الوفود من جميع أنحاء العالم فى مدرج السوربون الكبير فى ديسمبر عام ١٨٩٢م ودخل باستير وهو يعرج قليلاً من أثر شلل قديم قد أصابه ، وهو مستند على ذراع رئيس الجمهورية ، والقوم كلهم وقوف يحيونه ... واندفع إليه "جوزيف ليستر " يعانقه ثم يقول فى وصفه أنه " رجل آمن إيماناً راسخاً أن العلم والسلم سوف ينتصران على الجهل والحرب وأن الناس سوف تجتمع على البناء لا التخريب ".

وبعد ثلاث سنوات من هذا التكريم فى ٢٨ سبتمبر عام ١٨٩٥م توفى باستير ودفن فى مقبرة أعدت له فى معهده.

نـهر النيل

النيل أطول أنهار الكرة الأرضية ... يقع فى الجزء الشمال الشرقى من قارة أفريقيا ، ويبدأ مساره من المنبع عند بحيرة فيكتوريا – الواقعة بوسط شرق القارة – ثم يتجه شمالاً حتى المصب فى البحر المتوسط ، بإجمالى طول ٦,٦٥٠ كم ، يغطى حوض النيل مساحة ٣,٤ مليون كم٢ ، ويمر مساره بعشر دول أفريقية يطلق عليها دول حوض النيل .

يتكون نهر النيل من فرعين رئيسيين يقوما بتغذيته وهما : " النيل الأبيض " و " النيل الازرق " .

بالنسبة للنيل الأبيض تعتبر بحيرة فيكتوريا هى المصدر الأساسى لمياه نهر النيل ، تقع هذه البحيرة على حدود كل من أوغندا وتنزانيا وكينيا ، وهذه البحيرة بدورها تعتبر ثالث البحيرات العظمى بالتوازى ، يعتبر نهر روفيرونزا فى بورندى هو الحد الاقصى لنهر النيل ، وهو يشكل الفرع ، بعد مغادرة بحيرة فيكتوريا يعرف النيل فى هذا الجزء باسم نيل فكتوريا ويستمر فى مساره لمسافة ٥٠٠ كم (٣٠٠ ميل) مروراً ببحيرة كيوجا حتى يصل إلى بحيرة البرت .

بعد مغادرة بحيرة ألبرت يعرف النيل باسم نيل ألبرت ثم يصل النيل إلى السودان ليعرف باسم بحر الجبل ، وعند اتصاله ببحر الغزال يمتد النيل لمسافة

٧٢٠ كم يعرف فيها باسم النيل الأبيض ، ويستمر النيل فى مساره حاملاً هـذا الاسم حتى يدخل العاصمة السودانية الخرطوم.

ويشكل النيل الأزرق نسبة (٨٠ -٨٥ %) من المياه المغذيـة لنهـر النيل، ولكن هذه المياه تصل إليه فى الصيف فقط بعد الأمطار الموسمية علـى هضبة اثيوبيا ، بينما لا يشكل فى باقى أيام العام نسبة كبيرة حيث تكون الميـاه فيه ضعيفة أو جافة تقريباً ... ينبع هذا النهر من بحيرة تانا الواقعة فى مرتفعات اثيوبيا بشرق القارة بينما يطلق عليه اسم "النيل الأزرق" فى السـودان ، وفـى اثيوبيا يطلق عليه اسم " آبباى " ، ويستمر هذا النيل حاملاً اسمه السودانى فـى مسار طوله ١,٤٠٠ كم حتى يلتقى بالفرع الآخر – النيل الأبيض – ليشكلا معاً ما يعرف باسم " النيل " من هذه النقطة وحتى المصب فى البحر المتوسط .

بعد اتحاد النيلين الأبيض والأزرق ليشكلا معاً النيل ، لا يتبقـى لنهـر النيل سوى رافد واحد لتغذيته بالمياه قبل دخوله مصر وهو نهر عطبرة والـذى يبلغ طول مساره ٨٠٠ كم تقريباً ، ينبع هذا النهر من المرتفعات الاثيوبية أيضاً شمالى بحيرة تانا ويتصل بنهر النيل على مسافة ٣٠٠ كم بعد مدينة الخرطوم .

بعد عودته لمساره الاصلى يعبر النيل الحـدود المصـرية السـودانية ويستمر فى مساره داخل مصر بطول ٢٧٠ كم حتى يصل إلى بحيـرة ناصـر وهى بحيرة صناعية تقع خلف السد العالى .

وبعد وصوله إلى بحيرة ناصر يغادر النيل البحيرة ويتجه شمالاً حتـى يصل إلى البحر المتوسط .

ويصل نهر النيل إلى أقصى الشمال المصرى ليتفرع إلى فرعين فـرع دمياط شرقاً وفرع رشيد غرباً ، ويحصران فيما بينهما دلتا النيل وهـى تعتبـر على قمة قائمة الدلتا فى العالم ، ويصب النيل فى النهاية عبر هذين الفرعين فى

البحر المتوسط منهياً مساره الطويل من أواسط شرق أفريقيا وحتى شمالها .

ظل نهر النيل يمثل لغزاً غامضاً للكثيرين حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ففى عام ١٨٥٨ استطاع المستكشف الإنجليزى جون هانتج سبيك الوصول إلى بحيرة فيكتوريا ، أما نظيرة صاموئيل وايت بيكر فقد استطاع الوصول إلى بحيرة ألبرت فى عام ١٨٦٤.

بعدهما قام المستكشف الألمانى جورج أوغست شوينفروث باستكشاف بحر الغزال فى الفترة بين عامى ١٨٦٨ و ١٨٧١ بينما قام نظيره الانجلو أمريكى هنرى مورتون ستانلى باستكشاف بحيرة فيكتوريا فى عام ١٨٧٥ وتبعها بالوصول إلى بحيرة إدوارد عام ١٨٨٩ وهكذا حل لغز النهر الذى ظل غامضاً لآلاف السنين .

نتيجة للامكانيات الهائلة التى يوفرها نهر النيل فقد كان مطمعاً للقوى الاستعمارية فى القرن التاسع عشر فقد تحكمت الدول الأوربية فى دول حوض النيل فى تلك الفترة ، وبينما كانت بريطانيا تحكم قبضتها على مصر والسودان وأوغندا وكينيا ، أحكمت ألمانيا قبضتها على تنزانيا ورواندا وبورندى ، وفى نفس الوقت قامت بلجيكا بالسيطرة على الكونغو الديمقراطية والتى كانت تعرف فى هذا الوقت باسم زائير .

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) اوزارها، قسمت الإمبراطورية الألمانية بين كل من بريطانيا وبلجيكا فحصلت إنجلترا على تنزانيا وحصلت بلجيكا على رواندا وبروندى وبقيت اثيوبيا دولة مستقلة .

أشهر ساعة فى العالم

ساعة بيج بن ببرج لندن ... بدأ عملها فى ٣ يونيو ١٨٥٩ ، ويرجع اسمها إلى بنيامين هول وزير الأشغال البريطانى آنذاك ، والذى أشرف على تنفيذ مشروع الساعة وتصميم برجها ، وكانوا يدللونه باسم بيج بن أى بنيامين الكبير لضخامة جسمه ، وقد أطلق اسمه عليها تكريماً له.

تشتهر الساعة بدقتها المتناهية فى قياس الوقت ، وتعتبر دقاتها رمزاً للتوقيت العالمى ، ويزن جرسها حوالى ثلاثة عشر طناً ، ويبلغ طول عقربيها ١٤,٩ قدماً ، وتوجد الساعة فى برج القديس استيفان فى الجزء الشمالى من مبنى البرلمان فى دائرة ويستمنستر فى العاصمة البريطانية ، وبرج الساعة طوله ٣٢٠ قدماً ، وقد قام بتصميم الساعة إدموند بكيت ، وصنعها إدوارد دنت ومن بعد وفاته فردريك دنت .

ومنذ عام ١٩٢٤ م بدأت دقات بيج بن تطن الوقت عبر إذاعة الـ"بى.بى.سى" BBC يومياً ، واعتاد كثير من الناس حول العالم أن يسمعوا دقاتها قبل نشرات أخبار الإذاعة البريطانية ، ويبلغ عمر الساعة الآن حوالى قرن ونصف قرن ، وبالنظر إلى عمرها الطويل تظل الساعة فى حالة جيدة ، ويمكن أن تتعرض لعطل مفاجئ مرة كل حوالى سبع سنوات ، ومعظم الحوادث

التى تعرضت لها كانت بسيطة ، سوى واحدة وقعت عام ١٩٧٧ م ، حيث توقفت الساعة كلياً عن العمل واستغرق إصلاحها أسبوعاً كاملاً ، ويحرص فريق الصيانة طوال الوقت على إبقاء القطع التى تتشكل منها الساعة تماماً كما هى لقيمتها التاريخية ، الأمر الذى ينتج عنه بعض الأعطال من فترة لأخرى ، وبإمكان المسئولين استبدال الأجزاء الميكانيكية للساعة بأخرى جديدة ، لكنهم لا يفعلون ذلك لكون الساعة جزءاً من التراث التاريخى لبريطانيا ... ولأول مرة فى تاريخ بريطانيا سمحت سلطات مبنى البرلمان البريطانى بنقل تليفزيونى حى لساعة بيج بن الشهيرة وهى تطن قدوم الألفية الثانية .

بسمارك ... صانع الوحدة الألمانية

اوتو فون بسمارك (١٨١٥ – ١٨٩٨م) ... أحد أشهر الساسة الأوربيين فى القرن التاسع عشر ، فقد استطاع عن طريق منصبه كرئيس وزراء بروسيا ووزير لخارجيتها تأسيس القيصرية الألمانية الثانية وأصبح أول مستشار لها ... درس الحقوق والزراعة ، وبعد وفاة والديه عاد إلى مسقط رأسه شونهاوزن من أجل الاهتمام بأملاك العائلة ، غير أن مجال الزراعة لم يفلح فى السيطرة على اهتمامه ، فقد بدا جلياً اهتمامه بالسياسة .

كان بسمارك فى تلك الفترة عضواً فعالاً فى صفوف المحافظين ببرلمان بروسيا ، وكان مؤيداً للحكم الملكى خلال ثورة ١٨٤٨ – ١٨٤٩م ، إذ رفض مطالب الجمعية الوطنية التى كانت تنادى بإقامة دولة ديمقراطية وخلال دورة المجلس التشريعى الألمانى المنعقد فى فرانكفورت (١٨٥١ – ١٨٥٩ م) قدم بسمارك للمجلس خططاً لمستقبل الإمبراطورية الألمانية ، باعتباره ممثلاً لبروسيا وممثل بلاده لدى روسيا وفرنسا .

وفى عام ١٨٦٢ م عينه الملك فيلهلم الأول رئيساً للوزراء ووزيراً للشئون الخارجية وحقق مكانة كبرى فى السياسة الأوربية لبروسيا ثم فيما بعد لألمانيا الموحدة ، وقد خاض بسمارك ثلاثة حروب ناجحة من أجل توحيد

ألمانيا، وكانت هذه الحروب ضد الدنمارك عام ١٨٦٤ م والنمسا عام ١٨٦٦ م وفرنسا عام (١٨٧٠ – ١٨٧١ م).

وفى عام ١٨٧٠ عين مستشاراً للقيصرية الألمانية الثانية حتى عام ١٨٩٠ ، وأطلق عليه المستشار الحديدى ، وكان شغله الشاغل بناء أساس اقتصادى وسياسى قادر على المنافسة فى ألمانيا التى لا تملك أية مستعمرات تستغلها من أجل الحصول على النفوذ والثورة ، وهكذا فقد عمد إلى عسكرة الاقتصاد من خلال سن قوانين صارمة تعتبر مثالاً للدقة وحسن الأداء ، كما بذل كل ما فى وسعه من أجل المضى قدماً باقتصاد ألمانيا على نحو تميز بالدقة والقوة ، وهو ما يعرف حتى يومنا بسياسة الحديد والنار.

أما سياسة بسمارك الخارجية فقد تمثلت بعد توحيد ألمانيا فى الإبقاء على ما حققته القيصرية الألمانية من مكاسب فى أوربا ، إضافة إلى إحلال السلام للحيلولة دون إثارة حرب تتمكن فرنسا فيها بعد إيجاد حلفاء لها من استعادة مقاطعتى الإلزاس واللورين ، وسعى بسمارك إلى عزل فرنسا عن بقية الدول الأوربية وبالذات عن النمسا وروسيا كى لا يضطر لاحقاً إلى خوض حرب على جبهتين اثنتين مع روسيا من جهة وفرنسا من جهة أخرى ، كان بسمارك يأمل فى الوقت ذاته فى أن تحقق ألمانيا تطوراً ونمواً فى فترة السلام هذه ، لذا عمل على توقيع معاهدات سلام مع روسيا وامبراطورية النمسا والمجر عام ١٨٧٣.

بعد موت الإمبراطور فيلهلم الأول عام ١٨٨٨ خلفه على العرش ابنه المريض فريدريش الثالث الذى لم تدم فترة حكمه سوى ٩٩ يوماً قبل وفاته ، بعد ذلك اعتلى العرش ابن فريدريش فيلهلم الثانى عرش القيصرية الذى أراد من خلاله الانفراد بالحكم ، فأجبر المستشار بسمارك على الاستقالة عام ١٨٩٠م.

عندما قطع فان جوخ أذنه ... !!

عاش سبعة وثلاثين عاماً فقط ... ولم يبع فى حياته سوى لوحة واحدة ، ولد فى هولندا عام ١٨٥٣ م ونشأ فى بيئة دينية حيث كان والده قسيساً وورث عنه الميل إلى الدين ، واشتغل فى صباه بعدة أعمال قبل أن يتضح ميله إلى الفن وعمره خمسة وعشرون عاماً ، وأحب فتاة مخطوبة وكان لفشله فى الحب أثر كبير فى نفسه جعله يثور على المجتمع ويتجه إلى الدين ، وبعد ذلك حصل على وظيفة واعظ لعمال مناجم الفحم فى بلجيكا إلا أن الهيئة الدينية التى تعاقدت معه تضايقت من طريقة وعظه وطردته فى عام ١٨٧٩م.

تركت هذه الأحداث القاسية المتكررة أثراً كبيراً فى نفسيته مما جعله يعيش فى قلق وخوف كادا أن يؤديا به إلى الجنون ثم قرر أن يتجه إلى الفن كوسيلة للخلاص من معاناته وشجعه أخوه على ذلك بإعانته مادياً ليبدأ حياته الفنية عام ١٨٨٠م ... وبدأ يتلقى دروساً فى الفن وفى هذه الفترة ألمت به كارثة عاطفية ثانية حيث وقع فى حب ابنة عمه إلا أنها صدته وابتعدت عنه ، وتميزت أعماله فى هذه الفترة بألوان قاتمة وأشكال ثقيلة ، وكانت موضوعاته مستمدة من حياة القرويين وتعكس هذه اللوحات رغبته فى استخدام الفن كوسيلة للإتصال بالفقراء ويتضح ذلك من لوحة (آكلوا البطاطس).

ثم ذهب إلى باريس عام ١٨٨٦م واكتشف التأثيرية وألوانها ، وغمرت الألوان الزاهية الصافية لوحاته كما تغيرت موضوعاته ، ثم بدأ يهتم بتأثير الضوء إلا أنه ضاق بجو باريس فتركها إلى " آرل " فى جنوب فرنسا حيث الدفء واتسمت أعماله فى تلك الفترة بالهدوء والرزانة .

وداوم فان جوخ على الخروج إلى الحقول لرسمها فى حماس شديد ، وكان يرسم لوحاته فى ضوء الشمس المتوهجة بدون ارتداء قبعة ، ويبدو أن حرارة الشمس الشديدة كان لها تأثير جسمانى ونفسى عليه ، وكانت ألوانه قوية ملتهبة ومن لوحاته فى ذلك الوقت " حقول القمح وشجر السرو " ، ثم استدعى صديقه الفنان " جوجان " ليقيم معه وكانت تدور بينهما محاورات فنية عاصفة كان من نتيجتها أن انتابته حالة جنون بعد فترة وجيزة ، فقد فيها صوابه وتعقب صديقه جوجان وحاول قتله ، إلا أنه ندم على ذلك وعاقب نفسه بأن قطع جزءاً من أذنه ... ولما زاد عليه المرض وتكررت نوبات الجنون نقل إلى المستشفى ورسم هناك عدة لوحات منها " حجرة فان جوخ فى آرل " ثم انتقل إلى مستشفى آخر إلا أنه مالبث أن انتحر بطلقة من مسدسه عام ١٨٩٠م ، وفى فترة إقامته هناك كانت ألوانه زاهية ساطعة وأشكاله كألسنة اللهب الملتوية ، تعكس شعوره المعذب.

وبالرغم من أن حياة فان جوخ كفنان استغرقت عشر سنوات فقط إلا أنه كان يرسم بنهم شديد وبأسرع ما فى طاقته ، ولذلك ترك أعمالاً كثيرة تقدر بألف وخمسمائة لوحة تعتبر ثروة فنية مهدت إلى المذهب التعبيرى الحديث.

ومن أشهر لوحاته لوحة " زهرة الخشخاش " الموجودة حالياً بمتحف محمد محمود خليل بالقاهرة.

أول مكالمة تليفونية

حين عرض التليفون لأول مرة فى المعرض الدولى بفيلادلفيا عام ١٨٧٦م جذب انتباه العلماء ورأوه اختراعاً عجيباً ورائعاً ، واستحق جائزة كبرى لمخترعه الشاب الكسندر جراهام بل ، ولكن الجمهور لم يعره اهتماماً حتى عام ١٨٧٧م عندما قدم جراهام بل عدداً من العروض لهاتفه.

ولد الكسندر جراهام بل فى اسكتلندا (١٨٤٧ – ١٩٢٢) وكان أبوه مدرساً للصم والبكم ، وحين شب الكسندر قام أيضاً بتعليم الصم والبكم ، وفى عام ١٨٧٠ م انتقل إلى كندا ، وسرعان ما هاجر إلى بوسطن ، ومنها قام بتعليم الأطفال الصم والبكم فى أثناء النهار واشتغل فى الليل بهوايته الكهربية .

كانت لديه فكرة عن نوع جديد من جهاز " التلغراف " ويمكن لهذا النوع أن يرسل ست رسائل فى المرة الواحدة ، وأسماه التلغراف " التوافقى " ، وحمل مشروعه إلى ورشة كهربية فى بوسطن ، وقام توماس واطسون أحد عمال الورشة بصنع الجهاز ، ولكن الجهاز لم يعجب الكسندر وذهب إلى الورشة ليقول أن تعليماته لم تتبع فى صنع الجهاز ، وهناك قابل واطسون وكانت المقابلة بداية لصداقة دامت أعواماً .

وبعد ذلك سهر " بل " مع " واطسون " ليالٍ طويلة فى عمل التلغراف ،

وكان " بل " واثقاً من سلامة فكرته ولكنه لم يستطع أن يجعل التلغراف يعمل جيداً ... وجرت فى هذه الفترة محادثات طويلة بين " بل " و " واطسون " ، وكان من بين الموضوعات التى تحدثا فيها إمكان إرسال الكلام عبر الأسلاك الكهربائية .

وبعد حوالى ستة شهور من بداية عملهما استمع " بل " إلى صوت غريب يصدر من جهازه التلغرافى ، فقد كان واطسون يشتغل عند الطرف الآخر من الخط واندفع " بل " إلى الحجرة التى كان يعمل فيها واطسون وسأله عما فعله ، فأراه واطسون كيف قام بجذب زنبرك الجهاز ، وشاهد " بل " فى الحال كيفية صدور الصوت الذى كان قد استمع إليه ، وعلم فى آخر الأمر كيف يمكن تركيب تليفون ، وفى اليوم التالى كان لديهما أول تليفون جاهز للتجربة .

وفى أول الأمر لم يحقق التليفون نجاحاً وكان لابد من عمل الكثير لتحسينه ، ولكن فى الربيع التالى وبالتحديد فى ١٨٧٦/٣/١٠م قال " بل " هذه الكلمات التى اشتهرت الآن فى التليفون " مستر واطسون ... تعال إلى ، إنى أريدك " وسمعها واطسون وكانت هذه أول جملة تسمع عن طريق التليفون .

وبعد مضى تسعة وثلاثين عاماً جرى افتتاح أول خط تليفونى بين نيويورك وسان فرانسسكو وتكلم " بل " فى نيويورك مع واطسون فى سان فرانسسكو واستخدم جهازاً من طراز أول تليفون له وقال مرة أخرى " مستر واطسون ... تعال إلى ، إنى أريدك" .

ويمبلدون

تعد أهم وأقدم مسابقة لبطولة العالم فى التنس ، أنشئت عـام ١٨٧٧م ، وظل نجوم إنجلترا يكللون رؤوسهم بهذه البطولة حتـى عـام ١٩٠٣ م بـدون منازع حتى جاء الاسترالى " ترومان بروكس " فانتزعها منهم .

ثم جاء البطل الأمريكى " ويليام تيلدن " فنقلها إلى أمريكا عام ١٩٢٠م ، ثم جاء دور فرنسا فانتزعتها لأوربا بفضل أبطالها " بوروترا – ولاكوسـت – وكوشيه " الذين احتفظوا بها تباعاً لفرنسا من علم ١٩٢٤م حتى عام ١٩٢٩م ، ولكن البطل الأمريكى تيلدن والمسمى بمدرسة التنس اسـتردها لأمريكـا عـام ١٩٣٠م ، وهكذا جدّ فى هذا المجال معسكرات تنافست بـإخلاص فـى رفـع مستوى وقيمة البطولة العالمية ، وقد خلق هذا النشاط وما اكتنفه فـى الميـادين الكثيرة الأخرى طابعاً جميلاً للعبة.

وكان نشاط هذه الميادين الدولية يشد النساء ، فبرزت من لاعبات التنس نجوم تلألأت بفنها وجارت الرجال إلى حد كبير ، وبدأت مسابقات النساء فـى ويمبلدون منذ عام ١٨٨٤ م فى الفردى وعـام ١٩١٣م فـى زوجـى النسـاء والزوجى المختلط ... ولقد برزت من النساء فى إنجلترا " بلانـش بينجلـى " ومسز " دوروثى دوجلاس تشامبرز " وفى فرنسا " سوزان لانجلن " أم التنس.

تقام البطولة بمنطقة ويمبلدون بالعاصمة البريطانية ، وتستمر أحداثها أسبوعين ، وتشمل خمسة برامج للمحترفين (فردى الرجال ، فردى السيدات ، زوجى الرجال ، زوجى السيدات ، الزوجى المختلط) إضافة إلى أربعة برامج للناشئين (فردى الناشئين ، فردى الناشئات ، زوجى الناشئين ، زوجى الناشئات) وبرامج للاعبين المتقاعدين واللاعبين المعاقين.

وقد فاز بأكبر عدد من الألقاب وليام رنشو وبيت سامبراس (٧ مرات) فى فردى الرجال ، ومارتينا نفرتيلوفا (٩ مرات) فى فردى النساء ، وتود وود بريدج (٩ مرات) فى زوجى الرجال ، والبزابيث ريان (١٢ مرة) فى زوجى السيدات ، والبزابيث ريان أيضاً (٧ مرات) فى الزوجى المختلط.

ويعد المصرى إسماعيل الشافعى العربى الوحيد الذى فاز ببطولة ويمبلدون للناشئين عام ١٩٦٤م.

وتعد بطولة ويمبلدون أشهر بطولات الجراند سلام للتنس والتى تضم إلى جانبها بطولة فرنسا المفتوحة أو رولان جاروس كما تسمى أحياناً ، وبطولة أمريكا المفتوحة ، وبطولة استراليا المفتوحة.

توماس أديسون ينير العالم

" لم يكن أمامى إلا أن انجح ، فقد أعطيت الفشل عشرة آلاف تجربة سابقة فاشلة ، ولم يعد لدى أى شئ آخر لأقدمه له " ، كلمات تلخص فكر توماس أديسون (١٨٤٧ – ١٩٣١م) الذى ولد بولاية أوهايو الأمريكية، كان كثير الأسئلة ولم يكن يميل إلى الذهاب إلى المدرسة ولكنه كان يحب أن يتلقى العلم فى البيت على يد والدته ، أو عن طريق القراءة بنفسه وحين بلغ الحادية عشرة كان قد بدأ فى دراسة مؤلفات نيوتن وشكسبير وأمهات الكتب كما أحب إجراء التجارب فى المعمل الذى هيأه فى الطابق السفلى من منزله.

وبدأ أديسون السعى للحصول على المال فى سن مبكرة ليتمكن من شراء ما يحتاج إليه لإجراء تجاربه ، فأصدر قبل أن يبلغ الخامسة عشرة من عمره صحيفة أسماها " ويكلى هيرالد " وأقام مطبعته فى عربة البضاعة بالقطار الذى كان يعمل به ... وفى يوم ما أنقذ حياة غلام صغير وكافأه والد الغلام على ذلك بأن علمه كيف يكون عامل تلغراف ، وتمكن خلال عمله الجديد من إدخال تحسينات على طريقة إرسال البرقيات ، وبلغت اختراعاته أكثر من ألف اختراع من أهمها الصور المتحركة ، الفونوغراف ، الميكروفون ، إلا أن أشهر اختراعاته المصباح الكهربائى المتوهج.

لقد كان لابد فى المصابيح التى تستخدم قبل عصر الكهرباء من وجود شئ يحترق ليعطى ضوءاً ، فالشمعة تضئ فى أثناء احتراق الدهن بها ، أما فى المصباح الكهربائى المتوهج فإن هناك مادة ما ترتفع حرارتها إلى درجة كبيرة حتى تتوهج ولكن يجب ألا تحترق ، أو على الأقل لفترة طويلة.

فى حوالى عام ١٨٧٩ م كان هناك أشخاص كثيرون يحاولون صنع مصباح كهربائى جيد ، وكان يلزم لذلك ثلاثة أمور ، أما الأول فهو تسخين المادة إلى أن تتوهج وهذا ما تفعله الكهرباء بسهولة إذا كانت المادة على شكل خيط رقيق يسمى السلك الحرارى ، أما الأمر الثانى فكان البحث عن وسيلة لإبعاد الهواء حتى لا يحترق السلك الحرارى ، ووجد أديسون حلاً لهذه المشكلة بعزل السلك داخل لمبة زجاجية مفرغة من الهواء ، وكان الأمر الثالث هو المشكلة الكبرى أمام أديسون وهى نوع السلك الحرارى الذى يمكن أن يستمر متوهجاً نتيجة الحرارة العالية مدة طويلة.

وحينما بدأ أديسون العمل فى مصباحه الكهربائى كان قد أصبح بالفعل مخترعاً ناجحاً يعمل تحت إشرافه عدد من المساعدين ، فأرسل بعضهم إلى عدة أماكن للبحث عن مادة للسلك الحرارى لاختبارها فى معمله بمينلو بارك بولاية نيوجيرسى ، وفى ٢١ أكتوبر ١٨٧٩م كان مصباح أديسون المزود بسلك حرارى من الفلب الهندى المتفحم معداً لإجراء التجربة .

وما أن اتصل التيار الكهربى بالمصباح حتى توهج بضوء جميل لطيف، وحبس أديسون ومساعدوه أنفاسهم مترقبين مدى استمرار الضوء ، وظلوا كذلك ساعة بعد أخرى لا يساور النوم أجفان أحد منهم ، واستمرت ملاحظاتهم طوال يومين وليلتين ، وكان المصباح لا يزال مضيئاً ... لقد نجحت التجربة .

وأصبح هم العبقرى فى المرحلة التالية أن تصبح المصابيح من حق

الجميع ، فاستمر فى العمل على شبكة كهرباء شبه مركزية حتى شهر سبتمبر ١٨٨٢م ، قبل أن يدير المفتاح الرئيسى ويضئ ٤٠٠ مصباح فى وقت واحد ، معلناً انتهاء عصر الظلام ، وبداية عصر الكهرباء والضوء .

وفى السنوات الثلاث التالية بنى أديسون أول محطة شبه مركزية للطاقة، وأضاء مراكز الشركات التجارية والمصانع ومكاتب الصحف والمسارح فى نيويورك ، وأنشأ أول إشارة كهربائية فى لندن ، ومحطات أخرى فى إيطاليا وبرلين وتشيلى.

وقد قررت الأكاديمية السويدية للعلوم منح توماس أديسون ونيقولا تيسلا جائزة نوبل للفيزياء بالمشاركة ، لجهودهما فى مجال الفيزياء التجريبية عام ١٩١٦م ، ولكن أديسون رفض تقاسم الجائزة مع تيسلا ، فحجبت عنهما معاً ، ولكن التاريخ عاد ليخلدهما معاً حيث أطلق اسم العالمين على معلمين مهمين من معالم جغرافية القمر ، ويرى المؤرخون أن التقدم العلمى قد مر بثلاث مراحل ، المرحلة الأولى هى ظهور الآلات البخارية ، والمرحلة الثانية هى اختراع الكهرباء وظهور مخترعات أديسون ، والمرحلة الثالثة هى ظهور النظرية الإلكترونية المادية.

وفى ١٨ أكتوبر ١٩٣١ م أطفأت أمريكا كل المصابيح الكهربائية ، لتعيش لليلة واحدة أخيرة فى ظلام مطبق ، لقد رحل العالم العظيم توماس أديسون ، لقد رحل أبو المصابيح المتوهجة ، الذى لم يوقفه سوى الموت عن أبحاثه ومنجزاته واختراعاته ، وقد نال هذا العبقرى التكريم اللازم عندما أطلق عليه لقب رجل الألفية (The man of the millennium) اعترافاً من العالم ومن التاريخ بعظمة وعبقرية هذا الرجل .

أشهر برج فى العالم

برج إيفل ... بالعاصمة الفرنسية ، وقد أصبح رمزاً للعاصمة الفرنسية ، ويمكن من على قمته رؤية مساحات واسعة ومناظر رائعة لمدينة باريس .

وقد صمم هذا البرج المهندس الفرنسى جوستاف إيفل – وهو مصمم كوبرى أبو العلا بالقاهرة – ليكون مدخلاً مميزاً للمعرض الدولى الذى أقيم فى باريس عام ١٨٨٩ بمناسبة مرور الذكرى المئوية للثورة الفرنسية ، وسمى البرج باسم مصممه .

بلغت تكلفة البرج حوالى ثمانية مليون فرنك ذهب فرنسى ، ويتألف من ١٢ ألف قطعة حديد ويبلغ ارتفاعه حوالى ٣٢٨ متراً ... واستغرق بناءه (٢٦) شهراً ... ويزن حوالى عشرة آلاف طناً ، ويرتكز على أربعة أعمدة مكونة فيما بينها قاعدة أبعادها ١٢٥ م × ١٢٥ م.

كانت الأرض الذى أقيم عليها البرج مستأجرة لمدة عشرين عاماً ثم يفك بعدها البرج ، ولكن نظراً لأهمية البرج وارتفاعه تم وضع محطة لاسلكى ومحطة لتقوية بث الإذاعة والتليفزيون عليه ، وللاستفادة من ارتفاعه ومن كونه مكاناً يجذب الناس إليه للاستمتاع بمنظر مدينة باريس من الأعلى فقد أبقى ، وفى عام ١٩٦٤ تم تسجيل البرج على لائحة الآثار التاريخية لمدينة باريس.

السينما ... سحر الفن السابع

يرجع البعض بدايات السينما ، أو بتعبير أدق ما قبل البدايات إلى ما دونه الفنان والمهندس والعالم الإيطالى ليوناردو دافنشى من ملاحظات ، فقد لاحظ دافنشى أن الإنسان إذا جلس فى حجرة تامة الظلام ، بينما تكون الشمس ساطعة خارجها ، وكان فى أحد جوانبها ثقب صغير جداً فى حجم رأس الدبوس، فإن الجالس فى الحجرة المظلمة يمكنه أن يرى على الحائط الذى فى مواجهة هذا الثقب الصغير ظلالاً أو خيالات لما هو خارج الحجرة مثل الأشجار أو السيارات أو الإنسان الذى يعبر الطريق ، نتيجة شعاع من الضوء ينفذ من الثقب الصغير .

أما البداية الحقيقية لميلاد صناعة السينما ، فتعود إلى حوالى عام ١٨٩٥م ، نتيجة للجمع بين ثلاثة مخترعات سابقة هى اللعبة البصرية والفانوس السحرى والتصوير الفوتوغرافى ، فقد سجل الأخوان أوجست ولويس لوميير اختراعهما لأول جهاز يمكن من عرض الصور المتحركة على الشاشة فى ١٣ فبراير ١٨٩٥ فى فرنسا ، على أنه لم يتهيأ لهما إجراء أول عرض عام إلا فى ٢٨ ديسمبر من نفس العام ، فقد شاهد الجمهور أول عرض سينمائى فى قبو الجراند كافيه الواقع فى شارع الكابوسين بمدينة باريس ، لتصبح السينما الفن

السابع بعد الشعر ، والموسيقى ، والرسم ، والرقص ، والنحت ، والعمارة .

وكان البرنامج الأول عبارة عن عشرة أفلام يتراوح طول الفيلم الواحد منها بين ١٥ و ٢٠ متراً ، وهو ما يستغرق زمناً يصل إلى دقيقتين ، وكان اشتراك أو رسم الدخول إلى هذا العرض من جانب جمهور المشاهدين فرنكاً فرنسياً واحداً .

وكانت الأفلام الأولى تهتم بإظهار الحركة ، ومن المعروف أن المجتمع العمالى يتسم بالنشاط والحركة ، ولهذا كنا نجد الأفلام الأولى تصور حركة عمال البناء أو المصانع .

ومن أهم الأفلام التى عرضت بين الأفلام الأولى التى تم عرضها فى سينما لوميير فى مقهى جراند عام ١٨٩٥ فيلم ساعة الغذاء فى مصنع لوميير فى ليون ، وكان الفيلم يصور حركة العمال فى دخولهم أو مغادرتهم المصنع أو وقوف العامل أمام الآلات التى يعمل عليها .

وكان المشاهدون يتأملون هذه المناظر وغيرها من الاستعراضات وحركة القطارات والأمواج مبهورين بسحر مناظرها المتحركة ، ويشدهم إليها واقعية هذه الصور المتحركة ، أما المنتجون من مخترعى هذه الأفلام فكان هدفهم استغلال هذه الحركة .

وهكذا ولدت السينما تسجيلية بحتة معتمدة على النقل من واقع الحياة اليومية مباشرة ودون نص مكتوب أو تمثيل ، أو حتى خدمات إنتاجية وكان التصوير يتم نهاراً على ضوء الشمس ، كما لم تكن الكاميرا تتحرك لتقدم لقطاتها الاستعراضية المعهودة .

ولم تمض سنة على أول عرض سينمائى فى باريس إلا وكانت العروض السينمائية تغزو العالم كله وأصبحت السينما فناً عالمياً .

ويقسم البعض تطور السينما إلى عدة فترات ، ففى فترة الريادة ١٨٩٥ : ١٩١٠ بدأت صناعة الفيلم ، الكاميرا الأولى ، الممثل الأول ، المخرجون الأوائل ، كانت التقنية جديدة تماماً ، ولم تكن هناك أصوات على الإطلاق ، ومعظم الأفلام كانت وثائقية ، خبرية ، وتسجيلات لبعض المسرحيات ، وأول دراما روائية كانت مدتها حوالى خمس دقائق ، وبدأت تصبح مألوفة حوالى عام ١٩٠٥ مع بداية رواية الفنان الفرنسى جورج ميلييه "رحلة إلى القمر" عام ١٩٠٢ .

وفى الفترة التالية التى أطلق عليها فترة الأفلام الصامتة ١٩١١ : ١٩٢٦ فقد تميزت عن سابقتها بكثرة التجريب فى عملية مونتاج الأفلام ، فلم تكن هذه المرحلة صامتة بالكامل ، حيث كانت هناك استخدامات لطرق ومؤثرات صوتية خاصة ، بينما لم يكن هناك حوار على الإطلاق حتى المرحلة التالية .

وتميزت فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية (١٩٢٧ – ١٩٣٩) بأنها الفترة التى شهدت إنتاج أول فيلم ناطق بعنوان " مغنى الجاز " عام ١٩٢٧ ، بالإضافة إلى أفلام ناطقة أخرى متنوعة انتجت فى هذه المرحلة ، كما شهدت أفلام الثلاثينيات استخداماً أكثر للألوان ، وبدأت الرسوم المتحركة ، وفى هذه المرحلة أيضاً ظهرت العروض النهارية للأفلام ، وبدأت تتنامى فى المسارح مع موجة الكوميديا ، وبروز نجوم لفن السينما انتشرت أسماؤهم فى ذلك الحين .

ثم جاءت فترة العصر الذهبى للفيلم ١٩٤١ : ١٩٥٤ حيث أحدثت الحرب العالمية الثانية كل أنواع التغيرات فى صناعة الفيلم ، فخلال وبعد الحرب ازدهرت الكوميديا بشكل ملحوظ ، وتربعت الأفلام الموسيقية على عرش السينما ، كما انتشرت أفلام الرعب ، ولكن باستخدام ضئيل للمؤثرات

الخاصة بسبب ارتفاع تكاليف الإنتاج ، فقد صنعت نفقات الإنتاج فرقاً ملحوظاً بين الميزانيات الكبيرة والصغيرة للأفلام ، ولجأت استوديوهات السينما لاستخدام ميزانيات صغيرة لإنتاج أفلام غير مكلفة للعامة ، وذلك لجذب الجماهير ، لذلك ظهرت الأفلام الجماهيرية فى هذه المرحلة ، أما أفلام الخيال العلمى فقد ظهرت حوالى عام ١٩٥٠ .

أما الفترة الانتقالية للفيلم ١٩٥٥ : ١٩٦٦ فقد مثلت الوقت الذى بدأ فيه الفيلم ينضج بشكل حقيقى حيث ظهرت التجهيزات الفنية المتطورة للفيلم من موسيقى وديكور وغير ذلك ، كما ظهر لصناعة الفيلم مناقص يسمى التليفزيون ، مما أبرز المناقصة حول نوعية المنتج وجودته ، وبدأت السينما تقتحم موضوعات اجتماعية أكثر نضجاً ، وانتشرت الأفلام الملونة لتصبح الأغلبية بجوار الأبيض والأسود .

وبدأت الحرب الباردة لتغير وجه هوليوود ، وظهرت المؤثرات الخاصة، وبرزت الفنون الأخرى المصاحبة كالديكور والاستعراضات .

ثم جاءت فترة العصر الفضى للفيلم ١٩٦٧ : ١٩٧٩ حيث يرى بعض المؤرخين أن هذه الفترة بالفعل ، هى مرحلة الفيلم الحديث ، وكانت مرحلة جديدة وقتها ويبدأ العصر الفضى للسينما بإنتاج فيلمى الخريج ، وبونى وكلايد عام ١٩٦٧.

ثم بدأت فترة العصر الحديث للفيلم ١٩٨٠ – حتى الآن عندما أنتج فيلم " حروب النجوم " الذى يعد أول إسهام للكمبيوتر والتقنية الحديثة فى تصميم المؤثرات الخاصة ففى هذه المرحلة بدأ انتشار الكمبيوتر والفيديو المنزلى ، التليفزيون السلكى ، واعتمدت هذه المرحلة اعتماداً كبيراً على الميزانية الضخمة بدلاً من النص والتمثيل ، ولكنها احتفظت بالقدرة على إنتاج نوعية جيدة من أفلام التسلية الممتعة .

الأشعة المجهولة

اكتشفها " وليام رونتجن" وهو عالم شهير من علماء الطبيعة الألمـــان ، ففى عام ١٨٩٥م كان يجرى تجربة بأنبوبة شعاع المهبط ، وكان يمرر تيـــاراً كهربياً فيها حين وجد أنه على الرغم من أن الأنبوبة كانت محاطة إحاطة تامـــة بإناء من ورق الكرتون فإن الحائل الموضوع على بعد تسع أقدام كان يتوهج ، لقد كانت هناك أشعة غير مرئية تخترق الكرتون ، وقد وجد رونتجن أنه حـــين وضع راحة يده أمام الأنبوبة ظهر ظل عظامها على الحائـــل ، وحـــين حـــرك أصابع يده استطاع أن يرى كيف تتحرك وتعمل العظام.

وقد أثبتت التجارب الأخرى التى أجراها رونتجن أن هذه الأشـــعة لهـــا القدرة على اختراق الكثير من المواد التى لا تنفذ منها الأشعة الضوئية العادية ، كما أن لها القدرة على التأثير فى الألواح الفوتوغرافية وكـــأن هـــذه الألـــواح تعرضت للضوء على الرغم من أنها تكون ملفوفة بورق أسود معتم لا ينفذ فيه الضوء العادى ، ولم يكن رونتجن حينذاك متأكداً من طبيعة هذه الأشعة ولـــذلك سماها " أشعة أكس " أى الأشعة المجهولة.

وسرعان ما أدرك رجال الطب فى عهده فائدة تلك الأشعة ، وبعد عـــام أو عامين من هذا الاكتشاف العظيم أدخل جهاز أشعة أكـــس فـــى كثيـــر مـــن

المستشفيات لاستخدامه كأداة مساعدة فى جراحة العظام ، ومنذ ذلك الوقت تعلم الأطباء أيضاً كيفية تصوير أعضاء داخلية معينة بواسطة استخدام أشعة لكس .

الثورة الصناعية

الثورة الصناعية هى انتشار وإحلال العمل اليدوى بالميكنة وقد بدأت فى بريطانيا فى القرن ١٨ ، وما يميزها هو تحويل الاقتصاد الزراعى إلى الاقتصاد الصناعى ، وبدأت السلع التقليدية التى كانت تنتج فى البيوت والورش تنتج على نطاق واسع فى المصانع ، ونمت الكفاءة الإنتاجية بشكل سريع من خلال التطبيق العلمى والمعرفى المنظم ، وأدت الثورة الصناعية فى ظهور المدن عندما هاجر القرويون ليعملوا فى المصانع ، وكانت الثورة الصناعية أول خطوة فى نمو الاقتصاد الحديث.

كانت الانطلاقة الفعلية للثورة الصناعية مع اختراع الآلة البخارية على يد جيمس وات واستخدمت الآلة البخارية فى ضخ المياه من مناجم الفحم الحجرى ، وفى صناعة التعدين ولدفع وسائل النقل البرى والبحرى .

ثم انتشر استعمال الآلة البخارية خارج بريطانيا ليشمل كل من فرنسا وألمانيا .

ثم تم استغلال المحرك البخارى لتركيز النقل الحديدى كنمط جديد فى النقل البرى ، حيث تم استخدام أول خط للنقل الحديدى فى العالم سنة ١٨٣٠م بين مدينة ليفربول ومانشستر ، ومنها انتشرت السكك الحديدية لتشمل ألمانيا

وفرنسا ، فساهمت فى إحداث ثورة اقتصادية بتنشيط التجارة وفك عزلة الريف، ثم كان ظهور أول سفينة بخارية لتربط بين إنجلترا وفرنسا ، دافعاً لتنشيط النقل البحرى وسهولة الربط بين الدول والقارات .

ثم برزت الطاقة الكهربائية فى الطور الثانى للثورة الصناعية ، إذ تم صنع أول مولد كهربائى سنة ١٨٦٩م ، وتم بناء أول سد لتوليد الطاقة الكهربائية سنة ١٨٧٠م ، وتم اختراع أول محرك كهربائى سنة ١٨٨٢م وتم نقل هذه الطاقة عبر الأسلاك مما ساعد فى انتشار استخدامها.

وقد كانت صناعة الغزل والنسيج حتى منتصف القرن الثامن عشر ، تؤدى فى المنازل ، فكان الغزالون والنساجون ينسجون فى منازلهم ، ثم ظهرت اختراعات جديدة مثل " الماكوك الطائر " الذى اخترعه الإنجليزى " جون كاى"، وقد مكن هذا الاختراع النساجين من استعمال خيوط الغزل بسرعة تفوق قدرة الغزالين على غزل هذه الخيوط ، ثم اخترع " جيمس هارجريفز " جهازاً للغزل، أمكن به غزل عدد من الخيوط فى وقت واحد ، واستخدمت قوة الماء فى أول الأمر لتشغيلها ، فشيدت مصانع صغيرة بالقرب من الجداول ، وفى هذه المصانع أقيمت آلات الغزل والنسيج الجديدة ثم استخدمت الطاقة الكهربائية مما جعل إقامة المصانع ممكناً فى أى مكان وليس إلى جوار الجداول المائية .

ولكن الثورة الصناعية ما لبثت أن اتخذت طريقها إلى خارج إنجلترا ، فأخذت فرنسا تستخدم كل المخترعات والآلات الحديثة فى الصناعات لا سيما فى صناعة المنسوجات ، وأخذت تزاحم إنجلترا فيها ، وكذلك أخذت الإمبراطورية النمساوية فى تحرير نفسها من سيطرة ألمانيا وبريطانيا ، كما تخلصت إيطاليا من القيود الاقتصادية وأخذت تستخدم مساقط المياه (الفحم الأبيض) فى إدارة المصانع ... كذلك أصبحت روسيا دولة صناعية من الطراز الأول .

وقد أدت الثورة الصناعية إلى تحولات كبيرة فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية فقد تراجعت المعامل الحرفية الصغيرة والصناعات المنزلية لتحل محلها المصانع الضخمة بآلياتها وحجم عمالها ، فتغيرت طريقة العمل ولم يعد العامل يقوم بكل مراحل التصنيع وإنما اقتصر عمله على القيام بحركة واحدة لإنجاز نفس العمل ، ونتيجة لوفرة الإنتاج وتنوعه نشطت التجارة العالمية فارتفعت قيمتها ، وقد هيمنت عليها الدول الصناعية الكبرى كإنجلترا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وهولندا ، وبلجيكا ، وبعد أن كان معيار الثراء فى النظام الإقطاعى ملكية الأرض تحول مع الثورة الصناعية إلى امتلاك رأس المال التجارى والصناعى الذى دعم طبقة من صغار التجار قبل الثورة الصناعية عرفوا بالبرجوازية مما زاد من نفوذهم المالى داخل وخارج أقطارهم على حساب بقية الطبقات ، ونتيجة الانتشار الكبير للصناعات برزت طبقة عمالية تشتغل فى ظروف قاسية كطول ساعات العمل مقابل الأجر الزهيد ، دفعت هذه الظروف إلى تكتل العمال فى تنظيمات للمطالبة بالرفع فى الأجور والتقليص من ساعات العمل .

وفى أواخر القرن ١٩ نقلت موجة ثانية من التقنية والتقدم المنظم المجتمع الصناعى إلى مستويات أعلى ، فإذا كانت بريطانيا ولدت بها الثورة الصناعية الأولى فقد كانت الولايات المتحدة مهد الثورة الصناعية الثانية ، التى أتت بصناعات جديدة للحديد والصلب ولا سيما طريقة بسمر Bessemer فى إنتاجه بالأفران المفتوحة العالية الحرارة للتخلص من خبث الحديد ، وقامت صناعات تكرير البترول والمصانع العملاقة والآلات الحديثة وظهرت السيارات، وظهرت الميكنة الزراعية لقلة وجود الأيدى العاملة .

البارون كوبرتان ...
الرجل الذى أحيا الألعاب الأولمبية

منذ نجح فى تنظيم لقاء رياضى بين إنجلترا وفرنسا عام ١٨٩١م مما أدى إلى تخفيف حدة العداء بين الشعبين ، آمن البارون الفرنسى بيير دى كوبرتان (١٨٦٣ – ١٩٣٦م) بدور الرياضة فى نشر السلام بين شعوب العالم، وبدأ ينادى بإعادة بعث الدورات الأولمبية من جديد والتى توقفت قبل الميلاد بكثير ، وشجعه لكتشاف العالم الألمانى " أرنست كورتيوس " لآثار أولمبيا القديمة ببلاد اليونان عام ١٨٨١ على تنفيذ هذه الفكرة .

بدأ دعوته فى ٢٥ نوفمبر عام ١٨٩٢ فى يوم احتفال الاتحاد الرياضى الفرنسى بعيده الخامس ، لكنه اصطدم بعبء التكاليف الباهظة ، ولكنه فى العام التالى وخلال المؤتمر الذى عقدته الدول الأوربية والأمريكية لبحث الهواية والاحتراف ... حصل على تأييد عدد كبير من الدول ، وظل يكافح حتى نجح عام ١٨٩٤ م فى وضع إقامة الدورات الأولمبية ضمن جدول أعمال الألعاب الأولمبية بالإجماع ، وتقرر تأسيس اللجنة الأولمبية ، وتم اختيار اليونانى نيكيلاس رئيساً لمدة عامين .

وقد تقرر إقامة دورة الألعاب الأولمبية كل أربع سنوات ، وأقيمت الدورة الأولى فى أثينا باليونان تكريماً لتاريخها العريق ، وشارك فيها ٢٤١

متنافساً فقط جميعهم من الرجال من ١٤ دولة ، توافدوا على الدورة لخوض منافسات الجمباز وسباقات الدرجات والتنس على الملاعب العشبية والمبارزة والرماية وألعاب القوى .

ولم تعن هذه المنافسات شيئاً يذكر بالنسبة لليونانيين الذين لم يهتموا إلا ببطولة واحدة فقط هى سباق الماراثون الذى سمى باسم قرية على بعد ٤٠ كيلومتراً شمال شرقى أثينا حيث هزم الأثينيون الفرس عام ٤٩٠ قبل الميلاد ، وتقول الأساطير أن رسولاً يونانياً نقل الخبر من السهول القريبة من قرية ماراثون إلى أثينا ثم سقط ميتاً على الفور لإرهاقه الشديد .

وشارك ١٧ متنافساً بينهم ١٥ يونانياً فى سباق الماراثون وتقدم الفرنسى ألبان ليرموزيو السباق بمسافة كبيرة فى البداية إلا أنه انهار بعد ٣٢ كيلومتراً ليسمح لسبيريدون لويس من بلدة أماروسيون اليونانية بانتزاع المقدمة ، حيث دخل لويس إلى الأستاذ الأولمبى وسط استقبال حافل وترك أميران يونانيان مقعديهما ليركضا جنباً إلى جنب مع البطل الجديد فى طريقه الشاق نحو خط النهاية.

وفى عام ١٨٩٦ تم اختيار البارون كوبرتان رئيساً للجنة الاولمبية الدولية حتى استقال عام ١٩٢٥ وإن كان قد غاب من موقعه فى الفترة من ١٩١٤ -١٩١٨ لمشاركته فى الحرب العالمية الأولى ، وقد تولى رئاسة اللجنة الأولمبية الدولية خلال هذه الفترة السويسرى البارون " فود تروى دى بلونيه " ولكن كوبرتان استقال من منصبه بعدما لمس نجاح الدورات الأولمبية عام ١٩٢٥ وحضر عدة دورات ورأى ثمار جهده تخطو من نجاح إلى نجاح .

ووضع كوبرتان أعظم دساتير للدورات الأولمبية حين قال " أن أهم شئ فى الألعاب الأولمبية ليس الانتصار بل مجرد الاشتراك ... وأهم ما فى الحياة ليس الفوز وإنما النضال بشرف " .

وقد أعلن كوبرتان هذا الشعار فى دورة لندن عام ١٩٠٨ حيث تم تقديم بعض عروض الانزلاق على الجليد ، ولاقت تأييداً ونجاحاً ملحوظاً ، فأدخل كوبرتان الانزلاق على الجليد وألعابه كألعاب استعراضية فى دورة أنفرس عام ١٩٢٠ ، وقدم كوبرتان عام ١٩٢١ فى اجتماعات اللجنة الأولمبية الدولية فى مدينة " لوزان " السويسرية اقتراحاً بإقامة دورة أولمبية شتوية تقام كل ٤ سنوات، على أن يكون بين الدورة الصيفية والشتوية عامان ، وقد بدأت أولى الدورات الأولمبية الشتوية عام ١٩٢٤ فى مدينة " شامونى " الفرنسية .

أما الدورات الأولمبية للمعاقين ، والتى تقام بالمدينة التى تستضيف الدورات الصيفية بعد انتهاء دورة الأصحاء بأيام ، فإنها ولدت فى الدورة السابعة عشرة عام ١٩٦٠ فى روما أى بعد وفاة كوبرتان بسنوات طويلة .

كان كوبرتان ضد اشتراك النساء فى الدورات الأولمبية ، كما كانت الدورات الأولمبية القديمة محرمة على النساء ، فلم يسمح لهن بالاشتراك فيها أو حتى مشاهدة منافساتها .

ولكن فى ثانى الدورات الأولمبية فى مدينة باريس عام ١٩٠٠ تم السماح للسيدات بالمشاركة رغم اعتراض كوبرتان بحجة مراعاة التقاليد الأولمبية القديمة ، ولكن الأغلبية فى اللجنة الأولمبية كانوا مع مشاركة المرأة فى الأولمبياد ، وكانت الإنجليزية " شارلورت كوبر " أول فتاة تفوز بميدالية أولمبية بعدما فازت بذهبية التنس وقد شاركت (٦) فتيات فى هذه الدورة.

وقد توفى كوبرتان عام ١٩٣٦ ، ودفن قلبه فى مدينة أولمبيا اليونانية ، وتم إقامة نصب تذكارى له كتب عليه " إن أولمبيا ترحب بقلب الرجل الذى أحيا الألعاب الأولمبية القديمة المقدسة من مرقدها " .

سكة حديد الحجاز

يعتبر خط سكة حديد الحجاز من أروع إنجازات السلطان العثمانى عبدالحميد الثانى من الناحية السياسية والدينية والحضارية ، إذ استطاع هذا المشروع العملاق الذى امتد العمل فيه ثمانى سنوات متتالية أن يقدم خدمات جليلة لحجاج بيت الله الحرام ، تمثلت فى اختصار وقت هذه الرحلة الشاقة التى كانت تستغرق شهوراً ، يتعرضون فيها لغارات البدو ومخاطر ومشاق الصحراء، فأصبحت الرحلة بعد إنشاء هذا الخط الحديدى الذى بلغ طوله (١٣٢٠كم) تستغرق أياماً معدودة ينعمون فيها بالراحة والأمان .

وقدرت تكلفة الخط بنحو أربعة ملايين ليرة عثمانية تبرع السلطان بمبلغ ٣٢٠ ألف ليرة من ماله الخاص ، وتبرع شاه إيران بمبلغ ٥٠ ألفاً ، وتبرع خديوى مصر عباس حلمى بمواد عينية للبناء ، كما انهالت التبرعات من مسلمى العالم، وبلغت نحو ثلث التكلفة ، ولم تقتصر تبرعات وإعانات المسلمين على الفترات التى استغرقها بناء الخط فحسب ، بل استمر دفعها بعد وصوله للمدينة المنورة ، أملاً فى استكمال مده إلى مكة المكرمة ... وكان مسلمو الهند من أكثر المسلمين حماسة له ، وهو ما أثار غضب بريطانيا ، فوضعت العراقيل

أمام حملات جمع التبرعات حتى أنها رفضت أن يرتدى المسلمون الهنود الذين اكتتبوا فى الخط الأوسمة والنياشين العثمانية .

كان الحجاج المسلمون يلاقون صعوبات كبيرة أثناء تأديتهم هذه الفريضة قبل إنشاء الخط الحجازى ، منها طول المسافة حيث كان طريق الحج العراقى يقترب من (١٣٠٠كم) ، وتستغرق الرحلة فيه شهراً كاملاً ، أما طريق الحج المصرى فيبلغ من سيناء (١٥٤٠كم) ويستغرق أربعين يوماً ، ويزيد خمسة أيام من طريق عيذاب ، وطريق الحج الشامى يمتد (١٣٠٢كم) ، وتستغرق الرحلة فيه أربعين يوماً ، أما حجاج المناطق النائية من العالم الإسلامى فكانت رحلتهم تستغرق ستة عشر شهراً وأكثر ، وهو ما جعل الأغنياء يتقاعسون عن أداء الحج ، نظراً لطول المسافة ومشاق السفر ، وندرة المياه ، وغارات البدو وقتلهم لبعض الحجاج وسلب أموالهم .

وكانت أهداف السلطان عبد الحميد من إنشاء الخط الحجازى تتمثل فى هدفين أساسيين مترابطين أولهما خدمة الحجاج بإيجاد وسيلة سفر عصرية يتوفر فيها الأمن والسرعة والراحة ، أما الهدف الثانى فدعم حركة الجامعة الإسلامية التى كانت تهدف إلى تكتيل جميع المسلمين وتوحيد صفوفهم خلف الخلافة العثمانية لمواجهة الأطماع الأوربية فى العالم الإسلامى .

بدأ العمل فى بناء سكة حديد الحجاز عام ١٩٠٠م وكان هذا الخط ينطلق من دمشق حيث كان يتفرع جنوباً إلى خطين أحدهما يكمل المسير إلى الجنوب نحو الأراضى الأردنية ، أما الآخر فكان يتجه غرباً باتجاه فلسطين ، وتعد حيفا من أهم محطات الوقوف التى كانت هناك ، ومنها يتفرع خط آخر من السكة يربط فلسطين بمصر ويكمل الخط مساره فى الأردن إلى أن يدخل أراضى الحجاز حيث ينتهى بالمدينة المنورة .

صادف المشروع عقبات كثيرة ، كان على رأسها نقص المياه ، وأمكن التغلب على ذلك بحفر الآبار وإدارتها بمضخات بخارية أو طواحين هواء ، وجلبت المياه فى صهاريج تسير على أجزاء الخط التى فرغ من مدها .

ولمواجهة نقص العمال وتوفير النفقات استخدمت قوات من الجيش العثمانى بلغ عددها زهاء ستة آلاف جندى ومائتى مهندس كانوا يعملون فى الخط بصفة دائمة ، كذلك كانت السيول الجارفة إحدى العقبات التى شكلت خطورة كبيرة وحقيقية على الخط الحجازى فى مرحلتى البناء والتشغيل ، لذلك قام المهندسون بإنشاء مصارف للسيول على طول الخط الرئيسى .

أما الرمال المتحركة التى تعرض صلابة الخط للخطر وتؤدى إلى انقطاع الحركة بتحرك الخط عن مكانة فأمكن التغلب عليها بتغطية منطقة الرمال المتحركة بطبقة من الصلصال ، وبنى سد حجرى ضيق يمتد موازياً للخط الحجازى ليحول دون خطر تغطيته بالرمال المتحركة ، أما مشكلة الوقود فتم استيراد الفحم من الخارج وأقيمت مستودعات ضخمة لتخزينه . وقد وصل أول قطار إلى المدينة المنورة فى ٢٣ أغسطس ١٩٠٨ .

أسدى الخط الحجازى خدمات جليلة لحجاج بيت الله الحرام ، حيث استطاع حجاج الشام والأناضول قطع المسافة من دمشق إلى المدينة المنورة فى خمسة أيام فقط بدلاً من أربعين يوماً ، مع العلم أن الوقت الذى كان يستغرقه القطار هو ٧٢ ساعة فقط ، أما بقية الأيام الخمسة فكانت تضيع فى وقوف القطار فى المحطات وتغيير القاطرات .

وساعد الخط الحجازى فى نهضة تجارية واقتصادية لمدن الحجاز ، وكافة المدن الواقعة على امتداد الخط ، ومنها مدينة حيفا التى تحولت إلى ميناء ومدينة تجارية هامة ، وكذلك المدينة المنورة ، كذلك ظهرت مجتمعات عمرانية

نتيجة استقرار بعض القبائل والتجمعات البدوية على جانبى الخط فى بعض الجهات واشتغالهم بالزراعة .

ومن مظاهر حركة العمران التى صاحبت إنشاء الخط إضاءة المدينة المنورة بالكهرباء لأول مرة ، حيث بدأت إنارة الحرم النبوى الشريف يوم افتتاح خط السكة الحديد ، وتم جعل المدينة المنورة محافظة مستقلة مرتبطة مباشرة بوزارة الداخلية العثمانية .

وقد استخدم الخط الحجازى فى بعض الأغراض العسكرية ، ولا يتنافى هذا مع كونه أنشئ أساساً لأغراض غير عسكرية ، فأسهم فى توطيد سلطة الدولة فى المناطق الثائرة فى بعض المناطق فى قلب الجزيرة العربية ، ووفر حماية قوية للأماكن المقدسة فى مكة والمدينة .

استمرت سكة حديد الحجاز تعمل بين دمشق والمدينة المنورة ما يقرب من تسع سنوات نقلت خلالها التجار والحجاج ، وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى ظهرت أهمية الخط وخطورته العسكرية على بريطانيا ، فعندما تراجعت القوات العثمانية أمام الحملات البريطانية ، كان الخط الحجازى عاملاً مهماً فى ثبات العثمانيين فى جنوبى فلسطين نحو عامين فى وجه القوات البريطانية المتفوقة .

وعندما نشبت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين واستولت على معظم مدن الحجاز ، لم تستطع هذه القوات الثائرة السيطرة على المدينة المنورة بسبب اتصالها بخط السكة الحديدية ووصول الإمدادات إليها ، واستطاعت حامية المدينة العثمانية أن تستمر فى المقاومة بعد انتهاء الحرب العالمية بشهرين ، لذلك لجأ الشريف حسين – تنفيذاً لمشورة ضابط الاستخبارات البريطانى لورانس – إلى تخريب الخط ونسف جسوره وانتزاع قضبانه فى عدة أجزاء

منه، وكانت الذريعة التى سولت للحسين القيام بهذا العمل اللاأخلاقى التخريبى تتمثل فى احتمال قيام " أحمد جمال باشا " قائد الجيش العثمانى الرابع باستغلال سكة حديد الحجاز فى نقل قواته لضرب الثورة العربية فى عقر دارها ... وتوقف الخط منذ ذلك الحين .

خط جرينتش

الأرض كروية الشكل ويتعاقب عليها الليل والنهار نتيجة لدوران الأرض حول محورها مرة كل ٢٤ ساعة ، وفى الوقت الذى يكون فيه منتصف النهار فى مكان ما يكون مقابله على سطح الأرض منتصف الليل ، ولتيسير التفاهم الزمنى قسمت الأرض نظرياً إلى خطوط وهمية أو افتراضية تمتد من الشمال إلى الجنوب بين الموضعين اللذين يمثلان نهايتى محور دوران الأرض وسميا بالقطبين ، أحدهما سمى بالقطب الشمالى لمقابلته تقريباً لنجم فى السماء يسمى بالنجم الشمالى ، وسمى القطب المقابل بالقطب الجنوبى ، وتعارف على تسمية تلك الخطوط بخطوط الطول تميزاً لها من خطوط أخرى عرفت بخطوط العرض ، وكل خط طول مع امتداده يمثلان دائرة كاملة أى يشكلان محيطاً على سطح الأرض ويمر مسقطه بمركز الأرض ، وقسم سطح الأرض إلى ٣٦٠ خط طول ، وإذا قسمنا طول اليوم البالغ ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقة = ١٤٤٠ دقيقة على عدد الخطوط لكانت المسافة بين كل خطى طول تعادل ٤ دقائق .

وأعطيت أرقاماً لهذه الخطوط من ١- ١٨٠ شرقاً ومن ١ – ١٨٠ غرباً نسبة إلى خط الطول المار بجرينتش وهى ضاحية بالقرب من لندن .

حيث تحدد خط بالمحيط الهادى ليمثل بداية اليوم العالمى حتى يتجنب

المرور بأى أرض يابسة حتى لا يتسبب فى وقوع مشكلات بين سكان المنطقة الواحدة ، وحيث أن اليوم يتكون من ٢٤ ساعة بينما النظام الزمنى المتعارف عليه غالباً يتكون من ١٢ ساعة فقد اعتبر امتداد ذلك الخط على النصف الآخر من الأرض بداية للتوقيت ، ووجد أن هذا الخط يمر بمدينة جرينتش البريطانية فعرف بها.

وانقسمت ساعات اليوم إلى ١٢ ساعة شرقى هذا الخط و ١٢ ساعة غربه ، فكل خط طول يقع إلى الشرق من جرينتش يتقدم فى الوقت عن سابقه بمقدار ٤ دقائق ، وكل خط غربى جرينتش متأخر عن سابقه بمقدار ٤ دقائق .

وقسمت الأرض إلى ٢٤ منطقة زمنية اتساع كل منها ١٥ درجة (أى خط طول) .

ورغم القبول العالمى لهذه المناطق الزمنية إلا أن الصين اعتبرت أرضها كلها ذات منطقة زمنية واحدة رغم تمددها جغرافياً فى خمس مناطق زمنية .

وقد حدثت تعديلات عدة مرات على شكل هذا الخط منذ عام ١٩٠٠ م وإن لم يتغير موقعه الجغرافى ، وإنما تغير شكل التعرجات التى فيه ، بسبب اختلاف الجزر التى رغبوا فى ضمها لنهاية اليوم السابق أو بداية اليوم اللاحق، ليتواءم مع بعض اهتمامات سكان تلك المناطق أو الدول التى لها اهتمام بشأن تلك الجزر ، حتى كان آخر تعديل لهيئته فى عام ١٩٩٥م حيث أدخلت مجموعة من الجزر الواقعة على خط الاستواء إلى الشرق من اندونيسيا إلى تقويم اليوم الجديد بدلاً من وضعها السابق فى نهاية اليوم القديم .

ألبرت اينشتاين

عاش بين عامى (١٨٧٩م – ١٩٥٥م) ، ولد فى ألمانيا لأبوين يهوديين ، وبدت قدراته محدودة للغاية فى طفولته حيث كان يبدو تلميذاً دون المتوسط ، وفجأة وهو فى الثانية عشرة أيقظ كتاب صغير سباته وكان تأثيره عليه كالصاعقة ... لقد أولع بهندسة إقليدس ولازمه هذا الولع فترة طويلة ، ولما بلغ الرابعة عشرة كان قد استوعب تماماً حساب التفاضل والتكامل ، وفيما عدا ذلك من المواد فإن حالته الدراسية كانت تثير الرثاء ، وبدلاً من أن ينتظر إتمام دراسته الثانوية رحل إلى إيطاليا حيث كان أبوه قد رحل إليها بعد إفلاسه من عمله .

ثم التحق بمدرسة الصناعات فى زيورخ بعد أن رسب فى امتحان القبول فى البداية ، ولكنه بدلاً من أن يصبح مهندساً قرر أن يتوجه إلى التدريس، وبفضل توصية حصل عليها تمكن من الالتحاق بمكتب براءات الاختراع الاتحادى فى برن ثم تزوج من فتاه صربية وأنجب منها طفلين .

وابتداء من عام ١٩٠١م بدأ ينشر مقالات فى نشرة " حوليات الفيزياء " الألمانية ، وفى عام ١٩٠٥م عرض بها الأسس التى قامت عليها نظرية النسبية ... وسدد فيها ضربات عنيفة لقوانين الحركة التى وضعها نيوتن ، ومع

ذلك لم يلاحظ أحد هذا فيما عدا اينشتاين نفسه ... أعقب ذلك حوالى أربع سنوات من الصمت كان قد تمكن خلالها من الحصول على الجنسية السويسرية ومنصب محاضر فى برن ثم فى زيورخ ، ولم تكن المعلومات التى يلقيها تتمشى مع العرف العلمى وكانت تثير دهشة زملائه ، ثم ألقى محاضراته فى جامعة براغ ، وهناك بدأ اسمه يبرز بعد العديد من الأبحاث ، وانفصل فى هذه الفترة عن زوجته ، وخلال العامين اللذين قضاهما فى براغ اجتهد فى تدعيم وتوسيع نظرية النسبية كما قدمها عام ١٩٠٥م وذلك بأن حاول إدماج الجاذبية فيها .

وفى عام ١٩١٢م نشر مقالاً عن تأثير الجاذبية على انتشار الضوء يتناقض تماماً مع ما كان مألوفاً ، حيث أكد فيه أن الشعاع الضوئى إذا تعرض لحقل جاذبية يمكن فى الواقع أن ينحنى بدرجة كبيرة وأوضح " أن هذا الانحناء للشعاع الضوئى المنبعث من النجوم الثابتة يجب أن يكون مرئياً فى أثناء الكسوف الشمسى ، وبالتالى يمكن التدليل على صحة هذه النظرية بالتجربة ، وهنا كان تنبؤاته قد أصبحت محل اعتراف بعض الباحثين البارزين ولم يكن فى ذلك الوقت قد تجاوز الثلاثين من عمره بكثير ...

وفى عام ١٩١٦م نشرت له مجلة الحوليات بحثاً فريداً قدر له أن يشعل الثورة فى عالم العلوم وهو " أسس نظرية النسبية العامة " حيث كان العلماء يفترضون أن الزمن والمكان عنصران مطلقان ، وإذا باينشتاين بعملية حسابية رائدة يتيح للإنسان إمكانية السيطرة على هذين العنصرين بوضعهما فى عالم النسبية.

وفى ذلك الوقت كان العلماء فى إنجلترا يتابعون باهتمام مقالة لاينشتاين " ملاحظات كونية على نظرية النسبية " ، وقد أعلنت الصحيفة الرسمية لجمعية الفلكيين البريطانيين عن حدوث كسوف كلى للشمس وهو ما سيتيح الفرصة

لاختبار صحة نظرية اينشتاين ، وفى اليوم المحدد للكسوف قامت مجموعتان من الفلكيين برصد الظاهرة ... ومرت بضع شهور فى دراسات وحسابات دقيقة للصور التى ألتقطت إلى أن أعلن رئيس الجمعية الملكية فى نوفمبر ١٩١٩م أنه قد " لوحظ انحراف قدره ١٦٤ من القوس ... إنه أعظم اكتشاف يتعلق بالجاذبية منذ أن أعلن نيوتن قوانينه " .

وتشير النظرية النسبية إلى أن الحركة نسبية ، بمعنى أنه إذا كان شخص يركب سيارة مسرعة فإنه يعتبر متحركاً بالنسبة للمنشآت التى يمر بها ، ويعتبر فى نفس الوقت ساكناً بالنسبة للشخص الجالس بجواره ، فالمسألة هنا إذن نسبية ... ثم جاء اينشتاين وطور هذه الفكرة ، وقال إن كتلة الجسم تزداد بازدياد سرعته ، ومع أن هذه الزيادة طفيفة جداً إلا أنه إذا قدر لجسم أن يتحرك بسرعة فائقة لزاد وزن الجسم زيادة مذهلة ، وتقول النظرية النسبية أيضاً أنه من الممكن تحويل الكتلة إلى طاقة ، والطاقة إلى كتلة ، والطاقة الناشئة عن تفتيت ذرات الكتلة أو المادة رهيبة جداً وهى التى تستخدم فى القنبلة الذرية .

تتويجاً لهذا الجهد منح اينشتاين جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٢١م ... وفى عام ١٩٢٩م أصدر نظريته عن " الحقول المتحدة " لكى يلخص بها عن طريق مجموعة من المعادلات القوانين التى تتحكم فى القوانين الرئيسية فى الكون وهما الجاذبية والكهرومغناطيسية .

وأمام ازدياد النفوذ النازى شعر اينشتاين بأن حياته أصبحت مهددة فلم يتردد فى قبول كرسى الأستاذية فى جامعة برنستون بالولايات المتحدة عام ١٩٣٢م ،وكانت آخر نظرة ألقى بها قبل سفره على مكتبته التى أحرقت بعد رحيله بقليل أمام جامعة برلين ، وعندما استولى هتلر على السلطة عام ١٩٣٣م أسرع اينشتاين عائداً إلى أوربا وكشف أمام العالم البرنامج الدموى للنازية ولم يستجب له أحد ، فعاد إلى الولايات المتحدة مرة أخرى حيث حضر وفاة شريكة

حياته ، وفى عام ١٩٣٩م كتب إلى الرئيس الأمريكى روزفلت رسالته الشهيرة لينبهه إلى ضرورة الإسراع فى إنتاج القنبلة النووية قبل الألمان ، وفى عام ١٩٤٠م منح الجنسية الأمريكية مع احتفاظه بالجنسية السويسرية .

وفى تلك الفترة نشر معادلة صغيرة لا تتجاوز الشكل التالى :-

$$ط = ك \times ض^{٢}$$

(حيث ط هى الطاقة الكامنة فى الجسم وهو فى حالة السكون ، و ك كتلته ، و ض هى سرعة الضوء) ... وفى عام ١٩٣٩م تمكن العلماء من اكتشاف التفاعل المتسلسل : إن " انشطار " نواة اليورانيوم ٢٣٥ بتأثير أحد النيترونات وهى ظاهرة لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت ، تولد عن طريق التحويل العنصرى عنصرين جديدين يقعان فى الوسط تقريباً بين عناصر جدول " منديليف " مع توليد كمية من الطاقة ، وكان ذلك إيذاناً بقرب ظهور القنبلة والمكثف والمحركات النووية .

جائزة نوبل

فى العاشر من ديسمبر من كل عام – فى ذكرى وفاة الفريد نوبل – يتابع العالم باهتمام مراسم منح جوائز نوبل التى تعد من أقدم الجوائز العالمية وأكثرها شهرة وأكبرها قيمة ، وتقام مراسم الاحتفال فى كل من السويد والنرويج بحضور ملكى الدولتين ، حيث تمنح فى الأولى إلى الفائزين فى مجالات الفيزياء ، والكيمياء ، والطب ، والأدب ، والاقتصاد ، بينما تمنح فى الثانية للفائزين فى مجال السلام ...

ولد الفريد نوبل (١٨٣٣ – ١٨٩٦ م) فى استوكهولم عاصمة السويد ، وكان أبوه " عمانوئيل نوبل " مهندساً مدنياً مختصاً بإنشاء الطرق والكبارى ، كما كان مبتكراً ومخترعاً فى مجال تدمير الصخور ، وبلغ نبوغ الفريد حداً مذهلاً فلم يكد يتم السابعة عشرة من عمره حتى أتقن خمس لغات وهى السويدية و الروسية والفرنسية والإنجليزية والألمانية . واتجه إلى الأدب خاصة الأدب الإنجليزى ، وتأليف الشعر ، غير أن أباه لم يكن راضياً عن اهتمام ابنه بالآداب، وكان يريد إلحاقه بمشاريعه فى الهندسة المدنية ، فأرسله للخارج فى سلسلة رحلات لعدة دول ، ليواصل تعليمه فى علم الكيمياء ، فزار السويد وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة .

وفى باريس وجد الفريد نفسه منخرطاً فى الكيميـاء فـالتحق بمعمـل البروفيسور بيلوز ، وتوجه اهتمامه نحو نفس اهتمامات والـده فـى التفجيـر والديناميت .

وكأن القدر أراد تحذير نوبل الأب وابنه من مخاطر اختراعهما ، فقـد أظهرت الأبحاث التى اجراها نوبل عام ١٨٦٣م حول النيتروجليسـرين مـدى خطورة هذه المادة سريعة الانفجار ، ومع ذلك احتفظ فى معمله بكمية منها نحو مائة كيلو جرام ، وفى الثالث من شهر سبتمبر ١٨٦٤ هز انفجار قوى العاصمة السويدية استوكهولم أدى إلى مقتل ٨ اشخاص فى معمل نوبل من بينهم إميل – أخ الفريد الصغير – وهو فى العشرين من عمره ، وكان نصيب الفريد من ذلك الانفجار جروحاً عدة فى الوجه ، وعندما رأى نوبل الأب مكان الكارثة أصيب بصدمة نفسية كبيرة ، فأمضى السنوات الثمانى الأخيرة من حياته أسير الفراش، وعلى الرغم من المأساة الكبيرة التى ألمت به حصل نوبل فى الرابع من أكتوبر ١٨٦٤ ، أى بعد شهر على الانفجار على إذن يخوله إنتاج المادة المتفجرة ، كما تابع أبحاثه الهادفة للحصول على مثبت للنيتروجليسرين الذى كان ينفجر بسهولة جراء اصطدامه أو احتكاكه بأى جسم آخر .

والديناميت الذى اكتشفه نوبل هو عبارة عن مزيج من النيتروجليسرين مع التربة العضوية ، وقد كتبت الصحافة فى حينه الكثير عن هـذا الاختـراع معتبرة إياه مصادفة ، ففى إحدى المرات سكب النيتروجليسرين عـن طريـق الخطأ فى التربة فامتصته وأصبحت على شكل معجون ، لاحظ نوبل الأمـر ، فاختار تربة عضوية ومزج بها النيتروجليسرين فحصل على مادة ثابتة لا تنفجر إلا بواسطة كبسولة التفجير وأطلق عليها اسم ديناميت ، هكذا حـل الـديناميت مكان البارود وأصبح ملكاً لسوق المتفجرات طيلة قرن من الزمن تقريباً ، وفى ١٨٦٧م حصل نوبل على براءة اختراع الديناميت ، وتهافتـت علـى شـرائه

شركات البناء والمناجم والقوات المسلحة ، وقام الفريد بإنشاء عشرات المصانع والمعامل فى عشرين دولة ، وجنى من وراء ذلك ثروة كبيرة جداً حتى أصبح من أغنى أغنياء العالم .

هاجمت الصحافة الفريد فى أوربا وحملت عليه بشدة وأطلق عليه بعض الصحفيين لقب " صانع الموت " لأنه صنع شهرته وثروته من صناعة المفرقعات التى استخدمت فى الحروب على نطاق واسع .

وواجه الفريد هذه الحملات بأن رسم لنفسه صورة ذهنية معاكسة تماماً للسائد عنه ، فقد قال أنه كان يحلم دائماً أن يرى نهاية للحروب ، وأن يعم السلام بين الأمم ، وزعم أنه كان يرى فى الديناميت أملاً فى رخاء وسعادة البشرية من خلال استخدام الديناميت فى حفر المناجم واستخراج الخيرات والثروات الطبيعية من باطن الأرض الى جانب حفر الأنفاق وشق القنوات وشق الطرق لتسهيل التجارة والاتصالات بين البشر .

توفى الفريد نوبل فى العاشر من ديسمبر ١٨٩٦م فى مدينة سان ريمو الإيطالية وحيداً ، حيث أنه لم يتزوج ، وخلف وراءه ثروة طائلة قدرت بحوالى ٣٠ مليون كورنا سويدية (حوالى ١٥٠ مليون دولار) ، وكان قد أوصى باستثمارها فى مشروعات ربحية يتم من خلال عائدها منح خمس جوائز سنوية لأكثر من أفاد البشرية فى خمس مجالات حددها فى الكيمياء ، والفيزياء ، والطب ، والأدب ، والسلام العالمى ، ويتم توزيع الجوائز فى السويد ويقوم ملك السويد بنفسه بتسليمها لأصحابها ، وذلك فى مجالات الكيمياء والفيزياء والأدب والطب ، أما جائزة السلام فيتم تسليمها فى قاعة مجلس مدينة اوسلو وفقاً لبنود الوصية ، وقد اضيفت جائزة سادسة فى الاقتصاد عام ١٩٦٩ م يقوم البنك المركزى السويدى بمنحها ، ويسدد قيمتها بنفسه بمناسبة مرور ٣٠٠ عام على تأسيس وإنشاء البنك ، وتحظى عملية تسليم جائزة نوبل فى الاقتصاد لصاحبها

بمراسم الاحتفال والتكريم التى يحظى بها من ينال جوائز نوبل فـــى الكيميـــاء والطب والطبيعة والأدب .

ومما يذكر أن الفريد نوبل قد اوصى بتوزيع جوائز نوبل فى عاصمتى السويد والنرويج اللتين كانتا متحدتين فى ذلك الوقت تحت حكم الملك أوســكار الثانى ، وقد انفصلت الدولتان عام ١٩٠٥ سلمياً .

وقد بدأ تقديم جوائز نوبل لأول مرة عام ١٩٠١ وكانت مــن نصــيب ويلهلم رونتغن (الفيزياء) ، ياكوب فانت هوف (الكيمياء) ، اميــل بيرينــغ (الطب) ، رينيه سوللى بريدوم (الأدب) فيليبرت باســى وهنــرى دونــان (السلام) .

١٢ ثانية فقط ... زمن أول رحلة طيران

ظل الناس يحلمون آلاف السنين بالطيران ، بل حاول بعضهم الطيران بتثبيت ريش الطيور على الذراعين ورفرفتهما كأجنحة الطيـر ... ففـى عـام ٨٨٠م قام عباس بن فرناس بمحاولة للطيران بعد أن صنع لنفسه جناحين مـن الريش ، ولكنه فشل فى محاولته ، وفى نحو عام ١٥٠٠ م رسم الفنان والمبتكر الإيطالى ليوناردو دافنشى جهاز الأورنيثوبتر ، وهى طائرة ذات جناحين خفاقين كأجنحة الطيور ، وفى عام ١٦٨٠ م أثبت العالم الرياضى الإيطالى جيوفـانى بوريللى استحالة أن يطير الإنسان عن طريق رفرفة الأجنحة، فقد أثبت بوريللى أن عضلات جسم الإنسان أضعف من أن تتمكن من تحريك الأسـطح الكبيـرة المطلوبة لرفع وزنه فى الهواء .

وفى عام ١٧٨٣ م استطاع فرنسيان أحدهما طبيب يدعى جان ف.بيلاتر دى روزييه والثانى يدعى الماركيز دى أرلاند تنفيذ أول طيران للإنسان داخـل بالون وتمكنا من الطيران لمسافة تزيد على ٨ كم فوق مدينة بـاريس ، وقـام بتصنيع هذا البالون فرنسيان يعملان فى مهنة تصنيع الورق هما الأخوان جاك وجوزيف منتجولفير ، وتم ملء المنطاد بالهواء الساخن الناتج عن حرق بعض الخشب والقش ، وهو ما رفعهما فى الجو.

وبعد ذلك قام الأخوان منتجولفير بتصنيع مناطيد ناجحة أخرى ، وأصبح طيران هذه البالونات حافزاً لمبتكرين آخرين ، فبدأوا فى استخدام غاز الهيدروجين – وهو غاز أخف من الهواء – لرفع بالوناتهم فى الهواء ، وكان التحكم فى البالونات وتوجيهها صعباً للغاية ، لكن المبتكرين استمروا فى إجراء تجاربهم عليها حتى استطاعوا فى منتصف القرن التاسع عشر ابتكار المنطاد (السفينة الهوائية) وقد زود المنطاد بمحركات ومراوح فأصبح أسلس قيادة من البالون ، الذى كان من غير الممكن التحكم فى خط سيره .

وفى هذه الفترة حول بعض المبتكرين انتباههم نحو الطائرات الشراعية التى هى أثقل من الهواء ، ففى عام ١٨٠٤ م قام السير جورج كايلى – وهو مبتكر بريطانى – ببناء أول طائرة شراعية ناجحة ولم تكن سوى طائرة صغيرة تطير دون ركاب .

أما أول طائرة شراعية تحمل راكب يتولى القيادة فقد صنعها الألمانى أوتو ليلينتال عام ١٨٩٠م لكن قيادة طائرته كانت فى غاية الصعوبة ، وقد أسس كايلى علم الديناميكا الهوائية لدراسة تأثير سريان الهواء حول الأجسام – وربما كان هو أول من وصف الطائرة على أنها ذات محرك وجناح ثابت – وأنها تندفع فى الهواء بواسطة المراوح الأمامية ، وفيما بين عامى ١٨٩١ و١٨٩٦ م استطاع أوتو ليلينتال الألمانى إجراء أول طيران شراعى ناجح يحمل راكباً يتولى بالفعل قيادة الطائرة ، وقبل نهاية القرن التاسع عشر قام مبتكرون آخرون بطلعات شبيهة وقد بنيت بعض هذه الطائرات الشراعية الأولى بصورة جيدة ، حتى أنها حملت طياريها مئات الأمتار فى الهواء ، ولكن قيادة الطائرات الشراعية كان فى معظم الأحوال أمراً عسيراً ، بالإضافة إلى أنها لم تكن مصممة لحمل الركاب أو البضائع ، فلم تكن لذلك وسيلة عملية من وسائل النقل .

وتتابعت المحاولات ... وأخيراً وفى ١٧ ديسمبر عام ١٩٠٣ م تمكن الأخوان الأمريكيان – أورفيل وويلبر رايت – اللذان كانا يعملان فى صناعة الدراجات من تصنيع أول طائرة تطير فى التاريخ وقاما بهذا العمل قرب بلدة كيتى هوك بولاية كارولينا الشمالية الأمريكية ، واستأثر أورفيل بالطلعة الأولى، فقطع خلالها ٣٧ متراً بطائرته المصنوعة من الأخشاب والأسلاك وقطع القماش فى ١٢ ثانية فقط .

ومع نجاح هذه التجربة استمر العمل المتواصل لتحسين تصميم الطائرة، وفى ثلاثينيات القرن العشرين بدأت الطائرات المصنعة من المعدن ، وأحادية السطح (أى ذات الجناح الواحد) تحل محل الطائرات الخشبية ، وثنائية السطح (أى ذات الجناحين) والمغطاة بقطع القماش ، وكان اختراع المحركات النفاثة فى خلال الثلاثينيات من القرن العشرين مصدراً لتزويد الطائرات بوحدات دفع ذات قدرات عالية ، وخلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥ م) استمر تقدم العمل فى تطوير الطائرات ، وفى بداية الخمسينيات من القرن العشرين بدأت طائرات السفر الجوى فى رحلات يومية لعبور المحيط الأطلسى دون توقف ، ومع نهاية خمسينيات القرن العشرين أصبحت طائرات الركاب النفاثة تؤدى دوراً مهماً فى تقريب جميع الدول مما جعل الانتقال فيما بينها ميسراً.

وفى ١٩٦٨م قام الطيارون الروس باختبار أول طائرة نقل فى العالم تتخطى سرعة الصوت وهى الطائرة تى يو ١٤٤ ، وفى ١٩٧٦ دخلت الطائرة كونكورد فى خدمة المسافرين وهى طائرة نقل تتخطى سرعة الصوت اشترك فى تصنيعها كل من بريطانيا وفرنسا ، وفى ١٩٩٥م دشنت الطائرة بوينج ٧٧٧ لخدمة المسافرين وهى أكبر طائرة نفاثة فى العالم ثنائية المحركات . وبدأ العالم أصغر كثيراً مما كان قبل ذلك بقرن من الزمان .

قناة بنما

قبل عام ١٩١٤ م كان السفر بين المحيطين الأطلسى والهادى يقطع بالدوران حول الطرف الجنوبى لأمريكا الجنوبية ، وحين جاء ذلك العام أصبح بالإمكان السفر بطريق قصير هو قناة بنما.

وقد شقت هذه القناة فى شريط الأرض الذى كان يربط بين الأمريكتين ، لتصبح بذلك الممر المائى الذى فصل القارتين إحداهما عن الأخرى.

ولقد ظل الناس سنوات كثيرة يفكرون فى هذا الطريق القصير ، ففى عام ١٨٨٠ م بدأ مهندس فرنسى مشروعاً لشق قناة عبر البرزخ واشتغل سبع سنوات وأنفق ملايين الدولارات لكنه لم يشق القناة ، إذ أعاقته إلى حد ما الحمى الصفراء التى فتكت بالكثير من العمال.

وفى عام ١٩٠٤م تولت حكومة الولايات المتحدة الأمر ، إذ كان العلماء قد كشفوا أن الحمى الصفراء يسببها البعوض ، ولهذا كان جزء من مشروع حفر القناة يتمثل فى مكافحة البعوض ، وعهد إلى الدكتور " وليم جورجاس " بمهمة حماية العمال من الحمى الصفراء فقام بعمله خير قيام ... وبطبيعة الحال لم يكن البعوض هو المشكلة الوحيدة ذلك أن حفر قناة طولها ٤٠ ميلاً ليس بالأمر السهل فى أى مكان ، وهناك لم تكن الأرض مستوية ، إذ كان ارتفاع

بعض الأجزاء يزيد على ثلاثمائة قدم فوق سطح البحر ، وفى بعض المواقع كان لابد من شق القناة عبر الصخور الصلدة.

وقرر المهندسون ألا يحاولوا شق القناة بحيث تكون فى مستوى سطح البحر خلال المسافة كلها ، ومع هذا اضطروا إلى نسف وتجريف أكثر من مائتى مليون طن من الصخر والتراب ، وكثيراً ما انهارت الأرض مما اضطرهم إلى بدء العمل من جديد ، وحدث مرة أن أفسد زلزال عملاً استغرق شهوراً كثيرة ... ولما لم تكن القناة قد حفرت كلها فى مستوى سطح البحر فقد اضطروا إلى إقامة الأهوسة التى هى أشبه بسلالم تستطيع السفن بواسطتها أن تصعد إلى أعلى نقطة فى القناة ثم تهبط من جديد.

وافتتحت القناة فى ١٠ أكتوبر ١٩١٣م وفى ذلك اليوم ضغط رئيس الولايات المتحدة على زر فتدفق الماء إليها ، وفى ١٥ أغسطس ١٩١٤م عبرتها أول سفينة ، وقد خضعت قناة بنما للولايات المتحدة الأمريكية بموجب اتفاقية بين البلدين انتهت عام ١٩٩٩م حين استعادت جمهورية بنما سيادتها على القناة بعد إدارة الولايات المتحدة لها لمدة ٨٥ عاماً.

برنارد شو ...
يكتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم

لا يمكن لمؤرخ أن يكتب عن المسرح العالمى دون أن يتوقف كثيراً عند برنارد شو (١٨٥٦ -١٩٥٠م) لما قدمه من نصوص تضمنت قيماً جمالية رائعة فى دنيا المسرح ، ويرى البعض أنه الوحيد الذى استطاع أن يملأ مكان شكسبير بعد قرون من وفاته ، بل أن اللغة الإنجليزية قد اشتقت مصطلحاً فى الكتابة ينسب إليه دليلاً على عبقريته وإبداعه .

ولد جورج برنارد شو فى ايرلندا بمدينة دبلن ، وكان الإبن الثالث لجورج كارشو ولوسيندا اليزابيث ، ينتمى أبوه إلى أسرة من النبلاء ، أما أمه فهى إبنة رجل من أهل الريف اهتمت بتعليمه الموسيقى وقد بدأ الطفل حياته بتلقى بعض الدروس من مربية خاصة فى بيت والديه ، كما تلقى بعض دروس اللغة اللاتينية من ابن عمه حتى جاء عام ١٨٦٧ فذهب إلى مدرسة ويسليان فى دبلن لكنه لم يتعلم شيئاً فذهب إلى مدرسة أخرى ، حتى وصل نهاية المطاف فى حياته المدرسية فى (المدرسة الإنجليزية للعلوم والتجارة) التى تركها سنة ١٨٦٧م.

لقد بدأ شو حياته العملية عام ١٨٧١م حين ترك المدرسة فاشتغل فى عمل كتابى صغير فى مخزن .

وظل شو يعمل فى الوظيفة الكتابية أربع سنوات ونصف حتى اعتزم الهجرة إلى لندن .

كان برنارد شو يرى فى لندن المركز الأدبى للغة الإنجليزية ، وقد أراد لنفسه أن يصبح ملكاً من ملوك الأدب ، وخلال تسع سنوات بين عامى ١٨٧٦-١٨٨٥م استطاع أن يربح ستة جنيهات وخمسة عشر شلناً ثمناً لمقال ، وخمسة شلنات أجراً على قصيدة ، وخلال تلك الفترة كان يعيش على معونة والده الذى ظل مقيماً فى ايرلندا وكان يبعث إليه بجنيه واحد كل أسبوع حتى توفى فى عام ١٨٨٥م .

وقد اشتغل شو لمدة شهور قليلة خلال عام ١٨٧٩م فى شركة اديسون للتليفونات بمدينة لندن ، وفى تلك الفترة كتب رواية " قبل الأوان " وفشل فى الوصول إلى ناشر ينشرها ، ثم كتب ثلاث روايات أخرى لم تنشر أيضاً وكان كتابه " اشتراكى بلا اشتراكية " أول ما نشر له مسلسلاً فى مجلة دورية اسمها "اليوم" وكان ذلك عام ١٨٨٤م ، ثم نشرت له دورية أيضاً كتاب " وظيفة كاشل بيرون " وفى عام ١٨٨٥م نشرت مجلة " ركنتا " كتابين من كتبه .

لقد كانت السنوات الأولى التى قضاها شو فى لندن غير مثمرة له من ناحية إنتاجه الأدبى ، ولكنها كانت التربة الخصبة التى نمت فيها مواهبه ككاتب مسرحى عالمى ، حتى قال بعض النقاد أنه أخذ مكان شكسبير بعد ثلاثة قرون من وفاة الأستاذ الأول للدراما.

وعندما بدأ الكتابة للمسرح عام ١٨٨٥م كان مازال متأثراً بمسرحيات ابسن وبالنهج الواقعى والذى من مقتضاه (أن الحقيقة تطو ، ولا يطى عليها) ، وكانت أولى مسرحياته " بيوت الأرامل " وقد عرضت عام ١٨٩٢ فى مسرح تجريبى صغير .

نشر شو مسرحياته الثلاث الأولى فى مجموعة تحت عنوان (ثلاث مسرحيات غير سارة) ثم ظهرت بعد ذلك مسرحية (السلاح والإنسان) التى تعتبر أنجح مسرحياته لدى الجمهور العالمى ، ثم بدأ غزو مسرحيات شو لأعظم مسارح العاصمة الإنجليزية ومسارح أمريكا ، ولقيت نجاحاً رائعاً .

ومن أهم مسرحياته " الإنسان والإنسان الخارق " و " بيجماليون " التى تعد من أهم أعماله الكوميدية و " بيت القلب الكبير " و " كانديرا " ... وتعتبر لغة برنارد شو من أهم ما قدم للغة الإنجليزية ، حيث أدخل النقاد صفة جديدة على اللغة الإنجليزية وهى (Shavian) نسبة إلى برنارد شو لتعبر عن براعته اللغوية وتميزه فيها بأسلوب خاص .

وكانت تظهر له وعلى فترات متباعدة بعض الكتابات غير المسرحية ، ككتابه (حديث العقلاء) عن الحرب العالمية الأولى ، حيث انتقد فيه دخول إنجلترا الحرب العظمى الأولى نقداً مباشراً ، وأقبل الجمهور على شراء هذا الكتاب بشكل منقطع النظير .

وقد كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى للشخصية الدينية عند برنارد شو حيث رأى فيه تلك الحماسة الدينية وذلك الجهاد فى سبيل التحرر من السلطة ، وهو يرى أن خير ما فى حياة النبى أنه لم يحاول أن يسيطر على عقول المؤمنين ، ولا أن يحول بين المؤمن وربه ، ولم يفرض على المسلمين أن يتخذوه وسيلة لله تعالى ، ولسنا ندرى على التحقيق فى أى الكتب درس برنارد شو تاريخ النبى ، ولا التطور العقلى الذى درج فيه حتى وصل إلى هذه المبادئ ، ويؤكد الكثيرون أنه قرأ القرآن الكريم قراءة الفاحص الدارس، وتشبع بروح القرآن الكريم فى كثير مما كتبه عن النبى وعن الإسلام .

كان برنارد شو معجباً بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يرى فى حياة

الجهاد التى عاشها شبهاً بالحياة المثالية التى أراد هو نفسه أن يعيشها ويلغ بـه الإعجاب أن حاول قبل سنة ١٩١٠ م أن يكتب مسرحية عن " محمد " صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الرقابة الإنجليزية رفضت ذلك ، حيث رأت أنـه لا ينبغـى تمثيل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم على المسرح لأن المسـلمين لـن يتقبلوا ذلك لانهم يرون أن الرسول أسمى من أن يتم تجسيده فى عمل مسرحى .

عرض على شو أكثر من مرة أن يرشح نفسه لعضوية مجلس العمـوم البريطانى ولكنه كان يرفض وظل يقاوم طيلة حياته كل محـاولات التكـريم ، وكان يعتبر كل عرض يتلقاه من إحدى الجامعات لمنحـه الـدكتوراه الفخريـة أولتقليده وساماً ، اعتداءً على استقلاليته وقد تردد كثيراً فى قبول جائزة نوبـل حين عرضت عليه عام ١٩٢٥ ولكنه قبلها وقال : (إن وطنى ايرلندا سيقبل هذه الجائزة بسرور ولكننى لا أستطيع قبول قيمتها المادية ، إن هذا طوق نجاه يلقى به إلى رجل وصل فعلاً إلى بر الأمان ، ولم يعد عليه من خطر) وتبرع بقيمته الجائزة لتأسيس مؤسسة تشجع نشر أعمال كبار مؤلفى بلاد الشمال إلى اللغـة الإنجليزية .

تولستوى
أعظم أدباء روسيا

عاش تولستوى (١٨٢٨ – ١٩١٠ م) فى إحدى الأسر الروسية العريقة الحسب والثروة ، ويرجع أصل آل تولستوى إلى القرن السادس عشر ، وكان جده الأكبر لوالده أول سفير لروسيا لدى تركيا عام ١٧٠١ م ، وكانت والدته الأميرة مارى فولكونسكى ... كان يقوم بتعليمه مدرسون فرنسيون ، فكانت المصادر الأولى لتكوينه الثقافى والفكرى مستمدة من النظم الفرنسية ولم يتصل بالثقافة الروسية إلا فيما بعد.

عمل ضابطاً فى الجيش وكان فى أخلاقه ذلك العبث المستهتر الذى يصاحب الجاه والمال وتلك القسوة التى اشتهر بها معظم ضباط روسيا الارستقراطيين ... ولكنه فجأة بدأ يتحول عن هذه الحياة ولكنه لم يكن قد نضج للثورة بعد ، فآثر أن ينطوى على ذاته وينكب على الأدب الذى كان قد بدأ يجذبه.

وأصدر كتاب " الطفولة " وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، ثم كتب فى عام ١٨٥٤م " قصص من سباستيول " بينما كان فى المعسكر فى حرب القرم فنال به حظاً من الشهرة ، وفى عام ١٨٥٧م اعتزل الخدمة فى الجيش وقام بجولة فى الخارج ، ورجع منها ناقماً على الحضارة المادية للغرب ، وبعد

ذلك تولى منصباً قضائياً ، وقبل أن يصدر قانون تحرير رقيق الأرض في روسيا ، كان قد منح العبيد فى أرضه حريتهم ، كما أنشأ مدرسة لأبناء الفلاحين ... وأصدر صحيفة يومية لترويج آرائه التربوية.

وفى عام ١٨٦٢م تزوج وبعد فترة قصيرة من زواجه أصدر روايتى "الحرب والسلام" و " آنا كارنينا " وهما أعظم أعماله الأدبية ... وتمثل رواية الحرب والسلام قطاعاً هائلاً من تاريخ غزو نابليون لروسيا ، أما آنا كارنينا فتصور فاجعة المرأة الخارجة على الأسرة والمتخبطة بين دعوة الحب وواجب الأمومة .. وقد كان تولستوى شديد العطف على المظلومين ويفهم بسطاء الناس وعظماءهم على السواء.

وفى عام ١٨٧٦م بدأ تولستوى يشعر بعدم ارتياح ، وأخذت فكرة اقتراب موته تنمو وتتسلط عليه ، وتولاه شوق إلى إرساء حياته على أسس دينية وتحول فى البداية نحو العقيدة الأرثوذكسية التى كان قومه يعتنقونها أملاً فى الدين ، ولكنه لم يستطع تقبل طقوس الأرثوذكسية ونبذ الكنيسة ، وقد روى قصة تحوله كاملة فى كتابه " اعتراف " وبدأ بعد ذلك يستخلص لنفسه عقيدة مسيحية خاصة من صنعه وحده ... وفى عام ١٩٠١م قضى عليه المجمع الكنسى الروسى بالحرمان من الكنيسة ، ومن ناحية أخرى تعرض كثير من أتباعه للسجن والنفى إلى سيبيريا لأنهم رفضوا أن يؤدوا الخدمة العسكرية.

وقد أدى التحول الدينى له إلى انتهاج أسلوب جديد فى الحياة ، فأصبح يرتدى ما كان الفلاحون يرتدون ، ويؤدى كثيراً من الأعمال اليدوية وتعلم صناعة الأغذية وابتعد عن اللحوم ... وقد غضبت زوجته وأولاده من تعاليمه عدا ابنته " الكسندرا " لأنهم كانوا يرون أن ثروته من حقهم ، فتنازل لزوجته عن كل ثروته بما فى ذلك كل حقوق تأليف ما كتب قبل ١٨٨٠ م ، ولكن الخلافات تفاقمت بينهما ... وفى ٢٨ أكتوبر ١٩١٠م تسلل من البيت تصحبه

إبنته الكسندرا فى محاولة للهروب إلى خارج روسيا ... وجلس فى عربة القطار ، ولكن روسيا بأسرها كانت قد علمت بمحاولة الهروب ... وتدخلت الحكومة وكلفت الشرطة بمنع الرجل من اجتياز الحدود .

وأدرك تولستوى أن الفرار محال ، وكان قد أعياه التعب فنزل فى محطة " استابوفو " ونام على سرير حديدى يعالج سكرات الموت ... واستمر مرضه حتى يوم ٧ نوفمبر ١٩١٠م حين لفظ أنفاسه الأخيرة ، ونقل إلى "ياسنايا" حيث دفن بلا طقوس دينية.

إيليا أبو ماضى يهدى لمصر ... ديوانه الأول

عندما أصدر إيليا أبو ماضى ديوانه الأول " تذكار الماضى " عام ١٩١١م أهداه إلى مصر بهذه الكلمة " أيتها الأمة الودودة . هذا ديوانى الذى نظمته تحت سمائك ، وبين مغانيك ، أرفعه إليك لا طلباً للمثوبة ، ولا ابتغاء للشكر ، ولكن إظهاراً لما تكنه جوانحى من العطف عليك ، والتعلق بك ".

كان إيليا أبو ماضى من أعظم الشعراء الذين أهداهم الشرق إلى المهجر فى أمريكا الشمالية ، ولد فى قرية " المحيدثة " بلبنان عام ١٨٨٩م ، وترك المدرسة فى سن الحادية عشرة متوجهاً إلى الاسكندرية ، ساعياً إلى تحصيل الرزق فاشتغل فى التجارة منذ عام ١٩٠٢م ، واستغل أوقات فراغه فى المطالعة والدرس ونظم الشعر ، وقبل أن يبلغ العشرين من العمر أصدر ديوانه الأول وأهداه إلى مصر .

وفى عام ١٩١٢م قرر إيليا أبو ماضى الهجرة إلى الولايات المتحدة ، وأقام فى اوهايو أربع سنوات ، وفى عام ١٩١٦م انتقل إلى نيويورك ، وتعرف على جبران خليل جبران ، وبعد ثلاثة أعوام أصدر ديوانه الثانى " ديوان إيليا أبوماضى " ... وبعد عشر سنوات من إقامته فى نيويورك أصدر ديوان "الجداول" عام ١٩٢٧م ، وفى عام ١٩٤٦م أصدر ديوانه " الخمائل " ، وقد كان

التحرير فى الصحف مورد الشاعر الوحيد طيلة عشر سنوات ، فعمل عقب وصوله إلى نيويورك محرراً فى جريدة " مرآة الغرب " لصاحبها نجيب دياب ، وفى عام ١٩٢٩م انشأ لحسابه مجلة السمير الشهرية ، وكون مع رفاقه من الأدباء العرب الرابطة القلمية التى كان لها الفضل فى نشر مذهبه الأدبى ... توفى فى نيويورك عام ١٩٥٧م.

ويعتبر إيليا أبو ماضى من أهم شعراء المهجر فى أمريكا الشمالية ، ومن مميزات أسلوبه الشعرى وحدة الموضوع وشدة الارتباط بين أجزاء القصيدة وعناصرها بالإضافة إلى الفكرة الموحدة ، لذلك وضع عناوين لقصائده تناسب ما تناولته القصيدة.

أحدث تجديداً فى الكلمة الشعرية ، وجعلها تتسع لمضامين الحياة الاجتماعية والفكرية والنفسية من غير أن تخرج من إطار البساطة والوضوح .

اشتهر إيليا أبو ماضى بالتفاؤل وحب الحياة والإيمان بجمالها ، ودعا الناس إلى الأمل ، كما دعا إلى المساواة .

من شعره :-

كن بلسماً إن صار دهرك أرقما ... وحلاوة إن صار غيرك علقما

إن الحياة حبتك كل كنوزها ... لا تبخلن على الحياة ببعض ما

أحسن وإن لم تجز حتى بالثنا ... أى الجزاء الغيث يبغى إن همى ؟

من ذا يكافئ زهرة فواحة؟ ... أو من يثيب البلبل المترنما؟

يا صاح خذ علم المحبة عنهما ... إنى وجدت الحب علماً قيماً

لو لم تفح هذى ، وهذا ما شدا عاشـــت مذممة وعـــاش مذممـــا

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا لولا الشـــعور الناس كانوا كالدمى

أحبب فيغدو الكوخ كونا نيراً وأبغض فيمسى الكون سجناً مظلماً

تيتانيك

فى ١٠ أبريل ١٩١٢ كان العالم يترقب بلهفة ذلك الحدث التاريخى ، وهو قيام السفينة العملاقة تيتانيك بأولى رحلاتها من لندن إلى نيويورك ، حاملة على متنها أثرياء أوربا ... لم تكن تيتانيك شيئاً هيناً فى ذلك الوقت ، فقد صاحبها حملة دعائية كبيرة ، وأشادت الصحف بذلك الإنجاز الرائع الذى حققه الإنسان ، وعبرت عنه تلك السفينة التى وصفتها مجلة بناؤو السفن بأنها " غير قابلة للغرق ".

فعلى رصيف ميناء كوين ستون بإنجلترا كان الاحتفال بالغاً بهذا الحدث الكبير ، فاصطف آلاف الناس من المودعين وغير المودعين يتأملون بإعجاب السفينة العملاقة وهى راسية فى الميناء فى قوة وشموخ والمسافرون وهم يتجهون إليها فى سعادة وكبرياء ، لا شك أن الكثيرين منهم كان يتمنى فى قرارة نفسه ، لو يكون له مكان على ظهر السفينة التى صممت لتكون الأضخم والأجمل والأكثر راحة وأماناً من كل ما صنع من السفن قبلها ، حيث صنع هيكلها بضعفى سمك السفن العادية وبوزن ٤٦٣٣٠ طناً وبطول ٢٥٠ متراً ، وحين تحركت من رصيف ساوثمبتون بإنجلترا يوم ١٠ أبريل عام ١٩١٢ وراحت تشق الأمواج بخيلاء ومهابة متجهة عبر المحيط الأطلسى إلى

نيويورك، ساعتها لم يتصور إنسان بأن هذه الرحلة ستكون الأولى والأخيرة للتيتانيك ، فبعد ثلاثة أيام فقط وعندما كانت السفينة تعبر المحيط فى ليل شديد البرودة اصطدمت ميمنتها بجبل جليدى أحدث فيها شرخاً واسعاً ، ووجد العمال فى غرفة المحركات أنفسهم فجأة وسط طوفان الماء المتجمد المندفع إلى السفينة، وجه الربان نداءات الاستغاثة ولكن أقرب سفينة كانت على بعد أربع ساعات على الأقل ، وحين أنزلت قوارب النجاة امتلأت بأكثر من حمولتها بالنساء والأطفال والعجائز ، وما هو إلا وقت قصير حتى غاصت مقدمة السفينة فى الماء لترتفع مؤخرتها فى الهواء وعلى وقع الموسيقى الحزينة وتدافع الركاب المختلط بصيحات الرعب غاصت التيتانيك إلى الأعماق مع ١٤٧٠ راكباً ثم انغلق عليها سطح الماء ولم ينج من ركابها سوى ٧١١ راكباً فقط ، وانتهت بذلك أسطورة تيتانيك .

أول أديب من الشرق يفوز بجائزة نوبل

قال عنه غاندى " إنه منارة الهند " ... إنه رابندرانات طاغور شاعر الهند الكبير الذى سحر الغرب بكتاباته ، ثم انتشرت ترجماته فى العالم كله ، حتى استحق جائزة نوبل للأدب عام ١٩١٣ متجاوزاً الروائى العظيم تولستوى الذى كان فى مقدمة المرشحين للجائزة ... لقد أبدع طاغور على مدى نحو ستين عاماً ، فكان معلماً روحياً بالدرجة الأولى ، ومجدداً أدبياً واجتماعياً ، وفيلسوفاً وروائياً ومسرحياً ورساماً ، وقبل ذلك كله شاعراً ، كان ينهل من إرث روحى عريق فى البنغال ، ومن تجربة داخلية عميقة كانت ينبوعاً لا ينضب للإلهام والإبداع .

عاش رابندرانات طاغور بين عامى (١٨٥٧ – ١٩٤١ م) كان والده من كبار روحانيى البنغال ، وكان يعيش فى عزلة مستمرة لا يتركها إلا لضرورة الاستمرار وتجدد الحياة ، كما نشأ رابندرانات طاغور فى جو من الحساسية والشفافية ، وكشفت له زيارتان قام بهما لوالده فى الهملايا عن آفاق جديدة وعن تجربة صوفية كان لها أثر كبير فى حياته ، ويمكن اختصارها بعبارتين : محبة الطبيعة ، ومحبة الله .

وفى الرابعة عشرة من عمره توفيت والدته ، وفى العام التالى انتحرت

شقيقته مما سبب له صدمة هائلة ، وتوالت الأحداث المؤلمة فى حياته ، فبين عامى ١٩٠٢ ، ١٩١٨ انتزع منه الموت زوجة وثلاثة من أطفاله ووالده ، ومع ذلك فقد جعل منه صفاءه الواسع وضبطه لنفسه إتساناً نادراً ، لم يكن الموت سراً بالنسبة له ولم يكن ليستدعى الألم ، وهكذا كانت إحدى أغنياته التى استلهمها غاندى منه تقول " أنا هذا البخور الذى لا يضوع عطره ما لم يحرق ".

وقد درس طاغور لغة قومه " السنسكريتية " وآدابها ثم الإنجليزية التى تعرف من خلالها على آداب أوربا ، وكان فى شبابه الأول شديد الانشغال بأمور وطنه الأصلى – البنغال – مهتماً بكل ما يتصل بنهضته ، كما كان فى نفس الوقت مرتاباً من الإنجليز . والواضح أنه كان محقاً فى ريبته ، فقد وحد الإنجليز الهند والبنغال فى مستعمرة ضخمة ألغت الوجود البنغالى ، فأصبح طاغور موزعاً بين مشاعره كمواطن بنغالى ، وبين ولائه للكيان الكبير الهند ، لقد تولد هذا الصراع الداخلى فى زمن كان إقباله فيه على معطيات الحضارة الغربية العلمية والجمالية والفلسفية فى تزايد ، وقد تزامن ذلك – أيضاً – مع تواجده المؤثر داخل أسرته الكبيرة التى كانت تعيش فى بيتين كبيرين بالقسم البنغالى من مدينة كالتكا . وقد تميز طاغور بين أشقائه وأبناء عمومته باستقلالية الرأى والشجاعة فى اتخاذ المواقف الحاسمة فى الأوقات الحرجة ، وقد ظهر ذلك – فيما بعد – فى كثير من كتاباته ، وفى حياته العامة ومن أمثلة ذلك موقفه الواضح والمحدد من بعض مظاهر الوثنية فى الطقوس الخاصة بطائفة البراهمة التى كان يرتدى وشاحها المقدس وينشد تراتيلها . ثم نراه فيما بعد ينقلب على الزعيم الروحى الهندى غاندى ، وينتقد اعتماده على المغزل وبساطة العيش – كوسيلة سلبية لمقاومة الاستعمار الإنجليزى – معتبراً ذلك تبسيطاً وتسطيحاً للأمور أكثر مما ينبغى .

وكان قد نشر – فى الفترة من ١٩٠٨ إلى ١٩١٢ م أهم أعماله باللغة

البنغالية وهى : جيتانجلى أو (القربان الشعرى) وروايته الشهيرة (جـورا) ومسرحية واحدة هى (كتب البريد) بالإضافة إلى صفحات من مذكراته .

وكانت البنغال تموج بالاضطرابات فلما ظهـرت روايتـه (جـورا) توترت العلاقة بينه وبين بنى وطنه – متمثلين فى دعاة التحرر والهندوس – إذ كانت الرواية تفضح التعصب الهندوسى من خلال قصة حب بـين فتـى نشـأ هندوسياً مخلصاً وفتاة من طائفة البراهمة ، ولقد لقيت الرواية استياءً بالغاً مـن مواطنيه فنصحه خلصاؤه بالابتعاد فى رحلة إلى إنجلترا فى عام ١٩٠٩ م ، ولم تكن تلك أول مرة يزور فيها بلاد الإنجليز غير أنها كانت زيارة ناجحة إذ كان قد أصاب بعض الشهرة فى الأوساط الأدبية الإنجليزية من خلال بعض أشعاره المترجمة إلى اللغة الإنجليزية ، وقد استمر اتصال طاغور بحركة الأدب فـى إنجلترا حتى بعد أن انتهت تلك الرحلة وعاد إلى وطنه فأصبح يحظى بمكانـة متميزة فى الحياة الأدبية الإنجليزية وذلك ما شجعه على معاودة التفكيـر فـى الارتحال بأسرته فى عام ١٩١٢ م حيث تعرف فى لندن على الشاعر الإنجليزى و.ب.ييتس ، ونال إعجاب الشاعر إزرا باوند وبعض الناشرين الإنجليز ، وكان طاغور خلال الرحلة البحرية الطويلة قد قام بترجمة بعض قصائد من ديوانـه (جيتانجالى) إلى الإنجليزية ، نشرتها دار ماكميلان الشهيرة .

وقد كان الترحيب به كافياً لدفعه إلى تصدر قائمة المرشحين للحصـول على جائزة نوبل ، فنالها فى العام التالى لوصوله إلى إنجلترا ، وقد كان عـام ١٩١٣ م نقطة تحول فى حياة طاغور ، فقد لقيت قصائده (جيتانجالى) ترحيباً من القراء والنقاد وصار نجماً يسعى إلى محاضراته جمهور المثقفين الإنجليز ، وفى نوفمبر من نفس العام – بعد إعلان الجائزة – صار شخصية عالمية .

وفى عام ١٩١٨ أسس مدرسة فلسفية معروفة باسم " فيسفابهاراتى " أو الجامعة الهندية للتعليم العالى ، فى اقليم شانتى نيكتان بغرب البنغال.

أسطورة راسبوتين

ولد جريجـــورى بـــافيموفيتش راســـبوتين (١٨٧٢ – ١٩١٦م) فـــى سيبيريا، وكانت أسرته تعمل فى فلاحة الأرض وكان من الممكن أن يظل هـــذا الرجل فى دائرة النسيان لا يعرف الناس عنه خارج نطاق قريته فى سيبيريا أى شئ ، فقد كان من الممكن أن يظل إنساناً مغموراً فى محيط القرية التى ولد فيها ولكن شاءت الظروف أن يستدعى إلى القصر الإمبراطورى بعـــد أن ســـمعت زوجة القيصر (الكسندرا فيدوردفنا) بأن هذا الفلاح القادم فى ســـيبيريا يملـــك معجزات الشفاء من الأمراض حتى المستعصية منها ... وأنها علمت بأن على يديه تم شفاء العديد من هذه الأمراض ... وكان لها ابن وهو ولى العهد مصاباً بمرض سيلان الدم ورثه عن أمه حفيدة فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى ، ومات به من قبل أخ الملكة ، وإثنان من أبناء الاخوة ، وخالها ، وكان هذا المـــرض الذى ألم بولى العهد مصدر قلق شديد لأمه ولوالده القيصر ، وكان من الطبيعى بعد أن سمعت بأن راسبوتين لديه القدرة على شفاء الأمراض أن تستدعيه إلـــى القصر ، وبالفعل استطاع الرجل بقوة إيحائـــه والاســـتعانة بـــبعض الطقـــوس الغامضة أن يخفف الألم عن ولى العهد الذى استجاب لهذا الإيحاء وشفى مـــن المرض ... فشعرت الإمبراطورة بسعادة غامرة لشفاء ولدها ، وأيقنت أن هـــذا

الكاهن يملك أسراراً لا يعرفها الناس ، فقربته منها ، وبالتالى بالقيصر ، الذى آمن هو الآخر بقدرة هذا الكاهن على الإتيان بما يشبه المعجزات ، وفتحت أمام هذا الكاهن أبواب القصر ، وأيضاً فتحت أمامه كل الأبواب الموصدة ، ثم سرعان ما تملك السلطة والنفوذ ، وظل على ذلك قرابة عشر سنوات كاملة كانت له الكلمة الأولى فى القصر الإمبراطورى .

ولاحظ الناس تغير الإمبراطورة التى آمنت براسبوتين ، وبأنه إنسان يملك قوة غيبية قوية ، وأصبح مستشارها الخاص المؤتمن على أسرارها ولم يكن الرجل بهذا النقاء ولا هذه الشفافية التى اعتقدته الإمبراطورة ، بل كان على العكس من ذلك ، إنساناً فاسداً ليس فوق مستوى الشبهات ، بل عرف الكثير من الناس عنه مدى فساده وطغيانه وافتقاده للأخلاق الكريمة ، بل رآه الكثيرون على حقيقته إنساناً عربيداً ، يجرى وراء النساء أو تجرى النساء وراءه ، خاصة أنه كان يملك عينين نفاذتين ساحرتين كانت وسيلته للسيطرة على الآخرين .

وبلغ من قوة نفوذه أنه فى ديسمبر سنة ١٩١٦ م استطاع أن يفرض (ستويرمر) رئيساً على مجلس الدوما (البرلمان) رغم معارضة النبلاء والإمبراطورة الأم ذاتها .

شعر العديد من أبناء روسيا بخطر هذا الكاهن القادم من أعماق سيبيريا واستطاع أن يسيطر على الحكم فى روسيا ، كما شعر أيضاً بعض النبلاء الروس بذلك فقرروا التخلص من هذا الكاهن الذى أصبح نفوذه أشبه بالأساطير خاصة نفوذه الطاغى على الإمبراطورة .

وبينما كان راسبوتين يتعافى فى المستشفى من الطعنات التى تلقاها فى محاولة لاغتياله ، كان القيصر نيقولا يحشد قواته استعداداً للحرب العالمية الأولى التى جلبت كارثة على وطنه ، حيث فقد أكثر من أربعة ملايين روسى

ارواحهم ، وبالعودة إلى سان بطرسبرج ومع غياب القيصر ، استطاع راسبوتين اكتساب المزيد والمزيد من القوى السياسية ، وساهم فى تعيين وطرد الوزراء ، وبنفوذه الطاغى على قرارات القيصر السياسية ، زاد اللوم الموجه للراهب السيبيرى على المشاكل التى عانت منها البلاد حتى أن مدينة سان بطرسبرج أصبحت تعرف باسم " مدينة إيليس ".

وفى ديسمبر عام ١٩١٦ كتب راسبوتين خطاباً للقيصر يتنبأ فيه بقتله وبقاتليه المحتملين ، وكتب يقول " إذا قتلنى أقاربك فلن يبقى أى فرد من عائلتك حياً لأكثر من عامين ، ولن يبقى أى من أولادك أو أقاربك ، فسوف يقتلهم الشعب الروسى ... سأقتل ، لم يعد لى وجود فى هذه الحياة ، صلِ أرجوك ، صلِ ، وكن قوياً ، وفكر فى عائلتك المصونة ".

وبعد ثلاثة وعشرين يوماً فقط ، قتل اثنان من أقارب القيصر نيقولا الثانى راسبوتين ، وبعد مرور تسعة عشر شهراً على قتله أعدم قيصر روسيا وعائلته بأيدى الثوار البلشفيين ، فقد تزامن مع نبوءته أن حضر راسبوتين لمقابلة الأمير فيليكس يوسوبوى زوج إيرينا إبنه أخ القيصر ، وأراد يوسوبوى قتل راسبوتين ، شأنه شأن ابنا عم القيصر الغراندوق ديميترى بافالويتش ، والسياسى فلاديمير بيرشيكفيتش ، وتآمر الثلاثة معاً على قتل راسبوتين والحفاظ على سلالة العائلة المالكة .

وفى ليلة ١٩١٦/١٢/١٦ دعا يوسوبوى راسبوتين إلى قصر مويكا بحجة أن إيرينا التى يشاع عنها أنها أجمل امرأة فى سان بطرسبرج تريد مقابلته، وبينما كان ينتظر ظهورها ، قدم رجل لراسبوتين كعك وخمر مدسوس بهما سماً مميتاً وقد أصيب المتآمر بالهلع لما بدا من حصانة راسبوتين ضد السم، ولم يستطع يوسوبوى السيطرة على نفسه فنزع مسدسه وأطلق النيران على راسبوتين وبصعوبة بالغة ترنح راسبوتين خارجاً إلى ساحة القصر حيث

كان بفالوفيتش وبيرشيكفيتش فأطلق برشيكفيتش النيران ثانية على راسبوتين المترنح ، وضرباه بهراوة وقيداه قبل أن يلقيا بجسده فى نهر نيفا ، وعندما تم العثور على الجثة بعد يومين دل تشريحها الذى كشف عن وجود مياه فى الرئتين أن راسبوتين كان ما زال حياً عندما القى به فى النهر ، وفسر العلماء عدم تأثره بالسم باصابته بنقصان الحمض المعوى ويقول البعض أن معاقرته للخمر أبطلت مفعول السم ... ولكن انتشرت الإشاعات بأنه كان يتعاطى كميات ضئيلة من السم يومياً ليحمى نفسه فى حالة أن حاول أحد قتله .

وكانت نهاية راسبوتين علامة على بداية النهاية للقيصر نيقولا والإمبراطورة الكسندرا ، فبعد عشرة أسابيع فقط من وفاته أطاحت الثورة الروسية التى اندلعت عام ١٩١٧ بأخر جيل من سلالة رومانوف وبعد مرور أقل من عامين قامت فرقة بإعدام القيصر نيقولا وعائلته بأكملها فى سيبيريا .

لينين
أول رئيس للإتحاد السوفيتى

ولد فلاديمير ايليتش أوليانوف فى ٢٢ أبريل ١٨٧٠م فى مدينة تـدعى سيمبيرسك ، أما لقبه " لينين " فمأخوذ من اسم نهر سيبيرى يدعى " لينا ".

كان والده معلماً ، وقد تلقى لينين دروسه الأولى فى منزله وهـو فـى الخامسة ، ثم دخل المدرسة وهو فى التاسعة ، وفى ذلك الوقت كانت روسيا قد بدأت تتحول بسرعة إلى دولة صناعية ، وكانت قطاعات واسعة من الشعب تئن تحت وطأة الجوع.

توفى والده وهو فى السادسة عشرة ، وفى السنة التالية ١٨٨٧م أعـدم أخوه ألكسندر شنقاً بتهمة الاشتراك فى مؤامرة لاغتيال القيصر ، وقد تركت هذه الحادثة أبلغ الأثر فى نفسه.

فى السنة نفسها أنهى لينين دروسه الثانوية بامتيـاز ، وفـى الخريـف انتسب إلى جامعة قازان ولكنه طرد منها بسبب تزعمه لفئة احتجت على انعدام الحرية فى الجامعة . وقد حاول عدة مرات تقديم طلبات للعـودة إلـى متابعـة دروسه ، ولكنها رفضت كلها ، وأخيراً وافقت جامعة بطرسبرج على انتسـابه إليها ، وحصل لينين على شهادة الحقوق ١٨٩١م ثم بـدأ العمـل فـى مكتـب للمحاماة فى سامارا.

وبعد شهرين من عودته إلى بطرسبرج ألقى القبض عليه فيما هو يستعد لإصدار جريدة " قضية العمال " وبقى رهن التحقيق أكثر من عام إلى أن صدر بحقه الحكم بالنفى إلى سيبيريا ١٨٩٧م ، وأمضى فترة النفى فى الكتابة بعد زواجه من ناديا كروبسكايا ١٨٩٨م التى كانت هى الأخرى منفية بسبب نشاطاتها السياسية ، وأهم ما كتبه هناك " تطور الرأسمالية فى روسيا " .

بعد انتهاء مدة نفيه فى مطلع ١٩٠٠م غادر لينين إلى ألمانيا للمساعدة فى إصدار جريدة الحزب " الشرارة " ثم جريدة " الفجر " وكانتا ممنوعتين وتوزع أعدادهما بعد تهريبها إلى روسيا ، وهناك بدأ فلاديمير ايليانوف يستعمل اسم (لينين) كما فعل سواه من الكتاب الذين اتخذوا أسماء مستعارة لتضليل بوليس القيصر السرى.

خلال ذلك انقسم الحزب إلى جماعتين : البلشيفيين (ومعناها بالروسية الأكثرية) والمانشيفيين (الأقلية) بسبب التنظيمات الداخلية للحزب ، وأهمها رغبة البلشيفيين فى اقتصار الانتماء إلى الحزب على المناضلين الثوريين ، ورغبة الأقلية فى أن يكون باب الانضمام مفتوحاً أمام الجميع.

مع بداية عام ١٩٠٠م بدأت تتكون فى روسيا نقمة عارمة ضد القيصر بسبب تردى الأوضاع ، وارتفعت المطالبات بمزيد من الحريات السياسية مثل السماح للفلاحين بزراعة الأراضى التى يمتلكها الإقطاعيون ، وزيادة أجور العمال وتحسين ظروف العمل ، وإنهاء الحرب ضد اليابان.

يوم الأحد ٢٢ يناير ١٩٠٥م نظمت مظاهرة اشترك فيها أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مواطن فى بطرسبرج ، وكانت مظاهرة سلمية تهدف إلى إيصال المطالب الشعبية إلى القيصر ، ولكن رجاله أطلقوا النار على المتظاهرين وقتلوا عدة مئات منهم ، وكانت تلك هى الشرارة التى أشعلت الثورة الروسية وامتدت

على درجات متفاوتة من الحدة ، حتى سقوط النظام القيصرى فى ١٩١٧م ... واشتهر هذا اليوم التاريخى بيوم الأحد الدامى.

وبحلول عام ١٩١٧ م كان الشعب الروسى يئن تحت وطأة الفقر ، وبدا أن المجاعة على الأبواب ، وظهر نقص فى المواد الغذائية على اختلافها حتى الخبز ، والحكومة عاجزة عن عمل أى شئ ، وبدأت المظاهرات العارمة ، ورفض الجنود هذه المرة تنفيذ أوامر قياداتهم بإطلاق النار ، ما أضطر القيصر إلى التنازل عن العرش وتسليم السلطة إلى حكومة برئاسة الأمير جورج ليفوف (١٥ مارس ١٩١٧م).

عاد لينين إلى روسيا ، وكذلك معظم قيادات الحزب البولشيفى الذين كانوا منفيين إلى سيبيريا ، وفى ١٦ أبريل ١٩١٧م وصلوا إلى بتروغراد واستقبلوا استقبال الأبطال.

وفى هذه الأثناء شكلت حكومة جديدة برئاسة الكسندر كيرينسكى ، وأصدرت أمراً بإلقاء القبض على لينين بتهمة العمالة للألمان ، فغادر إلى فنلندا حيث كتب واحداً من أهم أعماله " الدولة والثورة " .

عاد لينين إلى بتروغراد فى أكتوبر ١٩١٧ م ودعا الهيئة المركزية للحزب إلى إعلان الثورة حالاً.

كانت حكومة كيرينسكى ضعيفة ، وكان ليون تروتسكى ، أحد القادة البارزين فى الحزب ، يحظى بولاء مجموعات كبيرة من الجنود ، وأعلن بعض فرق البحرية تأييد الثورة ، وهكذا قرر البلاشفة التحرك وسقطت بتروغراد بأيديهم دون مقاومة تذكر ، وفى موسكو كانت المقاومة أشد ، إلا أن البلاشفة سيطروا على المدينة فى أقل من أسبوع ، وهكذا صارت كل روسيا تحت سلطتهم ، واستطاعوا اكتساب ثقة الأهالى بالشعار البسيط الذى رفعوه : " الخبز والسلام والأرض للجميع ".

اجتمع مجلس السوفيت ، وضم ممثلين عن كافة الأقاليم الروسية ، وانتخبوا " مجلس مفوضى الشعب " الذى انتخب لينين رئيساً له .

بذل لينين جهوداً جبارة لإنهاء الحرب مع ألمانيا ، مقدماً بعض التنازلات فى المقاطعات التى كانت تحت حكم القياصرة كفنلندا وبولندا ، وهكذا وقعت معاهدة السلام فى بريستيلوفسك فى ٣ مارس ١٩١٨م.

وفى العام نفسه طلب لينين تغيير اسم الحزب من حزب " العمل الديمقراطى الاجتماعى الروسى " إلى الحزب " الاشتراكى (الشيوعى) الروسى".

فى شهر أغسطس تعرض لينين لمحاولة اغتيال ، فأصيب برصاصتين ولكنه نجا من الموت ، إلا أن واحدة منهما بقيت فى عنقه.

فى عام ١٩٢١م أصدر لينين برنامجاً سماه "السياسة الاقتصادية الجديدة" معطياً الحرية للمزارعين وصغار المنتجين للتصرف بمنتجاتهم ، سامحاً بالتجارة الحرة ، وداعياً الأجانب إلى الاستثمار فى روسيا ، مما دفع حكومات أوربا الغربية والولايات المتحدة إلى إعادة التمثيل الدبلوماسى الذى كانت قد قطعته بسبب رفض التعهد بدفع ديون القيصر.

كان للرصاصة التى أصابت عنق لينين أكبر الأثر فى انهيار صحته ، وقد أزالها الأطباء من عنقه ١٩٢٢م ، ولكنهم لم يستطيعوا إلغاء آثارها القاتلة ، إذ تسببت فى تعرض لينين لعدة نوبات دماغية ، كانت آخرها عام ١٩٢٤م وكانت القاضية .

حنط جسد لينين ودفن فى الساحة الحمراء فى موسكو ، ويعتبر قبره مقصداً لكل المؤمنين بفكره ونضاله.

ستالين

يوماً ما قال كلمته المشهورة " عليك أن تختار ضحيتك ، وتعد الضربة بعناية ، وتوقع الانتقام الذى لا يرحم ، ثم تذهب لتنام ، فليس هناك ما هو أحلى من ذلك فى العالم " ... وتعبر هذه الكلمات بوضوح عن القسوة البالغة التى اشتهر بها ستالين.

ولد فى ١٨٧٩/١٢/٢١م فى إقليم جورجيا واسمه الحقيقى " فيساريو نوفتش جوجاشفيلى " ،وكان أبوه إسكافياً فقيراً ، وبعد أن قضى خمس سنوات فى مدرسة " جورى " انتقل إلى مدرسة أخرى ولكنها ما لبثت أن طردته وكان فى التاسعة عشر من عمره ... وانضم إلى الديموقراطيين الاشتراكيين ، وهم حزب شيوعى كان يؤمن بمبادئ ماركس وإنجلز ، وانتخب عضواً بلجنة الحزب وأصبح من الدعاة الثوريين ، وراح ينشر المبادئ الشيوعية والثورية فى صفوف العمال ، وقبض عليه أكثر من مرة ونفى إلى سيبيريا ولكنه تمكن من الفرار.

ولما حدثت ثورة ١٧ أكتوبر عام ١٩١٧ م وتغلبت البلشفية فى روسيا كان من الأعضاء البارزين ، فلما مات لينين عام ١٩٢٤م خلفه فى منصبه سكرتيراً للحزب الشيوعى ، ومنذ ذلك التاريخ أخذ يحكم البلاد حكماً حديدياً

عنيفاً للغاية وعمل على التخلص من خصومه ومنافسيه وكل من كان يشعر بالشك من ناحيتهم ، وأصبحت حمامات الدم من أساليبه العادية ،ولما حاول تطبيق نظام الزراعة الجماعية قاومها الفلاحون ، فأرسل إليهم القوات التى أبادت الملايين منهم.

وقبيل نشوب الحرب العالمية الثانية فى أول سبتمبر ١٩٣٩م عقد ميثاق عدم اعتداء مع هتلر ، ولكن الأخير ما لبث أن نقض الميثاق وزحف على روسيا فى صيف عام ١٩٤١م ، ولما انتهت الحرب استولى ستالين على ولايات البلطيق وضمها إلى الاتحاد السوفيتى ، ثم عمل على إقامة النظم الشيوعية فى ألمانيا الشرقية وبلاد أوربا الشرقية .

وفى ٥ مارس ١٩٥٣م مات ستالين بعد أن ظل فى غيبوبة منذ أول مارس ، ودفن إلى جانب لينين ، وفى عام ١٩٥٦م ألقى خلفه خروشوف خطاباً مهماً شن فيه أعنف هجوم على ستالين واتهمه بالقسوة والوحشية وسوء استخدام السلطة ، وبدأت حملة استئصال عبادة الفرد ، ونقل جثمانه من الساحة الحمراء ودفن فى الكرملين إلى جانب القادة السوفيت العاديين ، كما أزيل اسمه عن الكثير من الساحات العامة والشوارع.

الفاشستية

مذهب سياسى نشأ فى إيطاليا عام ١٩١٩م وإليه ينتسب الحزب الفاشستى الذى أسسه موسولينى ، وعلى أساس مبادئه دعاه ملك إيطاليا فى ٢٢ أكتوبر ١٩٢٢م لتولى الحكم ، واستمرت الفاشستية النظام السياسى المقرر لإيطاليا حتى سقوط موسولينى فى عام ١٩٤٥م حين أعدمه الثوار بعد أن قبضوا عليه فى شمال إيطاليا وهو يحاول الهرب إلى سويسرا .

ويرجع أصل كلمة فاشية " Fascism " إلى الكلمة الإيطالية "Fasces" وهى تعنى حزمة من الصولجانات كانت تحمل أمام الحكام فى روما القديمة دليلاً على سلطانهم ، وفى تسعينيات القرن التاسع عشر بدأت تستخدم كلمة فاشية فى إيطاليا لتشير إلى جماعة أو رابطة سياسية عادة ما تتكون من اشتراكيين ثوريين ، والفكرة كما يدل عليها الاسم بمعنى أن القوة وليدة الاتحاد.

والمذهب الفاشستى دكتاتورى يدين أتباعه بالولاء المطلق لزعيم "دوتشى" تمثل فى شخصه الدولة التى يجب أن تتلاشى فى سبيل أهدافها حقوق الأفراد ، وتعمل الفاشستية على محاربة الشيوعية والنظام البرلمانى المتعدد الأحزاب ، وللدولة الإشراف المطلق على العلوم والفنون والتعليم وعلى اتحاد الصناعة مع الرغبة فى التوسع الاستعمارى باستخدام وتنشيط النزعة العسكرية،

كما يرى دعاة الفاشية أن الحكومة يجب أن تكون قوية جداً ، والناس فى ظلها ليسوا أحراراً فى التعبير عن أفكارهم بالكتابة أو القول ، والحكومة هى التى تحدد لهم ما يجوز لهم اقتناؤه من الممتلكات وتقرر نوع العمل الذى يجب أن يؤدوه والأجور التى تعطى لهم .

وقد انتشر هذا النظام فى أوربا تحت اسماء مختلفة مثل حكومة هورنى فى المجر ، وسالازار فى البرتغال ، وبيتان فى فرنسا.

ماو تسى تونج

ولد ماو تسى تونج (١٨٩٣ – ١٩٧٦) لعائلة تعمل فى الزراعة ، فى قرية شاوشان بمقاطعة هونان الصينية ، وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره . تزوج من فتاة تكبره بأربعة أعوام ، وفى الثامنة عشرة تقدم إلى امتحان القبول بمعهد سيانج – هيانج الثانوى ، ونجح فى الامتحان .

وفى عام (١٩١١ – ١٩١٢) قامت الثورة التى أدت إلى سقوط حكومة المانشو وظهور جمهورية الصين ، وفى أكتوبر ١٩١١ التحق بالجيش الثورى مؤيداً قضية الجمهورية ورئيسها صن يات صن ، إلا أنه سرح من الجيش فى فبراير ١٩١٢ ، ثم التحق بمعهد لدراسة التجارة باللغة الإنجليزية ، إلا أنه لم ينسجم مع الدراسة باللغة الإنجليزية فترك المعهد بعد شهر من التحاقه به ، وقضى عامه الدراسى فى القراءة ، لكل من روسو ، ومونتسكيو ، وآدم سميث، وستيورات ميل ، وداروين ، وسبنسر .

فى عام ١٩١٣ ، التحق بدار المعلمين العليا ، ومكث فيها حتى عام ١٩١٨ ، وعرف فى الأوساط الطلابية بنشاطه ومشاركته فى العمل النضالى الطلابى .

وفى عام ١٩١٨ سافر إلى بكين ، وعمل لفترة موظفاً فى مكتبة بكين ،

ثم سافر إلى شنغهاى حيث تعرف على بعض الماركسيين ، واعتنق الماركسية ، وشارك فى حركة الشبيبة المناهضة للإمبريالية ، والمعروفة باسم " حركة ٤ مايو " ١٩١٩ ، ثم عاد إلى مقاطعة هونان التى نشأ فيها وأسس جمعية جديدة اسمها " من أجل هونان عصرية ومستقلة ذاتياً" .

وبدءاً من عام ١٩٢٠ أخذت السيرة الذاتية لماو تقترن بتاريخ الحركة الثورية الصينية ، وتمكن ماو تسى تونج مع أحد عشر شخصاً من تكوين الحزب الشيوعى عام ١٩٢١، وتحالف الشيوعيون مع الحزب الوطنى بغرض توحيد الصين ، إلا أن انعدام الثقة بين الشيوعيين وتشانج كاى شيك زعيم الحزب الوطنى الذى خلف صن يات صن على زعامة الحزب الوطنى بعد موته عام ١٩٢٥ ، أدى إلى قيام حرب بين المجموعتين .

وفى عام ١٩٢٥ حرك ماو الثورة فى الريف من هونان ، حيث أرسى قاعدة أول نواة ثورية وحرك مسيرة قوامها اتحادات الفلاحين فى أوج ما اتفق على تسميته " الحرب الأهلية الثورية الأولى " (١٩٢٥ – ١٩٢٧).

وفى عام ١٩٢٦ وضع ماو كتابه " تحليل طبقات المجتمع الصينى " مؤكداً فيه على الطاقات الثورية لطبقة الفلاحين ، وفى عام ١٩٢٧ بادر ماو إلى بناء جيش ثورى بهدف تحرير مناطق يصعب على الكومنتانج مهاجمتها – الكومنتانج هو حزب الشعب الوطنى – الذى كان صن يات صن قد أعاد تنظيمه فى عام ١٩٢٣ ، واعتمد ماو تسى تونج فى تكوين جيشه على عمال المناجم والفلاحين وحاول تنظيم " انتفاضة حصاد الخريف " إلا أن محاولته باءت بالفشل ، وألقى القبض عليه وتمكن من الفرار وأقصى ماو عن اللجنة المركزية والمكتب السياسى للحزب ، وجرد من مسئولياته داخل جهاز الحزب ، مما اضطره إلى اللجوء إلى جبال جينجانج ، وهناك ، أسس " قاعدة ثورية " فى نوفمبر ١٩٢٧.

قاد ماو مع زعماء شيوعيين آخرين ، مجموعات صغيرة إلى محافظة جيانكس عام ١٩٢٨ وبادر ماو بتنظيم عملية توزيع الأراضى والأسلحة على الفلاحين ، جاعلاً من اتحادات الفلاحين أداة الحكم الأولى ، وعمد ماو إلى إنشاء " قواعد حمراء " أخرى فى المناطق التى يسيطر عليها الجيش ، وقد أثار انتشار هذه القواعد ردة فعل عنيفة من قبل تشيانج كاى شك ، وأصبحت محافظة جيانكس هدف تشيانج الأول ، وقد حاولت قوات تشيانج كاى شك تطويق القواعد الثورية وتدميرها خمس مرات بين عامى ١٩٣٠ - ١٩٣٤. وبدأ تشيانج سلسلة من الإعدامات الجماعية ، التى أدت إلى إنهاء الوجود الشيوعى تماماً .

وفى عام ١٩٣٤ قاد ماو الشيوعيين إلى محافظة شانكسى فى مسيرة عرفت بالمسيرة الكبرى أو المسيرة الطويلة ، التى بلغ مداها ٩٧٠٠ كيلومتراً ، وانتهت بعد سنة ، حيث تم توحيد المناطق المشتركة فيها تحت قيادة ماو تسى تونج .

وعندما غزت اليابان منشوريا عام ١٩٣١ وأعلنت حرباً شاملة ضد الصين وتحالف الشيوعيون بقيادة ماو تسى تونج مع الحزب الوطنى الحاكم ، بقيادة تشيانج كاى شك ، لمواجهة الأخطار الخارجية ، واستمر ذلك التحالف حتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، وقد رفض ماو ترجمة ذلك التحالف بأنه انصهار على صعيدى القوات والقيادات .

وقد قاد ماو حرباً لتحرير البلاد ولنشر الشيوعية ، وتمكن الشيوعيون عام ١٩٤٥ من السيطرة على منطقة يقطنها نحو مائة مليون صينى .

ونشبت الحرب الأهلية (١٩٤٦ - ١٩٤٩) بين الشيوعيين وحكومة الوطنيين (أنصار تشيانج كاى تشك فى منشوريا) واضطرت القوات الشيوعية (جيش التحرير الشعبى) فى بادئ الأمر إلى الانسحاب ، ثم شنت بعد ذلك

هجوماً ساحقاً ، خلال عامى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ونجحت فى استرداد بكين وشنغهاى وكانتون ، وتمكن الشيوعيون من السيطرة على الصين فى أكتوبر ١٩٤٩ ، فانسحب الوطنيون إلى جزيرة فورموزا ، وأعلن ماو من بكين قيام جمهورية الصين الشعبية .

تمكن ماو تسى تونج من توحيد الصين ، وأسس مجتمعاً منضبطاً ، بسرعة لم يتوقعها المراقبون ، وعندما تسلم ماو السلطة تحالف مع السوفيت ، الذين ساعدوه فى تقوية الجيش الصينى خلال الحرب الكورية (١٩٥٠ – ١٩٥٣) وبعد انتهاء الحرب بدأ ماو برامج توسيع الزراعة والإنتاج الصناعى ، وفشل فى برامج القفزة الأمامية العظمى العاجلة عام ١٩٥٨ .

وكان ماو قد أصبح رئيساً للحكومة ، ورئيساً للجمهورية (١٩٥٤ – ١٩٥٩) ورئيساً للحزب .

وفى الستينيات ، نشب خلاف بين الاتحاد السوفيتى والصين ، الأمر الذى حدا بماو للتوجيه بقيام البرنامج النووى الصينى ، واعتبر ماو نفسه المفسر الوحيد لتعاليم ماركس ولينين وستالين ، واعتقد بأن على الشعوب الفقيرة أن تثور على الشعوب الغنية ، وأدان موقف الاتحاد السوفيتى المتراخى تجاه الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى عام ١٩٥٩ ، تخلى ماو عن منصب رئاسة الصين ، واحتفظ بقيادة الدولة والحزب الشيوعى .

فى أغسطس ١٩٦٦ م تجمع فى بكين أكثر من مليون شاب من أعضاء الحرس الأحمر حديث التكوين وذلك تحت شعار " العصيان حق " وكان متوسط أعمار هؤلاء الشبان ما بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة وبتحريض من ماو انطلقوا للبحث والتنقيب عن أية آثار أو دلائل عند أى شخص فى أى موقع

يستشف منها ميوله للغرب ، وكذلك كل شخص غير مخلص للثورة ، أو مذنب فى حقها ، أو خائن لمناهجها ومبادئها ... وقد أهين أثناء ذلك رجال كانوا فى مواقع القيادة العليا باعتبارهم خونة للشعب واعدائه ، وكانوا يزفون فى مواكب كبيرة ساخطة ... والطريف فى الأمر أن ماو كان الشخص الوحيد الذى سلم من ذلك فلم يتناوله نقد أو تجريح ، وأخذ يظهر قدراته الشخصية على التحكم والنفوذ ، ونجح فى اخماد تلك الحركة والعودة بالصين عام ١٩٦٩ م إلى أحوالها الطبيعية . وحتى الآن لا يزال الباحثون والمحللون يحاولون معرفة السبب الحقيقى وراء الثورة الثقافية الدموية العنيفة التى وقعت عام ١٩٦٦ م واستمرت حتى عام ١٩٦٩ ... وهل كانت تدبيراً من ماو؟! أم تحركت بشكل عفوى ؟!

واستمر يدير دفة الحكم بقوة حتى توفى عام ١٩٧٦ م .

الحرب العالمية الأولى

نشبت الحرب العالمية الأولى بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ ، وفيها تم استعمال الأسلحة الكيميائية لأول مرة ، وتم قصف المدنيين من السماء لأول مرة فى التاريخ وتمت فيها الإبادات العرقية .

شهدت الحرب ضحايا بشرية لم يشهدها التاريخ من قبل ، وسقطت السلالات الحاكمة والمهيمنة على أوربا والتى يعود منشأها إلى الحملات الصليبية ، وتم تغيير الخريطة السياسية لأوربا ، وتعد الحرب العالمية الأولى البذرة للحركات الايديولوجية كالشيوعية والصراعات المستقبلية كالحرب العالمية الثانية ، بل وحتى الحرب الباردة .

لقد أدت الحرب العالمية الأولى إلى تغييرات جذرية فى العالم ، إذ اختفت أربع إمبراطوريات كبرى هى الألمانية ، والنمساوية – الهنغارية ، والروسية ، والعثمانية ، وظهرت عدة دول جديدة وكيانات مستحدثة مكانها مثل فنلندا واستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولونيا ، وسلخت عن الإمبراطورية العثمانية مناطق واسعة كأرمينيا والبلاد العربية وتراقيا وأزمير ، وذلك وفق معاهدة "سيفر" ، كما أدت الحرب إلى انتصار الثورة البلشفية فى روسيا وظهور أول دولة شيوعية فى العالم.

ولقد خرجت بريطانيا وفرنسا بمكتسبات كبيرة إثر الحرب ، وتعززت سيطرتهما الاستعمارية على مناطق واسعة من العالم ، وبالمقابل عانت ألمانيا من أزمات سياسية واقتصادية بالغة الأهمية ، ساهمت فى التمهيد أمام ظهور النازية ، ولم يستمر التوازن الذى نجم عن الحرب العالمية الأولى لفترة طويلة بعد انتهائها ، إذ انهار فى عام ١٩٣٩ مع اندلاع الحرب العالمية الثانية .

وتتمثل الأسباب الكامنة وراء اندلاع الحرب العالمية الأولى فى المنافسة الاستعمارية بين الدول الأوربية ، لاسيما فى مجال طموحها لكسب المزيد من المستعمرات ، وتوازن القوى غير المستقر فى أوربا ، وسيطرة ألمانيا على الألزاس واللورين إثر الحرب الفرنسية – البروسية (١٨٧٠م) ، وسباق التسلح بين القوى الأوربية، الذى تنامى بفعل الحروب الصغرى التى نشبت فى القارة الأوربية قبيل الحرب العالمية الأولى كحرب البلقان ، والاحتكاكات فى المستعمرات ، وأيضاً نمو الروح القومية ، وخاصة فى إمبراطورية النمسا المكونة من عدة قوميات .

وبشكل أساسى ضمت مجموعة الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى بريطانيا وفرنسا وروسيا بينما ضمت مجموعة المحور ألمانيا والإمبراطورية النمساوية المجرية وتركيا .

وقد تهيأت الظروف لنشوب حرب عالمية كبرى بين الدول الأوربية عقب اغتيال طالب صربى متطرف لولى عهد النمسا الارشيدق " فرانز فيرديناد" وزوجته فى سراييفو يوم ٢٨ يونيه ١٩١٤ فانتهزت النمسا هذا الحادث وأعلنت الحرب ضد صربيا وسرعان ما انتشرت هذه الحرب المحلية لتشمل القارة الأوربية كلها ، فقد شعرت روسيا بمسئوليتها عن حماية الصرب فأعلنت التعبئة العامة ، ورفضت الإنذار الألمانى بوقف هذه التعبئة ، فأعلنت ألمانيا الحرب على روسيا .

ولما كانت فرنسا مرتبطة بتحالف مع روسيا ، أعلنت ألمانيا عليها الحرب ، وأخذت فى تنفيذ مشروعها الحربى فى غزو فرنسا عن طريق اختراق بلجيكا ولوكسمبورج فى ١٤ من أغسطس ١٩١٤ وكانت تلك بداية الحرب العالمية الأولى ، التى شارك فيها ثلاثون دولة ، واستمرت أربع سنوات ونصف سنة .

وبدأت ألمانيا فى تنفيذ خطتها لغزو فرنسا التى وضعت قبل تسع سنوات، غير أن روسيا انتهزت فرصة انشغال القوات الألمانية فى فرنسا ، وأرسلت جيشين كبيرين لتطويق القوات الألمانية فى روسيا الشرقية ، الأمر الذى اضطر ألمانيا إلى سحب ثلثى القوات الألمانية بعد أن كانت على بعد (١٢) ميلاً من باريس ، وانتصر الألمان على الروس فى معركة تاننبرج الشهيرة ، وفقدت روسيا ربع مليون من جنودها ، إلا أن هذا الانتصار أدى إلى هزيمة الألمان أمام الفرنسيين فى معركة المارن الأولى ، وكتب الخلاص لباريس من السيطرة الألمانية ، وتقهقر الألمان ، وأقاموا المتاريس والخنادق ، وتحولت الحرب منذ ذلك الحين إلى حرب خنادق احتفظ خلالها الألمان بتفوق نسبى فكانوا على بعد (٥٥) ميلاً من باريس .

لم تمنع هزيمة روسيا أمام الألمان من قتال النمسا والانتصار عليها حيث أجبرتها على الارتداد إلى مدينة كراكاو البولندية القديمة ، وأصبح الروس فى وضع يهددون فيه ألمانيا تهديداً خطيراً ، لأنهم لو تمكنوا من احتلال كراكاو لأمكنهم تدمير خط الدفاع على الحدود الألمانية بأسره ، ولم يجد الألمان وسيلة غير تهديد وارسو فى بولندا الخاضعة للسيادة الروسية ، واشتبك الطرفان فى معارك " لودز " التى انتهت بحماية الحدود الألمانية .

وفى أكتوبر ١٩١٤ دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ضد روسيا ، فقام الحلفاء بحملة عسكرية ضخمة على شبه جزيرة غاليبولى بهدف

إنشاء ممر بين البحرين الأبيض والأسود ، والاستيلاء على القسطنطينية لإنقاذ روسيا من عزلتها ، وتطويق ألمانيا ، غير أن هذه الحملة فشلت وانهزم الأسطول الإنجليزى وكانت كارثة كبيرة للحلفاء ، فعمدوا إلى مهاجمة الدولة العثمانية فى ممتلكاتها فى الشرق الأوسط .

وفى مايو ١٩١٥ أعلنت إيطاليا الحرب على النمسا بعد أن كانت أعلنت حيادها عند نشوب الحرب ، فقد أغراها الحلفاء بدخول الحرب لتخفيف الضغط عن روسيا مقابل الحصول على أرض فى أوربا وأفريقيا .

استطاع الألمان عام ١٩١٥ تحقيق مزيد من الانتصارات على الحلفاء ، فالحقوا الهزيمة بالروس فى معركة " جورليس تارناو " فى مايو ١٩١٥ واحتلوا بولندا ومعظم مدن لتوانيا ، وحاولوا قطع خطوط الاتصال بين الجيوش الروسية وقواعدها للقضاء عليها ، إلا أن الروس حققوا بعض الانتصارات الجزئية على الألمان كلفتهم (٣٢٥) ألف أسير روسى ، الأمر الذى لم يتمكن بعده الجيش الروسى من استرداد قواه .

وأدى النجاح الألمانى على الروس إلى إخضاع البلقان ، وعبرت القوات النمساوية والألمانية نهر الدانوب لقتال الصرب وألحقوا بهم هزيمة قاسية ، واستطاع الألمان فى ذلك العام أن يحققوا انتصارات رائعة على بعض الجبهات، فى حين وقفت الجبهة الألمانية ثابتة القدم أمام هجمات الجيشين الفرنسى والبريطانى .

تميز عام ١٩١٦ بمعركتين كبيرتين نشبتا على أرض فرنسا دامت إحداهما سبعة أشهر ، والأخرى أربعة اشهر ، وهما معركة "فردان" و "السوم" خسر الألمان فى المعركة الأولى (٢٤٠) ألف قتيل وجريح ، أما الفرنسيون فخسروا (٢٧٥) ألفاً ، أما معركة السوم فقد استطاع خلالها الحلفاء إجبار

الألمان على التقهقر مائة ميل مربع ، وقضت هذه المعركة على الجيش الألمانى القديم ، وأصبح الاعتماد على المجندين من صغار السن ، وخسر الجيش البريطانى فى هذه المعركة ستين ألف قتيل وجريح فى اليوم الأول .

وظهرت فى هذه المعارك الدبابة لأول مرة فى ميادين القتال ، وقد استطاع الروس خلال ذلك العام القيام بحملة على النمسا بقيادة الجنرال بروسيلوف ، وأسروا (٤٥٠) ألف أسير من القوات النمساوية والمجرية ، فشجع هذا الانتصار رومانيا على إعلان الحرب على النمسا والمجر ، فردت ألمانيا بإعلان الحرب عليها ، واكتسح الألمان رومانيا فى ستة أسابيع ودخلوا بوخارست .

وفى عام ١٩١٦ جرت حرب بحرية بين الألمان والإنجليز عرفت باسم " جاتلاند " خرج خلالها الأسطول الألمانى من موانيه لمقاتلة الأسطول الإنجليزى على أمل رفع الحصار البحرى المفروض على ألمانيا ، وانتصر الألمان على الإنجليز وألحقوا بالأسطول الإنجليزى خسائر فادحة ، ولجأ الألمان فى تلك الفترة إلى " حرب الغواصات " بهدف إغراق أية سفينة تجارية دون سابق إنذار ، لتجويع بريطانيا واجبارها على الاستسلام ، غير أن هذه الحرب استفزت الولايات المتحدة ، ودفعتها لدخول الحرب فى أبريل ١٩١٧ خصوصاً بعد أن علمت أن الألمان قاموا بمحاولة لإغراء المكسيك لكى تهاجم الولايات المتحدة فى مقابل ضم ثلاث ولايات أمريكية إليها .

وكانت الولايات المتحدة قبل دخولها الحرب تعتنق مذهب مونرو الذى يقوم على عزلة أمريكا فى سياستها الخارجية عن أوربا ، وعدم السماح لأى دولة أوربية بالتدخل فى الشئون الأمريكية ، غير أن القادة الأمريكيين رأوا من مصلحة بلادهم الاستفادة من الحرب عن طريق دخولها ، وقد استفاد الحلفاء من الإمكانات والإمدادات الأمريكية الهائلة فى تقوية مجهودهم الحربى ، واستطاعوا

تضييق الحصار على ألمانيا على نحو أدى إلى إضعافها .

ومن الأحداث المهمة التى شهدها عام ١٩١٧ قيام ونجاح الثورة البلشفية فى روسيا ، وتوقيع البلاشفة صلح برست ليتوفسك مع الألمان فى ١٩١٨ وخروج روسيا من الحرب .

شجع خروج روسيا من الحرب القيادة الألمانية على الاستفادة من (٤٠٠) ألف جندى ألمانى كانوا على الجبهة الروسية وتوجيههم لقتال الإنجليز والفرنسيين ، واستطاع الألمان تحطيم الجيش البريطانى الخامس فى مارس ١٩١٨ وتوالت معارك الجانبين العنيفة التى تسببت فى خسائر فادحة فى الأرواح والأموال ، وقدرت تكلفة الحرب فى ذلك العام بحوالى عشرة ملايين دولار كل ساعة .

وبدأ الحلفاء يستعيدون قوتهم وشنوا هجمات عنيفة على الألمان أنهت الحرب ، وقد عرفت باسم " معركة المارن الثانية " يوليه ١٩١٨ وكان يوم ٨أغسطس ١٩١٨ يوماً أسود فى تاريخ الألمان إذ تعرضوا لهزائم شنيعة أمام البريطانيين والحلفاء ، وبدأت ألمانيا فى الانهيار وأسر حوالى ربع مليون ألمانى فى ثلاثة شهور ، ودخلت القوات البريطانية كل خطوط الألمان ، ووصلت إلى شمال فرنسا ، ووصلت بقية قوات الحلفاء إلى فرنسا .

واجتاحت ألمانيا أزمة سياسية عنيفة تصاعدت مع توالى الهزائم العسكرية فى ساحات القتال ، فطلبت ألمانيا ابرام هدنة دون قيد أو شرط ، فرفض الحلفاء التفاوض مع الحكومة الإمبراطورية القائمة ، وتسبب ذلك فى قيام الجمهورية فى ألمانيا بعد تنازل الإمبراطور الألمانى عن العرش ووقعت الهدنة التى أنهت الحرب فى ١١ نوفمبر ١٩١٨م بعد أربع سنوات ونصف من القتال الذى راح ضحيته عشرة ملايين قتيل وواحد وعشرون مليون جريحاً .

أول حرب ظهرت فيها الدبابات

بعد أن اشتعلت نيران الحرب بين ألمانيا والحلفاء فى عام ١٩١٤م بدأ الجيشان المتضادان يحفران خطين من الخنادق ، يمتدان من القنال الإنجليزى إلى جبال سويسرا ، وكانت تحمى هذه الخنادق نطاقات من الأسلاك الشائكة والرشاشات الآلية ووضح أنه من المحال أن تخترق هذه المواقع الدفاعية لأى عمق كبير.

وفى ذلك الوقت كان فى الجيش الإنجليزى مهندس اسمه " الليفينانت كولونيل أ.د سوينتون " كان رجلاً واسع التصور ، كتب عدداً من القصص القصيرة عن الحرب وعن المخترعات الحديثة التى تستخدم فيها ... وعندما شاهد الأسلاك الشائكة فى فرنسا عرف أن الجنود لن يستطيعوا شق طريقهم فى مثل هذه المواقع إلا بخسائر جسيمة فى الأفراد لا قبل لدولة باحتمالها ، وهنا خطر له أنه لو ركب الجنود سيارة لها دروع من حديد تكون المشكلة قد حلت من ناحية نيران الرشاشات الآلية ، لكن يجب التفكير فى وسيلة لجعل هذه السيارة قادرة على اجتياز كل أنواع الأراضى ، وتخطى سياجات الأسلاك الشائكة ، وكانت لدى الحلفاء بعض عربات مدرعة ولكنها لم تكن تستطيع البعد

عن الطرق الممهدة ، وفكر سوينتون فى أن سيارته يجب أن تسير على جنازير لتستطيع اجتياز كل أنواع الأراضى.

وفى أكتوبر عام ١٩١٤م كتب سوينتون خطاباً إلى لورد كتشنر بفكرته ولكن لا كتشنر ولا وزارة الحربية اهتما برسالته ... وبوسيلة ما وصلت الأنباء إلى ونستون تشرشل الذى كان يتولى أمر الأسطول والبحرية وأمر تشرشل بإعداد هذه العربات المدرعة الجديدة للواء البحرى الذى يقاتل على أرض فرنسا، وشكل لجنة من رجال البحرية لوضع تصميم آلة للمعركة فى الحرب البحرية، وناقشت اللجنة عدة تصميمات وصممت بعض نماذج ولكن شيئاً منها لم يحقق أى نجاح ... وذهب سوينتون إلى فرنسا ليتعرف على سبب الفشل وعاد يحمل أنباءً جديدة ، فإن الجنود ليسوا بحاجة إلى سيارة تحملهم بل يحتاجون لآلة تحطم أماكن الرشاشات التى تسد طريقهم ، وفى ذلك الوقت كان الجيش قد بدأ يهتم بالأمر وأرسل عدداً من رجاله للمعاونة فى مشروع البحرية .

وكان من بين الضباط ملازم صغير اسمه (و.ج.ويلسون) وكان ويلسون هو الشخص الذى اقترح فكرة ناجحة ، إذ كانت الآلة التى فكر فيها تسير على جنازير تدور حول جانبيها ، وتم العمل بسرعة وتم تجربة أول نموذج فى فبراير ١٩١٥م.

وتقرر صنع مائة من هذه الآلة الجديدة قبل التفكير حتى فى الاسم الذى يمكن أن يطلق عليها ، وكان الإنجليز يعملون خفية وفى هدوء حتى يمكن أن يفاجئوا الألمان بهذه الآلة الجديدة التى أملوا كثيراً فى قضائها على رشاشات العدو ، وعندما عادوا إلى سوينتون يسألونه عن الاسم الذى يمكن أن يطلقوه عليها اقترح أن يقال عنها " تانك " ، وكانت هذه التسمية تتمشى مع الرغبة فى

الإبقاء على السرية ، فقد كانوا يضعون الدبابات فى صناديق خشبية كبيرة على أساس أنها مستودعات مياه مرسلة إلى روسيا ، ومن هنا نالت الدبابات اسمها بالإنجليزية أى " تانك " ، وفعلت أكثر مما فعله أى سلاح آخر لكسب الحرب العالمية الأولى ... وظهرت لأول مرة فى معركة السوم شمال غرب فرنسا عام ١٩١٦م ، ولكن أخفقت تجربتها لأسباب التزود بالوقود ثم ظهرت فاعليتها فى معركة كامبرى عام ١٩١٧م.

ومكافأة للكولونيل سوينتون رقى إلى رتبة جنرال تقديراً للدور المهم الذى لعبه فى الحرب العالمية الأولى واختراع السلاح الذى لعب دوراً مهماً فى حسم الحرب.

الشريف حسين ... وخدعة الثورة العربية

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ضد بريطانيا والحلفاء ، ورأى الحلفاء ضرورة معالجة مصيرها فى حالة هزيمتها بقسميها الأوربى والأسيوى ، لأن الاتفاق على تقسيم الغنائم يضمن استمرار التحالف ويحول دون حدوث انقسامات بين هذه الدول الحليفة التى كانت كل دولة منها تطمع فى ممتلكات الدولة العثمانية ، ولما كانت الولايات العربية تشكل قلب الإمبراطورية العثمانية ، فقد كان من المتوقع أن يدور الاتفاق بشكل أساسى حولها .

تجنبت بريطانيا الدخول فى مشروعات دولية لتصفية الدولة العثمانية ، خوفاً من سقوط أجزائها المهمة فى يد روسيا إلا أنها بدأت قبيل الحرب العالمية الأولى فى تشجيع الشخصيات والاتجاهات العربية المناهضة لديكتاتورية الاتحاديين فى تركيا ، غير أن الصلات العربية تبلورت آخر الأمر وتركزت فى العلاقة مع الشريف حسين أمير مكة ، حين بدأت الحرب تشتعل.

رأى الإنجليز فى الشريف القوة العسكرية المنظمة التى تستطيع أن تقوم بدور فعال فى حال قيام الحرب ، حيث كانت علاقاته مع العثمانيين متوترة بسبب سياسة الاتحاديين الأتراك التى كانت تقوم على المركزية وربط الولايات العثمانية شبه المستقلة – مثل الحجاز – بالدولة الأم فى القسطنطينية ، وكان هذا

يعنى تحطيم نفوذ الأشراف فى مكة ، ووجد الشريف حسين فى مد الدولة العثمانية خط سكة حديد الحجاز من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة خطراً كبيراً عليه إذا تم لأنه يربط الحجاز كله بالشام والدولة العثمانية ، ومن هنا فإن الصدام بينهما كان على وشك الوقوع ، وتطلع الشريف حسين إلى دولة كبرى تساعده .

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى تم تعيين كتشنر وزيراً للحربية البريطانية ، فبدأت سلسلة من الاتصالات بين الإنجليز والشريف حسين ، ويرجع ذلك بالأساس إلى موقف بريطانيا العسكرى ، حيث أن قيام ثورة عربية يجبر تركيا على حجز جزء من قواتها العسكرية فى البلاد العربية بعيداً عن جبهات القتال الرئيسية ، ولاسيما الجبهة الروسية .

كما أن قيام ثورة عربية يمكن أن يعزل بين القوات العثمانية الرئيسية فى الشام والجيوب العسكرية العثمانية فى جنوب الجزيرة العربية ، يضاف إلى ذلك أن ألمانيا كانت تأمل فى استخدام تحالفها مع الدولة العثمانية لإيجاد جسر لها يوصل بين المستعمرات الألمانية فى شرق أفريقيا وألمانيا عن طريق اليمن، وبالتالى فإن الثورة ضد العثمانيين فى وسط شبه الجزيرة العربية تفسد هذه الخطة على الألمان بما يمثل مصلحة لبريطانيا .

ورأت بريطانيا فى الخلافة العثمانية خطراً على وجودها فى الهند ، نظراً لارتباط المسلمين الهنود الروحى بالسلطان العثمانى ، ومكمن الخطر فى ذلك أن أى دعوة جهاد يعلنها السلطان على الإنجليز فى حالة قيام حرب ستجد صداها فى الهند .

أدرك الشريف حسين رغبة الإنجليز فى التحالف معه ، فلم يعد يطالب بالشرافة ، بل أصبح يطالب بالخلافة وقيام دولة عربية كبرى ، فبدأ يتحسس

موقف زعماء العرب وأمرائهم فى شبه الجزيرة العربية فى إمكانية مساندته فى القيام بثورة فى الحجاز ضد العثمانيين ، ورأى فى موقفهم مـــا يشـــجع علـــى الثورة، نظراً لإنشغال كل منهم بأطماعه ومصالحه ، غير أن أكبر اتصال قام به كان بالجمعيات الوطنية فى سوريا ، ويرجع ذلك إلى أن التيار الغالب فى سوريا والعراق هو تيار الثورة على العثمانيين ، بسبب قمع " جمال باشا " قائد الجيش العثمانى الخامس فى سوريا للحركة القومية العربية ، وإعدام كثير من الشاميين، فلما اتصل الشريف حسين بالقوميين العرب فى سوريا ارتضوا أن تنطلق الثورة العربية من مركز رئيسى وهو الحجاز ، على أن يكون دورهم فى سوريا دوراً مساعداً.

وبدأت المراسلات بين الشريف حسين ، والسير " ارثر هنرى مكماهون" المندوب السامى البريطانى ، وبلغ مجموع الرسائل المتبادلة بينهما عشر رسائل خلال عدة شهور ، وكان هدف الإنجليز منها إشعال الثـــورة ضـــد الأتـــراك ، ودارت حول حدود الدولة العربية ، وأن تكون الخلافـــة الإســـلامية عربيـــة ، وكيفية عقد تحالف دفاعى بين بريطانيا والدولة العربية المقترحة .

وقبل أن تنتهى مفاوضات العرب والإنجليز ، كانت بريطانيا قد دخلـــت فى مفاوضات سرية مع فرنسا وروسيا بدأت فى مارس ١٩١٥ م لتقسيم الدولة العثمانية فيما بينهم بعد انتهاء الحرب ، وهو الإتفاق الشهير الذى أصبح معروفاً باسم " سايكس – بيكو " فيما بعد ، وكان المبدأ الجوهرى لهذه الاتفاقـــات هـــو تصفية الدولة العثمانية فى ظل مبدأ توازن القوى فى حوض البحر المتوسط .

والذى لا شك فيه أن إتفاق سايكس – بيكو استهدف توزيع أقطار العرب على الحلفاء الغربيين ، ولم يدر بخلد العرب أن التفاهم على قيام الدولة العربية المنتظرة سوف يؤدى إلى حرمان العرب من استقلالهم وحريتهم بالصورة التى نص عليها اتفاق سايكس – بيكو.

أعلن الشريف حسين الثورة على الدولة العثمانية فى ١٠ يونيو ١٩١٦ م وأطلق بنفسه فى ذلك اليوم أول رصاصة على قلعة الأتراك فى مكة إيذاناً بإعلان الثورة ، وعزز حركته بمنشور أذاعه اتهم فيه الاتحاديين فى تركيا بالخروج على الشريعة الإسلامية ، واستطاعت القوات العربية الثائرة أن تستولى فى أقل من ثلاثة أشهر على جميع مدن الحجاز الكبرى باستثناء المدينة المنورة التى بقيت محاصرة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ولم يلبث أن بويع الشريف حسين ملكاً على العرب .

وقد نسفت القوات العربية بقيادة الأمير فيصل سكة حديد الحجاز ، واحتلت ينبع والعقبة ، واتخذ الثوار العرب من العقبة نقطة ارتكاز لهم ، ثم أخذ فيصل يتقدم ليحارب الأتراك فى منطقة شرقى الأردن ، وبذلك قدم للحلفاء أكبر مساعدة ، حيث استطاع اللورد " اللنبى " قائد القوات الإنجليزية أن يدخل القدس بمعاونة العرب ، كما أن احتلال الثوار العرب للمنطقة شرقى معان قد حمى ميمنة القوات البريطانية فى فلسطين من هجمات الأتراك عليها فى منطقة بئر سبع والخليل ، وحمى خطوط مواصلاتها ، ولم تلبث القوات العربية أن تقدمت فى سبتمبر ١٩١٨ م فاحتلت دمشق واصطدمت بالأتراك قبل أن يدخلها اللنبى ، ولم يمض أكثر من شهر حتى زال النفوذ العثمانى من سوريا ، بعد أن أمضى بها أربعة قرون .

والواقع أن الكثيرين من رواد الإصلاح أصيبوا بخيبة أمل كبيرة ، عندما علموا أن الأسطول الإنجليزى هو الذى أسقط ثغور جدة ورابغ وينبع وغيرها من موانئ الحجاز ، وأن ثغر بورسودان كان القاعدة التى انطلق منها الأسطول الإنجليزى لدعم ثورة الشريف حسين ، وازداد شعورهم بالخيبة عندما وجدوا ضباط إنجلترا وفرنسا هم الذين يقودون القبائل العربية مثل اللنبى وكوكس وكاترو وغورو ، والضابط الشهير لورانس ، ووصل الأمر ببعض

هؤلاء الضباط إلى ركل قبر الناصر صلاح الدين ، وإعلانه أن آخر الحروب الصليبية قد انتهت بدخول القدس ، ثم تكرست المرارة والحسرة عندما ارتفعت أعلام بريطانيا وفرنسا على المناطق التى قاتل فيها العرب ، ولم يكن بينها علم الدولة العربية المنتظرة.

وحاول الشيخ رشيد رضا أن يلفت نظر الشريف حسين إلى خطورة ما اقدم عليه ، لأن العدو الحقيقى هو الاستعمار الغربى لا الدولة العثمانية ، إلا أن بريق المصلحة وأحلام الملك والعرش كانا قد سيطرا على خيال الشريف حسين، فلم يستمع إلى صوت ناصح أو حكيم ، وإنما أمر بمنع دخول مجلة " المنار " التى يصدرها الشيخ رشيد رضا من دخول مكة .

لم يعلم العرب باتفاق سايكس – بيكو إلا عندما أعلنه البلاشفة بعد قيام ثورتهم فى روسيا ، وتأكد العرب أن الإتفاق أهمل تأسيس خلافة عربية ، وأعطى بعض أجزاء من الدولة العربية المنتظرة لفرنسا ، وأثار هذا الاتفاق حفيظة العرب ، إلا أنهم مضوا فى ثورتهم بعد الحصول على طمأنات من البريطانيين ، إلا أن الخلافات الحقيقة بين العرب والإنجليز تعمقت وظهرت مع إطلاق بريطانيا لوعد بلفور فى نوفمبر ١٩١٧ م وتعهدت فيه بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، ثم كانت الصدمة الثانية للعرب فى انعقاد مؤتمر " سان ريمون " فى أبريل ١٩٢٠ وتقرر فيه وضع القطاع العربى الشمالى الممتد من البحر المتوسط إلى فارس تحت الانتداب ، فأعطيت بريطانيا الانتداب على العراق وفلسطين وشرقى الأردن ، واعطيت فرنسا الانتداب على سوريا ولبنان .

لورانس العرب

اسمه الحقيقى توماس إدوارد لورانس (١٨٨٨ – ١٩٣٥م) ولد فى تريمادوك من قرى ويلز ، وتخرج بجامعة اكسفورد ، وسافر إلى سوريا وفلسطين بحجة إجراء دراسات أثرية ، وأقام مدة فى جبيل بلبنان تعلم بها مبادئ اللغة العربية قبل سنة ١٩١١م ، وأرسلته حكومته فى بعثة إلى صحراء سيناء فكتب دليلاً لها لاستعمال الجنود ، ونقل إلى مكتب المخابرات العسكرية فى القاهرة .

هذا الرجل من الشخصيات التى أبرزها الاستعمار وأحاطها بهالة ضخمة من البطولة ، شخصية الضابط لورانس الذى وصف بأنه (ملك العرب غير المتوج) والمغامر الذى كشفت المؤلفات والأبحاث عن هويته الاستعمارية وولائه المزدوج لبريطانيا والصهيونية العالمية ، وكيف خدع العرب وعايشهم فى خيامهم (إبان الحرب العالمية الأولى) على هدف واضح هو إسقاط الدولة العثمانية والإيقاع بين العرب والترك ، ودفع العرب إلى الاقتتال من أجل استيلاء فرنسا وبريطانيا على أراضى فلسطين وسوريا ولبنان .

وقد كشف عن هذه الخدعة التى قام بها فى كتابه (أعمدة الحكمة السبعة) حين قال : لو قيض للحلفاء أن ينتصروا فإن وعود بريطانيا للعرب لن

تكون سوى حبر على ورق ، ولو كنت رجلاً شريفاً وناصحاً أميناً لصارحتهم بذلك وسرحت جيوشهم وجنبتهم التضحية بأرواحهم فى سبيل أناس لا يحفظون لهم إلاً ولا ذمة ، أما الشرف فقد فقدته يوم أكدت للعرب بأن بريطانيا ستحافظ على وعودهم ، لقد جازفت بخديعة العرب لاعتقادى أن مساعدتهم ضرورية لانتصارنا القليل الثمن فى الشرق ، ولاعتقادى أن كسبنا للعرب مع الحنث بوعودنا أفضل من عدم الانتصار ، إنى أكثر ما أكون فخراً أن الدم الإنجليزى لم يسفك فى المعارك التى خضتها لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوى فى نظرى موت إنجليزى واحد .

كانت الحرب العالمية الأولى تدور على قدم وساق ، وسمع القادة الكبار فى الجيش البريطانى بخبرته فى دروب القوافل القديمة فى فلسطين والعراق وشبه الجزيرة العربية ، كما عرفوا أيضاً أنه يتحدث العربية بطلاقة ويعرف الصحارى العربية مثلما يعرف معظم البريطانيين حدائقهم ، ولهذا كان لورانس مصدراً مهماً للعون بالنسبة للجيش البريطانى الذى يريد تخطيط هجومه على تركيا ، وطلب منه أن يلتحق بالقاهرة .

بدأ لورانس الذى حصل على رتبة لفتنانت ، يقدم المشورة للمخططين العسكريين بخصوص أفضل الدروب الصحراوية لعبورها أثناء حملتهم العسكرية.

وحين بدأت الثورة العربية عندما ثار الشريف حسين وابنه الأمير فيصل على تركيا عام ١٩١٥م ، انضمت إليه بعض القبائل التى تعيش على السواحل الشرقية للبحر الأحمر ، لكنهم تعرضوا لهزيمة وخسائر ضخمة ، فطلب الأمير فيصل من القوات البريطانية فى مصر تقديم العون له ، وأسرع القادة البريطانيون فى القاهرة بإجابة طلبه ، وأرسلوا لورانس على رأس قافلة ضخمة

من الجمال تحمل شحنة من بنادق الجيش البريطانى الجديدة وكميات كبيرة من الذخائر.

نظم لورانس قوة صغيرة ضاربة ، واختار لها مجموعة من المقاتلين العرب المعروفين بجرأتهم وحنكتهم فى القتال ، وبعد تسليحهم بالبنادق والذخائر، ترأسهم وانطلق بهم على الجمال ومضوا عميقاً فى قلب الصحراء يحمل كل منهم مؤونته الخاصة ، وسرعان ما بدأوا هجماتهم على الحاميات التركية فى القرى المعزولة وتطورت هجماتهم فى غضون أسابيع حتى أصبحت الموانئ الصغيرة على الساحل الشرقى للبحر الأحمر تحت سيطرتهم .

بعد الاستيلاء على العقبة ، قاد لورانس جيشه المهاجم إلى الشمال عبر الصحراء وقرر استهداف السكك الحديدية التركية التى تمتد شمالاً عبر فلسطين وسوريا إلى تركيا من الجزيرة العربية ، كانت القطارات التركية تنقل التعزيزات من رجال وسلاح لإمداد الحاميات التركية على الطريق إلى المدينة المنورة ، وبدأ لورانس بنسف الخطوط الحديدية والقطارات والجسور والتحصينات على الطريق فى ٧٩ هجوماً عليها .

كان لورانس يعمل جاسوساً خلف خطوط العدو ودخل المدن التى يسيطر عليها الأتراك متخفياً بزى العرب وجمع أسراراً عسكرية قيمة كان يرسلها من فوره إلى الفيلد مارشال اللنبى القائد الأعلى للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط .

فى خريف ١٩١٧م دخلت قوات اللنبى أراضى فلسطين وكانت ميمنة هذه القوات من المقاتلين العرب الذين يقودهم لورانس ٢٥٠ ألف مقاتل ، وطوال صيف ١٩١٨م تقدم الجيش مستولياً على مواقع وحاميات الأتراك وحتى الانهيار

الكامل لجيوش الأتراك ، وبتوقيع معاهدة الصلح أتى وجوده بين العرب إلى نهايته ، وبهدوء غادر إلى القاهرة ومنها إلى إنجلترا .

توفى عام ١٩٣٥ م عن ستة وأربعين عاماً بعد سقوطه من دراجته النارية التى كان يقودها بسرعة كبيرة فى مدينة لكسفورد .

معاهدة فرساى ...
التمهيد النيرانى للحرب العالمية الثانية

معاهدة فرساى هى المعاهدة التى أسدلت الستار بصورة رسمية على وقائع الحرب العالمية الأولى ، وتم التوقيع على المعاهدة بعد مفاوضات استمرت ٦ أشهر عام ١٩١٩م ووقع الحلفاء المنتصرون فى الحرب العالمية الأولى من جانب ، و الجانب الألمانى المهزوم فى الحرب من جانب آخر فى ٢٨ يونيو ١٩١٩م.

وتم تعديل المعاهدة فيما بعد فى ١٠ يناير ١٩٢٠ لتتضمن الاعتراف الألمانى بمسئولية الحرب ويترتب على ألمانيا تعويض الأطراف المتضررة مالياً .

وسميت معاهدة فرساى بالمكان الجغرافى الذى تم فيه توقيع المعاهدة وهو مدينة فرساى الفرنسية.

وقد أدت معاهدة فرساى إلى تغيير خريطة العالم ، وبخاصة أوربا وأخذت طابع الانتقام ضد ألمانيا مما دفع بأحد أعضاء الوفد الألمانى فى مؤتمر الصلح فى فرساى سنة ١٩١٩م إلى القول للحلفاء : " سنراكم مرة ثانية بعد عشرين عاماً " ، وصدقت توقعات الرجل ، فكانت الحرب العالمية الثانية التى طالت أغلب دول العالم ، وكانت الأعنف فى حروب البشر وصراعاتهم.

خسرت ألمانيا بسبب معاهدة فرساى ١٢,٥% من مساحتها ، و ١٢% من سكانها (حيث دخل نحو مليونى ألمانى فى حدود بولندا ، ونحو ثلاثة ونصف مليون ألمانى فى حدود تشيكوسلوفاكيا التى نشأت بعد الحرب العالمية الأولى) ، كما خسرت حوالى ١٥% من إنتاجها الزراعى ، و ١٠% من صناعاتها ، و ٧٤% من إنتاجها من خام الحديد ، وتقلصت مساحة السواحل الألمانية على بحر البلطيق وبحر الشمال.

كما نصت المعاهدة على عدم قيام الوحدة بين ألمانيا والنمسا التى تضم أكبر مجموعة من الألمان تعيش خارج ألمانيا ، إضافة إلى كل ذلك تقرر أن تخلى ألمانيا المناطق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الراين بعرض ثلاثين ميلاً من القوات العسكرية ، وكانت فرنسا تريد فصل هذه المنطقة عن ألمانيا ، وإقامة دولة مستقلة فيها تكون حاجزاً بينها وبين ألمانيا التى أجبرت على التخلى عن مستعمراتها فيما وراء البحار.

وفيما يتعلق بالقيود العسكرية على ألمانيا ، فقد فرضت الاتفاقية أشد الضوابط والقيود على الآلة العسكرية الألمانية لكى لا يتمكن الألمان من إشعال حرب ثانية كالحرب العالمية الأولى ، فقد نصت على احتواء الجيش الألمانى على ١٠٠,٠٠٠ جندى فقط وإلغاء نظام التجنيد الإلزامى الذى كان يعمل به فى ألمانيا ، وحرمت ألمانيا من إنشاء قوة جوية ، والتقيد بـ ١٥,٠٠٠ جندى للبحرية بالإضافة إلى حفنة من السفن الحربية بدون غواصات حربية ، ولا يحق للجنود البقاء فى الجيش أكثر من ١٢ عاماً ، وفيما يتعلق بالضباط فأقصى مدة يستطيع الضباط البقاء بها فى الجيش هى فترة ٢٥ عاماً لكى يصبح الجيش الألمانى خالياً من الكفاءات العسكرية المدربة .

ونصت الفقرة ٢٣٢ من المعاهدة على تحمل ألمانيا مسئولية الحرب وتقديم التعويضات للأطراف المتضررة وقدرت تلك التعويضات بـ ٢٦٩ بليون

مارك ألمانى ذهبى وخفض هذا المبلغ ليصبح ١٣٢ بليون مارك ذهبى ، ويفيد الاقتصاديون انه بالرغم من تخفيض الرقم الكلى لتعويضات الأطراف المتضررة، إلا أن المبلغ يبقى مبالغ فيه ، وانثقلت الديون الملقاة على عاتق ألمانيا عجلة الاقتصاد الألمانى.

وأصبحت ألمانيا بعد هذا كله لا حول لها ولا قوة ، أما فرنسا فرأت أن ألمانيا لم تتحطم بعد ، فأقدمت عام ١٩٢٣م على احتلال إقليم " الروهر " الألمانى الغنى بالمناجم ، وعللت ذلك بأن هذا الأمر سيرغم ألمانيا على دفع التعويضات.

ساهمت تلك الشروط بإلحاق العديد من الأزمات فى الاقتصاد الألمانى وتعمقت تلك الأزمة فى عام ١٩٢٩ بالأزمة الاقتصادية العالمية ، لتتوقف أغلب المصانع الألمانية وزاد عدد العاطلين بها عن ستة ملايين عامل وانتشرت روح القلق والسخط فى نفوس العمال ، وخرجت المظاهرات ترفع الأعلام الحمراء (التى كانت تعبر عن الشيوعية) ، وتطلع الشعب الألمانى إلى حزب العمال الاشتراكى الوطنى النازى الذى يرأسه أدولف هتلر ليكون المخلص لهم مما يعانون وتعانى بلادهم ، فانضم إليه الجنود القدامى وكثير من أرباب المهن.

وراقت فكرة النازية للعديد من الألمان حيث كانت تنادى بتوحيد الألمان فى دولة واحدة تتساوى مع الدول الكبرى ، وإلغاء معاهدة فرساى ، وإبعاد اليهود والأجانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى ألمانيا .

وحصل حزب هتلر على المركز الثانى بانتخابات الريخستاج (البرلمان) ١٩٣٠ ، وتولى هتلر منصب المستشارية (رئاسة الوزراء) فى ألمانيا فى عام ١٩٣٣م.

وحل بعدها الريخستاج وأجرى انتخابات جديدة وأعلن أن الحزب

الوطنى الاشتراكى النازى هو الحزب القانونى الوحيد فى البلاد ، وتولى بالإضافة إلى منصب المستشارية رئاسة الدولة فى عام ١٩٣٤م.

مع تولى النازيين بزعامة هتلر للحكم فى ألمانيا تغير ميزان القوى فى أوربا إذ كانت سياسة هتلر الخارجية تهدف فى البداية إلى إزالة عار هزيمة الحرب العالمية الأولى وتبعاتها عن بلاده لتحتل مكان الصدارة بين الأمم وتصفية حسابها مع من أذلوها خاصة فرنسا ، وأن يتم توحيد وضم الشعوب الألمانية فى دولة واحدة ، وكانت خطواته لتحقيق ذلك تحطيم معاهدة فرساى ، والقضاء على بنودها ، ثم بسط السيطرة الألمانية على أوربا.

لذا شرع هتلر فى إعادة تسليح ألمانيا ، فأعلن فى عام ١٩٣٥م امتلاك السلاح الجوى ، وعقد اتفاقاً بحرياً مع بريطانيا فى نفس العام ألغى فيه التحديد الصارم للقوات البحرية الألمانية مقابل اعترافه بتفوق القوات البحرية البريطانية، وتساهلت معه بريطانيا فى عدد وحمولات الغواصات التى يمكن لألمانيا امتلاكها ، وبذلك استطاع أن يفصل بريطانيا عن الحلف الذى اقامته فرنسا مع الاتحاد السوفيتى .

كما زاد عدد قوات الجيش الألمانى إلى ٣٠٠ ألف مقاتل وفرض الخدمة العسكرية الإجبارية ، ليصبح تعداد الجيش الألمانى نصف مليون جندى .

وفى عام ١٩٣٦ شرع هتلر فى احتلال أراضى الراين رغم أن صلح فرساى ينص على أن تكون منطقة منزوعة السلاح ضماناً لأمن فرنسا ... وبدأ العد التنازلى للحرب العالمية الثانية .

أول منظمة دولية فى التاريخ

تعتبر عصبة الأمم التى أنشئت عام ١٩١٩م أول منظمة دولية فى التاريخ ... وقد نشأت الفكرة أساساً على يد وزير الخارجية البريطانى " أدوارد جرى " وتبناها بشكل كبير الرئيس الأمريكى " تيودور ويلسون " الذى أراد أن تتضمن معاهدة فرساى نصاً يدعو لإنشاء تلك المؤسسة الأممية ، وقد تم بالفعل إدراج نص التأسيس فى ٢٥ يناير ١٩١٩م فى الجزء الأول من المعاهدة .

عقدت عصبة الأمم أول اجتماعاتها فى ١٠ يناير ١٩٢٠م وجعلت من معاهدة فرساى النهاية الرسمية للحرب العالمية الأولى ، وبالرغم من تأييد الرئيس ويلسون لفكرة عصبة الأمم إلا أن الولايات المتحدة بقيادة الكونجرس الجمهورى رفضت التصديق على ميثاق العصبة أو الانضمام لها ، فقد رأت الولايات المتحدة فى النظام التأسيسى للعصبة محاولة من الدول الأوربية الاستعمارية الكبرى للاستئثار بغنائم الحرب العالمية الأولى .

كان للعصبة مجلس يتكون من أربعة مقاعد دائمة لبريطانيا وإيطاليا وفرنسا واليابان بالإضافة إلى مقاعد أخرى غير دائمة وكانت الاجتماعات تمثل بمندوبين عن دول العصبة ، وتمثل الإشكال فى التصويت على القرارات بشكل جماعى ، الأمر الذى لم يكن وارداً على أرض الواقع ناهيك عن عدم اكتمال

النصاب من قبل الدول الأعضاء بعدم التمثيل الدائم فى جنيف مقر العصبة ، بالإضافة إلى انشغال العصبة فى أمور دولية أخرى كالمحكمة الدولية.

وتجدر الإشارة إلى أن عصبة الأمم كانت موفقة إلى حد ما فى حل النزاعات الثانوية العالمية فى عشرينيات القرن العشرين ، ولكنها وقفت عاجزة عن كوارث ثلاثينيات القرن أو الحرب العالمية الثانية مما استدعى تفكيك المنظمة من تلقاء نفسها فى ١٨ أبريل ١٩٤٦م والاستعاضة عنها بمنظمة الأمم المتحدة.

ظهرت فكرة إنشاء منظمة الأمم المتحدة فى وقت الحرب بانعقاد المؤتمرات فى موسكو وطهران ، ففى عام ١٩٤٣م اقترح الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت تسمية " الأمم المتحدة " وكان أول استعمال لهذا التعبير فى ١يناير ١٩٤٢م بإعلان منظمة الأمم المتحدة ويذكر أن الحلفاء قد استعملوا تعبير الأمم المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية للإشارة إلى تحالفهم فقط.

فى ٢٥ ابريل عام ١٩٤٥م عقد مؤتمر الأمم المتحدة بحضور منظمات وهيئات عالمية فى مدينة سان فرانسسكو ، بالإضافة إلى الحكومات وقد وقعت ٥٠ دولة تألفت منها الأمم المتحدة فى ذلك الوقت على الدستور بعد شهرين وبالتحديد ٢٦ يونيو فى بولندا ، التى لم تكن حاضرة فى ذلك المؤتمر ، لكنها وقعت عليه بعد ذلك لتكون حصيلة الموقعين على الدستور ٥١ بلداً ، وظهرت الأمم المتحدة إلى الوجود فى ٢٦ أكتوبر ١٩٤٥م بعد تصديق الدستور من قبل الأعضاء الدائمين الخمسة فى مجلس الأمن – جمهورية الصين ، فرنسا ، الاتحاد السوفيتى ، المملكة المتحدة ، والولايات المتحدة – وبأغلبية من الموقعين الآخرين ال ٤٦ ، وفى ديسمبر عام ١٩٤٥م طلب مجلس الشيوخ ومجلس النواب الأمريكى بالإجماع من الأمم المتحدة أن يكون مقرها الرئيسى فى الولايات المتحدة وقبلت الأمم المتحدة الطلب وتم بناء المقر فى مدينة

نيويورك بين عامى ١٩٤٩م و ١٩٥٠م وفتح مقر الأمم المتحدة رسمياً فى ٩يناير عام ١٩٥١م تحت اتفاقية خاصة مع الولايات المتحدة منحت بعض الامتيازات والحصانات الدبلوماسية .

وبينما يقع المقر الرئيسى للولايات المتحدة فى مدينة نيويورك فإن له وكالات رئيسية واقعة فى جنيف فى سويسرا ، لاهاى فى هولندا ، فيينا فى النمسا ، وفى أماكن أخرى .

وفى ٢٥ أكتوبر صادقت الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة على قرار ٢٧٥٨ الذى ينص على استبدال حكومة جمهورية الصين بحكومة جمهورية الصين الشعبية كالحاكم القانونى والممثل الشرعى للصين فى الأمم المتحدة وكأحد الأعضاء الخمسة الدائمين فى مجلس الأمن.

كان عند مؤسسى الأمم المتحدة آمال كبيرة فى منع النزاعات بين الدول وجعل الحروب المستقبلية مستحيلة ، تلك الآمال من الواضح أنها لم تدرك بعد .

أول محطة إذاعة فى العالم

كان اختراع الراديو وتحويله إلى وسيلة اتصال جماهيرية محصلة جهود تكنولوجية تراكمت على مدى ٧٠ عاماً ، إذ ترجع الحاجة إلى اختراع وسيلة لنقل الرسائل الصوتية عبر مسافات طويلة إلى عام ١٨٣٠ عندما بدأ تشغيل السكك الحديدية فى العالم ، فقد كان يتطلب توفير أكبر قدر ممكن من الأمان لسير القطارات استخدام نظام للتراسل بين المحطات البعيدة تفوق سرعته سرعة القطارات .

وبدءاً من أربعينيات القرن التاسع عشر بدأ التطور التكنولوجى السريع يأخذ مساراً جديداً وتوالت الاختراعات واحدة تلو الأخرى ، وكانت البداية باختراع التلغراف الكهربائى ١٨٤٤ ، ثم تلاه التليفون السلكى ١٨٧٦ ثم التلغراف اللاسلكى ، والذى اخترعه ماركونى ١٨٩٦ .

وقد أجرى علماء عديدون تجارب لاختراع التلغراف اللاسلكى ويعود إلى العالم الألمانى هانريش هيرتز اكتشاف ما يسمى بالموجات الكهرومغناطيسية التى تسافر فى الفضاء بسرعة الضوء ، وذلك فى عام ١٨٨٨ وقد عرفت هذه الموجات فيما بعد باسم موجات الراديو وأصبحت تقاس بالهيرتز نسبة إلى مكتشفها .

وقد صمم هيرتز جهازاً لاكتشاف وتوليد هذه الموجات وكان هذا الاكتشاف هو الأساس العلمى الذى قامت على أساسه الإذاعة .

فى عام ١٨٩٥ نجح الشاب الإيطالى جوليلمو ماركونى فى ارسال رسائل مشفرة يصل مداها إلى نحو ميل وتوصل إلى أول تلغراف لاسلكى يعرفه العالم.

وقد قام ماركونى بتقديم اختراعه للحكومة الإيطالية محاولاً اقناعها بتمويله ولكن الحكومة رفضت ذلك بحجة أن الجهاز لا قيمة له ، الأمر الذى دفع ماركونى إلى الرحيل إلى إنجلترا حيث حصل فى عام ١٨٩٧ على براءة باختراع التلغراف اللاسلكى كما حصل على الدعم المالى اللازم لتطوير الجهاز الجديد.

وبحلول عام ١٩٠١ كان ماركونى قد طور جهازاً أكثر قوة تمكن من خلاله من نقل الرسائل اللاسلكية عبر المحيط الاطلنطى وقد عرف جهاز ماركونى باسم الراديو وكان كبير الحجم وثقيل للغاية ولا تحمله إلا السفن الكبيرة .

كما تمكن ماركونى فى عام ١٩٠٤ من اختراع جهاز لتوليد واكتشاف طول موجات الراديو ، وقد سمح هذا الاختراع بإذاعة رسائل على طول موجة أو تردد محدد مما يمنع تداخل رسالة مع أخرى تذاع فى نفس الوقت .

وقد استثمر ماركونى نجاح اختراعه فى إنشاء شركة خاصة به هى شركة ماركونى الأمريكية فى عام ١٨٩٩، وفى عام ١٩١٣ كانت هذه الشركة تحتكر استخدام التلغراف اللاسلكى فى معظم أنحاء العالم .

وقد تحول راديو ماركونى إلى وسيلة مهمة للغاية فى الاتصال فى

المجالات العسكرية والتجارية كما تم استخدامه فى السفن والقواعد البحرية .

وعلى الرغم من أهمية اختراع ماركونى فى ذلك الوقت إلا أن أحداً من الناس حينذاك لم يتخيل أن هذا الاختراع سيصبح يوماً جزءاً من الحياة اليومية لكل أسرة تقريباً .

فى مساء ليلة عيد الميلاد عام ١٩٠٦ تمكن أحد هواة الراديو الأمريكيين ويدعى رينالد فسندن من إدخال الصوت البشرى فى الإشارات المرسلة بالتلغراف اللاسلكى ، وسمع عمال اللاسلكى على ظهر السفن فى عرض الاطلنطى صوتاً بشرياً يتحدث اليهم عبر سماعات الأذن وكان من الصعب تصديق الأمر حيث أعد رينالد فسيندن جهازاً يسمح بإذاعة إشارات أكثر تعقيداً من تلك التى كانت مستخدمة وهى اشارات مورس ، بالإضافة إلى ذلك فإنه استطاع عمل جهاز ارسال ذى قوة عالية لاستخدامه فى تجاربه وفى مساء ذلك اليوم تكلم عدة أشخاص عبر اللاسلكى ، ألقى أحدهم خطبة وقرأ آخر شعراً وعزف ثالث على آلة الفيولين وبذلك أصبح الراديو الصوتى حقيقة واقعة .

فى البداية استخدام الراديو فى إرسال الرسائل للسفن وهى فى البحر حتى تغير اتجاهها أو إشارات الاستغاثة فى حالة حدوث كارثة بعيداً عن الشاطئ ، وقد وفر ذلك على شركات التأمين مبالغ طائلة .

وبالرغم من مزايا الراديو الواضحة فى هذا المجال كان لابد من حدوث كارثة حتى يقتنع المتشككون بمزايا الراديو الضخمة فى مجال الاتصال البحرى ... وقد كان للراديو الفضل فى إنقاذ ركاب السفينة (ريبيلك) التى كانت تغرق وأرسلت رسائل استغاثة بالراديو التقطتها السفن القريبة منها وسارعت إلى إنقاذ جميع ركابها من الغرق .

ولقد لعبت أجهزة التلغراف اللاسلكى دوراً مهماً فى الحرب العالمية

الأولى حيث استخدمتها الجيوش فى الاتصال بين وحداتها كما استخدمها الطيارون للاتصال بالقواعد الجوية .

وبعد انتهاء الحرب زاد الاهتمام الشعبى بالراديو بعد أن نجحت إحدى الشركات فى إنتاج وتسويق مكونات أجهزة للاستقبال يقوم الأفراد بشرائها وإعادة تجميعها فى منازلهم لالتقاط إشارات الراديو المشفرة والإشارات الصوتية .

ظهرت المحطة الإذاعية الأولى فى الولايات المتحدة الأمريكية فى مدينة بيتسبرج بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٠ أذيعت من خلالها نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية ، وقد استمع جمهور يقدر عدده بحوالى ألف وخمسمائة مستمع على الهواء لإعلان فوز وارين هاردينج رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية ، وقد كان هذا الحدث نجاحاً هائلاً للإذاعة .

وخلال النصف الأخير من عام ١٩٢١ صدرت تراخيص لانشاء ٣٢ محطة ، وفى النصف الأول من عام ١٩٢٢ ارتفع هذا الرقم إلى ٢٥٤ محطة وانطلق الراديو كوسيلة اعلام جماهيرية .

درب التبانة

المجرة عبارة عن تجمع هائل ومركز للشموس ، وحتى سنة ١٩٢٤ لم يكن يعرف من المجرات غير مجرتنا ، ثم قام العالم أدوين هابل مستعملاً أكبر تليسكوب فى العالم فى ذلك الوقت (تلسكوب ماونت ويلسون) ليبرهن على أن بعض السدم الضبابية التى كانت ترصد ما هى إلا مجرات بعيدة ، ودلل على أن المجرات عالم قائم بذاته يتألف من مئات مليارات النجوم ، وطرح ذلك رؤيـة جديدة للكون لم يكن أحد قد استطاع التوصل إليها قبله .

وفى سنة ١٩٢٦ م كان هابل أول من صنف المجرات فى مجموعـات تبعاً لشكلها ، وقد قسم المجرات إلى ثلاثة أقسام وفقاً لشـكلها هـى المجـرات البيضاوية واللولبية وغير المنتظمة .

وتشير التقديرات الرياضية إلى أن هناك حوالى ١٠٠٠ بليون مجـرة ، ولكن لأن الأدلة تثبت باستمرار أن الكون لا نهاية له ، فإن عدد المجرات أيضاً لا نهاية له .

وكما أن الخلية هى الوحدة الأساسية فى بناء جسم الكائن الحى ، فـإن المجرة هى الوحدة الأساسية فى البناء الكونى وتجتمع مع بعضها كمـا يتجمـع الأفراد لتشكيل المجتمع ، وهى تدخل ضمن دورة حياتية من الولادة والتطور ثم

التلاشى بحيث أن حياتها تنتهى بانفجار ينجم عنه تبعثر شديد وتطاير كبير للمادة الأساسية فيها لتعود إلى ما يشبه ما قبل مرحلة نشأتها الأولى .

إن كوننا المرصع بالنجوم والمجرات يحتويه فضاء لا نهائى ، بل أن فضاء ما بين المجرات أكثر فراغاً من فضاء ما بين النجوم ، وتبدو هذه المجرات سابحة ومبتعدة عنا فى جميع الاتجاهات إلى مالا نهاية .

إن عمليات المسح الفوتوغرافى للسماء تدل على أن معظم المجرات تنتمى إلى مجموعات تسمى (حشود المجرات) ، وتختلف هذه الحشود من خلال أعداد مجراتها فبعضها لا يتجاوز بضع مجرات وبعضها الآخر يحوى الآلاف من المجرات .

وتنتمى مجموعتنا الشمسية بما فيها من كواكب وكويكبات ومذنبات بالإضافة لكل النجوم المرئية فى السماء إلى مجرة درب التبانة ، التى تنتمى بدورها إلى حشد صغير يضم ٣٠ مجرة ويسمى المجموعة الموضعية Local Group ، ويقع هذا الحشد ضمن منطقة قطرها ٣ ملايين سنة ضوئية ويضم ثلاث مجرات لولبية هى مجرتنا ومجرة المرأة المتسلسلة ومجرة M33 ، ومجرات بيضاوية مثل M32 و NGC 205 ، ومجرات غير منتظمة مثل سحابتى ماجلان .

وقد جاءت تسمية درب التبانة من تشبيه عربى حيث رأى العرب أن ما يسقط من التبن الذى كانت تحمله ماشيتهم يظهر أثره على الأرض كأذرع ملتوية تشبه أذرع مجرتنا (درب التبانة) ... كما تسمى المجرة أيضاً بدرب اللبانة ويرجع سبب التسمية إلى أن جزءاً منها يرى فى الليالى الصافية كطريق أبيض من اللبن يتمثل للرائى بسبب النور الأبيض الخافت الممتد فى السماء نتيجة الملايين من النجوم المضيئة ، والتى تبدو كأنها متجاورة رغم أبعادها

الشاسعة ، وهذا هو سبب تسميتها بالإنجليزية بدرب اللبانة ، أو الطريق اللبنى Milky Way .

وتضم مجرة درب التبانة ما يزيد عن ٢٠٠ مليار نجم ، وهى على شكل عجلة لولبية قطرها ١٠٠ ألف سنة ضوئية ، وتسير المنظومة الشمسية التى تبعد عن المركز ٣٠ ألف سنة ضوئية بسرعة ٢٥٠ كم / ث ، أى أنها تحتاج إلى ٢٥٠ مليون سنة لإتمام دورة واحدة حول المركز .

يبلغ قطر المنطقة المركزية حوالى ٢٠ ألف سنة ضوئية وهى منطقة من الصعب رؤيتها لكونها مختبئة فى غيوم كثيفة من الغاز والغبار الكونى ، ولكن نعلم أن أغلب النجوم فى هذه المنطقة من النجوم القديمة ، ولها من العمر حوالى ١٠ مليار سنة أو أكثر ، كما أن المنطقة كثيفة النجوم للغاية ، وفى منتصف المنطقة المركزية يوجد ثقب أسود كبير تبلغ كثافته ٢,٥ مليون مرة كثافة شمسنا .

وقد تكونت مجرتنا منذ ١٠ إلى ٢٠ مليار سنة مضت (أى بعد بداية الكون بمئات ملايين السنين) ويبلغ عمر أقدم نجومها ١٨ مليار سنة ، ونشأت فى سحابة كونية تتألف من الهيدروجين والهليوم ، ثم قامت قوى ضغط الغاز والاشعاع والدوران على تشكيل مجرتنا بشكلها الحالى .

اجاثا كريستى

اجاثا كريستى (١٨٩٠ – ١٩٧٦م) كاتبة إنجليزية ، تعد أشهر مؤلفة للروايات البوليسية فى العالم ، حيث بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها التى ترجمت لأكثر من ٤٥ لغة .

ولدت من أب أمريكى وأم إنجليزية ، وتلقت اجاثا تعليمها فى البيت مثل فتيات كثيرات من العائلات الموسرة وحسب التقاليد آنذاك ، ثم التحقت بمدرسة فى باريس وجمعت بين تعلم الموسيقى والتدريب عليها وزيارة المتاحف والمعارض الكثيرة فى فرنسا .

عادت إلى إنجلترا فى العشرينيات من عمرها ، وتزوجت ارتشى كريستى عام ١٩١٤ ، ومنه أخذت لقبها الذى لازمها طوال حياتها ، ولكن زواجهما فشل ...

وفى عام ١٩٣٠ تزوجت من (ماكس مالوان) عالم الآثار المعروف بعد أن التقت به فى إحدى رحلاتها إلى العراق ، وكان عمرها ٣٩ سنة بينما كان عمره ٢٦ سنة ... وقد أتاح لها زواجها هذا أن تزور معظم بلاد الشرق الادنى فتجولت فى بلاد العراق والشام ومصر وبلاد فارس ... إلخ ، ووفر لها هذا التجوال فرصاً ممتازة لكتابة أجمل رواياتها وقصصها المليئة بالأسرار ،

المفعمة بالغموض ، المعتمدة ليس على مواقع الحدث فى بلاد الشرق الساحرة فقط وإنما على خيال الكاتبة الجامح أيضاً ولغتها المتدفقة وقدرتها الفريدة على ابتكار الشخصيات الغامضة والمثيرة وتحريكها عبر الرواية باتجاهات مختلفة تذهل القارئ !! بل تشده وتدهشه .!!

ولعل الاستقرار العائلى الذى أتاحه لها زواجها من (مالوان) – فضلاً عن عوامل أخرى – كان من أسباب استقرارها النفسى والفكرى مما هيأ فرص الكتابة والإنتاج الأدبى حتى وهى ترافق زوجها فى إقامته بالمواقع الأثرية .

وفى زياراتها المتكررة إلى سوريا برفقة زوجها عالم الآثار الذى كان يعمل فى أحد المواقع الأثرية فى شمال شرق سوريا ، سكنت اجاثا كريستى فى فندق بمدينة حلب وهو (فندق بارون) الذى كان مقصد المشاهير وخاصة من أوربا والقادمين على متن قطار الشرق السريع إلى حلب وكتبت قصتها الشهيرة (جريمة فى قطار الشرق السريع) أثناء مكوثها فى حلب وما تزال ذكراها فى إحدى زوايا الفندق العريق فندق بارون إلى اليوم.

كما زارت الكاتبة مصر ودرست حضارتها وتاريخها وكتبت الرواية المعروفة (موت على النيل) التى حولت إلى مسرحية عام ١٩٤٦ بعنوان (جريمة قتل على النيل) كما كتبت الرواية الثانية (الموت يأتى فى النهاية) وذلك عام ١٩٤٥ ، كما كانت قد كتبت مسرحية (اخناتون) الملك المصرى الذى فرض ديانة جديدة ، وقد اعدت اجاثا كريستى لكتابة هذه المسرحية منذ زيارتها (الأقصر) جنوب مصر عام ١٩٣١ ، واستعانت بخبرة علماء الآثار فى رسم شخوص المسرحية التى أصدرتها إحدى دور النشر عام ١٩٧٣...

تربعت اجاثا كريستى على عرش الرواية البوليسية طوال نصف قرن دون منازع ، وألفت ٨٥ رواية بمعدل رواية لكل عام من عمرها ، واحتوت

هذه الروايات كماً هائلاً من الألغاز والحبكات الغامضة سواء فى البناء القصصى أو الحوار أو الشخصيات أو مواقع الأحداث التى تنوعت بين المدن الشرقية والمعابد والقصور والطائرات والقطارات والصحارى فى لغة انسيابية جاذبة للقارئ حتى نهاية الرواية.

الأوسكار

منذ تأسيس أكاديمية الفنون والعلوم السينماتية الأمريكية فى كاليفورنيا عام ١٩٢٧ (وهو التاريخ الذى يوافق بداية الفيلم الناطق) قررت اللجنة المشرفة على الأكاديمية والمكونة من كبار منتجى وممثلى ومخرجى السينما آنذاك ، إيجاد جائزة تعطى كل عام لأفضل فيلم ، ومخرج ، وممثل ، وممثلة ، بالإضافة إلى جوائز أخرى وسميت الجائزة " بجائزة الاستحقاق الأكاديمية " ... أما اسم أوسكار فيذكر أن مارغريت هيريك ، التى كانت تعمل فى مكتبة الأكاديمية وأصبحت مديرتها فيما بعد ، عندما رأت التمثال صاحت " يا إلهى أنه يذكرنى بعمى أوسكار " فسمعها صحفى وأعجبته وأطلقها لقباً للفكاهة ، لكن لم تؤخذ التسمية أوسكار بشكل رسمى حتى عام ١٩٣٤ عندما أطلق والت ديزنى فى حفل رسمى اسم أوسكار على الجائزة ، وجائزة الأوسكار عبارة عن تمثال من المعدن ومطلى بالذهب ، ابتكره سيدريك غيبون ، ويمثل رجلاً يحمل سيفاً واقفاً فوق بكرة شريط أفلام .

لم يكن حفل إعطاء جوائز الأوسكار فى السنوات الأولى على هذه الضخامة والجاذبية التى نعرفها اليوم ، ذلك أن أول حفل لإعطاء الجوائز تم على شكل مأدبة فى السادس عشر من مايو سنة ١٩٢٩ فى فندق روزفلت

هوليود وكان عدد الحاضرين ٢٥٠ شخصاً وتكلفة بطاقة الدخول عشرة دولارات، وفى السنوات العشر الأولى كانت النتائج تعطى مقدماً إلى الصحافة لكى تنشر فى نفس ليلة التوزيع وكان الفائزون على علم بفوزهم بالجائزة قبل التسلم .

ولم يؤخذ بالمظروف المختوم المغلق إلا اعتباراً من سنة ١٩٤١، على أن ظروف الحرب غيرت حفل توزيع الجوائز من مأدبة تقام فى فندق إلى حفل داخل صالة سينما ، وتبث عبر الأثير ، وقد تم تغطية أخبار الحفل أثناء الحرب مباشرة عن طريق الراديو خارج أمريكا وكان يتابعها الجنود الأمريكيون ، وفى الخمسينيات بدأت تنقل على التليفزيون ، وكان حفل التوزيع يتم فى هوليود حتى ١٩٦٩ حيث انتقلت مراسم الحفل من داخل هوليود إلى " مركز الموسيقى " فى لوس انجلوس ، ومنذ عام ١٩٨٦ أخذ يتنقل حفل التوزيع ما بين "مركز الموسيقى" و " قاعة شراين ".

ومنذ الدورة الـ ٧٤ بدأت تتم مراسيم توزيع جوائز الأوسكار فى "مسرح كوداك " فى قلب هوليود حيث انطلقت من هناك قبل أكثر من سبعين سنة ، وقد اشتغل كبار الأخصائيين فى الديكور والإنارة على تنظيم القاعة بشكل جديد ومميز ، وقد تم افتتاح هذا المسرح الجديد سنة ٢٠٠١ وكلف إنجازه ما يقارب ٩٠ مليون دولار وقد جهز بأحدث التقنيات الصوتية والضوئية والمسرحية .

ومن أشهر الأفلام التى حصلت على أكبر عدد من جوائز الأوسكار تيتانيك (١١ جائزة) عام ١٩٩٧ ، وملك الخواتم (١١ جائزة) عام ٢٠٠٣، وقصة الحى الغربى (١٠ جوائز) عام ١٩٦١ ، وذهب مع الريح (٩ جوائز) عام ١٩٣٩ ، والامبراطور الأخير (٩ جوائز) عام ١٩٨٧ ، والمريض الإنجليزى (٩ جوائز) عام ١٩٩٦.

الكسندر فلمنج ... مكتشف البنسلين

ولد الكسندر فلمنج (١٨٨١ – ١٩٥١) باسكتلندا ، وعمل بعد تخرجه فى المدرسة الطبية بلندن فى دراسات التعقيم ، وعندما التحق بالجيش فى الحرب العالمية الأولى كان مهتماً بالجروح والعدوى ، ولاحظ أن الكثير من المطهرات تؤذى خلايا الجسم أكثر مما تؤذيها الميكروبات نفسها ، وأيقن الحاجة إلى مادة تقضى على البكتريا ولا تؤذى خلايا الجسم.

وفى عام ١٩٢٢ ذهب إلى معمله يستكمل دراساته واهتدى إلى مادة أطلق عليها اسم ليسوزيم يفرزها الجسم الإنسانى ، وهى خليط من اللعاب والدموع ، وهى لا تؤذى خلايا الجسم ، وتقضى على بعض الميكروبات ، ولكن مع الأسف لا تقضى على الميكروبات الضارة بالإنسان ، وعلى الرغم من قيمة هذا الاكتشاف فإنه لم يكن شيئاً عظيماً .

أما اكتشافه العظيم فقد حدث فى سنة ١٩٢٨ ، حين تعرضت إحدى مزارع البكتريا للهواء وتسممت ، ولاحظ فلمنج أن البكتريا تذوب حول الفطريات فى المزرعة التى أعدها فى المعمل ، واستنتج من ذلك أن البكتريا تفرز مادة حول الفطريات وأن هذه المادة قاتلة للبكتريا العنقودية ، هذه المادة

أطلق عليها اسم البنسلين – أى العقار المستخلص من العفونة – وأن هذه المادة ليست سامة للإنسان أو الحيوان .

ونشرت نتائج أبحاث فلمنج سنة ١٩٢٩ ولم تلفت النظر أول الأمر ، وأعلن فلمنج أن هذا الاكتشاف من الممكن أن تكون له فوائد طبية خطيرة ، ولم يستطع أن يبتكر طريقة لاستخلاص هذه المادة أو تنقيتها ، وظل هذا العقار السحرى عشر سنوات دون أن يستفيد منه أحد .

وأخيراً فى سنة ١٩٣٠ قرأ اثنان من الباحثين البريطانيين هما هوارد فلورى وارنست تشين ما كتبه فلمنج عن اكتشافه الخطير ، وأعاد الاثنان نفس التجارب وجربا هذه المادة على حيوانات المعمل ، وفى سنة ١٩٤١ استخدما البنسلين على المرضى ، وأثبتت تجاربهما أن هذا العقار الجديد فى غاية الأهمية،وبمساعدة من حكومتى أمريكا وبريطانيا تسابقت الشركات الطبية على استخلاص مادة البنسلين بكميات ضخمة ، وتوصلت هذه الشركات إلى طرق أسهل لاستخلاص المادة السحرية وإنتاج كميات هائلة وطرحها فى الأسواق.

واستخدم البنسلين أول الأمر لعلاج مرضى الحرب ... وفى سنة ١٩٤٤ أصبح فى متناول المدنيين فى بريطانيا وأمريكا ، وعندما انتهت الحرب فى سنة ١٩٤٥ أصبح البنسلين فى خدمة الجميع .

وقد أدى اكتشاف البنسلين إلى استخدام الكثير من المضادات الحيوية واكتشاف عقاقير سحرية أخرى ، ولا يزال البنسلين هو أكثر هذه العقاقير انتشاراً حتى يومنا هذا ، وترجع أهمية البنسلين حتى الآن إلى أنه يفيد فى عدد كبير متنوع من الأغراض الطبية .

ولأن البنسلين قد أنقذ حياة ملايين الأرواح وسوف يفعل ذلك فى المستقبل ، أصبح الكسندر فلمنج شخصية مهمة فى التاريخ الإنسانى وإن كان

بعض المؤرخين يرون أن دور الأطباء الـذين نجحـوا فـى تبسـيط وسـائل استخلاص البنسلين لا يقل أهمية عن المكتشف نفسه ، إلا أن فلمـنج لا يـزال متقدماً عليهم ، فله فضل الاكتشاف ولولاه لتأخر اكتشاف البنسـلين عشـرات السنين أو لم يكتشف إطلاقاً ، وفى عام ١٩٤٥ فاز فلمنج بجائزة نوبل وشاركه فيها كل من العالمين فلورى وتشين اللذين ساعدا فى تيسير الحصول على هـذا العقار.

عالم والت ديزنى

ما زال عالم ديزنى عالم السحر الرائع والخيال الجميل ، ذلك العالم الذى يأسر الكبار والصغار ، حين حول الطيور والحيوانات إلى شخصيات عالمية ، يعيش معها وينتظرها الجميع مع كل فيلم جديد .

ولد والت ديزنى (١٩٠١ – ١٩٦٦م) فى أسرة فقيرة بمدينة شيكاغو وبين أحضان الطبيعة الساحرة بأشجارها وطيورها وحيواناتها قضى ديزنى سنوات طفولته الأولى التى ألهمته فيما بعد أعماله الكثيرة الرائعة ، التى أثرت فى وجدان الأطفال والكبار فى كل مكان .

عندما بلغ الثامنة عشر عمل رساماً فى شركة إعلانات ، والتقى بمجموعة من المصورين الموهوبين ، واتفق معهم على عمل فيلم للرسوم المتحركة غير أنهم تركوه بعد فترة قليلة ، لكنه كان مصراً على تحقيق الحلم .

بعد رحلة كفاح مريرة نجح ديزنى مع بعض الأصدقاء فى تكوين شركة لإخراج أفلام الكارتون ، وكانت باكورة أعماله فيلم " عالم أليس الغريب " ولم يرحب النقاد كثيراً بالفيلم الذى أصبح فيما بعد انطلاقة حقيقية لسلسلة من الأفلام الناجحة التى تحمل اسم " أليس" ، وفى عام ١٩٢٨ نجح فى ابتكار أهم شخصية سينمائية كارتونية فى العصر الحديث وهى شخصية " ميكى ماوس " .

وسرعان ما عزز ديزنى شركته بفريق من الفنانين الذين استطاعوا خلال عقد واحد أن يصلوا بصناعة الصور المتحركة التى تتصف بشخصياتها الكارتونية المميزة إلى مستوى جديد ، وبعد ميكى توالت الشخصيات مثل "بلوتو"، و " دونالد " و " غوفى " وغيرها ، وفى عام ١٩٣٧ بدأ إنتاج أفلامه الطويلة ومن اشهرها " سندريلا " ... ومن المعروف أن كل ثانية على شاشة الرسوم المتحركة تحتاج إلى ٢٤ صورة حتى يمكن للقطة أن تتحرك وكان الأمر شاقاً للغاية قبل ظهور الإمكانيات التكنولوجية فى مجال التلوين والرسم بواسطة الكومبيوتر .

وفى عام ١٩٤١ قام فريق كبير من العاملين فى استديو ديزنى بإضراب شل الإنتاج ونتج من ذلك توزيع نشاط عالم ديزنى على حقول عديدة إلى جانب صناعة الصور المتحركة منها الأفلام الوثائقية ، وتمكن ديزنى بفضل المردود المالى لهذه الأعمال من متابعة صنع أفلامه المتحركة الشهيرة .

وفى عام ١٩٥٥ افتتح ديزنى مدينته الخاصة لينفذ فيها أفكاره العبقرية لكن لم يستطع أن يضع عليها لمساته الأخيرة بسبب مرضه ، وفى عام ١٩٦٦ رحل عن دنيانا بعد أن ترك موروثاً سينمائياً ضخماً سينكر على مر الأجيال .

فقد بلغ إجمالى ما قدمه كمنتج حوالى ٦٧٤ فيلماً ، كان منها مجموعة أفلام " أليس " وأفلام " البطة دونالد " وأفلام " بلوتو " ثم سلسلة أفلام " ميكى ماوس " ومنها أيضاً " اللحن الأزرق " و " زهور وأشجار " و " الطيور فى الربيع " وغيرها وشارك بصوته كممثل فى ١٢٤ فيلماً منها " ميكى الساحر " و " فنتازيا " و " حفلة ميلاد ميكى " و " منظفو الساعات " و " سيرك ميكى " وأخرج ١١٢فيلماً كان منها " البقرة الميكانيكية " و " اللمسة السحرية " وكتب القصة والسيناريو لـ ٢٧ فيلماً منها " المركب ويلى " .

حصلت أفلام ديزنى على ٧٠٠ جائزة بينها ٢٩ جائزة أوسكار وأربـــع جوائز إيمى ، بالإضافة إلى وسام جوقة الشرف الفرنسى.

كأس العالم لكرة القدم

تعتبر بطولة كأس العالم لكرة القدم أهم مسابقة يقيمها الاتحاد الدولى لكرة القدم (الفيفا) ، يعقد كأس العالم لكرة القدم كل أربع سنوات منذ عام ١٩٣٠ م (ماعدا بطولتى عام ١٩٤٢ و ١٩٤٦واللتان ألغيتا بسبب الحرب العالمية الثانية).

فمنذ أن أقيمت أول مباراة دولية فى كرة القدم عام ١٨٧٢ م بين منتخبى إنجلترا واسكتلندا تصاعدت شعبية كرة القدم ، فدخلت دورات الألعاب الأولمبية فى البداية كرياضة استعراضية عام ١٩٠٠ ، وفى عام ١٩٠٤ تم تأسيس الاتحاد الدولى لكرة القدم ، وفى عام ١٩٢٨ قرر الاتحاد الدولى لكرة القدم تنظيم بطولته الدولية الخاصة خارج نطاق الألعاب الأولمبية ، وقد قرر الاتحاد برئاسة جول ريميه إقامتها فى الأورجواى لفوزها بالميدالية الذهبية فى الأولمبياد عام ١٩٢٤ و ١٩٢٨ ، وللاحتفال بالذكرى المئوية لاستقلال الأورجواى عام ١٩٣٠ ، وفى المباراة النهائية تغلب منتخب الأورجواى لكرة القدم على الأرجنتين بنتيجة ٤-٢ أمام حشد كبير بلغ ٩٣٠٠٠ شخص فى مونتيفديو ، وأصبح الأورجواى أول دولة تفوز بالكأس .

وفى بطولات كأس العالم ما بين ١٩٣٤ و ١٩٧٨ تنافست ١٦ دولة

للفوز بكأس العالم ، وفى عام ١٩٨٢ تم زيادة عدد الفرق المشاركة إلى ٢٤ فريقاً ، وفى عام ١٩٩٨ تم زيادتهم إلى ٣٢ فريقاً مما جعل العديد من الفرق من آسيا وأفريقيا وأمريكا الشمالية تتأهل إلى النهائيات .

وقد قام الفرنسى " البيل لاقلير " بتصميم كأس العالم الأولى على شكل سيدة تحمل كأساً ، وفى عام ١٩٧٠ استقر هذا الكأس فى البرازيل بعد أن فازت بالبطولة ثلاث مرات ، وفى عام ١٩٨٣ سرقت الكأس ، ولم تظهر مرة أخرى، ويبدو أن اللصوص الذين سرقوا الكأس قد قاموا بصهره .

وبعد كأس العالم لكرة القدم ١٩٧٠ ، تم صنع كأس عالم جديدة سميت بكأس بطولة العالم ، وقام خبراء الفيفا القادمون من سبعة دول بتقييم ٥٣ تصميماً ، وأخيراً تم اختيار تصميم النحات الإيطالى سيلفيو غازانيغا ، وارتفاع الكأس الجديد ٣٦ سم ، ومصنوع من ذهب ١٨ قيراط ، ويزن ٦١٧٥ جرام ، وفى أسفل الكأس يوجد نحت بأسماء الفرق الفائزة بالكأس منذ عام ١٩٧٤ ، ولن تعطى الكأس الجديدة لأى فريق بغض النظر عن عدد المرات التى من الممكن الفوز بها ، ويحتفظ الفريق الفائز بالكأس إلى البطولة التى تليها ، ثم يعطى كأس مشابه له مطلى بالذهب ، ولن تستبدل الكأس حتى ينتهى المكان المخصص لنقش الأسماء للفرق الفائزة ، وسيكون ذلك فى عام ٢٠٣٨.

وقد كانت مسألة استضافة الدول لكأس العالم أمراً مثيراً للجدل ، بعد كأس العالم لكرة القدم عام ١٩٥٨ ولتجنب حدوث مشكلات أخرى ، اعتمد الفيفا نظام التناوب فى استضافة كأس العالم بين أوربا وأمريكا الجنوبية ، والذى استمر حتى كأس العالم لكرة القدم ١٩٩٨ ، حيث قامت اليابان وكوريا الجنوبية بتقديم طلب مشترك لاستضافة النهائيات فى عام ٢٠٠٢ ، وهى أول بطولة تقام فى قارة آسيا ، وفى كأس العالم لكرة القدم ٢٠١٠ فى جنوب أفريقيا ستكون البطولة الأولى التى تقام فى أفريقيا .

منظمة الكومنولث

منظمة دولية لمجموعة من الدول المستقلة والوحدات السياسية الأخرى التى عاشت تحت الحكم البريطانى ، وتشمل هذه المنظمة بريطانيا ومعها ٥٣ دولة مستقلة كانت فى يوم ما مستعمرات لبريطانيا ، كما تشمل ٢٥ وحدة سياسية مثل المقاطعات والمناطق التى تحت الحماية البريطانية ، وتعنى كلمة كومنولث " الثروة المشتركة " أو " الخير العام " .

ويشكل أعضاء كومنولث الأمم نحو ربع سكان العالم ويشغلون أيضاً ربع مساحة الكرة الأرضية تقريباً ، ويتفاوت الأعضاء فى هذه المنظمة من حيث الحجم والثروة ، فبعض هذه الدول كأستراليا وبريطانيا وكندا دول صناعية غنية ، وتتمتع شعوب هذه الدول بمستوى معيشى مرتفع ، بينما تعد الهند وباكستان فى قارة آسيا وكينيا ونيجيريا فى قارة أفريقيا أمثلة على الدول النامية التى لا زالت تنمى صناعاتها وزراعاتها وتحاول تطوير اقتصادياتها ، وتعد بنجلاديش وهى أحد أعضاء هذه المنظمة دولة فقيرة تنخفض فيها نسبة دخل الفرد إلى أقل مستوى .

وتعد الهند أكبر دول الكومنولث سكاناً بينما تعد كندا أكبرها من حيث المساحة الجغرافية ويوجد بين كومنولث الأمم أيضاً دول صغيرة جداً مثل سانت

كيتس ونيفيس ، وهناك دولتان من أصغر دول العالم فى جزر المحيط الهادى هما ناورو وتوفالو ، لكل منها وضع خاص من حيث حق العضوية فى كومنولث الأمم .

ولازالت بريطانيا تحتفظ بنفوذ فى الحكم فى عدد من هذه الوحدات السياسية فى الكومنولث ، كما تمارس استراليا ونيوزيلندا بعض النفوذ على الحكومات فى هذه الدول .

بدأت تتكون مجموعة دول كومنولث الأمم فى بداية القرن التاسع عشر، ففى ذلك الوقت كانت تتم اللقاءات بين ممثلى الحكومة البريطانية وممثلى المستعمرات البريطانية فى ما كان يعرف باسم المؤتمرات الإمبراطورية ، حيث كان لدى هذه المستعمرات البريطانية حكومات محلية لإدارة الشئون الداخلية للبلاد ، بينما كانت بريطانيا تدير سياستها الخارجية وشئون الدفاع ، وعندما تحركت معظم المستعمرات البريطانية فى أثناء العقدين الأولين من القرن العشرين نحو الاستقلال فى سياستها الخارجية ، وتقدم ممثلوها بإعلان استقلالها التام فى المؤتمر الاستعمارى المنعقد عام ١٩٢٦م ووصفت هذه الدول بأنها جميعاً متساوية من حيث الأهمية وتدين بالولاء لبريطانيا وللحكم البريطانى ، ولكنها دول حرة مستقلة ومشتركة فى مجموعة كومنولث الأمم ، ثم أعلنت بريطانيا قانوناً فى عام ١٩٣١م عرف بقانون وستمنستر الذى اعترف باستقلال تلك المستعمرات وجعله أمراً قانونياً .

وفى عام ١٩٣٢م أسست كومنولث الأمم نظاماً للتبادل التجارى فيما بينها سمى الأفضلية لدول الكومنولث ، فكانت بريطانيا تستورد البضائع من كومنولث الأمم الأخرى دون فرض الضرائب المعتادة عليها ، كما عقدت الدول الأخرى التابعة للمنظمة اتفاقيات تجارية فيما بينها مع مراعاة المصالح المشتركة ، وحصلت نحو ٤٠ دولة من المستعمرات البريطانية على استقلالها

فى الفترة ما بين عامى ١٩٤٧م و ١٩٨٠م ، واشتركت معظم هذه الدول المستقلة الجديدة فى كومنولث الأمم ، انضمت نيوفاوندلاند إلى كندا فى الفترة نفسها لتصبح إحدى مقاطعاتها ، كما انفصلت دولتا ايرلندا وجنوب أفريقيا عن المنظمة بسبب اختلافات فى الآراء فيما بينها وبين الدول الأخرى المشاركة .

ومن الملاحظ أن كومنولث الأمم آخذة فى التغير مع تطور الدول المشاركة فيها وإقامتها لعلاقات قوية مع الدول المجاورة لها ، كل دولة حسب منطقتها ، ولم تعد الدول تنظر إلى بريطانيا وكأنها قائد المجموعة ، فانضمام بريطانيا إلى مجموعة الدول الأوربية عام ١٩٧٣م يعنى إنها لن تبحث عن دول فى كومنولث الأمم تقيم معها تبادلات تجارية ، فأقامت كندا علاقات اقتصادية قوية مع الولايات المتحدة الأمريكية ، وأصبحت استراليا ونيوزيلندا علاقات قوية وأنشطة سياسية فى المحيط الهادى ودول جنوب شرقى آسيا وانضمت برونای وماليزيا وسنغافورة إلى مجموعة دول جنوب شرقى آسيا ، وأقامت دول أفريقيا المشتركة فى المنظمة علاقات قوية مع دول أفريقيا الأخرى ، وكذلك فعلت دول المنظمة الموجودة فى منطقة البحر الكاريبى .

ينظر إلى كومنولث الأمم بمثابة ناد ، حيث يتفق الأعضاء ويشتركون فى مناقشة بعض الأفكار والمبادئ والقضايا العالمية ولكن لا يلتزم أحدهم بتنفيذها ، وقد تم تعيين أمانة (سكرتارية) كومنولث الأمم سنة ١٩٦٥م وتمول الدول الأعضاء فى الكومنولث هذه السكرتارية العامة ، ومقرها الرئيسى مدينة لندن ، وتقوم الأمانة العامة بتنظيم اللقاءات والمؤتمرات وتوزيع المعلومات وتنسيق أنشطة كومنولث الأمم ، كما أنها تدير مخصصات كومنولث الأمم للمعونات الفنية ، وتقوم الأمانة العامة فى حالة نشوب خلاف بين دولتين أو أكثر أعضاء فى الكومنولث بمساعدة الأطراف المتنازعة للوصول إلى حلول حول موضوع الخلاف .

سجن الكاتراز

لم يكتب لسجن فى العالم شهرة أكثر من سجن الكاتراز الأمريكى ، فعلى الرغم من اغلاق هذا السجن منذ عام ١٩٦٣ وتحوله إلى متحف إلا أنه مازال يأخذ بالألباب ، ويمثل مصدراً لإلهام المخرجين ، والكتاب الذين يروون قصص سجنائه .

سمى " بالصخرة " لأنه مبنى شاهق يقع على جزيرة مقابلة لسواحل سان فرانسسكو ... وقد بدأ الكاتراز كسجن حربى بين عامى (١٨٥٩ – ١٩٣٣) ثم تحول إلى سجن مدنى بفضل ادجار هوفر مدير مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى ، الذى أراد سجناً غير عادى لا يمكن لأحد ألا يعانى فيه ، أو يستطيع النجاة منه ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى إغلاقه صار أشهر السجون الأمريكية على الإطلاق ، وسجناً لعتاة المجرمين ممن يخشى هروبهم ، أو أولئك الذين يشكلون خطراً على المسجونين أو إدارة السجن ... وكان من أشهر نزلائه (آل كابونى) رجل المافيا الشهير فى شيكاغو .

كان الكاتراز يمثل صخرة بالفعل أمام المجرمين العتاة فإذا جاءوا بهم إليه انسدت أمامهم كل أبواب الهرب ... لم يهرب منه أحد وعاش ليحدث الناس عن فعلته ، فقد حاول الهرب ست وثلاثون سجيناً طوال عهده ، وقد احبطت محاولتهم جميعاً سوى خمسة منهم أفلتوا ولم يسمع أحد عنهم قط حتى الآن..!!

سليم حسن ... يرفض طلب الملك فاروق

فى عام ١٩٣٦ تولى سليم حسن منصب وكيل مصلحة الآثار المصرية، وكان أول مصرى يشغل هذا المنصب الذى كان مقصوراً على العلماء الأجانب، الأمر الذى أثار حفيظة بعضهم فوقفوا ضده ، ويذكر له أنه استطاع أن يسترجع للمتحف المصرى مجموعة من القطع الأثرية كانت فى حوزة الملك فؤاد ، ولما حاول الملك فاروق أن يستعيدها باعتبارها من الممتلكات الخاصة لأبيه ، رفض سليم حسن إعادتها ، وازدادت بالتالى فرص المؤامرات والتحديات ضد وجوده فى المناصب الرسمية إلى أن صدر قرار باحالته إلى المعاش عام ١٩٣٩ ، وكان عمره آنذاك ثلاثة وخمسين عاماً .

ولد سليم حسن (١٨٨٦ – ١٩٦١ م) بقرية ميت ناجى التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية وتوفى والده وهو صغير ، فعنيت به والدته وأحسنت تربيته وتعليمه ، وبعد أن أتم دراسته الابتدائية والثانوية التحق بمدرسة المعلمين الخديوية وانضم إلى الفرقة التى تدرس علم الآثار .

وبعد أن أتم دراسته سنة ١٩١٢م حاول أن يلتحق بالمتحف المصرى بمسعى من أحمد كمال باشا ، لكنه لم يوفق ، فعمل مدرساً للتاريخ واللغة الإنجليزية بالمدرسة الناصرية بالقاهرة ، ثم نقل إلى مدرسة طنطا الثانوية ،

ومنها إلى أسيوط ، ثم انتقل إلى القاهرة مدرساً فى المدرسة الخديوية الثانوية .

اشترك سليم حسن فى وضع الكتب التاريخية التى كانت مقررة على طلبة المدارس ، فألف تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر ، وتاريخ أوربا الحديثة وحضارتها ، وشاركه فى التأليف " عمر السكندرى " وترجم تاريخ دولة المماليك فى مصر بالإشتراك مع " محمود عابدين " وصفحة من تاريخ " محمد على " بالإشتراك مع " طه السباعى ".

تعددت محاولات سليم حسن للعمل بمصلحة الآثار التى كان يسيطر عليها الأجانب ، لكن محاولاته لم يكتب لها النجاح ، حتى أقبلت ثورة ١٩١٩ م التى أججت الشعور الوطنى وأشعلت الحماس فى النفوس فتغير الوضع وأصبح الوزراء المصريون بعدها أكثر استقلالاً وأوسع نفوذاً ، فلاحت الفرصة لسليم حسن إذ انتهز " احمد شفيق باشا " وزير الأشغال فرصة تعيين أمينين فرنسيين بالمتحف المصرى وأصر على تعيين أمينين مصريين مساعدين لهما ، فالتحق سليم حسن بالمتحف أميناً مساعداً سنة ١٩٢١م.

وفى أثناء عمله بالمتحف المصرى سافر إلى باريس على نفقته الخاصة لحضور الاحتفال بمرور مائة عام على فك شامبليون لرموز اللغة الهيروغليفية وتمكن من زيارة عدة متاحف أوربية ، وبعد عودته كتب عدة مقالات فى جريدة الأهرام تحت عنوان " الآثار المصرية فى المتاحف الأوربية " ودور الأثريين الأجانب فى ذلك ، الأمر الذى جعل المشرفين على الآثار يحنقون عليه .

أثار اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون سنة ١٩٢٢ دهشة الناس فى العالم وإعجابهم بالحضارة المصرية القديمة ، ونما فى المصريين الإعتزاز بتراثهم المجيد ، فتعالت الأصوات المطالبة بإرسال بعض المصريين لدراسة علم الآثار المصرية بالخارج ، فسافر سليم حسن إلى باريس ، والتحق بجامعتها وحصل

على دبلوم فى اللغة الشرقية ، وثان فى تاريخ الديانات ، وثالث فى اللغات الشرقية ، ثم عاد إلى مصر فى سنة ١٩٢٧ وعين مرة أخرى فى المتحف المصرى ، وأقنعه المسئولون أن مكانه هو المكتبة وأن عمله الأساسى هو ترجمة دليل المتحف ، وكان ذلك يعنى تجميداً لنشاطه ، لكن هذا لم يدم طويلاً ، فاستدعته كلية الآداب بالجامعة المصرية للتدريس بها ، وترقى فى المناصب العلمية إلى أن بلغ درجة الأستاذية مع الإشراف على حفائر الجامعة بمنطقة أهرامات الجيزة .

لم تحل أعباء التدريس والحفر والتنقيب دون مواصلته للدراسة والبحث، فوضع بحثاً قيماً نال عليه درجة الدكتوراه من جامعة فيينا سنة ١٩٣٥م.

وبلغ عدد اكتشافاته الأثرية ١٧١ اكتشافاً خلال عشر سنوات ١٩٢٩ – ١٩٣٩م ، وكانت حفائره فى منطقة الأهرامات بالجيزة من أهم ما قام به من أعمال ، إذ كشفت عن عدد كبير من مقابر الدولة القديمة ، وتعد مقبرة (رع ور) التى اكتشفها جنوبى منطقة " أبى الهول " من أكبر المقابر ، وتكاد تضارع مقابر الملوك من حيث ضخامتها وكثرة التماثيل بها.

كما كشف بمقبرة الملكة (خنكاوس) آخر ملوك الأسرة الخامسة ، وحلقة الوصل بين تلك الأسرة والأسرة السادسة ، وصممت المقبرة على هيئة تابوت أقيم فوق صخرة كبيرة ، وأطلق سليم حسن على هذه المقبرة الهرم الرابع .

وبعد رفضه إعادة الآثار إلى الملك فاروق واحالته للمعاش ، تفرغ سليم حسين لإنجازه الكبير حيث عكف على وضع مؤلفاته الكبرى التى لا تزال محل إعجاب وتقدير ، وأهم مؤلفاته قاطبة هى موسوعة " مصر القديمة " التى أخرجها فى ستة عشر جزءاً ، وبدأ فى نشرها سنة ١٩٤٠ م ، وأصدر الجزء السادس عشر سنة ١٩٦٠ م متناولاً تاريخ مصر وحضارتها من عصر ما قبل

التاريخ ، ومروراً بالدولة القديمة والوسطى والرعامسة والعهد الفارسى وانتهاء بأواخر العصر البطلمى ، وكان قد شرع فى كتابة الجزء السابع عشر عن (كليوباترا) لكن حالت وفاته دون إصداره .

وله إلى جانب ذلك (الأدب المصرى القديم) الذى نشره سنة ١٩٤٥م فى مجلدين ، كما أسهم فى ميدان الترجمة فنقل إلى العربية كتاب "ديانة قدماء المصريين " للعالم الألمانى " شتيدورف " وكتاب " فجر الضمير " للمؤرخ الامريكى جيمس هنرى بريستد.

أما عن مؤلفاته التى كتبها بغير العربية فقد بلغت ثلاثة وثلاثين مؤلفاً ، وضمت كتباً علمية عن " أبو الهول " وكتابه " الأناشيد الدينية للدولة الوسطى " بالإضافة إلى بحوثه ومقالاته فى حوليات مصلحة الآثار والمجلات الأثرية الأجنبية ، وتقارير حفائر فى الجيزة وسقارة والنوبة .

ظل سليم حسين يعمل وهو فى شيخوخته منصرفاً إلى كتبه وبحوثه ، وكانت الحكومة تلجأ إليه حين تشتد الحاجة ويطلب الرأى ، ومن ذلك أنه ترأس البعثة المصرية التى زارت منطقة النوبة سنة ١٩٥٥ لكتابة تقرير عن وسائل إنقاذ معابد المنطقة وآثارها قبل أن تغمرها مياه السد العالى ، كما أشرف على حفائر مصلحة الآثار فى النوبة سنة ١٩٥٨ م ، وعلى عملية جرد المتحف المصرى سنة ١٩٥٩م.

وقد أصدر الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٩ قراراً بتعيينه مستشاراً للمتحف المصرى بالقاهرة ، وفى عام ١٩٦٠ كرمته " أكاديمية نيويورك " التى تضم أكثر من ١٥٠٠ عالم من ٥٧ دولة فانتخبته عضواً فيها بإجماع الأصوات .

التليفزيون ... أجمل نافذة على العالم

تتكون كلمة تليفزيون فى اللغة الإنجليزية من كلمتين هما Tele أى البعيد و Vision أى الرؤية ، وبذلك فإن التليفزيون يعنى الرؤية عن بعد ، فهذا الجهاز يأتى إلى منزلك بالأشياء البعيدة لتشاهدها .

والحقيقة هى أن فكرة نقل الصورة المتحركة إلى المنازل عبر جهاز استقبال منزلى شبيه بجهاز الراديو كانت محل اهتمام عدد من العلماء فى كل من بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى ، ولكن الأفكار القابلة للتطبيق لم تظهر إلا فى منتصف العشرينيات فى القرن العشرين .

وقد استطاع العالم البريطانى جون بيرد الاستفادة من العديد من العلماء من جنسيات متعددة ، وقدم أول تجربة عملية شهيرة لنقل الصورة تليفزيونياً فى لندن عام ١٩٢٦.

وفى عام ١٩٣٦ بدأت الحكومة البريطانية فى لندن ومن خلال BBC هيئة الإذاعة البريطانية أول خدمة تليفزيونية منتظمة فى العالم .

لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩م أدى إلى توقف

خطوات تطوير التليفزيون فى ألمانيا وبريطانيا ، وبعد دخول الولايات المتحدة الحرب توقفت برامج تطويره فى الولايات المتحدة أيضاً ، أما فى الاتحاد السوفيتى فقد بدأ البث التليفزيونى فى عام ١٩٣٩.

ولم تتجاهل بريطانيا وأمريكا امكانيات هذه الوسيلة الاعلامية اقتصادياً ومستقبلها الواعد تجارياً ، فلم تكد الحرب تضع أوزارها حتى عادت برامج تطوير البث التليفزيونى وتعميم استخدامه إلى أخذ موقع الصدارة فى التخطيط الاعلامى فى معسكر الحلفاء ، بهدف تحقيق مكاسب مالية خيالية من خلال الإستثمار فى تصدير معدات الإرسال وأجهزة الاستقبال تجارياً إلى مختلف دول العالم .

أما تعميم اقتنائه منزلياً (على مستوى العالم) فقد كان يواجه صعوبات مالية إذ كان ثمن أجهزة الاستقبال التليفزيونى فى أوائل الخمسينيات خارج إمكانيات وميزانيات أسر الطبقة المتوسطة ، كما أنه كان يواجه مشكلة فنية هى محدودية قوة محطات البث التى لم تكن تستطيع سوى تغطية دوائر لا يتجاوز قطرها بضعة أميال ، ورأت الشركات الأمريكية على وجه الخصوص أنه لا سبيل إلى نجاح هذا الاختراع إلا من خلال إنتاج أجهزة الاستقبال بكميات تجارية كبيرة لجعلها فى متناول الطبقة الوسطى اقتصادياً ، وكذلك حل مشكلة ايصال البث لمقتنى هذه الأجهزة خارج حدود المدن الكبرى ، ولما كانت امكانيات زيادة مدى البث تتناسب مع ارتفاع هوائى الإرسال وقوة إشارة المحطة فقد كانت المشكلة فى المدن الكبرى شبه منتهية إذ عمدت شركة (RCA) الأمريكية إلى وضع هوائى الإرسال فى نيويورك فوق مبنى (الامبايرستيت) ناطحة السحاب المشهورة التى كانت أعلى مبنى فى العالم حتى ذلك الحين ، فحقق ذلك تغطية تليفزيونية بقوة معقولة فى نيويورك وضواحيها ، وشجع الناس على إقتناء أجهزة التليفزيون وتكررت تلك التجربة فى مدن أخرى

ببناء أبراج إرسال البث العالية التى أصبحت رمزاً من رموز البث التليفزيونى .

وفى ذلك الوقت كانت هناك منافسة محتدمة لانتاج أجهزة تسجيل تستطيع تسجيل الصورة المتحركة والصوت معاً على شريط يمكن استعادة عرض ما سجل عليه فوراً بدلاً من الاعتماد على الأفلام السينمائية فى تسجيل البرامج التى كان من أبرز عيوبها الوقت الذى تستغرقه الأفلام فى التحميض وكذلك إمكانية تلف أو تعرض المادة المسجلة للتشويه والخلل دون معرفة المصور بذلك إلا بعد التحميض ، ولم يتحقق ذلك إلا عندما قامت شركة RCA الأمريكية فى عام ١٩٥٣ م باستخدام أول جهاز تسجيل (فيديو تيب) فكان حدثاً مهماً فى تاريخ التليفزيون ، لكن شركة آمبكس أنتجت فى عام ١٩٥٦ م جهاز فيديو تيب اكتسح كل ما سبقه ونال شهرة عالمية جعلته الجهاز المستخدم فى الغالبية العظمى من محطات التليفزيون فى العالم .

وقد بدأ ظهور التليفزيون فى العالم العربى فى الخمسينيات من القرن الماضى وكانت مصر من أوائل الدول العربية التى قامت بأول تجربة تليفزيونية فى عام ١٩٥٠ م وقد أجرتها شركة فرنسية لصناعة الراديو والتليفزيون فى محطة إرسال اقيمت فى سنترال باب اللوق بالقاهرة بمناسبة الزواج الثانى للملك فاروق من الملكة ناريمان ، ولكن الإرسال التليفزيونى المنتظم لم يبدأ إلا فى أواخر الخمسينيات وذلك فى أغسطس من عام ١٩٥٩ حيث بدأ بناء مبنى التليفزيون فى القاهرة ، وقامت شركة (أر.سى.ايه RCA) الأمريكية بإنشاء شبكة التليفزيون ، وبدأ التليفزيون المصرى إرساله المنتظم فى مساء ٢١ يوليو ١٩٦٠ وغطى هذا الإرسال فى البداية مدينة القاهرة والمناطق التى تحيط بها حتى مائة كيلومتر فى جميع الاتجاهات ، ثم توالى تغطية مناطق الجمهورية بعد ذلك وبدأت دراسة التليفزيون الملون منذ سنة ١٩٦٦ وبدأ الإرسال الملون ٩ سبتمبر ١٩٧٦.

أجيال الكمبيوتر

يعد الكمبيوتر أهم الاختراعات التى ابتكرها الإنسان خلال النصف الثانى من القرن العشرين ، إذ شكل تقنية اعتبرت من أهم الظواهر التكنولوجية فى العصر الحديث ، ولم يمر على اختراعه الكثير ، حتى أصبح يمثل العصب الرئيسى لحياة الإنسان ، فقد اختزل الكثير من المراحل التى تتطلب الدقة والإتقان فى مختلف المجالات .

وقد جاء اختراع الكمبيوتر بعد تجارب عديدة نتيجة التطور التكنولوجى وضرورات الحاجات التى فرضت وجودها ، حيث فكر الإنسان فى البداية فى اختراع وسيلة عملية سريعة تسهل له إجراء العمليات الحسابية وضبطها فتوصل إلى اختراع أنواع عديدة متواصلة التطور من العدادات ، حتى وصل العالم "شارل باباج " فى عام ١٨٣٣ إلى وضع تصور لأول آلة حاسبة ... هذه الآلة سميت الآلة التحليلية ... وهى أول كمبيوتر حيث كان باباج يحاول جعل آلته تحسب ، وتخزن النتائج وتطبعها ... لكن آلته كانت كثيرة الأجزاء ... وكان من المستحيل بناؤها بدقة ، ولم تعمل هذه الآلة أبداً ... وبعد مائة عام من وفاة باباج تمكن فريق من المهندسين من بناء آلته التحليلية عام ١٩٨٩ ، ولمكانته فى عالم الحاسب يطلق عليه لقب الأب الروحى لأجهزة الحاسبات الحديثة .

ثم تعددت المحاولات حتى جاء عام ١٩٤٤ وبدأ عصر الكمبيوتر الحديث حيث تمكن العالم " هوارد أيكن " من جامعة " هارفارد " الأمريكية من ابتكار أول حاسب آلى رقمى ، وكان عبارة عن حاسب " كهروميكانيكى " ضخم، عرضه نحو ١٥ متراً ، وارتفاعه نحو ٢,٤ متراً ، وكان يستغرق نحو ٠,٣ ثانية لإتمام عملية جمع أو طرح ، ونحو ٤ ثوان لإتمام عملية ضرب ، ونحو ١٢ ثانية لإتمام عملية قسمة واحدة .

وبعد ذلك بعامين تمكن " جون موشلى " و " برسرايكرت " بجامعة بنسلفانيا من صنع أول حاسب رقمى الكترونى ، وكان باستطاعته أن يؤدى فى ساعة واحدة نفس القدر من العمل الذى يمكن أن يؤديه حاسب " هوارد أيكن " فى أسبوع كامل .

وكان إدخال المعلومات يتم بالبطاقات المثقوبة ، واستطاع الجهاز أن يقوم بوظائف كثيرة فقد كان يأخذ المعلومات ويعالج الحسابات ويخزن البيانات ، وكان يطبع المعلومات بآلة كاتبة كهربائية ... لم يكن هذا الكمبيوتر إلكترونياً لقد كان كمبيوتراً كهربائياً ميكانيكياً وكان حجمه يشغل مساحة صالة كبيرة .

فى عام ١٩٤٨ قام المهندس المجرى " جون فون نيومان " ببناء أول حاسب الكترونى ، وكانت أول عملية له فى ٢١ يونيه ١٩٤٨.

ومنذ بداية الخمسينيات من القرن العشرين وحتى يومنا الحاضر ، حدثت تطورات كثيرة فى مجال الكمبيوترات ، حيث زادت سرعتها ، وكبر حجم ذاكرتها وزادت قدرتها على إجراء العمليات ، وعليه فقد صنفت الكمبيوترات إلى أجيال يبدأ كل جيل بحدوث تطور مهم ، إما على المعدات المرتبطة بالكمبيوترات أو على البرامج والتعليمات التى يعمل عليها ، ويمكن تصنيف الكمبيوترات إلى خمسة أجيال .

حيث ظهر الجيل الأول فى بداية الخمسينيات من القرن العشرين حين قامت مجموعة من العلماء فى جامعة هارفارد الأمريكية ببناء أول حاسب أطلق عليه اسم (مارك – ١) (Mark – 1) وقد خصص ذلك الجهاز للأعمال العسكرية ، ليقوم بإجراء حسابات عديدة حول تتبع مسار القذائف ومساعدة رجال المدفعية فى تصويب قذائفهم نحو الهدف وأهم خصائص حاسبات هذا الجيل احتواؤها على الصمامات أو الانابيب المفرغة وحاجاتها لتوفير أجهزة التبريد اللازمة نظراً لإرتفاع درجة حرارة الصمامات وكبر حجمها واحتياجها لكميات هائلة من الطاقة الكهربائية وتدنى سرعتها (٢٠,٠٠٠ عملية فى الثانية الواحدة) وارتفاع ثمنها وتعرضها للأعطال بكثرة .

ثم ظهر الجيل الثانى فى الفترة من ١٩٥٩ – ١٩٦٥ وعملت على إنتاجه شركة (IBM) وظهرت فى هذه الفترة لغات البرمجة ذات المستوى العالمى مثل لغة فورتران وظهور الأقراص المغناطيسية الصلبة (Hard Disk) التى استخدمت لتخزين البيانات ... وقد تميزت أجهزة الجيل الثانى باعتماد تشغيلها على اشباه الموصلات (الترانزستور والبطاقات المثقوبة) ، وصغر حجمها بالنسبة للجيل الأول ، وقلة الطاقة اللازمة لتشغيلها ، وزيادة سرعتها مقارنة بسرعة حاسبات الجيل الأول ، وقلة تكاليف صيانتها ، وسهولة استرجاع المعلومات المخزنة فيها .

ثم ظهر الجيل الثالث فى الفترة من ١٩٦٥ – ١٩٧٠ ، وتميز هذا الجيل بتطوير نظام التشغيل وظهور ما يسمى بتعدد البرامج ، وتعدد المعالجات ، وظهور لغات برمجة جديدة مثل بيسك وباسكال ، وظهور أجهزة القراءة الضوئية والشاشات الملونة .

كما اعتمد هذا الجيل على الدوائر المتكاملة والمصنوعة من رقائق السيليكون والتى لا يتجاوز حجمها ربع بوصة (وتحتوى القطعة الواحدة على

٧٠,٠٠٠ ترانزستور) مما أدى إلى صغر الحجم وانخفاض تكلفة إنتاج أجهزة الكمبيوتر ، كما ظهرت الكمبيوترات المتوسطة والتى تشترك معاً بجهاز كمبيوتر مركزى .

ثم ظهر الجيل الرابع فى الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٨٠ حيث حدثت ثورة كبيرة فى معدات الكمبيوتر وبرمجياته فى نفس الوقت ، فقد تميزت كمبيوترات هذا الجيل بصغر الحجم وزيادة السرعة والدقة وسعة الذاكرة وقلة التكلفة ، وأصبحت السرعة تقاس بملايين العمليات فى الثانية الواحدة ، كما ظهرت الذاكرة العشوائية RAM والذاكرة الدائمة ROM ، وأصبحت أجهزة الإدخال والإخراج أكثر تطوراً وأسهل استخداماً ، وطورت برامج التشغيل وصغر الحجم إلى درجة ملحوظة ، مما أدى إلى ظهور الكمبيوترات الشخصية وظهور اللغات ذات المستوى الراقى والراقى جداً ، وظهور الأقراص الصلبة المصغرة والأقراص المرنة والراسمات وظهرت إمكانية ربط أكثر من جهاز حاسب واحد عن طريق الكوابل والموجات اللاسلكية والأقمار الصناعية .

وفى بداية الثمانينات من القرن العشرين بدأ الجيل الخامس لأجهزة الكمبيوتر والتى تميزت بظهور ما يسمى بالذكاء الاصطناعى والذى يمثل محاولة لمحاكاة الذكاء الإنسانى ، كما تتميز بزيادة هائلة فى السرعة وسعة التخزين ، ودرجة عالية للغاية من الدقة ، وقدرتها على فهم المدخلات المكتوبة والمرسومة ، وزيادة فاعلية اتخاذ القرار بناء على المعطيات المتوافرة .

الأزمة الاقتصادية العالمية

شهد العالم بين عامى ١٩٢٩ – ١٩٣٣م أزمة اقتصادية كبرى ، انطلقت من الولايات المتحدة الأمريكية لتنتشر فى أوربا ثم باقى دول العالم ، وقد ضربت هذه الأزمة بعنف أركان النظام الرأسمالى وأدت إلى نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية عديدة .

وترجع الأزمة الاقتصادية إلى أسباب عديدة من أهمها أن الحرب العالمية الأولى فتحت المجال أمام الصناعة الأمريكية لغزو الأسواق العالمية نتيجة تدهور الاقتصاد الأوربى ، وازدهار الصناعة الأمريكية نتيجة اتباع الأساليب العلمية فى الإنتاج ، وزيادة الناتج الزراعى ، وتوافر رؤوس الأموال ، والثروات الطبيعية ، والسوق الاستهلاكية الواسعة .

ورغم ازدهار الاقتصاد الأمريكى فإنه كان يعانى من أوجه ضعف عديدة ، كضعف أجور العمال ، وعدم مسايرة الاستهلاك لضخامة الإنتاج ، كما انتشرت المضاربة التجارية والمالية مما أدى إلى ارتفاع ملحوظ فى أسعار الأسهم جعلها لا تساير الزيادة الحقيقية فى أرباح الشركات.

وفى يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٢٩م انطلقت الأزمة الاقتصادية من بورصة وول ستريت بمدينة نيويورك بعد طرح ١٩ مليون سهم للبيع دفعة واحدة ،

فأصبح العرض أكثر من الطلب فانهارت قيمة الأسهم وانهارت سوق الأوراق المالية وعجز الرأسماليون عن تسديد ديونهم ، فأفلست البنوك ، وأغلقت عدة مؤسسات صناعية أبوابها ، كما عجز الفلاحون عن تسديد قروضهم.

اضطرت الولايات المتحدة الأمريكية إلى سحب رؤوس أموالها المستثمرة بالخارج وأوقفت إعاناتها لبعض الدول ، فامتدت الأزمة إلى البلدان الصناعية الأوربية ، وبفعل ارتباطها بالاقتصاد الأوربى فقد امتدت الأزمة لبلدان المستعمرات فمست كل دول العالم ، ولم يفلت من الأزمة سوى الاتحاد السوفيتى لانعزاله عن العالم الرأسمالى بإتباعه نظاماً اشتراكياً.

وقد أدت الأزمة الاقتصادية إلى عدة نتائج من أهمها إفلاس العديد من المؤسسات نتيجة ضعف الاستثمارات والقروض ، وانخفاض الإنتاج والاستهلاك، فارتفعت نسب البطالة بنسب حادة فى العديد من الدول حتى وصلت فى الولايات المتحدة إلى ٢٣% عام ١٩٣٣م، كما أن الانكماش أدى إلى رفع القيمة الحقيقية للديون ، فأصبح من الصعب تسديد القروض ، وتخلفت حوالى ٤٥% من مزارع الولايات المتحدة عن دفع أقساط الرهن العقارى عام ١٩٣٣م ... كما تضرر القطاع الزراعى نتيجة انخفاض أسعار المنتجات ، وارتفعت معدلات الهجرة من الريف إلى المدن مما زاد من البطالة ، لقد أدت أعباء الديون إلى تدمير ثقة المستهلك وتقويض النظام المصرفى ، فأصيب الاقتصاد العالمى بالتوقف .

ونتيجة لذلك أصبحت السياسة الاقتصادية للدول الصناعية تجمع بين الليبرالية وتدخل الدولة لتوجيه الحياة الاقتصادية وحل مشاكلها ، كما أحيت الأزمة الصراعات الاستعمارية.

ومن أجل مواجهة هذه الأزمة اتجهت الدول إلى تخفيض قيمة العملة

لتشجيع الصادرات ، وتم تقليص ساعات العمل مع تجميد الأسعار والرفع من الضرائب وتطبيق سياسة الاكتفاء الذاتى وتشجيع استهلاك المنتجات الوطنية .

واعتمدت بعض الدول على مستعمراتها لمواجهة الأزمة ، واعتمدت أخرى على الصناعات العسكرية والمشاريع العمومية الكبرى .

كما تبنى الرئيس الأمريكى روزفلت " الخطة الجديدة " سنة ١٩٣٣ م لمواجهة الأزمة ، حيث تم تنظيم البنوك ومراقبة المؤسسات المالية ودعم الفلاحين مع إصلاح الصناعة بالتخفيف من المنافسة وتحديد الحد الأدنى للأجور، وفى الميدان الاجتماعى تم فتح مشروعات كبرى للتخفيف من البطالة مع تحسين الأجور ، كما تم تقليص المساحات المزروعة مع تعويض الفلاحين عن المساحات المستغنى عنها ، وتشجيع الاستهلاك عن طريق القروض .

ولقد دفعت الأزمة الاقتصادية الدول الصناعية إلى تطبيق قوانين حماية منتجاتها ، مما عرقل طموحات بعض الدول كألمانيا وإيطاليا واليابان فازدادت رغبتها فى التوسع ، وأحيت الصراعات الدولية ممهدة لحرب عالمية ثانية .

هتلر

ولد أدولف هتلر عام ١٨٨٩ م فى بلدة " بروتلو" بالنمسا ، وكان أبـوه موظفاً بسيطاً بالجمارك ، واضطرته وفاة والديه المبكرة لقطع دراسته التى كان يتلقاها فى إحدى المدارس ، وهنا بدأت حياته تمر بفترة ضياع انتهت بـالحرب العالمية الأولى التى اشترك فيها وأصيب إصابة بالغة ، وقد تركت هذا الفتـرة من المعاناة بصماتها عليه وأصبح قادراً على تجسيد متاعـب وآمـال الطبقـة المتوسطة فى ألمانيا التى ظلت فريسة للمهانة والهزيمة التى أصابتها من جراء معاهدة فرساى .

بعد ذلك استقر بميونخ حيث انضم إلى حزب العمال ، وفى عام ١٩٢١م تزعم هتلر هذا الحزب الذى أطلق عليه اسم " الحـزب الاشـتراكى الـوطنى العمالى الألمانى " والذى عرف فيما بعد اختصاراً باسم الحزب النازى ، وفـى عام ١٩٢٣م قام بثورة فاشلة فحكم عليه بالحبس تسعة أشهر وفى خلال سـجنه وضع مؤلفه " كفاحى " الذى احتوى على مبادئ النازية ودستورها فيما بعـد ، وفى عام ١٩٣٠م أصبح الحزب النازى من الأحزاب الكبيرة فى ألمانيا بعد تأييد بعض المؤسسات الصناعية الكبرى ، وفى عام ١٩٣٣م تم اختيـاره مستشـاراً للرايخ ، وفى السنة التالية وبوفاة الرئيس هندنبرج جمـع هتلـر بـين رئاسـة

الجمهورية والمستشارية وأطلق عليه اسم " الفوهرر " أى " الزعيم ".

وسرعان ما أهدرت القوانين الدستورية بمراسيم متلاحقة ، واختلطت السلطتان التنفيذية والتشريعية وانتقلت كلتاهما إلى مستشار الرايخ ، ونظمت قوات الشرطة طبقاً لمقتضيات الموقف وعهد برئاستها لرجل واحد " هملر " رئيس الحرس الخاص بهتلر ، وبسط كذلك سيطرته على الجيش.

وضع هتلر نصب عينيه على هدفين هما القضاء على اليهود وتوسيع رقعة الأرض أمام شعبه ، وكان مشروع شن الحرب على روسيا (وهو ما تحقق فعلاً) يدعم هذين الهدفين ، فالاتحاد السوفيتى دولة قليلة السكان نسبياً كما أنه فى رأيه كان خطه الدفاعى الأول ضد اليهودية العالمية ... وكان من الضرورى تهيئة الشعب بطريقة منظمة لاحتمال مواجهة الحرب ، وبدأ فى بث الصفات التى كانت فى رأيه أساسية وهى الإحساس بالأنا ، واحترام مبدأ الزعيم، وتقديس البطولة ، وبث الروح العسكرية ، ويقابل ذلك كله أن أصبحت كل فكرة عن الحرية والديموقراطية والعالمية من الأفكار المشبوهة ، واستبعدت جميع العناصر المشاغبة أو المبالغة فى الاعتدال ، وأقام معسكرات الاعتقال التى ضمت كل المعارضين للنظام .

كان هتلر عند توليه المستشارية قد وعد العاطلين الذين بلغ عددهم فى ذلك الوقت ستة ملايين أن يوفر لهم جميعاً العمل ، وكان ذلك هو ما تحقق فعلاً فى بداية عام ١٩٣٩م ، وفى عام ١٩٣٤م وبالرغم من نصوص معاهدة فرساى التى كانت تفرض على ألمانيا تحديد تسلحها صارت نصف استثمارات البلاد مخصصة لمجهود الإعداد للحرب ، وكان العمل إجبارياً فى أيام الأحد ، وصار تجنيد الأطفال أيضاً إجبارياً فى جماعات " شباب هتلر " وحلت جبهة عمل ألمانية يشرف عليها الحزب محل النقابات التى ألغيت ، ولم تنج الحياة الدينية

من التدخل فأنشئت جماعة " المسيحيين الألمان " أى سرى النظام فى كل مرافق الحياة .

وعلى الرغم من قسوة هذا النظام وعدم سماحه لأى معارضة ، إلا أنه كانت هناك معارضة له من بين بعض طبقات الشعب الألمانى ، فقد احتفظت طبقة الأرستقراطيين بمجتمعها مغلقاً ، كما بدأت الخلايا الشيوعية تعمل ضده ، وكذلك الحزب الاشتراكى الديمقراطى الألمانى وكان زعماؤه فى المنفى منذ عام ١٩٣٣م قد بدأوا ينظمون المقاومة من الخارج ، وقد جرت عدة محاولات لاغتيال هتلر وباءت جميعها بالفشل .

وفى عام ١٩٣٧ م غزا النمسا وضمها ، ثم ضم منطقة السوديت بعد اتفاقية ميونيخ عام ١٩٣٨م ، وضم تشيكوسلوفاكيا ، وعقد ميثاق عدم اعتداء على روسيا وتلا ذلك غزو بولندا فى سبتمبر ١٩٣٩م مما أدى إلى إعلان الحرب العالمية الثانية لأن بريطانيا وفرنسا كانتا قد تعهدتا بالدفاع عن بولندا .

وتلا ذلك الاستيلاء على الدنمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا ويوغوسلافيا واليونان وجزيرة كريت ، ثم أعلن الحرب على روسيا واكتسح حدودها الغربية حتى وصل إلى موسكو ... ومنذ عام ١٩٤٣م بدأ ارتداد الموجة بنزول الحلفاء فى صقلية مما أدى نهائياً إلى سقوط موسولينى وانسحاب إيطاليا، وفى عام ١٩٤٤م بدأ غزو الحلفاء لساحل نورماندیا الذى أدى إلى تحرير فرنسا، ومما عجل بانهيار ألمانيا الهتلرية الغارات الجوية العنيفة على المدن الألمانية ومقاطعاتها الصناعية التى انتهت بإعلانها التسليم بلا قيد ولا شرط فى عام ١٩٤٥م.

وفى ٢٩ أبريل ١٩٤٥م انتحر هتلر فى مبنى دار المستشارية ببرلين قبل استيلاء القوات الروسية على المدينة.

الحرب العالمية الثانية

كانت شرارة الحرب العالمية الثانية النزاع (الألمانى – البولندى) حـول ممر وميناء دانتزج ، إلا أن الأسباب الحقيقية لتلك الحرب كانت أبعد من ذلك ، إذ يرجع بعضها إلى تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى ، والتى أدت إلـى تغير فى رسم خريطة العالم وبخاصة أوربا ، فأبرمت معاهدات عقابية أخـذت طابع الانتقام ضد ألمانيا ، ودفعت بأحد أعضاء الوفد الألمانى فى مؤتمر الصلح فى " فرساى " ١٩١٩ إلى القول للحلفاء : " سنراكم مرة ثانيـة بعـد عشـرين عاماً"، وصدقت نبوءة الرجل ، فكانت الحرب العالمية الثانية التى طالت أغلـب دول العالم ، وكانت الأعنف فى حروب البشر وصراعاتهم .

ومع تولى النازيين بزعامة هتلر للحكم فى ألمانيا تعرض ميزان القوى فى أوربا للخطر ، وكانت سياسة هتلر الخارجية تهدف فى البداية إلى إزالة عار الهزيمة وتبعاتها عن ألمانيا لكى تحتل مكان الصدارة بين الأمم ، وتقوم بتصفية حسابها مع من أذلوها – خاصة فرنسا – ويتم توحيد وضم الشعوب الألمانية فى دولة واحدة ، وكانت خطواته لتحقيق ذلك تحطيم معاهدة فرساى ، والقضاء على بنودها ، ثم بسط السيطرة الألمانية على أوربـا سـواء بالوسـائل السـلمية أو الحرب .

لذا شرع هتلر فى إعادة تسليح ألمانيا فأعلن فى مارس ١٩٣٥ امتلاك السلاح الجوى ، ثم عقد اتفاقاً بحرياً مع بريطانيا فى نفس العام ، ألغى فيه التحديد الصارم للقوات البحرية الألمانية مقابل اعترافه بتفوق القوات البحرية البريطانية ، وتساهلت معه بريطانيا فى عدد وحمولات الغواصات التى يمكن لألمانيا امتلاكها ، وبذلك استطاع أن يفصل بريطانيا عن الحلف الذى اقامته فرنسا مع الاتحاد السوفيتى ، كذلك زاد عدد الجيش الألمانى إلى٣٠٠ ألف مقاتل بدلاً من ١٠٠ ألف ، ثم فرض الخدمة العسكرية الإجبارية ، وأقام جيشاً دائماً يقدر بنصف مليون جندى .

ثم شرع هتلر فى احتلال أراضى الراين فى مارس ١٩٣٦ رغم أن صلح فرساى ينص على أن تكون المنطقة محايدة منزوعة السلاح ضماناً لأمن فرنسا ، وفى نفس الفترة احتلت إيطاليا الحبشة ، وبذلك فسدت العلاقة بين إيطاليا والحلفاء ، وكانت تلك بداية تكوين تحالف " المحور " الذى تدعم بمساندة هتلر وموسولينى لثورة فرانكو فى الحرب الأهلية الأسبانية بحوالى ثمانين ألف جندى .

جاء تكوين المحور بسبب فساد العلاقات بين إيطاليا وكل من بريطانيا وفرنسا ، بسبب احتلال إيطاليا للحبشة ، بالإضافة إلى عوامل أخرى منها التشابه الايديولوجى بين النازية والفاشية ، وحاجة الدولتين إلى التوسع الخارجى لامتصاص الزيادة السكانية ، وجاءت الحرب الأسبانية لتوحد جهودهما ، وجاءت فكرة المحور فى خطاب لموسولينى فى نوفمبر ١٩٣٦ وفى نفس الشهر وقعت إيطاليا واليابان وألمانيا معاهدة ضد الشيوعية ، ثم تطورت عام ١٩٣٩ إلى تحالف سياسى وعسكرى كامل عرف باسم " محور روما – برلين " ويقضى بتوسع إيطاليا فى البحر المتوسط وتوسع ألمانيا فى وسط وشرقى أوربا .

ثم بدأت عملية استقطاب دولى سريع فى تلك الفترة بين المعسكرين الكبيرين (المحور – الحلفاء) فانضمت اليابان ثم المجر وبلغاريا ورومانيا وسلوفاكيا وكرواتيا إلى المحور ، أما الحلفاء فكان يأتى فى مقدمتهم بريطانيا وفرنسا .

وتطورت الأحداث فاحتل هتلر النمسا فى مارس ١٩٣٨ ودمجها فى ألمانيا ، وهو ما عرف باسم " الرايخ الثالث " ثم سيطر على تشيكوسوفاكيا فى العام التالى ، وأخذ يتحول إلى ابتلاع بولندا ، وفى الوقت نفسه قامت إيطاليا بغزو ألبانيا ، ووقعت روما وبرلين ميثاقاً عسكرياً يقضى بأنه إذا تورطت إحدى الدولتين فى حرب مع دولة أخرى أو مجموعة من الدول ، فإن الدولة الأخرى تسارع إلى مساعدتها كحليفة ، وتقدم لها ما يلزمها من البر والبحر ، وفى المقابل حدث تقارب (فرنسى – بريطانى) مماثل ، وتعهد الإنجليز بضمان استقلال بولندا .

والمعروف أن رئيس الوزراء البريطانى تشمبرلين لم يقف موقفاً حاسماً من احتلال هتلر لتشيكوسلوفاكيا ، ولم يتقبل دعوة الرئيس السوفيتى ستالين بعقد مؤتمر دولى من الدول الكبرى لضمان حماية أوربا الوسطى وشرق أوربا ، وذلك لأن بريطانيا كانت تخشى من الخطر الشيوعى وسيطرته على أوربا ، وعندما اشتدت الأطماع الألمانية فى بولندا ، لم تفلح جهود بريطانيا وفرنسا فى إقناع بولندا بمرور الجيش السوفيتى فى أراضيها ، وقال وزير خارجية بولندا : " إننا مع الألمان نفقد استقلالنا ومع السوفيت نفقد روحنا " وأمام ذلك الأمر وقع الاتحاد السوفيتى مع ألمانيا معاهدة عدم اعتداء فى أغسطس ١٩٣٩ وكان هذا الميثاق بمثابة الضوء الأخضر لألمانيا للهجوم على بولندا .

وفى ١ سبتمبر ١٩٣٩ كانت القوات الألمانية تجتاز الحدود البولندية وتشعل شرارة الحرب العالمية الثانية ، وبدا واضحاً أن بريطانيا وفرنسا هما

الخاسرتان من الحرب مهما كانت نتائجها ، واضطرت الدولتان إلى توجيه إنذار نهائى لألمانيا فى اليوم الثالث لدخولها بولندا ، بدأت الحرب تستعر، واستطاع الجيش الألمانى دخول الدنمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا والبلقان ، لكنه فشل فى احتلال بريطانيا بعد المعارك الجوية الرهيبة بين الألمان والإنجليز، وفشلت الغواصات الألمانية فى قطع طرق مواصلات الإمبراطورية البريطانية فيما وراء البحار .

وارتكب هتلر خطأً كبيراً حين تحول لمهاجمة الاتحاد السوفيتى فى يونيو ١٩٤١ تاركاً بريطانيا خلف ظهره ، وهى القاعدة الاستراتيجية التى يمكن أن توجه منها الهجمات إليه .

وفى تلك الأثناء قام اليابانيون بمهاجمة الأسطول الأمريكى فى المحيط الهادى فى ميناء بيرل هاربر ، وأغرقوا كثيراً من قطعه ، ثم انطلقوا فى جنوب شرقى آسيا ،وأصبحوا على مقربة من استراليا ، وحتى ١٩٤٢ كان المحور لا يزال يحقق الانتصارات فى كل مكان .

أما الغرب والحلفاء فكانوا فى أقصى درجات الانهيار ، واخترقت القوات الألمانية شمال أفريقيا نحو الشرق الأوسط ، فى محاولة للاتصال باليابانيين فى الهند ، لكنها هزمت فى معركة " العلمين " الشهيرة .

وقبل نهاية عام ١٩٤٢ كانت الصورة قد تغيرت حيث هزم الأسطول اليابانى فى معركة (ميداوى) ثم هزم القائد الألمانى روميل فى العلمين ، وبعد بضعة أشهر كانت القوات الألمانية تستسلم فى ستالينجراد بالاتحاد السوفيتى مسجلة بذلك نقطة تحول فى الحرب الألمانية السوفيتية ، وبدأ الحلفاء فى غزو ألمانيا ، حيث عبر الروس فى ديسمبر ١٩٤٤م الحدود الألمانية لأول مرة واستمر الحلفاء فى التقدم رغم بسالة الألمان فى الدفاع عن دولتهم وخسارتهم

مئات الآلاف من القتلى ، وأصبح قلب ألمانيا مفتوحاً ، فتدفق داخله السوفيت والأمريكان ، كذلك نجح الحلفاء فى دخول روما ، ثم أعدم الثوار الإيطاليون "موسولينى" وعلقوه من قدميه فى أحد اعمدة الإنارة فى ميلان ، أما هتلر فقد انتحر فى ٣٠ إبريل ١٩٤٥ ووقع ممثلو ألمانيا وثيقة الاستسلام بلا قيد أو شرط .

أما اليابان فقد وقعت وثيقة الاستسلام بدون قيد أو شرط فى ٢ سبتمبر ١٩٤٥ بعد إلقاء قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكى ،وبعدها بثلاثة أيام رفع العلم الأمريكى فوق طوكيو ، وانتهت بذلك رسمياً الحرب العالمية الثانية بعد ست سنوات من القتال الشرس ، خسرت فيه البشرية حوالى سبعة عشر مليوناً من العسكريين وأضعاف هذا العدد من المدنيين .

خط ماجينو

خط دفاعى فرنسى أقيم على حدود ألمانيا من سويسرا إلى لكسمبورج ، وكان يعتقد أنه نموذج للتحصينات الدفاعية الثابتة المسلحة بالمدفعية الثقيلة ، والمتصلة بسراديب أرضية ، نسب إلى " اندريه ماجينو " وزير الحربية الفرنسى الذى أشرف على بنائه .

ذلك أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وانتصار فرنسا عام ١٩١٨، بدأت الدراسات حول ما يجنب فرنسا أى عدوان مرتقب ، خاصة على الحدود الشمالية الشرقية مع ألمانيا ، فى منطقتى الألزاس واللورين ، وبعد دراسة الاستراتيجية الألمانية التى تبنت نظرية الحرب الخاطفة اتخذت فرنسا استراتيجية دفاعية ، اعتمدت على بناء خط من التحصينات القوية المستديمة "خط ماجينو" ليكون قادراً على وقف تقدم القوات الألمانية المهاجمة ، مما يسهل قيام القوات الفرنسية المدافعة بتوجيه ضربات مضادة إليها وسحقها ، وقد أثر هذا الفكر الاستراتيجى الخاطئ على تنظيم القوات الفرنسية المدافعة عن خط ماجينو وتكوينها ، وأدى إلى إهمال تطوير قواتها المدرعة والميكانيكية والقوات الجوية وقوات الإبرار الجوى ، وقد ساعد على الاقتناع بهذه النظرية أن القيادة العليا الفرنسية قد تأثرت لعدد القتلى والجرحى فى الحرب العالمية الأولى من

عام ١٩١٤ – ١٩١٨ ، والذى جعل الرأى العام الفرنسى على درجة عالية من الحساسية لفقد الأرواح ، موقنة أنها إن تكررت فستكون النتيجة نهاية فرنسا ، وأصبح البرلمان الفرنسى أكثر قناعة للأخذ بالدفاعات المحصنة التى توفر للجنود الفرنسيين الصمود والثبات.

وقد استمر بناء خط ماجينو من عام ١٩١٩ إلى عام ١٩٤٠ ، حتى اعتقد أنه خط لا يمكن اقتحامه وأنه سيمثل خط دفاعى نموذجى تجاه ألمانيا ، إلا أن الزمان دار دورة قاسية وألقى كل تحصينات ماجينو فى متاحف التاريخ ، وذلك عندما التف الألمان فى الحرب العالمية الثانية – عكس التوقعات – حول فرنسا من جهة بلجيكا وهولندا عابرين نهر اللوار ، ومندفعين نحو باريس ، محققين الفصل الكامل بين الجيوش الفرنسية لتتكبد فرنسا فى الحرب قرابة ثلاثة ملايين بين قتيل وجريح.

معركة بيرل هاربر
تقلب موازين الحرب العالمية الثانية

فى اليوم التالى لهذه المعركة ... وبعد أن عرف الشعب الأمريكى بالغارة اليابانية فوق ميناء بيرل هاربر ، وجد الرئيس الأمريكى روزفلت نفسه مضطراً لإعلان الحقيقة ، فتوجه إلى الكونجرس بالرسالة التالية " أمس ، فى ٧ ديسمبر ١٩٤١ – تاريخ سيبقى مسطوراً بخطوط العار – هوجمت الولايات المتحدة عن سابق إصرار ، وتصميم ، وبصورة مفاجئة من قبل القوات البحرية والجوية للامبراطورية اليابانية " ... وبعدها دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية لتتغير كل موازين القوى .

علم اليابانيون أن عنصرا المفاجأة والسرعة من أهم عناصر الهجوم، وقامت استراتيجيتهم على تجريد العدو من السلاح وتأسيس خطوط دفاعية حول المناطق المحتلة ، وكانت خطة اليابان الطموحة تهدف إلى شل القوات الأمريكية فى جزر هاواى وفى الوقت نفسه احتلال جنوب شرق آسيا.

كان الهجوم المدمر ضد الأسطول الإيطالى فى ميناء تارانتو الذى شنته طائرات بريطانية قاذفة للطوربيدات انطلاقاً من حاملة الطائرات ، هو الذى أوحى لليابانيين بفكرة الهجوم على ميناء بيرل هاربر بعد ذلك بعام .

فى اليوم المحدد ... يبحر أسطول يابانى قوى مسرعاً نحو الشرق فى

ديسمبر عام ١٩٤١م ، يتعمد قائد الأسطول الأدميرال ناغومو الإبحار فى طريق يجنبه التعرض لمراقبة سفن أو طائرات أجنبية ، ويختلف هذا الأسطول الضخم اختلافاً جذرياً عن أى قوة عسكرية بحرية تم تجميعها من قبل ، إذ تبحر فى قلب الأسطول مجموعة من ست حاملات طائرات على متنها ٣٦٠ طائرة مقاتلة، إن قدرة هذا الأسطول على الوصول إلى مدى بعيد فى أعالى البحار إلى جانب القوة الهائلة لطائراته يعطيه قدرة هجومية لا مثيل لها فى التاريخ البحرى، فخلال ساعتين ستقوم الطائرات المنطلقة من حاملات الطائرات بقلب ميزان القوى فى المحيط الهادى، كما ستضمن بأنه خلال الصراع الممتد عبر آلاف الأميال فى المحيط ستخرج حاملة الطائرات سيدة الموقف بلا منازع ، كان مفهوم توجيه ضربة جوية شاملة انطلاقاً من السفن لا يزال جديداً ، ويستدير الأسطول اليابانى نحو الجنوب متجهاً إلى موقع يبعد ٣٠٠ كم عن جزر هاواى .

حققت الموجة الأولى من الهجوم اليابانى المفاجئ نصراً مذهلاً للعدو ، حيث تلقى الأسطول الأمريكى كمية لا بأس بها من الصواريخ المتطورة والمصممة خصيصاً لمياه بيرل هاربر الضحلة ، هزت انفجارات عنيفة الطرادات وزارعات الألغام والبوارج مثل أوكلاهوما ولكن كانت تلك البداية فقط ، إذ كانت الموجة الثانية من الهجوم اليابانى على وشك أن تبدأ .

فى الساعة الثامنة وخمسين دقيقة صباحاً اقتربت الموجة الثانية من الطائرات اليابانية من الشمال وكانت خطة الهجوم ضرب القواعد العسكرية المنتشرة على الجزيرة بالمقاتلات والقاذفات الأفقية وقاذفات الانقضاض ، وأصابت ٦٨ قاذفة انقضاض السفن فى بيرل هاربر وضربت ٥٤ قاذفة بعيدة المدى المحطات الجوية التابعة للقوات البحرية وحامت ٣٦ مقاتلة فوق المرفأ لضمان السيطرة على الأجواء ، لقد أحدثت الموجة الثانية فوضى عارمة ، أخذ

الأمريكيون يطلقون النار على كل ما يتحرك فى الجو.

حقق الهجوم المفاجئ نجاحاً ساحقاً ونجحت الخطة اليابانية نجاحاً كلياً حيث فاقت الهجمات كل توقعاتهم ، استطاع اليابانيون أن يتخلصوا بخطة محكمة جريئة من قسم كبير من القوات البحرية والجوية الأمريكية فى الشرق الأقصى، وهبت النيران فى المنشآت العسكرية ، وحولت القنابل والطوربيدات اليابانية البارجة الأمريكية " رو " إلى كتلة من اللهب بفعل الانفجارات والحرائق نتج عنها سحب عارمة من الدخان ، وعندما انسحبت الطائرات المغيرة فى النهاية عائدة إلى حاملات طائرتها كانت تخلف وراءها مشهداً من الدمار لا نظير له .

إنها هزيمة مدمرة للبحرية الأمريكية التى تخسر ثلاث بوارج منها كاليفورنيا ونيفادا وست طرادات وخمس غواصات و ١٤٠ طائرة وأصيبت مدمرتان بخسائر جسيمة ، وكانت الخسائر البشرية ٤٤٧٥ بين قتيل ومفقود وجريح من العسكريين والمدنيين .

كان الهجوم الياباني مباغتاً ومدمراً وصاعقاً ، ساهم الخوف من اجتياح العدو فى بروز حالة من جنون الارتياب ، لحق الدمار الجزيرة ، ألح القائد فوشيدا على متن حاملة الطائرات على إطلاق الموجة الثالثة ولكن فى الساعة الواحدة والنصف ظهراً قرر الأدميرال ناغومو إلغاء الهجوم وانسحب الأسطول الياباني ... فما حدث كان كافياً .

معركة ستالينجراد

فى صيف ١٩٤١م كان هتلر قد حقق من الانتصارات ما لم يسبق أن سجل مثلها تاريخ الحروب ، فقد غزا بولندا فى ٢٧ يوماً ، والدنمارك فى يوم واحد ، والترويج فى ٢٣ يوماً ، وهولندا فى ٥ أيام ، وبلجيكا فى ١٨ يوماً ، وفرنسا فى ٣٩ يوماً ، ويوغوسلافيا فى ١٢ يوماً ، واليونان فى ٢١ يوماً ، وكريت فى ١١ يوماً ، ثم أخذ يستعد لأعظم غزواته قاطبة ... روسيا ، حيث وقعت بها أعنف المعارك فى التاريخ الحديث.

ففى فجر ٢٢ يونيو ١٩٤١م ، شقت الفرق الألمانية طريقها عبر الحدود الروسية وأخذت تزحف فى ثلاثة اتجاهات : لينينجراد وموسكو و أوكرانيا ... وحققت هذه الحملة نجاحاً مذهلاً فقد اقتربت القوات الألمانية من لينينجراد وموسكو واحتلت كييف عاصمة أوكرانيا ، غير أن الهجوم الثلاثى كان خطأ جسيماً ارتكبه الألمان ، فمواردهم لم تكن كافية ، وسرعان ما أخذ اندفاعهم يفقد سرعته ، وباقتراب الشتاء الروسى اضطرت القوات الألمانية للتوقف فلم يكن لديها أى استعدادات لخوض حرب شتوية ، وهنا بدأت الهجمات المضادة القوية تنهال على الألمان من جهة التعزيزات الروسية القادمة من سيبيريا مما جعل هتلر يقرر حفر الخنادق ومواجهة آخر ما كان يرغب فى مواجهته ... حرب الشتاء.

وبدأت قواته تتعرض للعديد من أعمال التخريب بفعل الوطنيين الروس فى مؤخرة خطوطه ، ثم دخلت الولايات المتحدة الحرب فبدأ هتلر يستعد لمواجهة معارك جديدة فى الغرب ، ولذلك أعاد رسم خطته على أساس إنشاء خط دفاعى حصين داخل روسيا ،ولتنفيذ ذلك كان يحتاج إلى إمدادات وبصفة خاصة الوقود ولذلك قرر أن يحتل منطقة القوقاز الغنية بالزيت وبقواعد تموينها على البحر الأسود ، وكان مفتاح الطريق المؤدى لتحقيق هذا الهدف هو الاستيلاء على مدينة ستالينجراد .

وبدأت المعركة فى القرم يوم ٨ مايو ، وفى يوم ١٥ مايو استولى الألمان على (كرش) ، وفى ٢ يونيو حاصروا سيباستيول ، وفى ٢٨ يونيو بدأت معركة ستالينجراد الفعلية ،واستطاعت القوات الألمانية الاستيلاء على عدد من المدن الروسية وهى فى طريقها إلى ستالينجراد ،وفى يوم ١٢ سبتمبر أمر هتلر بالاستيلاء على ستالينجراد بالاقتحام يوم ١٥ سبتمبر.

بدأت عملية اقتحام الألمان للمدينة فى اليوم المحدد ، وفى يوم ٢٦ سبتمبر تمكن الجيش السادس من اقتحام منطقة المصانع الواقعة فى القطاع الشمالى من المدينة ، وتلت ذلك وقفة صغيرة ، وفى يوم ٤ أكتوبر شق الجيش السادس طريقه للأمام ، كان القتال يدور بشراسة من شارع إلى شارع ومن منزل إلى منزل وكان الأهالى يبدون مقاومة جنونية ، وكان العمال يتدفقون من المصانع ليقاتلوا الألمان بالمعاول ، وبعد عشرة أيام أمر هتلر بتدمير المدينة بالمدفعية ، وكان ستالين يتمسك بتلك المدينة التى تحمل اسمه ، ومع ذلك أعلن هتلر " أنه لن يتخلى عن يارده مربعة من الأرض ".

وبالرغم من التقدم الهائل الذى حققه الألمان ، إلا أن الوقت لم يكن فى جانبهم فقد كان الروس يقيمون كبارى على نهر الدون ، وكان المعنى الوحيد لذلك هو اعتزامهم القيام بهجوم مضاد ، وفى ١٩ نوفمبر كان الهجوم قد بدأ

وكان يهدف اختراق الحصار على ستالينجراد من الشمال إلى الجنوب ثم الانتشار نحو مدينة " كالاش " ، وفى هذه الحالة يتم حصار الجيوش الألمانية المتقدمة حصاراً تاماً ، وتم كل شئ طبقاً للخطة وحوصر الجنرال الألمانى "فون باولوس " داخل ستالينجراد وكان يستطيع أن ينفذ بقواته ولكن هتلر أمره بالصمود وأطلق على جيشه اسم " قلعة ستالينجراد " .

كانت خطة هتلر ترمى إلى اختراق الخط الجديد للروس وإعادة إنشاء جبهة ستالينجراد ، وتولى " فون مانشتاين " قيادة " مجموعة جيوش الدون " ، وقام بالهجوم يوم ١٢ ديسمبر وفى ٢١ من نفس الشهر كان يبعد ٤٨ كم عن ستالينجراد ، وأنذر فون باولوس بأن يستعد للخروج من الحصار خلال ٢٤ ساعة ولكنه رفض تنفيذ الأمر بحجة أن الوقود الذى لديه لا يكفى للسير أكثر من ٣٢ كم ولكنه فى الحقيقة كان ينتظر أمراً مباشراً من هتلر ... وأصبح موقف فون مانشتاين حرجاً ، وفى يوم ٢٤ ديسمبر أخذ ينسحب مسرعاً نحو الغرب وبموافقة هتلر.

وكانت جبهة الدون الألمانية كلها قد تداعت ، وشقت فى خطوطها ثغرة طولها ٣٢٠ كم ، أما داخل ستالينجراد حيث كانت درجة الحرارة تحت الصفر ، فتكت حمى التيفود والدوسنتاريا بالآلاف من الألمان ، وفى منتصف يناير أبلغ فون باولوس هتلر بأن قواته لم تعد تستطيع الاحتمال وكان الرد " التسليم مستحيل ، إن الجيش السادس سوف يؤدى واجبه التاريخى فى ستالينجراد حتى أخر رجل " ، وفى ٢٥ يناير استولى الروس على آخر مطار للألمان فى المنطقة وفقد الجيش السادس الاتصال بالعالم الخارجى ، وفى ٣١ يناير منح فون باولوس رتبة " فيلد مارشال " .

وفيما بين ٣١ يناير و ٢ فبراير استسلم الجيش السادس بأكمله ، وكان من بين الذين استسلموا الجنرال (فيلد مارشال) فون باولوس ومعه ٢٣ جنرالاً

و ٢,٠٠٠ ضابط و ٩٠,٠٠٠ من الرتب الأخرى و ٤٠,٠٠٠ من غير المحاربين ، وبلغ عدد القتلى من الجيش السادس ١٠٠,٠٠٠ رجل ، فضلاً عن الكميات الهائلة من المعدات التى دمرت ، ولعل أولئك القتلى كانوا أوفر حظاً ، حيث توفى ٥٠,٠٠٠ أسير ألمانى خلال الأسابيع الأولى من أسرهم.

وداعاً ... هيروشيما

فى صباح السادس من أغسطس ١٩٤٥ اقلعت القاذفة الأمريكية "اينولاغاى" من المطار العسكرى الأمريكى " تينيان " فى جزر الماريان باتجاه اليابان ... كان قائد الطائرة " بول تيبتز " الذى تدرب عدة أشهر على هذه المهمة هو الوحيد من طاقم هذه الطائرة الذى يعرف طبيعة القنبلة التى تزن أكثر من أربعة أطنان ... وبعد ٤٥ ثانية فقط وعلى ارتفاع ٦٠٠ م تم إلقاء القنبلة فوق مركز مدينة هيروشيما .

وفى زمن لا يتعدى جزءاً من الثانية ، ولأول مرة فى تاريخ البشرية تتحول المادة إلى طاقة فى غاية الضخامة ... إلى جحيم ... فقد أعادت تلك القنبلة إلى الأذهان الشروط المناخية داخل الشمس ، ولكنها هذه المرة كانت أشبه بشمس الموت ، وقد أطلق الأمريكيون على تلك القنبلة اسم " الصبى الصغير ".

ومنذ اللحظة الأولى للانفجار انتشرت الطاقة الحرارية على شكل وميض أبيض خاطف من الاشعاعات السينية " أشعة اكس " التى حولت الهواء إلى كتلة من اللهب على مسافة تقدر بحوالى ١ كم وحرارة تقدر بعدة ملايين من الدرجات المئوية ، وانتشرت موجة من الحرارة بسرعة الضوء والتهمت كل شئ أمامها !!

وعلى الأرض بلغت الحرارة عدة آلاف من الدرجات المئوية فى نقطة التصادم وفى قطر كيلو متر واحد تبخر كل شئ تلقائياً واستحال إلى رماد ، وعلى مسافة ٤ كم التهمت النار الأبنية والناس تلقائياً ، وعلى بعد ٨ كم من مركز الانفجار وصلت حروق من بقى حياً إلى الدرجة الثالثة .

كانت الأبخرة الناجمة عن التفجير ذات قطر يقدر بميل ونصف ، وسبب التفجير تدميراً بالكامل لمساحة قطرها ميل ، كما سبب تدميراً شديداً لمساحة قطرها ميلين ، وفى مساحة قطرها ميلين ونصف احترق تماماً كل شئ قابل لأن يحترق وما تبقى من منطقة التفجير كان متوهجاً أو محمراً من الحرارة الشديدة، كان اللهب ممتداً لأكثر من ثلاثة أميال قطراً ، وقد تولد أثر ذلك موجة من الصدمة ولدها الضغط نتيجة تمدد الغازات الحارة وتقدمت بسرعة تقارب ١٠٠٠ كم / ساعة وتكون جداراً صلباً من الغازات على شكل كرة ورافق ذلك رياح عنيفة حملت الحطام والأنقاض تغذيها أمواج من ألسنة اللهب التى أحالت كل شئ إلى رماد فى قطر يقدر بحوالى ٢ كم ، فقد دمر ٦٢ ألف مبنى من أصل ٩٠ ألف مبنى ، وقتل أكثر من ٨٠,٠٠٠ شخص فوراً ، وأصيب أكثر من ٩٠,٠٠٠ آخرون ، وتوفى عشرات الآلاف ممن أصيبوا بعد ذلك ، وبقى عشرات الآلاف بلا مأوى ، أما التأثير الذى لم يظهر إلا فيما بعد فهو تأثير الاشعاعات الصادرة مباشرة عن الانشطارات النووية بتأثيراتها الرهيبة على العناصر الحية .

وبعد ثلاثة أيام فى التاسع من أغسطس ١٩٤٥ القت الولايات المتحدة الأمريكية قنبلة نووية ثانية ، أطلق عليها اسم " الرجل البدين " لتدمر مدينة ناجازاكى اليابانية ، وبلغ عدد قتلاها أكثر من ٧٠,٠٠٠ ألفاً .

وفى اليوم التالى فى العاشر من أغسطس ١٩٤٥ استسلم الإمبراطور الياباني " هيروهيتو " دون أية شروط ... لتنتهى الحرب العالمية الثانية .

ولم يكن يوجد سبب منطقى فى ذلك الحين يدفع الولايات المتحدة لتفعل ما فعلت ، فقد كانت الإمبراطورية اليابانية تحتضر ولم يكن الأمر يستدعى قنبلتين نوويتين لإرغام اليابان على الاستسلام ، إلا أن السبب المنطقى الأمريكى غير المعلن فهو أن المقاتل اليابانى مقاتل عنيد ولا يستسلم وكان عناد الجندى اليابانى يسبب خسائر فى الأرواح فى صفوف الجنود الأمريكيين فكان لابد من إرسال رسالة أمريكية لا لبس فيها لكسر العناد اليابانى وتمثلت الرسالة الأمريكية بقنبلة هيروشيما ولم يرضخ اليابانيون إلا بعد قنبلة ناجازاكى ، كما كان هناك رغبة غير معلنة فى استعراض القوة الأمريكية أمام الاتحاد السوفيتى، وباستخدام تلك التكنولوجيا الحديثة التى تكلفت أكثر من مليارى دولار ، وكانت بالنسبة لبعض العلماء أهم من اختراع النار .

أما القرار الرسمى لاستخدام القنبلة الذرية فقد صدر عن الرئيس الأمريكى " ترومان " الذى أصدر قرار إلقاء القنبلتين معللاً ذلك بقلق الأمريكيين على حياتهم ، خوفاً من غزو يابانى محتمل ، وهو ما لم يكن صحيحاً ...!

شارل ديجول
قائد المقاومة الفرنسية

عين شارل ديجول (١٨٩٠ – ١٩٧٠) ، بعد تخرجه من كلية سان سير العسكرية تحت قيادة الكولونيل فيليب بيتان عام ١٩١٢ ، شارك فى الحرب العالمية الأولى ، وعندما قامت الحرب العالمية الثانية تولى ديجول قيادة دبابات الجيش الخامس ، وفى ١٠ مايو ١٩٤٠ دخلت القوات الألمانية سيدان، وتقهقرت القوات الفرنسية ، وحاول ديجول تنفيذ هجوم مضاد لكنه فشل .

وفى يونيه ١٩٤٠ ، عين ديجول فى منصب وكيل وزارة الحرب والدفاع ، وذهب إلى لندن لمقابلة ونستون تشرشل ، الذى صرح لديجول بأن إنجلترا تركز جهودها لتمنع غزو ألمانى لها ، وفى ١٠ يونيه دخلت ايطاليا الحرب ، وكان الألمان على أبواب باريس ، فغادرت الحكومة الفرنسية العاصمة، واتخذت من مدينة تور مقراً لها .

اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء فى ١١ يونيه ١٩٤٠ ، وكان يتكون فى ذلك الوقت من تشرشل وإيديه ورينو وبيتان وفيجان وديجول ، وقد اتفق تشرشل وديجول فى الرأى الخاص بالانسحاب نحومقاطعة بريتانى وإنشاء مقاومة شعبية، إلا أنه فى اليوم التالى اقترح بيتان وفيجان توقيع الاستسلام ودخل الألمان باريس ، واتخذت الحكومة من مدينة بوردو مقراً لها ، وتوجه ديجول

إلى لندن ، وقابل تشرشل بمقر مجلس الوزراء البريطانى ، الذى وضع إمكانيات هيئة الإذاعة البريطانية تحت أمر ديجول ، وناشد الفرنسيين بمواصلة المقاومة ، وفى ١٩ يونيه أملى هتلر شروطه لوقف المعارك ، وفى ٢٢ يونيه وقعت فرنسا الاستسلام فقطعت بريطانيا علاقاتها بحكومة بوردو واعترفت بالهيئة الوطنية الفرنسية التى أنشأها ورأسها ديجول ، كما اعترفت بريطانيا بأن ديجول قائداً لكل الفرنسيين ، وفى بريطانيا قام ديجول بتنظيم القوات الفرنسية الحرة الموجودة هناك وفى بعض المستعمرات الفرنسية حيث قام بزيارة القاهرة وسوريا ولبنان فى مارس ١٩٤١ من أجل استقطاب القوات الفرنسية الموجودة بها .

بدأ نجم ديجول يلمع ، ففى سبتمبر ١٩٤١ أصبح رئيساً للهيئة الوطنية الفرنسية فى لندن ، وفى ٢٣ يوليه ١٩٤٢ عقد لقاء بين ديجول ووفد عسكرى أمريكى ، واقترح ديجول عليهم القيام بعملية إنزال بحرى فى منطقة نورماندى، إلا أن القوات الأمريكية والبريطانية قامت بعملية إنزال فى الجزائر فى ٨ نوفمبر ١٩٤٢ بدون علم ديجول ، ولكنه أيد العملية ، وبطول عام ١٩٤٣ وافق الحلفاء على أن يصبح ديجول قائداً للفرنسيين المقاتلين .

وفى ٢٨ نوفمبر ١٩٤٣ اجتمع ستالين وروزفلت وتشرشل فى طهران ، وقرروا إنزال القوات الحليفة على شواطئ فرنسا فى ربيع ١٩٤٤ ، ونظم اجتماع بين ديجول وتشرشل فى يناير ١٩٤٤ ، طالب فيه ديجول بزيادة المعدات العسكرية للمقاومة الفرنسية ، وكذلك فرض سيطرته على الأراضى الفرنسية التى ستحررها القوات الحليفة ، وفى ٦ يونيه ١٩٤٤ تم إنزال قوات الحلفاء فى منطقة نورماندى ، ووصل ديجول إلى الشواطئ الفرنسية فى ١٤ يونيه ١٩٤٤ .

وفى ٢٠ أغسطس وصل ديجول إلى مدينة شربورج بشمال فرنسا ،

وبدأت عمليات تحرير فرنسا ، واستطاعت الفرقة الثانية المدرعة وفرقة المقاومة الشعبية أن تجبر القوات الألمانية تحت قيادة الجنرال شولتيتز على الاستسلام ، وفى ٢٥ أغسطس وصل ديجول إلى مقر وزارة الدفاع بشارع دومنيك واتخذه مقراً له ، وفى ٢٦ أغسطس ١٩٤٤ استقبل ديجول فى باريس استقبالاً شعبياً حافلاً ، وعقد اجتماع مع رؤساء المقاومة ، وفى سبتمبر ١٩٤٤ أصبح رئيساً للحكومة المؤقتة.

ولكن عندما أسفر استفتاء عام للفرنسيين عن إيثار الشعب لحكومة برلمانية ، بدلاً من حكومة رئاسية كما اقترح ديجول قدم استقالته فى يناير ١٩٤٦ من الحكم واعتكف .

وبعد حدوث اضطرابات داخلية كبيرة فى فرنسا فى شهر مايو ١٩٥٨ ، أعلن ديجول أنه مستعد أن يتسلم زمام الحكم ، على أن يكون رجوعه للحكم بشكل شرعى ، فى يونيه ١٩٥٨ قام ديجول بتشكيل حكومة تتمتع بصلاحيات مطلقة لمدة ستة أشهر ، وحصلت على الأغلبية ، كما وضع دستوراً جديداً للبلاد، قدمه للفرنسيين فى شهر سبتمبر ١٩٥٨ ، وحاز على ٨٠% من أصوات الشعب ، كما حاز حزب الوحدة من أجل الجمهورية الديجولى على ٢٠٠ مقعد فى البرلمان وبذلك أرسى أركان الجمهورية الخامسة ، وتم انتخاب شارل ديجول رئيساً فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٨.

وكانت ثورة الجزائر قد اشتدت ، وفرضت نفسها فى وجه الاحتلال الفرنسى ، وأحس ديجول بحسه التاريخى أن ثوار الجزائر لابد أن ينتصروا ، مضى ديجول فى سياسة التفاوض مع الثورة الجزائرية واعترف باستقلال الجزائر فى اتفاقية إيفان فى مارس ١٩٦٢ ، وفى مايو ١٩٦٢ منحت الجزائر استقلالها ، وبذلك أنهى ديجول حرباً دموية دامت سبع سنوات.

عرض ديجول إجراء تعديلات على الدستور ، طرحهـا فـى اسـتفتاء شعبى فى أبريل ١٩٦٩ ، إلا أن عرضه فشل ، فاستقال من منصـبه فـى ٢٨ أبريل ١٩٦٩ ، واعتزل العمل السياسى .

ونستون تشرشل

فى عام ١٩٣٩م ، وفى بداية أكبر حرب عرفها التـــاريخ المعاصـــر ، كانت الآمال تتجه نحو رجل واحد يبلغ من العمر خمساً وستين عاماً هو ونستون تشرشل ... فى وقت كانت حياته السياسية الطويلة تبدو وكأنها وصـــلت إلـــى نهايتها ، ومع ذلك فإن سيجاره الضخم ووجهه العابس والإشارة التى اشتهر بها حين كان يرسمها بإصبعين – حرف V رمزاً إلى النصر – سرعان ما أصبحت بالنسبة للحلفاء رموزاً على مقاومة الفاشية.

وقد توفى تشرشل وهو فى التسعين من عمره بعد أن ظل عضواً فـــى مجلس العموم لمدة (٥٣ عاماً) وشغل مناصب وزارية فى أحد عشـــر قطاعـــاً مختلفاً ، وتولى رئاسة الحكومة مرتين ... كـــان صـــحفياً ومؤرخـــاً وخطيبـــاً ومخططاً حربياً وفناناً ... وأول أجنبى يحصل على صفة " مـــواطن شـــرف " للولايات المتحدة الأمريكية .

ولد ونستون ليونارد سبنسر تشرشل يـــوم ٣٠ نـــوفمبر ١٨٧٤م فـــى اكسفورد ، كان أبوه اللورد راندولف تشرشل ابن الدوق السابع لمارلبورو الذى ينحدر من أقدم الأسر الإنجليزية ، وكان رجلاً سياسياً مرموقـــاً ، أمـــا والدتـــه "جينى جيروم " التى كانت تلقب " بالنمر الأسود " تحقيراً من بلد لا يقـــر زواج

أحد أفراد آل مارلبورو من امرأة من العامة فضلاً عن كونها أمريكية .

تميز تشرشل فى سنوات دراسته بمخالفته البالغة للنظام وعدم الاحترام ... ثم ألحقه والده بالأكاديمية العسكرية ... ثم سافر بعد تخرجه إلى كوبا مراسلاً حربياً لصحيفة لندن ديلى جرافيك ثم سافر إلى الهند وإلى مصر ... بعد ذلك قدم استقالته من الجيش وتقدم للانتخابات البرلمانية ولم يفز فيها فعاد للصحافة مرة أخرى ، وسافر إلى جنوب أفريقيا أثناء حرب البوير ، ووقع فى الأسر ولكنه تمكن من الهرب ، ورصدت جائزة لمن يقبض عليه حياً أو ميتاً مما أدى إلى شيوع صيته فى إنجلترا .

وفى عام ١٩٠٠م تقدم للانتخابات ونجح فيها ، ثم استقال من حزب المحافظين وانتقل إلى حزب الأحرار بعد خلاف ... وفى عام ١٩٠٨م صار وزيراً للتجارة ثم سكرتيراً أول لوزارة الداخلية ثم وزيراً للبحرية التى عمل على تدعيمها وجعلها فى حالة استعداد للعمل بمجرد إعلان الحرب العالمية الأولى التى توقعها ، غير أن الكارثة التى منيت بها إنجلترا فى الدردنيل أدت إلى استقالته .

ولكنه سرعان ما استرد اعتباره ، وفى عام ١٩١٧م فاز مرة أخرى بعضوية البرلمان وتولى عدة مناصب وزارية ... وفى عام ١٩٢٤م ترك حزب الأحرار وعاد مرة أخرى إلى حزب المحافظين وعين وزيراً للمالية حتى عام ١٩٢٩م بسبب المشكلات الاقتصادية التى واجهتها البلاد ... وكانت الفترة من ١٩٢٩م حتى ١٩٣٩م فترة أفول سياسى لتشرشل ... ثم تطورت الأحداث وفى أول سبتمبر ١٩٣٩ م اكتسح الألمان بولندا وبعد ذلك بيومين أعلنت فرنسا وإنجلترا الحرب على المانيا ، وهنا استدعى لتولى وزارة البحرية وفى مايو ١٩٤٠ م تولى رئاسة الحكومة.

وما كاد يتولى الحكومة حتى أعلن كلمته المشهورة " ليس عندى ما أقدمه سوى الدم والعمل والعرق والدموع " ثم نجح فى إدخال الولايات المتحدة الحرب ، وفى أغسطس ١٩٤١م التقى لأول مرة بالرئيس روزفلت ووقع معه ميثاق الأطلنطى ... وفى مايو ١٩٤٥م أعلن لأوربا انتصار الحلفاء واستسلام ألمانيا ، غير أنه إذا كان الإنجليز قد اختاروا تشرشل لقيادة الحرب ، إلا أنه ما أن وضعت الحرب أوزارها حتى اختاروا لأنفسهم قيادة أخرى وهو كليمنت أتلى زعيم حزب العمال حيث حقق حزبه انتصاراً ساحقاً كان صدمة كبيرة للمحافظين فى واحدة من أشهر الانتخابات حيث حصل حزب العمال على ٣٩٣ مقعداً بينما حصل حزب المحافظين على ٢١٣ مقعداً فقط من إجمالى ٦٢٧ مقعداً ، ووجد تشرشل نفسه فجأة فى صفوف الأقلية متخلياً عن جميع مناصبه .

ثم عاد إلى رئاسة الحكومة من ١٩٥١ – ١٩٥٥م ولكن سياسته كانت تواجه معارضة متزايدة ، واتهمه أعداؤه بأنه جزء من الماضى ، وأنه لم يعد يستطيع الاستمرار فى أداء مهامه السياسية .

وهكذا عاد من جديد إلى العزلة السياسية ، وكانت السن قد تقدمت به وأصبح جزءاً من أسطورة حيث كانت بريطانيا العظمى بأكملها تحتفل كل سنة بعيد ميلاده ، وأخذ يكرس ما بقى من حياته للأدب والتصوير ، وكان قد نال جائزة نوبل للعديد من مؤلفاته فى الأدب الإنجليزى .

وفى يناير ١٩٦٥م توفى ونستون تشرشل.

محاكمات نورمبرج

تعد محاكمات نورمبرج من أشهر المحاكمات التى شهدها التاريخ المعاصر ... ففى ١٩٤٣ وحين كانت الحرب العالمية الثانية توشك على نهايتها صدر تصريح موسكو الذى وقع عليه قادة الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريطانيا الذى وجه إنذاراً إلى القادة الألمان واليابانيين وحلفائهم بأنهم سيتحملون مسئولية الجرائم التى ارتكبت أثناء الحرب .

وبمجرد أن سكتت المدافع عام ١٩٤٥ تم إنشاء محكمة نورمبرج فى ألمانيا ، وتولت محاكمة القادة الألمان المسئولين عن الحرب ، ثم قامت بعد ذلك بمحاكمة العديد من الألمان لمسئوليتهم المختلفة عما أسمته المحكمة " جرائم الحرب " ... وقد تم اختيار مدينة نورمبرج لعدة أسباب من أهمها أنها واقعة فى منطقة الاحتلال الأمريكى فى ألمانيا ، ويتوفر فيها سجن ومحكمة لم يدمرهما القصف الجوى ، غير أن هناك سبباً رئيسياً آخر يتمثل فى القيمة " الرمزية التاريخية " لمدينة نورمبرج حيث شهدت صعود نجم النازيين ومسيراتهم العسكرية الضخمة .

وقد اختلف الكثيرون حول جوانب العدالة فى محاكمات نورمبرج ، حيث أتى القضاة من بلدان تضررت بشكل كبير على يد الألمان ، مما أضفى

جانباً سلبياً على نزاهة المحاكمات ، ولم يتوافر للمتهمين محامون مناسبون لتولى مسئولية الدفاع عنهم ، كما صاغ القضاة سلسلة من الاتهامات التى لم تستند على أى من الضوابط القانونية لأى من الدول الأربع المشاركة فى المحاكمات .

وقد تشكلت محكمة نورمبرج من أربعة قضاة يمثلون الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا ، وللمحكمة نيابة عامة تمثل فيها الدول الأربع المذكورة للتحقيق والاتهام ، وتتخذ قراراتها بالأكثرية ، وتختار النيابة العامة المتهمين من الذين لا يوجد مكان محدد لجرائمهم ، وقد اختارت اثنين وعشرين متهماً ألمانياً ، يمثلون مختلف قطاعات الدولة ، بينهم المارشال جورنج نائب هتلر وقائد سلاح الطيران ، وردولف هس ، والمارشال كايتل قائد الجيش الألمانى ، والأدميرال الأكبر دونيتز .

ولم تشكل المحكمة رسمياً ، إلا فى ٨ أغسطس من ١٩٤٥ وبدأت محاكمة النازيين فى ٢٠ نوفمبر من العام نفسه ، وانتهت بعد عام تقريباً فى ١٠ أكتوبر من عام ١٩٤٦ بإصدار الأحكام التالية : الإعدام لاثنى عشر متهماً بينهم المارشالان جورنج وجودل والمنظر النازى روزنبرج ، والسجن المؤبد لثلاثة متهمين ، بينما حكم على أربعة بالسجن لمدد تتراوح ما بين عشرة وعشرين عاماً ، وأخلى سبيل الثلاثة المتبقين .

بعد عام واحد من المحاكمات ، أصبح القانون الذى طبق فى نورمبرج قانوناً دولياً تحت اسم " مبادئ نورمبرج " التى استوحيت منها فكرة إقامة محكمة جنائية دولية ... وقد أرست هذه المحاكمات ما يسمى مفهوم " الإجرام الدولى " ، وأصبحت المرجع الأهم فى هذا الموضوع .

مشروع مارشال

مشروع مارشال ... هو المشروع الاقتصادى لإعادة تعمير أوربا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وضعه الجنرال جورج مارشال رئيس هيئة أركان الجيش الأمريكى أثناء الحرب العالمية الثانية ، ووزير الخارجية الأمريكى منذ يناير ١٩٤٧ ... وقد أعلن جورج مارشال عن مشروعه فى خطاب ألقاه فى جامعة هارفارد فى ٥ يونيو ١٩٤٧.

وفى ٢٢ يونيو ١٩٤٧ أمر الرئيس الأمريكى ترومان بتأليف ثلاث لجان لدراسة الثروة العامة الأمريكية وتقدير إمكانية الولايات المتحدة فى تحقيق مشروع مارشال والبحث فيما إذا كان المشروع يمكن أن يلحق ضرراً بالاقتصاد الأمريكى .

وقد قدمت هذه اللجان الثلاث تقريرها ، وأجمعت على رأى واحد وهو أن الموارد الأمريكية كافية لتمويل وتحقيق مشروع مارشال ، إضافة إلى ذلك أن المصالح الحيوية للولايات المتحدة تقضى التوسع فى هذا المشروع ورصد أكثر من الاعتمادات المرصودة لحسابه .

وبعد إعلان مشروع مارشال اجتمع وزيرا خارجية بريطانيا وفرنسا لتنظيم دعوة الدول الأوربية التى تنوى أن تشارك فى المشروع ، ثم انضم إليهما

وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ، غير أن الاتحاد السوفيتى رفض الاشتراك فى مشروع مارشال وشاركه فى رفضه جميع دول أوربا الشرقية إذ أنه أراد أن تقتصر القروض والمنح الأمريكية لغرض الإنعاش الاقتصادى فقط ، وأن تتخير كل دولة كيفية الاستفادة من تلك القروض دون الرجوع إلى البرامج التى وضعتها الولايات المتحدة لهذا الغرض ، وعدم التقيد بالمبدأ الذى أعلن عنه جورج مارشال والقائل بأن من أهم شروط مشروع الإنعاش الأوربى الاتفاع بمساعدة الولايات المتحدة أو بالأحرى إشراك أمريكا فى صرف الاعتمادات المرصودة للدول الأوربية وتعيين الوجوه التى يجب أن تصرف فيها تلك الاعتمادات .

ولم يكن لرفض الاتحاد السوفيتى كبير الأثر على بريطانيا وفرنسا ، إذ سرعان ما دعت هاتان الدولتان الدول الأوربية الأخرى للإشتراك فى المباحثات لوضع الخطط المشتركة للدول الأوربية لمشروع مارشال ، وقد قبلت هولندا ، والنمسا ، والنرويج ، وإيطاليا ، واليونان ، والدنمارك ، ولوكسمبورج ، والبرتغال ، والسويد ، وبلجيكا ، وايرلندا ، وتركيا ، وايسلندا ، وسويسرا دعوة بريطانيا واشتركوا جميعاً فى وضع الأسس لكيفية صرف المبالغ وتحديد الاتجاهات الاقتصادية الجديدة لأوربا حسب رغبة الولايات المتحدة .

ودعا الرئيس الأمريكى ترومان مجلس النواب والشيوخ لعقد جلسة استثنائية ، وقدم لهما مشروع مارشال للموافقة عليه وطلب إقرار مبلغ (١٧مليار دولار) توزع على الدول الأوربية بصفة قروض ومنح ، يضاف إلى ذلك قرض قدره أربعة مليارات دولار تسحب من البنك الدولى ، وقد تمت موافقة مجلس الشيوخ والنواب على مشروع مارشال .

وقد نظرت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لمشروع مارشال باعتباره مدخلاً لسياساتها الخاصة بالتوسع الاقتصادى والسياسى فى أوربا ، فقد

تمكن هذا المشروع من فتح أوربا التى ظلت مدة طويلة من الزمن مقفلة فى وجه رؤوس الأموال الأمريكية والسماح للاستثمارات الأمريكية للعمل والنشاط فى الحقل الاقتصادى الأوربى ، كما أن رؤوس الأموال الأمريكية التى جنتها الطبقة الرأسمالية خلال الحرب العالمية الثانية تمكنت من التدفق على أوربا ، وحددت الاتجاهات الاقتصادية التى تنوى الدول الأوربية انتهاجها ، لأن الصناعات الأوربية مثلما هو الأمر بالنسبة لكل المشاريع الاقتصادية تحتاج حين نشأتها أو إعادة اعمارها إلى رؤوس أموال تتلاءم والمقدار التوسعى المرسوم لها ، وعندما يبدأ القائمون على هذه المشروعات بالعمل فيها يجدون أن المال ينقصهم لانجازها فيلجأون إلى القروض الأجنبية أو توظيف رؤوس أموال أجنبية فيها .

ولم يكن باستطاعة الدول الأوربية بعد الحرب العالمية الثانية وهى تعانى إفلاساً شديداً فى شتى مرافقها الاقتصادية تنمية ثرواتها الصناعية والزراعية ، دون أن تعتمد على الاستثمارات الأمريكية بالعمل والنشاط فى الحقل الاقتصادى الأوربى ، وفى هذا الإطار فرضت الولايات المتحدة على كل دولة تشترك فى مشروع مارشال أن توقع معها اتفاقيات اقتصادية تخول الولايات المتحدة مراقبة الإنشاءات والمشروعات الاقتصادية الخاصة بهذه الدولة .

تيتو

يعد جوزيف بروز تيتو (١٨٩٢ – ١٩٨٠) رئيس يوغوسلافيا السابق، واحداً من أبرز قادة الحركة الشيوعية فى العالم ، ومن مؤسسى حركة عدم الانحياز ... ولد فى كومروفيتش بكرواتيا التى كانت فى ذلك الوقت جزءاً من المملكة النمساوية الهنغارية ، وقد كسبت العائلة رزقها من مزرعة صغيرة كانت تمتلكها .

تعلم الشاب مهنة الحدادة ، ولكنه لم يستطع ممارستها طويلاً ، فقد كان عليه أن ينضم إلى الجيش النمساوى خلال الحرب العالمية الأولى ، وحارب فى الصفوف الأولى ضد الروس حيث وقع أسيراً فى إحدى المعارك ، وفى فترة أسره اندلعت الثورة فى روسيا سنة ١٩١٧ بقيادة لينين ، وقد أعجب جوزيف بروز بأفكار لينين واعتنق الشيوعية .

بعد الحرب عاد إلى كرواتيا التى صارت جزءاً من المملكة اليوغوسلافية ، وعمل بشكل غير شرعى على تأسيس حزب شيوعى يوغوسلافى ولكن الحزب سرعان ما مُنع ، وحظرت الحكومة الانتماء إليه أو القيام بأية نشاطات باسمه ، وكانت النتيجة أن القى القبض على جوزيف بروز

عام ١٩٢٨ حيث بقى مسجوناً طوال ست سنوات ، وهناك اتخذ الاسم المستعار " تيتو " .

بعد إطلاق سراحه غادر تيتو إلى موسكو حيث عمل فى حركة "الشيوعية العالمية" التى كانت تضم ممثلين لكافة الأحزاب الشيوعية الدائرة فى فلك الاتحاد السوفيتى ، وهدفها التنسيق بين هذه الدول بإشراف موسكو ، عاد تيتو إلى يوغسلافيا عام ١٩٣٧ لإعادة تنظيم الحزب الشيوعى اليوغوسلافى ، وقد عمل بإخلاص من أجل تطبيق المبادئ الشيوعية منتقداً سيطرة الصربيين على كامل يوغسلافيا ، داعياً إلى تكوين دولة يوغوسلافية مستقلة عن سائر الهيمنات .

وسرعان ما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، ووجدت ألمانيا حليفاً لها فى منظمة اوستازا الكرواتية النازية ، مما سهل لها اجتياح يوغسلافيا ، فدعا تيتو الشعب اليوغوسلافى إلى الاتحاد بغض النظر عن أصوله الاثنية والعرقية لمقاومة المحتل النازى ، وفى العام التالى شكل تيتو حكومة يوغوسلافية إنتقالية معظم وزرائها من الشيوعيين ، الأمر الذى أدى إلى خلق خلافات بينه وبين "الشانتيك" ، وهى المنظمة الصربية التى كانت تقاوم الاحتلال النازى وتؤيد عودة الحكم الملكى إلى يوغوسلافيا بعد التحرير .

حاول الحلفاء حل النزاعات بين تيتو والشانتيك باعتبارهما أكبر قوتين مقاومتين للنازية فى يوغوسلافيا ، ولكنهم أخفقوا ، وفى النهاية أعلنوا تأييدهم لتيتو ، وبانتهاء الحرب أعاد تيتو توحيد يوغوسلافيا تحت سيطرة حكومته الشيوعية .

أراد تيتو إيجاد مسافة بين يوغوسلافيا والاتحاد السوفيتى بسبب الأوضاع الخاصة لمنطقة البلقان أو " بئر الافاعى " كما وصفه هو نفسه ،

محتفظاً بمبادئه الشيوعية ، ولكن ذلك أدى إلى سوء تفاهم مع ستالين ، ثم تفاقم الخلاف إلى حد طرد الحزب الشيوعى اليوغوسلافى من حركة " الشيوعية العالمية" عام ١٩٤٨ وهو أمر بالغ السوء بالنسبة إلى بلد شيوعى ، وكان على تيتو أن يختار بين أحد أمرين : التراجع أو الاقدام ، وقد اختار الحل الثانى أى إبقاء المسافة بين يوغوسلافيا والاتحاد السوفيتى لعلمه أن موسكو لن تؤذى يوغوسلافيا " غير الحليفة " بمقدار ما ستؤذيها الولايات المتحدة والعالم الغربى إذا استمرت فى حلفها مع السوفيت ، وهكذا بدأ تيتو بناء أول دولة شيوعية مستقلة ، وحافظ على توازن معقد بين الجنسيات المتعددة فى الدولة .

انصرف تيتو إلى تحديث يوغوسلافيا وإدخال إصلاحات سياسية واقتصادية فاقام علاقات يمكن وصفها بـ " الجيدة " مع الدول الغربية ، وخصوصاً الأوربية منها .

كما عمل مع عبد الناصر ونهرو لتأسيس حركة عدم الانحياز فى مطلع الستينيات ، وقد ضمت تلك الحركة فى صفوفها دولاً عديدة من كافة أنحاء العالم وحركات تحرير منها على سبيل المثال منظمة التحرير الفلسطينية التى كانت ممنوعة من الانضمام إلى أى منظمة عالمية .

وعلى الصعيد الشخصى تزوج تيتو ثلاث مرات كانت الأخيرة عام ١٩٥٣ من معاونته الصربية جوفانكا بوديسافليتش ، وكان ذلك الزواج بمثابة رمز للوحدة بين أكبر قوميتين يوغوسلافيتين أى صربيا وكرواتيا ، ولم تشهد يوغسلافيا أحداثاً بارزة فى الستينيات والسبعينيات ولكنها شهدت نمواً اقتصادياً جيداً وتمتعت بعلاقات ممتازة مع معظم دول العالم ، مع أنها مالت فى الغالب إلى تأييد مواقف الاتحاد السوفيتى فى المسائل العالمية الأساسية .

أول من رسم حمامة السلام

بابلو بيكاسو (١٨٨١ – ١٩٧٣م) هو أول من رسم حمامة السلام ... ذلك أنه فى عام ١٩٤٨م طلب منه الشاعر الفرنسى لويس أراجون أشهر شعراء المقاومة الفرنسية أن يرسم رمزاً لأول مؤتمر عالمى للسلام يعقد فى وارسو عاصمة بولندا ... ولكنه نسى الموضوع وسط مشاغله ، ولما دخل عليه أراجون ليأخذ منه ما سبق أن وعد به ، رأى أنه لم يرسم شيئاً ، وأخذ بيكاسو يقلب بين اللوحات فوقعت بين يديه لوحة " حمامة " رسمها بالطريقة التقليدية فأعجبته وقدمها لتكون شعاراً للمؤتمر ورمزاً لحركة السلام العالمية وما زالت حتى اليوم.

ومما يذكر عن بابلو بيكاسو ... أنه ابن خوزيه رويز بلاسكو لكنه سمى بلقب أمه ماريا بيكاسو ... وفى سن مبكرة بدأ يرسم ويصور تحت إرشاد أبيه ، وفى عام ١٩٠٠م قام بأول رحلة إلى باريس ، ثم استقر بها نهائياً عام ١٩٠٤م، وكانت أعماله فى أول الأمر متصلة بالحياة الاجتماعية ، غير أنه بين عامى ١٩٠١م و ١٩٠٤م تحول إلى رسم الشخصيات الصارمة التى أرهقتها الحياة ، وتسمى هذه الفترة من حياته الفنية بالمرحلة الزرقاء حيث غلب اللون الأزرق على تلك اللوحات فى ذلك الوقت ، ثم تلتها المرحلة الوردية وفيها تنوعت

الألوان ومالت إلى التفاؤل ، فقد كانت أعماله فى هذه الفترة تدور حول السيرك وموضوعاته.

ثم كانت ولادة التكعيبية بداية مرحلة جديدة فى تاريخ الفن المعاصر حينما اشترك مع جورج براك فى نفس الاتجاه فى المدة من (١٩٠٧م – ١٩٠٩م) ، وقد استلهما التكعيبية من دراسة سيزان إلى جانب دراسة الفن البدائى والنحت الإفريقى ، وأول لوحاته فى تلك الفترة هى لوحة " آنسات أفنيون".

وقد ظل بيكاسو يرفع لواء هذه المدرسة حتى عام ١٩١٤م وعندئذ مارس التحليل للشكل ، وفى المدة من (١٩٢٠م – ١٩٢٤م) عاد إلى أسلوب الكلاسيكية الجديدة ، ثم بدأ مرحلة خيالية جديدة فى فنه تمشت مع نمو الحركة السريالية التى أخذت فى الظهور فى صوره ورسوماته.

لقد تنقل بيكاسو من أسلوب إلى أسلوب فقد مارس النحت ، وابتكر تركيبات معدنية ، وصمم قطعاً من الخزف ، وقام بعمل عدد كبير من اللوحات المطبوعة وحفر على النحاس واتجه إلى الطباعة على الحجر وخلاقه ... وقبيل وفاته بعدة أشهر كان يعد معرضاً ضخماً لأعماله الأخيرة ... وكان الناس يتوقعون أن يروا شيئاً جديداً فى أسلوبه رغم أنه كان قد تجاوز التسعين.

المهاتما غاندى ... أبو الهند الحديثة

ولد موهانداس كرمشاند غاندى (١٨٦٩ – ١٩٤٧ م) الملقب بالمهاتما – أى صاحب النفس العظيمة أو القديس – فى بوربندر بمقاطعة غوجارات الهندية من عائلة محافظة لها باع طويل فى العمل السياسى ، حيث شغل جده ومن بعده والده منصب رئيس وزراء إمارة بوربندر ، كما كان للعائلة مشاريعها التجارية المشهورة ، وقضى طفولة عادية ثم تزوج وهو فى الثالثة عشرة من عمره بحسب التقاليد الهندية المحلية ورزق من زواجه هذا بأربعة أولاد.

سافر فى عام ١٨٨٨ م متوجهاً إلى لندن لكى يدرس الحقوق ، وبعد أن أتم دراسته عاد مرة أخرى إلى الهند وذلك فى عام ١٨٩١ ليبدأ فى ممارسة عمله بالمحاماة فى محكمة بومباى العليا ، ولكنه لم يستمر فى هذه المهنة كثيراً .

قامت بريطانيا فى عام ١٨٥٨ م بضم الهند إلى التاج البريطانى رسمياً، ومن هنا جاء الاحتلال البريطانى الذى وقعت الهند أسيرة له فترة من الزمن ، ولقد جاء كفاح غاندى ضد الاستعمار مبنياً على أحد المبادئ الأساسية التى اعتمد عليها وهى مبدأ " الساتيا جراها " والتى تعنى المقاومة السلمية أو سياسة اللا عنف ، وأوضح غاندى أن سياسة اللاعنف لا تعنى الجبن أو الخوف من

المواجهة المباشرة مع العدو بل على العكس فهى وسيلة لإظهار ظلم الطرف الآخر وأساليبه القهرية ، مع الفهم الكامل والإلمام بجميع أبعاد المشكلة والخطر المحيط ، واللجوء إلى العنف فى النهاية إذا لم يوجد سبيل آخر غيره .

وانقسمت مرحلة كفاحه إلى قسمين القسم الأول منها كان فى " جنوب أفريقيا " فى الفترة ما بين ١٨٩٣ – ١٩١٤ حيث انتقل غاندى للعمل فى جنوب أفريقيا فى مكتب للمحاماة فى ناتال ، وكان يرى التمييز العنصرى الذى يتبعه البريطانيون ضد الأفارقة والهنود الذين يعملون هناك ، فقام بالدفاع عن الجالية الهندية ، كما عمل على إنشاء صحيفة "الرأى الهندى " والتى دعا من خلالها من أجل سياسة المقاومة السلمية ، وعمل على تأسيس حزب " المؤتمر الهندى لناتال" والذى جعله مركزاً للدفاع عن حقوق الهنود فى جنوب أفريقيا ، كما نادى بأحقية الهنود فى الإدلاء بأصواتهم فى الانتخابات .

أما المرحلة الثانية فكانت فى " الهند " فى الفترة ١٩١٤ – ١٩٢٢، وفيها ركز اهتمامه على النضال من أجل العمال والفلاحين وكانت الفكرة الرئيسية التى تسيطر على عقلية غاندى هى فكرة عدم العنف وكان يرى أن السبب الرئيسى فى قوة البريطانيين فى المنطقة هو اعتمادهم بشكل أساسى على تعاون جميع طبقات الشعب معهم ، فإذا تم سحب هذا التعاون فلن تستطيع الحكومة البريطانية الصمود كثيراً فى الهند .

عمل غاندى كثيرا من أجل تحقيق العدل والحرية لأبناء شعبه فعمل على إيجاد صلة بين كل من الحركة الوطنية والشعب ، كما قام بإدخال المطالب الاقتصادية فى البرامج الوطنية ، ودعا إلى تعميم صناعة الغزل ، ومقاطعة البضائع الإنجليزية ، كما قام بإعلان العصيان المدنى لإلغاء احتكار الملح وغيرها من الأمور والتى قام فيها بالاهتمام بمصلحة الهنود محاولاً تلبية احتياجاتهم .

ومن مواقفه أيضاً تحديه للقوانين البريطانية التى كانت تقوم باحتكار الملح وحصر استخراجه على السلطات البريطانية فقط ، ولم يكتف بالاعتراض والتحدى بل قام بقيادة مسيرة شعبية لاستخراج الملح من البحر ، وبالفعل تم التوصل فى النهاية إلى اتفاق عرف " بمعاهدة دلهى " وذلك فى عام ١٩٣١م.

قام غاندى بقيادة حملة عصيان جديدة فى عام ١٩٤٠ وذلك كنوع من الاحتجاج على إعلان بريطانيا للهند كدولة محاربة لدول المحور دون حصول الهند على استقلالها ، ونظراً لانشغال بريطانيا بالحرب العالمية الثانية فقد كانت مهتمة باستتباب الأمن فى الهند من أجل التفرغ لحروبها ، وقد وافق غاندى بريطانيا فى النهاية على مشاركة الهند فى الحرب أملاً فى نيلها لاستقلالها فى النهاية ، وبالفعل دخلت الهند إلى الحرب ضد دول المحور فى عام ١٩٤٣ .

وعندما لاحت فى الأفق بوادر الاستقلال بدأت محاولات الإنجليز من أجل تقسيم الهند ، وتزايدت المخاوف من الدعوات الانفصالية الهادفة إلى تقسيمها إلى دولتين بين المسلمين والهندوس ، وحاول غاندى إقناع محمد على جناح الذى كان على رأس الداعين إلى هذا الانفصال بالعدول عن توجهاته لكنه فشل .

وتم ذلك بالفعل فى ١٦ أغسطس ١٩٤٧، وما أن أعلن تقسيم الهند حتى سادت الاضطرابات الدينية عموم الهند وبلغت من العنف حداً تجاوز كل التوقعات فسقط فى كلتكا وحدها على سبيل المثال ما يزيد عن خمسة آلاف قتيل، وقد تألم غاندى لهذه الأحداث واعتبرها كارثة وطنية ، كما زاد من ألمه تصاعد حدة التوتر بين الهند وباكستان بشأن كشمير وسقوط العديد من القتلى فى الاشتباكات المسلحة التى نشبت بينهما عام ١٩٤٧ – ١٩٤٨ وأخذ يدعو إلى إعادة الوحدة الوطنية بين الهنود والمسلمين طالباً بشكل خاص من الأكثرية الهندوسية احترام حقوق الأقلية المسلمة .

لم ترق دعوات غاندى للأغلبية الهندوسية باحترام حقوق الأقلية المسلمة واعتبرتها بعض الفئات الهندوسية خيانة عظمى فقررت التخلص منه ، وبالفعل فى ٣٠ يناير ١٩٤٨ أطلق أحد الهندوس المتعصبين ثلاث رصاصات قاتلة سقط على أثرها المهاتما غاندى صريعاً عن عمر يناهز ٧٩ عاماً .

قدم غاندى كتاب " قصة تجاربى مع الحقيقة " سرد فيه قصة حياته .

أول مفكر يؤسس دولة

محمد إقبال الذى يعتبر الأب الروحى لدولة باكستان ... وعلى الرغم من أنه كان شاعراً وفيلسوفاً إلا أنه لم يقطع صلته بالسياسة فكان عضواً بالمجلس التشريعى بالبنجاب ، وذهب إلى لندن ليشترك فى عامى ١٩٣١ و١٩٣٢ م فى مؤتمر المائدة المستديرة.

وإقبال هو أول من نادى فى عام ١٩٣٠م بوجوب إنشاء هند مسلمة داخل الهند وأعلن ذلك بصفته رئيساً لرابطة مسلمى الهند ... وكان يرى أن الحل الوحيد الذى يمكن به حل مشكلة المسلمين السياسية فى الهند إنما هو تأسيس دولة باكستان ، وقد اختار اسم باكستان من الحروف الأولى لأسماء ولايات البنجاب وحدود أفغانستان وكشمير والسند وبلوخستان ، وعلى هذا الأساس اتخذ حزب الرابطة الإسلامية عام ١٩٤٠م بزعامة محمد على جناح قراراً بتحقيق فكرة باكستان ، ولم يعش إقبال حتى يرى حلمه يتحقق فى أغسطس ١٩٤٧م بعد نضال مرير متواصل اشترك فيه جميع المسلمين تحت قيادة محمد على جناح.

ومما يذكر عن إقبال أنه عاش فى الفترة بين (١٨٧٧ – ١٩٣٨م) وقد ولد فى مدينة " سيالكوت " فى عائلة تعيش على الزراعة نزح جدها الأكبر من

كشمير ، وقد تلقى تعليمه فى طفولته على يد أبيه ثم تعلم القرآن ودرس الفلسفة فى كلية لاهور ، ثم سافر إلى ميونيخ بألمانيا حيث حصل على درجة الدكتوراه، ثم عمل أستاذاً للفلسفة الإسلامية فى جامعة ميونيخ الألمانية .

ومن المعروف أن محمد إقبال كان شاعراً وكان شعره ونثره يهدفان إلى إيقاظ الوعى القومى والدينى ، وقد هاجم النظريات المادية ، ودعا الغرب لفهم الإسلام بصورته الصحيحة ، ومن مؤلفاته : رسالة الشرق ، اليوم الأخير ، وديوانى " أسرار خودى " و " رموز خودى " .

وأول من ترجم شعر محمد إقبال إلى اللغة العربية هو المصرى الدكتور عبد الوهاب عزام ، وهو السبب الأول فى تعريف العرب بأعمال هذا الشاعر الكبير ، وشدت له كوكب الشرق أم كلثوم إحدى روائعه " حديث الروح ".

جواهر لال نهرو

" لقد مثل نهرو موسم الشباب والفرح الظافر بروح عديمة الفساد قوامها النضال والإخلاص المتفانى فى خدمة قضية الحرية " ... كلمات بليغة لخص فيها الشاعر الهندى العظيم طاغور شخصية نهرو.

ولد جواهر لال نهرو (١٨٨٩ – ١٩٦٤) فى أسرة هندية شديدة الثراء، كان والده محامياً مرموقاً ، وكانت العائلة تسكن فى منزل أشبه بالقصر، مزود بحمام سباحة وملعب للتنس .

بين ١٩٠٢ و ١٩٠٤ تتلمذ جواهر لال على يد مدرس خاص ، وفى عام ١٩٠٥ التحق بمدرسة " هارو " أشهر مدرسة ثانوية بريطانية فى ذلك الحين ، ثم تابع دروسه فحصل على إجازة فى العلوم الطبيعية وإجازة فى الحقوق من جامعة كمبردج.

شكلت العلاقة الحميمة بين جواهر لال ووالده موتيلال وغاندى أهمية كبرى لحزب " المؤتمر " الهندى ، مما دعا بعض الصحفيين إلى إطلاق لقب "الثالوث المقدس" عليهم ، والواقع أن انتساب جواهر لال ووالده إلى الحركة الوطنية الهندية التى مثلها حزب المؤتمر إنما يعود إلى إخلاص جواهر لال لغاندى وعلاقته الطيبة مع والده .

كان موتيلال يكسب الكثير من المال لقاء عمله كمحام ، وكان ينفق بسخاء على عائلته ، ولكن بحلول عام ١٩٢٠ كان موتيلال الذى تبع خطى ولده جواهر لال فى الإعجاب بغاندى ، يتخلى عن معظم ممتلكاته من سيارات وخيول وعربات وملابس فخمة وأوان كريستالية وخدم ، مفضلاً ارتداء زى مماثل لما كان يرتديه غاندى والعيش ببساطة وتقشف ، وكان ابنه جواهر لال قد سبقه إلى ذلك ، وقد أدت شهرته كمحام إلى انتشار تلك الأخبار بين الناس وازدياد إعجاب الهنود بالأب وابنه اللذين تركا مهنة المحاماة والأرباح التى يمكن أن تدرها عليهما ليلتحقا بالحركة الوطنية.

كانت العلاقة بين غاندى وجواهر لال أقوى من أن تحدد بكلمات ، ورغم الأمور العديدة التى اختلفا حولها فإنهما بقيا شديدى الإخلاص والوفاء لبعضهما منذ لقائهما الأول عام ١٩١٦.

عام ١٩١٩ ارتكب البريطانيون مذبحة جاليانوالا مما أثر فى جواهر لال تأثيراً عميقاً ، وخصوصاً أن والدته كانت على علاقة صداقة وقربى مع بعض الضحايا ، فانتسب إلى حزب المؤتمر وشارك فى إطلاق الحركة التى عرفت باسم " حركة اللاتعاون " مع البريطانيين وكان نهرو الأب والابن من أكثر المتحمسين الوطنيين لها ، ولدوره الوطنى سجن ثمانى مرات بين عامى ١٩٢٠ – ١٩٢٩.

فى عام ١٩٢٩ انتخب نهرو رئيساً لحزب المؤتمر فى عموم الهند ، ومع بدء حركة العصيان المدنى السلمى التى دعا إليها حزب المؤتمر تعرض جواهر لال ووالده إلى الاعتقال أكثر من مرة ، وتقدر المدة التى قضاها جواهر فى السجن ما بين عامى ١٩٢٠ – ١٩٤٧ بعشر سنوات ، ولكن زوجته ووالدته كانتا تقومان بدور فعال أثناء اعتقاله .

بقى جواهر لال فى مقدمة العاملين على استقلال الهند من خلال الحركة الوطنية الهندية ، وقد اختير ليكون كبير المفاوضين عن حزب المؤتمر فيما عرف بمفاوضات " انتقال السلطة " من الإنجليز ، وعند نجاح المفاوضات صار نهرو رئيساً للحكومة الانتقالية ، وفى ١٥ آب ١٩٤٧ صار أول رئيس وزراء لدولة الهند المستقلة ، وقسمت الهند لأمتين بسبب المشكلة التى كانت تتعقد الأمور دائماً بسببها ، ونص قانون الاستقلال على أن تعيش الأغلبية المسلمة فى دولة مستقلة تسمى باكستان .

شكل مع الرئيس المصرى جمال عبد الناصر والرئيس اليوغوسلافى تيتو حركة عدم الانحياز ، وكان نهرو يعتبر أن كتلة عدم الانحياز ليست محايدة بالكامل ، بل هى فى مواقفها أقرب إلى الكتلة الشرقية ، ولكنه آمن أن تشكيل مثل تلك المجموعة يمكن الدول الفتية من تلقى المساعدات من الكتلتين على السواء .

الفشل الوحيد فى سياسة نهرو الخارجية كان سقوط المعاهدة الموقعة مع الصين ، وقيام الأخيرة بهجوم واسع النطاق على الهند (١٩٦٢) ولكن الجيش الهندى الذى صمد على الحدود ، وعضوية الهند فى الكومنولث ، وعداءها للإمبريالية والاستعمار مكنت نهرو من امتصاص صدمة ذلك العدوان.

تميز بالاشتراكية والعدالة ولم يكن متعصباً للهندوسية ، وأسهم فى إدخال الكهرباء للكثير من مناطق الهند المحرومة ، أدخل الطاقة النووية للهند وشجع الصناعات الثقيلة وكذلك الصناعات المنزلية حتى يطور الريف الهندى .

استمر نهرو رئيساً للوزراء بين عامى ١٩٤٧ – ١٩٦٤ ، وحين توفى ودعته الهند وداعاً لم يكن له مثيل إلا وداع زعيمه غاندى ، فقد كانا رمزين كبيرين لأمة عريقة ، واستطاعا تكوين الهند الحديثة والتأثير فى حياة أبنائها ، غاندى بتحريرها من الحكم البريطانى ونهرو بجعلها دولة عصرية.

إنديرا غاندى ...
أول رئيسة وزراء للهند

ولدت إنديرا بريادار شينى نهرو فى ١٩ نوفمبر ١٩١٧م بمدينة الله أباد فى عائلة لها باع طويل بالعمل السياسى ، حيث كان جدها ووالدها من رموز العمل الوطنى ، ومثلا مع المهاتما غاندى ثالوثاً اسماه الهنود " الثالوث المقدس " كان له فضل كبير فى مساعى الهند للحصول على استقلالها من بريطانيا ، وشغل والدها جواهر لال نهرو منصب أول رئيس وزراء للهند عقب استقلالها علم ١٩٤٧.

درست إنديرا فى معهد " سانتينيكيتان " الذى أسسه الشاعر الهندى الكبير طاغور وأكملت دراستها فى العلوم السياسية بسويسرا ثم فى كلية سومر وجامعة اكسفورد ببريطانيا ، وهناك تزوجت علم ١٩٤٢ فيروز غاندى أحد ناشطى الحركة الوطنية الهندية ورزقت منه بولدين هما سنجاى وراجيف ، وفى نفس العام اعتقلت هى وزوجها بتهمتى التخريب ومناهضة السياسة الاستعمارية فقضى الإثنان فى السجن ١٣ شهراً .

بعد تولى والدها رئاسة الوزراء أصبحت إنديرا المساعد الرئيسى له وكانت بمثابة مديرة لمكتبه ، وصاحبته فى معظم رحلاته الداخلية والخارجية وبخاصة الرحلات التاريخية إلى الصين والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة.

وحاولت احتواء جذور الفتنة الطائفية بين الهندوس والمسلمين وبـذلت جهودها لمنع انفصال باكستان عن الهند ، لكن الرغبة فى الانفصال كانت أقوى منها .

انتخبت فى عام ١٩٥٩ بعد وفاة زوجها رئيسة لحزب المؤتمر لمدة عام واحد ، وعلى الرغم من قصر تلك المدة فإن جهودها أسفرت عن تطهير الحزب من قياداته البيروقراطية وإدخال دماء جديدة إلى صفوفه ونجحت فى إضـعاف الحزب الشيوعى الهندى فى أهم حصونه داخل ولاية " كيـرلا " وذلـك بفـوز حزب المؤتمر هناك .

جاءت الوفاة المفاجئة لرئيس وزراء الهند شاسترى فى يناير ١٩٦٦ فى العاصمة الاوزبكية طشقند أثناء حضوره مؤتمراً للنزاع على كشـمير برعايـة الاتحاد السوفيتى لتمهد الطريق أمام تولى إنديرا غاندى رئاسة الوزراء ، وفـى عام ١٩٦٧ قرر الحزب إعادة ترشيحها .

وعندما رفض البرلمان الهندى إدخال تعديل على الدستور يسمح بإلغاء الامتيازات والنفقات التى تدفعها الحكومة للأمراء ، تجاوزت إنديرا هذا الرفض فاستصدرت مرسوماً رئاسياً يسمح بإصدار مثل هذا القانون ، وعنـدما أعلنـت المحكمة الدستورية العليا عدم دستورية هذا القانون رفعت المعارضـة شـعار "اطردوا إنديرا " فردت عليهم بشعار " اطردوا الفقر " مما أكسبها تأييد الجماهير الشعبية التى صوتت بكثافة لمرشحى حزب المؤتمر (جناح إنـديرا) ونجـح مؤيدوها بـ ٣٥٠ نائباً من أصل ٥١٥ مما سـمح لهـا بتنفيـذ العديـد مـن الإصلاحات الاجتماعية والدستورية والاقتصادية التى كانت تخطط لها لتحديث الهند.

قادت إنديرا الهند فى حربها مع باكستان عـام ١٩٧١ وذلـك بعـد أن

أعطت أوامرها إلى الجيش الهندى بدخول باكستان الشرقية لدعم الانفصاليين هناك ، وقد حقق الجيش الهندى انتصاراً كبيراً على نظيره الباكستانى وكان من أهم نتائج هذه الحرب انفصال باكستان الشرقية عن الغربية وإنشاء كيان سياسى جديد موال للهند هو بنجلاديش ، وقد رفع هذا الانتصار شعبية إنديرا وجعلها من زعماء الهند التاريخيين .

وعندما ضرب الجفاف مساحات شاسعة من الهند قلت على أثره المحاصيل الزراعية وارتفعت أسعار المواد الأولية وعلى رأسها النفط ودخلت البلاد فى حالة من التضخم والفساد المالى والإدارى ، برزت أصوات المعارضة بقوة ، وهو الأمر الذى حدا برئيسة الوزراء إنديرا غاندى إلى إعلان حالة الطوارئ فى ٢٦ يونيو ١٩٧٥ مبررة ذلك بضرورة تنفيذ برنامج طموح من الإصلاحات الجذرية ، وبموجب حالة الطوارئ هذه زجت حكومة إنديرا بأبرز زعماء المعارضة البرلمانية فى السجن وفرضت الرقابة على الصحف وعلقت الحريات الدستورية .

ونتيجة لكل ذلك كان من الطبيعى أن تتهاوى شعبيتها ويخسر حزبها فى انتخابات أكتوبر ١٩٧٧ أمام تكتل المعارضة "جناتا بارتى " وتخسر هى نفسها مقعدها فى البرلمان .

ثم عادت إنديرا إلى السلطة مرة أخرى مستغلة سلسلة من الأخطاء السياسية ارتكبها تكتل المعارضة .

وقد كان ابنها سنجاى من القلائل الذين شجعوها على الاستمرار فى الحياة السياسية الهندية عند هزيمتها عام ١٩٧٧ وساعدها فى تجديد قيادات الحزب عام ١٩٧٨ وأصبح أحد أمناء الحزب العامين وتمكن بهذه الصفة من إقصاء معظم الوزراء والحزبيين المتورطين فى ارتكاب تجاوزات ، ولكنه لم

يقدر له أن يتمتع بثمرات انتصاره إذ لقى حتفه فى حادث طائرة شراعية بعد شهر من عودة والدته إلى الحكم تاركاً المجال مفتوحاً أمام خلافة والدته وذلك قبل أن تقنع ابنها الأكبر راجيف بالانخراط فى معترك السياسة تمهيداً لخلافتها .

احتج بعض زعماء السيخ المتشددين على بعض سياسات إنديرا واعتصموا فى أحد معابدهم المقدسة (معبد الشمس) وطالبوا باستقالتها ، ولما امتنعوا عن الاستجابة لمناشدتها بفض الاعتصام وعدم إثارة الرأى العام أو النعرات الطائفية أعطت أوامرها للجيش باقتحام المعبد والقضاء على المعتصمين وعلى رأسهم سانت بيندرانوال مما أثار حفيظة بقيه السيخ ، فى هذه الأثناء رفضت إنديرا تغيير حرسها الخاص المكون من الضباط السيخ معتبرة أنه يجب ألا يؤخذ الأبرياء بجريرة المذنبين على حد وصفها ، ولكنها لم تكن موفقة فى هذا الرأى فقد تغلب التعصب الطائفى على الواجب القومى فسقطت إنديرا صريعة برصاصات قاتلة أطلقها عليها حرسها الشخصى صبيحة يوم ٣١ أكتوبر ١٩٨٤ فودعت الحياة السياسية عن عمر يناهز ٦٧ عاماً.

الحرب الباردة

الحرب الباردة مصطلح يطلق على العلاقات الجديدة التى نشأت بين المنتصرين فى الحرب العالمية الثانية خلال الفترة بين نهاية هذه الحرب وانهيار الاتحاد السوفيتى ، عملياً كان قطبا الحرب هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ، وكان هدف كل منهما الحصول على مناطق نفوذ عسكرى أو سياسى وتوسيعها كلما كان ذلك ممكناً ، والطرفان وإن كفا عن استخدام السلاح إلا أنهما لم يتوقفا عن تطوير قدراتهما العسكرية والدخول فى سباق تسلح لم يشهد له العالم مثيلاً من قبل ،إضافة إلى سعى كل من الطرفين للإستئثار بمناطق نفوذ على حساب الآخر وإنهاكه عن طريق إشعال حروب محدودة لاستنزاف الخصم ، ولقد التزم الطرفان بالقواعد التى شكلتها هذه المرحلة ولم يتجاوزاها إلى حرب ساخنة فى أشد الأزمات بينهما كما هو الحال فى أزمة صواريخ كوبا .

الحرب الباردة بعكس الحرب الساخنة التى تشتعل فيها النيران ويتبادل الطرفان القصف والضرب هى حرب استمرت بين الأعوام ١٩٤٥م إلى ١٩٩٠م، وكان الاتحاد السوفيتى وحلفاءه طرفاً من أطراف الحرب وكان هذا الطرف يسمى بالكتلة الشرقية أو المعسكر الشرقى ، وعلى الجانب الآخر

الولايات المتحدة وحلفاؤها وكانوا يعرفون بالكتلة الغربية أو المعسكر الغربى.

تمثلت الحرب بالشعور المتبادل بين الطرفين بانعدام الثقة وتقديم سوء النية على حسنها ، وفى مرحلة من المراحل (أزمة الصواريخ الكوبية) ، تنامت الشكوك بما أوحى باندلاع حرب عالمية ثالثة ، وكانت الولايات المتحدة وحلفاؤها يتهمون الاتحاد السوفيتى بنشر الفكر الشيوعى فى العالم بينما كان الاتحاد السوفيتى يتهم الكتلة الغربية بنشر الإمبريالية ومنع الحركات الثورية ، وفى الصراع الاستراتيجى بين الكتلتين كان هناك صراع من نوع آخر تمثل فى الصراعات التقنية وسباق التسلح كما لم يدخر الطرفان جهداً فى عمليات التجسس واغتيال عملاء الطرف الند .

استمرت الحرب الباردة بعد الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٩٠م التى شهدت تفكك الاتحاد السوفيتى ، وفى الفترة المذكورة قامت عدة صراعات مسلحة بسبب الحرب الباردة كحرب كوريا ، وفيتنام والغزو السوفيتى لأفغانستان ، وظلت تلك الصراعات العسكرية محدودة لعدم تعرض الكتل الكبيرة أو شعوبها للأذى.

أول من استعمل مصطلح الحرب الباردة كان الأسبانى دون مانويل فى كتاب أصدره فى القرن الثالث عشر اسمه (غويرا فريا) أى (حرب باردة)، عن العلاقات بين أسبانيا الأندلسية المسلمة وأسبانيا الكاثولوكية ، كان الكاثوليك فى ذلك الوقت قد استولوا على شمال الأندلس ، وبقيت فى الجنوب قرطبة إسلامية لأكثر من مائتى سنة ، وقال الكتاب أن علاقة الجانبين فى ذلك الوقت كانت مثل " حرب باردة " حتى سنة ١٤٩٢م ، عندما تحولت إلى حرب ساخنة، وعادت كلمة الحرب الباردة مرة أخرى فى القرن التاسع عشر ، عندما توترت العلاقات بين روسيا وتركيا ، وبدأت بين البلدين حرب باردة وتحولت إلى ساخنة سنة ١٨٥٤م (حرب القرم) .

وفى العصر الحديث كان الكاتب البريطانى جورج أورويـــل ، عنـــدما كتب عام ١٩٤٥م رأياً فى جريدة لندن تربيون عنوانه أنت والقنبلة النووية ، قال فيه أن اكتشاف الأمريكيين والروس لها سيكون بداية " حـــرب بـــاردة " بـــين الاثنين .

أزمة حكومة مصدق

محمد مصدق (١٨٨٠ – ١٩٦٧) هو أحد قادة إيران السياسيين الذى أمم شركات البترول البريطانية فى إيران عندما كان رئيساً للوزراء فى الفترة (١٩٥١ – ١٩٥٣).

نشأ محمد مصدق كأحد أفراد الصفوة الإيرانية الحاكمة باعتباره ابن أحد موظفى الدولة الإيرانية ، حصل على درجة الدكتوراه فى القانون من جامعة لوزان فى سويسرا ، وعاد إلى إيران عام ١٩١٤ حيث عين رئيساً لحكومة مقاطعة فارس ، وبقى فى الحكومة متتبعاً لتنامى قوة رضا خان ، وعين فى عام ١٩٢١ وزيراً للاقتصاد وبعدها وزيراً للشئون الخارجية لفترة وجيزة ، كما انتخب عضواً فى البرلمان عام ١٩٢٣ ، عارض انتخاب رضا خان " شاه " لإيران ، فأجبره الشاه على اعتزال الحياة السياسية عام ١٩٤١.

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية كانت ألمانيا تحتل المركز الأول فى التجارة الخارجية الإيرانية ، وأثار النشاط الألمانى فى إيران شعور بريطانيا وروسيا بضرورة اتخاذ خطوات سريعة لتأمين مصالحهما ، وفى ٢٦ أغسطس ١٩٤١ هاجمت القوات البريطانية والروسية إيران ، وانهارت المقاومة الإيرانية

واضطر رضا بهلوى شاه إيران للتنازل عن العرش ، وسافر إلى جنوب أفريقيا حيث توفى عام ١٩٤٤.

وبعد أن خلف محمد رضا بهلوى والده على عرش إيران ، عاد مصدق إلى الحياة العامة عام ١٩٤٤ وعندما انتخب مجدداً للبرلمان ، دافع مصدق بكل جرأة عن القومية ، ولعب دوراً مهماً فى معارضة منح الاتحاد السوفيتى ترخيص العمل فى حقول النفط شمال إيران كتلك المنح المعطاة لبريطانيا فى جنوب إيران ، وبنى مصدق قوة سياسية ذات ثقل كبير ، أساسها دعوته إلى تأميم شركات النفط.

فى مطلع الخمسينيات أبرمت الحكومة السعودية اتفاقية مع شركة آرامكو تحصل بمقتضاها على ٥٠% من الأرباح حسب النموذج الفنزويلى ، فبادرت الحكومة الإيرانية طالبة التفاوض ومتطلعة إلى التعامل بالمثل ، حيث دعا رئيس الوزراء على رازامار إلى إعادة النظر فى امتيازات الشركة الأنجلو – فارسية ، غير أن رئيس الوزراء ظل متكتماً على ما يدور فى المفاوضات ، ورفض الكشف لشعبه عن مطالبه وشروطه ، متحسباً للشعور العام المتأجج ضد الاحتكارات الأجنبية ، والذى لم يكن ليقبل بأقل من تأميم النفط ، وعندما رد رئيس الوزراء الإيرانى على هجوم أنصار التأميم بالتحذير من أن بريطانيا قد تطالب فى حال التأميم بتعويض يتراوح ما بين ٨٠٠ – ١٤٠٠ مليون دولار وقع حادث اغتياله ، فى السابع من شهر مارس ١٩٥١!

فى ١٠ مارس ١٩٥١ صوت المجلس النيابى لصالح التأميم ، وفى أبريل ١٩٥١ أصبح الدكتور مصدق رئيساً لمجلس الوزراء ، وكان يشغل منصب رئيس لجنة البترول ، ورفض مصدق التفاوض مع الإنجليز ، ورفض بعثة ستوكس البريطانية واقتراحات بعثة هاريمان وعروض الوساطة من

تشرشل وترومان وإيزنهاور والبنك الدولى ورفض التحكيم من قبل هيئة عالمية، ورفض فى برنامجه التوازن السلمى إعطاء أية تنازلات لأى طرف ، وما أن حل أول مايو حتى وجد الشاه نفسه مرغماً على إعطاء موافقته، وهكذا أصبح مشروع البرلمان بتأميم النفط الإيرانى قانونياً .

وإذا عدنا إلى السنوات ١٩٢٧ – ١٩٤٠ ، فسوف نجد أنه لم يدخل الميزانية الإيرانية أى مبلغ من النفط ، وأن الأموال كانت كلها مودعة فى لندن من أجل شراء معدات حربية لحماية إيران من الاتحاد السوفيتى ، وفى عام ١٩٤١ صادرت جيوش الحلفاء تلك الأسلحة والمعدات بحجة وجود ميول ألمانية إيرانية ! ، وهكذا كان الشعب ينظر من بعيد إلى إيرادات بلاده وهى تنفق على ذلك النحو ، فتتلاشى وتختفى خارج الوطن !.

وما هو بالغ الدلالة أن إيران حصلت فى كل سنة من سنوات التأميم القصيرة على عائدات تعادل كل ما حصلت عليه خلال السنوات الخمسين الأخيرة !.

فى مواجهة حكومة مصدق الوطنية توجه البريطانيون إلى مجلس الأمن التابع لهيئة الأمم ، متسلحين بإمتيازهم الطويل الأجل لكن مجلس الأمن امتنع عن التدخل ، وكذلك امتنعت محكمة العدل الدولية عن إصدار حكم فى نزاع يدور بين إحدى الحكومات وإحدى الشركات ، لقد رفضت وجهة النظر البريطانية التى قالت أن النزاع يدور بين حكومتين ، هكذا كان الظاهر ، أما حقيقة الأمر فهى أن الحكومة الأمريكية ، ومن ورائها شركات النفط الأمريكية ، كانت تتحفز للانقضاض على الفريسة الإيرانية والحلول محل البريطانيين فى إيران .

غير أن البريطانيين واصلوا النزاع وكأنهم ليسوا فى عجلة من أمرهم ،

وأنهم لا يعانون أزمة نفطية بفضل تملكهم حصة النصف فى آبار الكويت ، وهى الآبار التى كانت محتجزة ومغلقة فى انتظار اليوم الذى يسمح فيه الطلب العالمى على النفط بتسويق إنتاجها الغزير والجيد والرخيص ، ولكن فى الأزمة الإيرانية ، قررت بريطانيا فتح الآبار الكويتية بسرعة لتلبية التزامات الشركة البريطانية إزاء أسواقها ، وريثما يركع الدكتور مصدق على ركبتيه أو يلقى به خارج مجلس الوزراء.

لقد استمرت الأزمة الإيرانية طوال الأعوام ١٩٥١ – ١٩٥٣، وكانت الدهشة كبيرة فى مختلف أرجاء العالم إزاء صمود إيران ، حيث اعتقد الكثيرون أن الإفلاس سيحل بحكومة مصدق غير أن إيرادات البترول لم تكن تشكل سوى جزء صغير من إيرادات الحكومة الإيرانية ، على الرغم من أنها أصبحت تعادل فى كل عام واحد مجموع إيرادات إيران من النفط خلال الخمسين عاماً التى سبقت التأميم.

وإزاء تصاعد شهرة ومصداقية مصدق ، الذى مثل قوة شعبية جارفة فى مواجهة الشاه ، وإزاء مسيرة الصراع على تطوير الحكومة الإيرانية ، حاول الشاه عزل مصدق من رئاسة الوزراء عام ١٩٥٣ ، فخرجت الجماهير المؤيدة لمصدق إلى الشوارع مدافعة عنه ، ومجبرة الشاه على مغادرة البلاد إلى العراق ثم إلى روما .

لكن المصالح الأمريكية فى البترول الإيرانى ، وسعيها لوراثة الإمبراطورية البريطانية ، والخوف من وصول المد السوفيتى إلى إيران ، وضغوط تشرشل على إيزنهاور وتذكيره بالوقوف البريطانى إلى جانب الولايات المتحدة فى الحرب الكورية ، كل ذلك دفع الاستخبارات الأمريكية إلى التآمر لإسقاط حكومة مصدق ، وأن تقدم للمرة الأولى على إسقاط نظام فى الخارج ... وعلى ذلك وقع بعد أيام قليلة انقلاب قاده الجنرال فضل الله زاهدى

شكلياً وظاهرياً فقط ، وعين بناء عليه رئيساً لمجلس الوزراء ، ومن الغريب أنه كان محسوباً على النازيين الألمان من قبل حيث أبعده الحلفاء علم ١٩٤١ بهذه التهمة .

وعاد شاه إيران من روما إلى طهران برعاية المخابرات الأمريكية . وسرعان ما دخلت الشركات الأمريكية الخمس الكبرى إلى إيران : ستاندرد أوف نيوجيرسى ، وسوكونى ، وستاندرد أوف كاليفورنيا ، وتكساكو ، والخليج ! لقد دخلت هذه الشركات مبدئياً بحصة مقدارها ٤٠% وتحققت بذلك أحلام أباطرة النفط الأمريكيين القديمة فى اقتحام ما كانوا يسمونه " كنوز بلاد فارس " أما الشركة البريطانية فقد حصلت أيضاً على نسبة ٤٠% مضافاً إليها تعويض قدرة عشرة سنتات عن البرميل الواحد ، كذلك حصل الفرنسيون على نسبة ٢٠%!.

وحكم على مصدق بالسجن ثلاث سنوات بتهمة الخيانة ، وبعد انتهاء المدة فرضت الإقامة الجبرية عليه فى منزله بقية حياته إلى أن توفى عام ١٩٦٧ ولكن ثمرة كفاح مصدق فى تأميم شركات النفط وخضوعها لسيطرة الحكومة الإيرانية ظلت مستمرة.

المكارثية

المكارثية ... مصطلح يشير إلى فترة سيئة فى التاريخ الأمريكى فى الخمسينيات من القرن العشرين ، وتنسب إلى جوزيف مكارثى (١٩٠٨ – ١٩٥٧) النائب الجمهورى بالكونجرس الأمريكى عن ولاية ويسكنسن ، والذى أثار العالم عام ١٩٥٠ حين أدعى أن هناك عدداً كبيراً من الشيوعيين ، والجواسيس السوفيت ، والمتعاطفين معهم داخل الحكومة الأمريكية ... ويستخدم مصطلح المكارثية الآن للإشارة إلى الاتهامات الطائشة بعدم الولاء للولايات المتحدة .

انتشرت المكارثية أثناء الحرب الباردة ، وهى فترة العداء الشديد بين الشيوعية والدول المعادية لها ، ففى أواخر الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين وقعت بعض الأحداث المتعلقة بهذا الصراع أزعجت كثيراً من الأمريكيين وأصابتهم بالإحباط ، مثل قيام الشيوعيين بالاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا والصين، وقيام الاتحاد السوفيتى بتفجير أول قنابله الذرية ، وقيامه بتسليح القوات الشيوعية لكوريا الشمالية التى غزت كوريا الجنوبية .

وإزاء ازدياد الخطر الشيوعى يوماً بعد يوم ، بدأت الحكومة الفيدرالية فى التحرى عن الشيوعيين المتخفين بين موظفيها ، وفى عام ١٩٤٧م أمر

الرئيس الأمريكى هارى ترومان بإنشاء وكالات أطلق عليها مكاتب الولاء كانت مهمتها فحص العاملين بالحكومة الفيدرالية ، وأصدر ترومان قراراً بفصل أى موظف يشك فى ولائه ، كما أصدر المدعى العام الأمريكى فى نفس العام قائمة بالضوابط التى اعتبرتها وزارة العدل دليلاً على عدم الولاء ، وقد استعانت الهيئات الحكومية بهذه القائمة لترشدها فى التأكد من ولاء الموظفين وطالبى الوظائف.

وفى وسط هذا الجو المشحون والتوتر أدعى مكارثى عام ١٩٥٠ أن ٢٠٥ أشخاص من موظفى وزارة الخارجية الأمريكية من المتعاطفين مع الشيوعية ، وأن ٥٧ آخرين أعضاء فى الحزب الشيوعى ، وتبع هذا الإعلان حملة هدفها إضعاف الثقة فى أعضاء بارزين فى الحزب الديمقراطى ، وعندما أصبح رئيساً " للجنة الفرعية الدائمة للتحقيق " عام ١٩٥٣ تكثفت هجماته فوجه اتهامات بحق وزير الحربية ، روبرت ستيفنز ، والعديد من المثقفين والرسميين، وقد أدت نشاطاته إلى خلق " لوائح سوداء " وتم القضاء على الحياة المهنية للعديد من الناس .

وقد أنكر من البداية الرئيس هارى ترومان الاتهامات التى أطلقها مكارثى ، وفى حين أدانه الكثيرون لاتهامه الناس دون أدلة ، حيث لم يستطع إثبات تعيين أى شيوعى بالحكومة ، امتدحه البعض الآخر ، ولكن أغلب أعضاء الكونجرس من كلا الحزبين كانوا يتحاشون الدخول معه فى تحديات ، وحذا حذوهم دوايت ايزنهاور عندما كان مرشحاً للرئاسة الأمريكية عن الحزب الجمهورى ، وفيما بعد عندما أصبح رئيساً عام ١٩٥٣ ، وحتى حين أتهم مكارثى إدارة الرئيس بالعمالة .

وقامت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ بإجراء تحقيقات داخل الإدارة ، لكنها لم تعثر على أى شيوعيين أو أى أنصار للشيوعية فيها .

انتشرت تلك الاتهامات والتحقيقات بسرعة ، وتأثر بها الآلاف من أبناء الشعب ، ولم يسلم من تلك الاتهامات ، حتى أساتذة الجامعات والفنانون والصحفيون ورجال الدين والفئات الأخرى ، كما قامت بعض المؤسسات بوضع أسماء المتهمين بالشيوعية من الهيئات والشخصيات فى قائمة سوداء ورفضت توظيفهم ، وحتى يحتفظ الموظفون بوظائفهم وجدوا أنفسهم مطالبين بكتابة تعهدات ولاء للحكومة .

فى عام ١٩٥٤ م وأثناء لقاء تليفزيونى يبث دولياً ، اتهم مكارثى الجيش الأمريكى بالتواطؤ مع الشيوعيين ، فقام الجيش بتوجيه اتهامات مماثلة تتهم العاملين مع مكارثى بالقيام بتصرفات مشينة ، ونتيجة لذلك فقد مكارثى ملايين من مؤيديه ، وقد أدانه مجلس الشيوخ عام ١٩٥٤م لسلوكه الازدرائى تجاه إحدى اللجان الفرعية التى كانت تتقصى ممتلكاته عام ١٩٥٢م ، وكذلك لإهانته اللجنة إلى أوصت بتوجيه اللوم إليه .

بدأت المكارثية فى الزوال تدريجياً بعد عام ١٩٥٤م ، وكان من ضمن أسباب زوالها وصول حزب الجمهوريين إلى الحكم ، وانتهاء الحرب الكورية عام ١٩٥٣م بالإضافة إلى أن المحكمة العليا الأمريكية أصدرت فى الفترة من ١٩٥٥ وحتى ١٩٥٨م سلسلة من القرارات التى توفر الحماية لحقوق الأشخاص المتهمين بالتواطؤ مع الشيوعيين .

وفى النهاية أدى نهج مكارثى إلى اضعاف مصداقيته ، وقام مجلس الشيوخ الأمريكى بتعنيفه رسمياً لاتهاماته التى لم تستند أبداً لدليل .

محنة اوبنهايمر ... أبو القنبلة الذرية

ولد جوليوس روبرت اوبنهايمر (١٩٠٤ – ١٩٦٧م) فى مدينة نيويورك لأبوين ثريين يهوديين من أصل ألمانى ، كان أبوه تاجراً ثرياً يعمل فى مجال استيراد الأقمشة ، أما والدته فكانت رسامة ، ولقد سمح ثراء العائلة بإقتناء لوحات لفنانين عالميين أمثال فان جوخ وبول سيزان وبول جوجان زينت جدران المنزل ، حيث عاش الصغير روبرت .

فى عام ١٩٢٢ التحق اوبنهايمر بجامعة هارفارد ، وأدرج فى برنامج الدراسات المكثفة التى شملت الرياضيات والعلوم والفلسفة والديانات الشرقية والآداب الفرنسية والإنجليزية ، لكنه أحب الكيمياء أكثر من أى مادة أخرى لأنها (أصل كل شئ) .

وفى عام ١٩٢٥ تخرج بامتياز مع مرتبة الشرف وتقدم اوبنهايمر بطلب للدراسة مع العالم (إيرنيست رذرفورد) فى مختبرات كافينديش فى كمبردج فى إنجلترا ، إلا أن الأخير كان يعتقد أن اوبنهايمر غير مؤهل للدراسة معه كطالب باحث ، فحوله إلى المدرسة فى مستوى أقل حيث كان عمله يتلخص فى تحضير (أفلام البيريليوم) وهو العمل الذى كان اوبنهايمر يراه مملاً للغاية .

ولقد دفعه رفض رذرفورد له كباحث إلى دراسة الفيزياء النظرية ،

فالتحق فى عام ١٩٢٦ بجامعة (غوتينجن) فى ألمانيا ، ونال شهادة الدكتوراه فى شهر مارس عام ١٩٢٧ .

بعد ذلك انضم إلى الهيئة التدريسية فى جامعة كاليفورنيا فى بيركلى ، ومعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا ، وبذل جهوداً جبارة لتأسيس معهد (ويست كوست) للفيزياء المتقدمة ، وهو المعهد الذى أصبح لاحقاً واحداً من أهم المعاهد فى الولايات المتحدة .

فى ثلاثينيات القرن العشرين اقحم اوبنهايمر نفسه فى عالم السياسة ، حيث بدأت ميوله السياسية اليسارية فى التبلور ، مدفوعاً فى ذلك ربما بسببين هما ظهور النازية فى ألمانيا والكساد العظيم الذى أصاب الولايات المتحدة فى تلك الفترة ، ولم يتردد فى الإعراب عن تعاطفه علناً مع الحركات اليسارية فى الولايات المتحدة ، وتحديداً تلك ذات الصلة بالحزب الشيوعى الأمريكى ، حيث كان يقدم لها تبرعات سنوية ، وهو الأمر الذى تسبب له فى مشكلات أمنية عديدة عندما التحق بمشروع (القنبلة النووية).

وفى شهر أغسطس من عام ١٩٤٢ تولى الجيش الأمريكى المسئولية كاملة لانتاج القنبلة الذرية ، وهو المشروع الذى أصبح يعرف باسم (مشروع مانهاتن) وأصبح الجنرال ليسلى غروفز مديراً للمشروع ، فاستقر رأى غروفز على اوبنهايمر لإدارة البرنامج العلمى للمشروع ، وعينه مديراً للمختبرات المركزية لتصميم وتطوير القنبلة الذرية ، وذلك لأنه (عبقرى) على حد وصف غروفز له.

فى عام ١٩٤٣ اختار غروفز واوبنهايمر موقعاً لإقامة مختبر جديد للمشروع ، وكان الموقع المختار هو الهضبة الواسعة فى نيومكسيكو ، وأصبح الموقع يعرف باسم مختبر أسلحة (لوس الاموس) السرى ، وعلى الفور بدأ

اوبنهايمر فى استقطاب كادر مؤهل من العلماء الذين يجمعون بين الكفاءة والنشاط والموهبة ،والذين لا تزيد أعمارهم عن ٢٥ عاماً .

بحلول شهر يوليو من عام ١٩٤٥ أصبح مختبر (لوس الاموس) جاهزاً لإجراء أول اختبار تفجير نووى . وبعد ثلاثة أيام من إلقاء القنبلة الأولى المعروفة باسم (الصبى الصغير) على مدينة هيروشيما والثانية المعروفة باسم (الرجل البدين) على مدينة ناجازاكى استسلمت اليابان .

احتفل اوبنهايمر بانتهاء الحرب وبنجاح (مشروع مانهاتن) ولكن العدد الكبير من القتلى والجرحى والتشوهات نتيجة الإصابة بالإشعاع الذرى الناجم عن القنبلتين أثر فى نفسه كثيراً ، وجعله يشعر بندم بالغ ، فأبلغ المسئولين الحكوميين بأن معظم العلماء فى المشروع لن يواصلوا عملهم ، وقال للرئيس هارى ترومان :(أشعر بأن يدى ملطختان بالدماء) فرد ترومان قائلاً : (لا تهتم ستزول الدماء عندما تغسلهما) وفى شهر أكتوبر من العام نفسه قدم اوبنهايمر استقالته من منصبه كمدير لمختبر (لوس الاموس).

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حصل اوبنهايمر على اعتراف وتقدير الأمة الأمريكية بوصفه (أبو القنبلة الذرية) وتمت ترقيته بعد استقالته من المشروع إلى مستشار علمى للحكومة الاتحادية ، ولكن على الرغم من منصبه الكبير هذا ، فقد كان يضغط بقوة من أجل التوصل إلى آلية لتحقيق رقابة دولية على الطاقة الذرية ، ولذا تم تعيينه رئيساً للهيئة الاستشارية العامة للجنة الطاقة الذرية .

وفى ١٧ يناير ١٩٥٢ فجر الأمريكيون أول قنبلة هيدروجينية فى مياه المحيط .

وتمسكاً بموقفه انسحب من رئاسة اللجنة الاستشارية للطاقة الذرية ،

وقرر التفرغ لعمله فى جامعة برنستون ، لتبدأ الدراما السياسية الرهيبة التى عرفت باسم " مسألة اوبنهايمر ".

فى ديسمبر ١٩٥٣ تسلم اوبنهايمر وهو فى معمله بجامعة برنستون خطاباً من لجنة مجلس الشيوخ الأمريكى يتضمن أربعة وعشرين إتهاما!! ، وكانت خلاصة هذا الاتهامات أنه ليس صالحاً للعمل فى لجنة الطاقة الذرية الأمريكية ، وأنه قد تقرر بناء على ذلك سحب الترخيص الذى كان ممنوحاً له بالاطلاع على الوثائق السرية للجنة .

وأحيل اوبنهايمر للمحاكمة واستمرت المحاكمة من ١٢ أبريل إلى ٦ مايو ١٩٥٤ ونشرت وثائقها بعد ذلك فى تقرير كبير بعنوان (حول مسألة اوبنهايمر) وأدانت اللجنة أبو القنبلة الذرية باعتباره خطراً على أمن الولايات المتحدة .

ولأن المحاكمة كانت فى فترة اشتعال المكارثية فقد كانت كل الاتهامات التى وجهت إلى اوبنهايمر باستثناء الاتهام الأخير تتعلق باتصالاته قبل الحرب بعناصر ومنظمات يسارية أمريكية ، ومع أنه لم ينكر هذه الاتصالات ورغم أن الجنرال (ليزلى جروتز) عندما اختاره للعمل معه خلال الحرب كان يعرف كل هذه الارتباطات السياسية ، إلا أن اللجنة قد صممت على أن تحاكمه حول هذه الاتصالات السياسية ، أى محاكمة بأثر رجعى !!.

وأما الاتهام الأخير الرابع والعشرين ، فقد كان الأخطر لأنه يتعلق بموقفه المعارض لإنتاج القنبلة الهيدروجينية ، وحول هذا الاتهام كان تيللر هو شاهد الاثبات الأول وكان رئيس لجنة الطاقة الذرية هو شاهد الاثبات الثانى ، وبطبيعة الحال كانت شهادة هذين الاثنين (غريمه وخليفته) كافية لإدانة اوبنهايمر ، ومع أن اوبنهايمر كان بالفعل معارضاً لإنتاج القنبلة الهيدروجينية

على أسس فنية وسياسية واضحة ، ولأن ضميره كان يعذبه للدور الذى لعبه فى قنابل اليابان الذرية بشكل مؤلم وواضح ، إلا أن موقفه أثناء المحاكمة لم يكن مع الأسف بهذا الوضوح ، فلقد تردد فى ردوده على أسئلة اللجنة وتذبذب.

لقد فقد العالم الكبير شجاعته فى هذه اللحظة التاريخية الحاسمة ، وبدلاً من أن يدافع فى جرأة عن رأيه بدت محاكمته وكأنها تكرار مأساوى لموقف (جاليليو) عند محاكمته من قبل محاكم التفتيش .

وخلال هذه الفترة شهد عدد كبير من العلماء والشخصيات لصالحه ، وعلى الرغم من أن نتيجة الجلسات أسفرت عن عدم التشكيك فى ولائه للولايات المتحدة (وإن لم تأتمنه على أسرار حكومية) إلا ان السلطات أدانته ولم تمنحه شهادة (حسن السير والسلوك) مرة أخرى .

تفرغ اوبنهايمر بعد ذلك للتدريس الجامعى حتى عام ١٩٦٣ حتى تولى جون كيندى الحكم وقرر رفع التهمة نهائياً عن اوبنهايمر ورد اعتباره ومنحه أعلى وسام علمى أمريكى ، وهى جائزة أنريكو فيرمى ، ولدى طرح القرار على الكونجرس فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ لمناقشته عارضته الأغلبية الجمهورية بشدة لكن الرئيس تجاهل رفض الكونجرس وقرر استخدام حق الفيتو ، وفى نفس اليوم أى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ أغتيل الرئيس كيندى فى مدينة دالاس ، على أن الاغتيال لم يمنع خليفته الرئيس لندون جونسون من المضى قدماً فى تنفيذ قرار الرئيس الراحل كيندى وقلد اوبنهايمر الوسام العلمى فى الموعد المقرر فى ٢ ديسمبر ١٩٦٣.

وظل اوبنهايمر يشغل منصب مدير معهد الدراسات المتطورة فى بريستون حتى عام ١٩٦٦ ثم استقال بعدها ، ولقد علق أحد زملائه على ذلك قائلاً إن المحنة التى تعرض لها (كسرت روحه) وفى الثامن عشر من فبراير من العام ١٩٦٧ توفى روبرت اوبنهايمر .

اندريه سخاروف

عندما يصبح " منقذ روسيا " عدواً للدولة !!

عندما توفى " اندريه سخاروف " عام ١٩٨٩ تزايد نفوذ هذا العالم الفيزيائى الذى أمضى أغلب حياته تحت الإقامة الجبرية فى الاتحاد السوفيتى ، حيث تحولت مبادئ هذا الرجل إلى رمز ملهم لدعاة الحرية فى كل العالم ، وقد جعلت منه كل هذه الأشياء بالإضافة إلى وضعه تحت الإقامة الجبرية بطلاً بالنسبة للمواطنين العاديين فى كل مكان .

ولد سخاروف (١٩٢١ – ١٩٨٩ م) فى العاصمة السوفيتية موسكو وعلم نفسه القراءة وهو فى الرابعة من عمره ، وكان والده من عشاق الفيزياء حيث كان يجرى الكثير من التجارب الفيزيائية أمام الطفل الذى كان يرى الأمر وكأنه معجزات تتحقق ، وعندما التحق بجامعة موسكو فى الأربعينيات من القرن الماضى كان سخاروف يعتبر واحداً من أنبه الشباب السوفيتى فى ذلك الوقت .

وقد منعت حالة مرضية للقلب سخاروف من القتال فى الحرب ، وبدلاً من هذا اشتغل فى مصنع للذخيرة الحربية ، وطور أداة لاختبار قوة طلقات الرصاص المخترقة للدروع ، ولكن عبقريته الحقيقية برزت بعد الحرب ، حيث تم إرساله إلى إحدى القواعد السرية حيث يجرى تطوير القنبلة الهيدروجينية .

فى عام ١٩٥٣ نجح الاتحاد السوفيتى فى تطوير أول قنبلة هيدروجينية، و تمت تجربتها بنجاح فى كازاخستان ، ونتيجة ذلك أصبح سخاروف وهو فى الثانية والثلاثين من عمره أصغر عضو ضم إلى الأكاديمية السوفيتية ، ونعته زملاؤه بأنه " منقذ روسيا " ومنح ثلاث مرات أرقى وسام روسى (بطل العمل الاشتراكى) ، واعتبر شخصية ذات شأن مهم ، وحظر الطيران عليه ، وقام بحراسته فى جميع الأوقات رجال لجنة أمن الدولة السوفيتية KGB ، وكتب عنها سخاروف فيما بعد أنها أكثر سلاح مرعب فى تاريخ البشرية وقال إنه كان يعتقد فى ذلك الوقت أنه بمشاركته فى إنتاج القنبلة الهيدروجينية يعمل من أجل السلام الذى يمكن أن يتحقق بصورة أفضل فى ظل توازن القوى ، ولكن معرفة سخاروف بالآثار المدمرة للأسلحة النووية جعلته معارضاً لانتشار التسليح النووى والدخول فى سباق له .

وفى خريف عام ١٩٦٢ شهدت حياة عالم الفيزياء النووية السوفيتى اندريه سخاروف نقطة تحول مصيرية ، ففى ذلك الوقت كان قد بلغ الحادية والأربعين من عمره ويحمل درجة الدكتوراه فى الفيزياء ويعمل فى مجال تطوير الأسلحة النووية السوفيتية ، فقد كان كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى يخوضان صراعاً ضارياً من أجل التفوق النووى .

وفى سبتمبر من هذا العام كان الاتحاد السوفيتى يعتزم إجراء تفجير قنبلتين نوويتين فى الفضاء وليس تحت الأرض ، وكان سخاروف قد ساهم فى تصميم هاتين القنبلتين ، وخشى سخاروف من أن يؤدى الاشعاع الناتج عن تفجير هاتين القنبلتين فى الهواء إلى مقتل مئات الآلاف من المدنيين ، كما اقتنع فى ذلك الوقت بأن هذه التجارب سوف تشعل سباق التسلح بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بصورة أكثر حدة ، وشعر بالإحباط عندما وجد أن أبحاثه العلمية سوف تتحول إلى نهايات مدمرة .

وفى الخامس والعشرين من سبتمبر اتصل سخاروف برئيس الوزراء السوفيتى فى ذلك الوقت " نيكيتا خروتشوف " وأبلغه أن التجربة المنتظرة لن تحقق أى نتيجة وأنها سوف تقتل آلاف الأشخاص بدون سبب ، وأبلغ خروتشوف سخاروف أنه سيتم إحالته للتحقيق بسبب تأجيله هذه التجربة النووية.

وقررت الحكومة السوفيتية فصله من عمله كعالم فيزياء نووية بسبب موقفه السياسى .

وبدأ اسم سخاروف يتردد خارج الاتحاد السوفيتى كأحد الأصوات الداعية للسلام ، الأمر الذى تسبب فى منحه جائزة نوبل للسلام فى سنة ١٩٧٥، ومن ثم استخدم الكرملين أجهزته لمحاكمته واسكاته ، وأعلن أنه العدو رقم واحد فى سنة ١٩٨٠ ، وحكم عليه بالنفى الداخلى فى منطقة " جوركى " النائية وقام هناك بسلسلة اضرابات عن الطعام ، وحتى فى سنة ١٩٨٥ كان سخاروف الكهل فى مستشفى يقاوم قيوده بعنف ويقوم بتغذيته قسراً رجال لجنة أمن الدولة السوفيتية KGB ... وقد أدى رفضه للصمت رغم الحصار والنفى إلى أن يصبح بطلاً حتى أن السوفيت استقبلوه عند عودته لموسكو من منفاه استقبال الأبطال .

وفى السنوات الثلاث التالية واصل سخاروف القتال من أجل حرية التعبير ، وحق التصويت والعفو العام عن المسجونين السياسيين ، وتم انتخابه لعضوية البرلمان الروسى الذى كان أول مجلس نيابى يتم انتخابه بطريقة ديمقراطية فى الاتحاد السوفيتى وذلك فى ظل حكم آخر رئيس للاتحاد السوفيتى جورباتشوف ... وتوفى سخاروف عام ١٩٨٩ .

حائط برلين

جدار طويل كان يفصل بين شطرى برلين الشرقية وبرلين الغربية ، بدأ بناءه فى ١٣ أغسطس ١٩٦١م ... ذلك أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م ، قسمت ألمانيا إلى أربعة مناطق محتلة بحسب أتفاقية مالطة بين الدول المحتلة وهى الولايات الأمريكية المتحدة والاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة وفرنسا ، وتبعاً لذلك قسمت العاصمة السابقة للرايخ الألمانى إلى أربعة مناطق أيضاً ، وفى ذات الحقبة بدأت الحرب الباردة بين المعسكر الشرقى الاشتراكى والغربى الرأسمالى ، ومثلت برلين مسرحاً للمعارك الاستخباراتية بينهما.

وفى عام ١٩٤٩م بعد قيام جمهورية ألمانيا الاتحادية (ألمانيا الغربية) فى المناطق المحتلة من قبل الولايات الأمريكية المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا، وقيام جمهورية ألمانيا الديمقراطية (ألمانيا الشرقية) بعد ذلك فى المنطقة المحتلة من قبل السوفييت ، بدأ العمل على قدم وساق على حدود كلا البلدين لتأمين الحدود ، وبقيام كيانين دعم التقسيم السياسى لألمانيا بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية ووضع بشكل أولى شرطة وحرس للحدود ، ولاحقاً على الطرف الشرقى بدء وضع الأسوار ، كانت مدينة برلين المقسمة أربعة

أقسام منطقة خالية من الجنود ، وكانت مستقلة عن الدولتين الألمانيتين الجديدتين، ولكن عملياً لم يكن الحال كذلك ، فالمناطق الغربية من برلين أصبحت أقرب إلى كونها ولاية ألمانية غربية ، وخلافاً للمعاهدات أعلنت برلين الشرقية عاصمة لجمهورية ألمانيا الديمقراطية.

ومع زيادة حدة الحرب الباردة بدء تعزيز الحدود بين ألمانيا الشرقية والغربية ، وفى الحقيقة أن هذه الحدود لم تعد فقط حدوداً بين ألمانيتين ، وإنما أصبحت بين المعسكرين الشرقى والغربى ، بين حلف وارسو وحلف الناتو ، أى بين ايديولوجيتين سياسيتين وقطبين اقتصاديين وثقافتين كبيرتين .

وكانت أعداد كبيرة من مواطنى ألمانيا الشرقية قد بدأوا فى الانتقال إلى ألمانيا الغربية عبر برلين على وجه الخصوص ، لأنه كان من شبه المستحيل مراقبة الحدود فيها حيث كانت تمر فى وسط المدينة وأحيائها ، حتى أنه بين عامى ١٩٤٩م – ١٩٦١م ترك ما يقرب من ٣ مليون ألمانى جمهورية ألمانيا الشرقية ، وكانوا فى معظم الأحيان من المتعلمين والمثقفين مما هدد كيان الدولة، كما أن كثيراً من سكان برلين الغربية كانوا يحصلون على المواد الأساسية بأسعار مغرية من الشرق من خلال تبادل العملة فى السوق السوداء مما هدد القدرة الاقتصادية لألمانيا الشرقية ، فكان سور برلين الوسيلة الأساسية لمنع ذلك .

وفى نهاية الثمانينيات وعندما بدأت بوادر انهيار الكتلة الشرقية ... وفى ٩ نوفمبر ١٩٨٩م بعد أكثر من ٢٨ عاماً على بناء سور برلين الذى قسم مدينة وشعباً ، أعلن جونتر شايكوفسكى عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى الألمانى خلال مؤتمر صحفى أن ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) قد فتحت المعابر الحدودية ، وبعدها بقليل انطلق الآلاف من مواطنى ألمانيا الديمقراطية إلى الشطر الغربى فى ألمانيا الغربية آنذاك ومروا عبر الحدود المفتوحة ،

واعتبر هذا اليوم يوم سقوط سور برلين ، مؤشراً أساسياً فـــى انهيـــار الكتلـــة الشرقية نفسها .

وفي ٣ أكتوبر ١٩٩٠م تم إعادة توحيد الألمانيتين مرة أخـــرى عنـــدما أعلنت خمس من الولايات الفيدرالية التى أعيد إنشاؤها فـــى ألمانيـــا الشـــرقية الانضمام رسمياً إلى ألمانيا الغربية .

أزمة الصواريخ الكوبية

فى إطار صراع السيطرة على العالم والذى دار بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، كانت الولايات المتحدة فى عهد الرئيس ايزنهاور فى محاولتها وقف المد الشيوعى قد أعدت خطة للهجوم على كوبا ، وذلك بإرسال مجموعات من الكوبيين المهاجرين إلى أمريكا لاحتلال جزيرة كوبا بدعم من الجيش الأمريكى ، وفور تولى الرئيس كنيدى الحكم أمر بتنفيذ الخطة فى ابريل ١٩٦١ ، إلا أن الهجوم البرمائى قد فشل فشلاً ذريعاً باعتراف كنيدى نفسه وتم إبادة القوات المهاجمة فيما عرف بأزمة " خليج الخنازير " ... وعلى جانب آخر قامت الولايات المتحدة بتشييد قواعد صواريخ فى منطقة ازمير بتركيا يبلغ مداها ٢٤٠٠ كم ، أى أن موسكو كانت على بعد ١٦ دقيقة فقط من مرمى تلك الصواريخ وهو ما أثار غضب الرئيس السوفيتى خروتشوف.

وفى ١٥ أكتوبر ١٩٦٢ اكتشفت طائرات التجسس الامريكية منصات لصواريخ سوفيتية فى كوبا ، مما اعتبر تهديداً مباشراً للولايات المتحدة نظراً للمسافة القصيرة التى تفصل بينها وبين كوبا والتى تبلغ حوالى (١٤٠ كم) ، وبناء على ذلك اصدر الرئيس الأمريكى كنيدى أمراً للبحرية الأمريكية

بمحاصرة جزيرة كوبا وتفتيش كافة السفن المتوجهة إليها ، ومصادرة أى أسلحة هجومية على هذه السفن ، وفى ٢٧ أكتوبر ١٩٦٢ بعث الرئيس الكوبى كاسترو برسالة خطية للرئيس السوفيتى يحثه فيها على شن هجوم نووى على الولايات المتحدة ، وأصبح العالم على شفا حرب نووية ، ولكن الاتحاد السوفيتى لم يستجب لطلب كاسترو ، ونتيجة للتدخلات رضخ الاتحاد السوفيتى لطلب إزالة الصواريخ الكوبية مقابل فك حصار الولايات المتحدة عن كوبا وتعهدها بعدم غزوها والتخلص من الصواريخ الأمريكية بتركيا.

السوفيت
يحجزون الصفوف الأولى فى الفضاء

فى ٤ أكتوبر ١٩٥٧ هز السوفيت العالم كله بإذاعة خبر إطلاق القمر الصناعى السوفيتى الأول " سبوتنيك – ١" إلى الفضاء ، مع رسالة واضحة أن حاملة الصواريخ (R-7) التى وضعت سبوتنيك فى مدارها قادرة أيضاً على حمل الرؤوس النووية وإطلاقها فى أى مكان فى أوربا ... وبينما أثار الخبر دهشة العالم الثالث وسعادة كل مؤيدى الاتحاد السوفيتى ، فقد ساد الولايات المتحدة والكتلة الغربية حالة من الفزع فيما عرف بعد ذلك كرد فعل " بأزمة سبوتنيك " .

وبعد ذلك بأقل من شهر ، وتحديداً فى ٣ أكتوبر ١٩٥٧ أكد السوفيت سبقهم إلى الفضاء وأطلقوا " سبوتنيك – ٢" وعلى متنها أول كائن حى يدور خارج الجاذبية الأرضية ... الكلبة " لايكا " .

واشتعل بذلك سباق الفضاء بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، وكان سيرجى كورولييف هو المهندس الرئيسى لبرنامج الفضاء السوفيتى ، بينما كان العالم الألمانى فون براون هو المهندس الرئيسى لبرنامج الفضاء الأمريكى .

بعد أربعة أشهر تقريباً من إطلاق أول قمر صناعى " سبوتنيك – ١"

أطلقت الولايات المتحدة قمرها الصناعى الأول " اكسلبورر -١ " لكن بعد الكثير من حالات فشل الإطلاق المحرجة .

وفى ١٢ أبريل ١٩٦١ أطلق الاتحاد السوفيتى سفينة فوستوك وعلى متنها أول إنسان فى تاريخ البشرية يدور حول الأرض مخترقاً حاجز الجاذبية الأرضية ، " يورى جاجارين " الذى عاش بين عامى (١٩٣٤ - ١٩٦٨) ، ولكن أكثر ما أذهل الناس فى خبر التحليق الفضائى الأول فى تاريخ البشرية هى الأخطار المجهولة التى تحف به ، حيث كان عصر غزو الفضاء ما زال حديثاً ، ثم أننا لم نكن نعرف كيف يتصرف دماغ الإنسان و كيف تتصرف أعضاء جسمه فى حالة إنعدام الوزن ، وهى الحالة التى يمر بها رائد الفضاء حينما يتواجد مع سفينته فى مدار حول الأرض ، كما أن جاجارين طار فى سفينة فضائية لم تجرب من قبل ، وأن أجهزة الكبح الضرورية لإخراج السفينة من مدارها حول الأرض وجعلها تأخذ مساراً معيناً فى طريق العودة إلى الأرض لم تنجح عملياً فى التحليقات السوفيتية إلا ثلاث مرات من مجموع خمس رحلات ، وكل هذا يعنى أن رائد الفضاء قد لا يعود سالماً إلى الأرض ، فيواجه مصيره البائس فى الفضاء خنقاً وحرقاً ، وإذا عرفنا أن جاجارين كان يجلس فى المركبة الفضائية فوستوك ، والتى هى عبارة عن كرة لا يزيد قطرها عن مترين وأربعين سنتيمتراً ، مثبتة على صاروخ يزن ٢٨٧ طناً وبطول ٣٧ متراً ، لأدركنا وضع جاجارين الحرج والخطير.

وفى الحقيقة فإن جاجارين قد واجه فعلاً متاعب خطيرة جداً فى رحلته التاريخية هذه ، والثابت جيداً أن جاجارين أظهر هدوءاً ورباطة جاش أسطوريتين ، واتخذ القرارات الصحيحة فى اللحظات المناسبة ، ومن هذه المتاعب أن خللاً فنياً قد اكتشف فى باب المركبة الفضائية وذلك فى الدقائق الأخيرة قبل الإطلاق وتمكن الفنيون بعد موجة من الرعب من إصلاحه ، وحين

فتح مصمم السفينة باب المركبة وجد جاجارين يدندن اغنيته الوطنية المفضلة "الشعب يسمع ، الشعب يعرف أن ابنه يحلق بين الغيوم " وبعد إطلاق السفينة الفضائية بدقائق قليلة انقطع الاتصال اللاسلكى مع جاجارين وكانت تسمع بدلاً من ذلك حشرجات مخيفة ظنوا أنها آخر أنفاس جاجارين ، وعندما عاد الإرسال مرة أخرى سمعوه يدندن نفس الأغنية ، كان يدرك هذه المخاطر ويدرك إرتباك وهلع المشرفين على الرحلة فأراد أن يخفف من وطأة هذا الكابوس ، وحتى فى طريق عودته من الفضاء أدرك أن هبوط المركبة على الأرض سيكون ارتطامياً فقفز بالباراشوت وهبط سالماً على الأرض بعد أن دار حول الأرض لمدة ١٠٨ دقيقة ، وقد أصدرت زوجته كتاباً حول رحلته حمل عنواناً درامياً " الـ ١٠٨ دقيقة وحياتنا كلها " ... ومن المعروف أن يورى جاجارين قد لقى مصرعه عام ١٩٦٨ فى تحطم طائرة كان يقودها فى رحلة تجريبية وكان عمره أربعاً وثلاثين سنة فقط.

وفى ٢ فبراير ١٩٦٢ كان " جون جلين " أول رائد فضاء أمريكى يطير حول الأرض فى سفينة الفضاء " فريندشيب ٧ ".

وفى ١٦ يونية ١٩٦٣ أصبحت السوفيتية " فالينتينا تريشكوفا " أول رائدة فضاء فى العالم تدور حول الأرض حيث انطلقت فى السفينة " فوستوك – ٦ " أى " الشروق " لتدور حول الأرض (٤٤) دورة وهى جالسة بمفردها داخل السفينة الضيقة ، قاطعة مسافة ٢ مليون كم خلال ما يقرب من ٧١ ساعة ، وكان من أولى مهامها متابعة سفينة فضاء أخرى انطلق بها زميل لها قبل ذلك بيومين ، واقتربت بسفينتها من سفينته لمسافة خمسة كيلومترات ، ووقتها لم يكن التحام سفن الفضاء ببعضها قد تحقق وكانت عمليات الاقتراب كهذه تعد خطراً كبيراً ... وبعد هذا الإنجاز بعشرين عاماً انطلقت أول رائدة فضاء أمريكية "سالى رايد" إلى الفضاء فى ١٨ يونيو ١٩٨٣ .

وفى ١٨ مارس ١٩٦٥ قام رائد الفضاء الروسى اليكس ليونون بـأول سير فى الفضاء حيث أمضى ٢٠ دقيقة خارج المركبة " فسخود - ٢"، وفى ٢٧ يناير ١٩٦٧ مات فيرجيل جريوم وادوراد وايت وروجر تشافى فـى حريـق بمنصة الإطلاق فى مركز كيندى للفضاء وأصبحوا أول ضحايا برنامج الفضاء الأمريكى ، وفى ٢٤ أبريل ١٩٦٧ كان فلاديمير كوماروف أول رائـد فضـاء روسى يموت فى مهمة فضائية عندما تشابكت مظلة الهبوط فى " سيوز - ١".

وفى ٢٠ يوليو ١٩٦٩ أصبح الأمريكيان نيل ارمسترونج وادوين الدرين أول شخصين يهبطان على سطح القمر فى حدث راقبه أكثر من ٥٠٠ مليـون شخص حول العالم ، فى لحظة تعد من اللحظات الحاسمة من القرن العشرين .

وفى تاريخ سباق الفضاء كانت ملامح تفوق الاتحاد السوفيتى متعـددة وغزيرة ومتشعبة من أهمها أن السوفيت قد اطلقوا فى ١٩ أبريـل ١٩٧٠ أول محطة مدارية " ساليوت -١" أى " التحية " تحمل بشراً والتحمت بها عدة سـفن فضاء من طراز " سويوز " فى رحلات متعاقبة ، وكما تعددت الرحلات تعددت المحطات أيضاً ، فقد أطلق منها جيل يتألف من سبع محطات آخرها كان فـى عام ١٩٨٤ ، وبعد أن تطورت تصميماتها بدأت المحطـة المداريـة " ميـر " تستوى على مدارها منذ عام ١٩٨٦ وتميزت بإمكان التحام عدة سفن للبقاء بها فى نفس الوقت ، وكانت الشاحنات الفضـائية الذاتيـة الحركـة مـن طـراز "بروجريس" تنقل المؤن والشراب والوقود والملابس والبريد إليها فى رحـلات متعاقبة ... ولقد سجل الرواد السوفيت فى المحطات المدارية مدد بقاء قياسية ، تدرجت مع الوقت حتى بلغت ٣٦٦ يوماً فى نهاية عام ١٩٨٨ ، ولقد ضـرب هذا الرقم القياسى الرائد الروسى " رومانينكو " الذى خرج من سفينة الفضاء بعد هبوطها على الأرض وهو يركض ، دون أن يصيبه أى دوار أو تعب ، وفـى مارس ١٩٥٥ ، تجاوز هذا الرقم رائد آخر هو " فاليرى بولياكوف " حيث أمكنه

البقاء (٤٣٨) يوماً على نفس المحطة المدارية ... بينما أطول مدة بلغها الرواد الأمريكيون لم تتجاوز (٨٤) يوماً ، وحققها ثلاثة رواد فقط فى عام ١٩٧٤ .

ومن ملامح التفوق الفضائى السوفيتى أيضاً ، تصميمهم للصاروخ "انيرجيا" الذى فاق أقوى الصواريخ الأمريكية " ساترن – ٥ " الذى رفع كل سفن برنامج ابوللو إلى الفضاء ، فقد انطلق انيرجيا فى نوفمبر ١٩٨٨ ، وأذهل العلماء الأمريكيين لقوته الكبيرة ، وبمقارنة انيرجيا الروسى بساترن – ٥ الأمريكى ، نجد أن الأول يتميز بأن عدد مراحله أقل فهى مرحلتان ، بينما "ساترن" له ثلاث مراحل ، ورغم أن طول الأخير يبلغ ١٠٨ أمتار ، فإنه لايستطيع رفع أكثر من ٤٥ طناً إلى المدارات البعيدة عن الأرض ، بينما يقل الصاروخ السوفيتى عنه فى الطول إذ لا يتجاوز ٧٠ متراً ، ويستطيع رفع أكثر من ١١٠ طناً ، الأمر الذى يشير إلى أن " انيرجيا " يصلح ليس لرفع أجيال المكوك السوفيتى وحدها ، ولكن أيضاً لرفع ما هو أثقل مثل المحطات المدارية "مير".

ومن ملامح التفوق السوفيتى أيضاً المكوك " بوران " الذى أطلق فى ١٥ نوفمبر ١٩٨٨ بدون رواد ، وكان يشبه المكوك الأمريكى شكلاً ، من حيث كونه كالطائرة له أجنحة ومجموعة ذيل ، وعجلات للهبوط ، ويعلق أيضاً رأسياً بمستودع ضخم للوقود ، ويبلغ طوله ٣٦,٦ متر وارتفاعه ١٧ متراً ، وتبلغ المسافة بين طرفى الجناحين ٢٤,٤ متراً ، أما وزنه فيقل عن مائة طن .

ولعل النكبة التى أصابت الأمريكيين باحتراق " تشالنجر " فى ٢٨ يناير ١٩٨٦ تعتبر خطوة إلى الوراء ، حيث أورثت بحوث الفضاء الأمريكية عقدة الذنب ، وأدت إلى وقفة دامت ٣٢ شهراً ، وخلال حقبة التوقف هذه التى أطلق عليها البعض الحقبة السوداء ، خطت بحوث الفضاء السوفيتية خطوات كبيرة إلى الامام ، وتميزت بالبرامج المكثفة ، وعلى سبيل المثال فإن السوفييت خلال

عام ١٩٨٦ قاموا بـــ ٩١ عملية إطلاق للصواريخ أمام ٥ عمليات أمريكية فقط، واستخدم السوفييت أكثر من ٨٠٠ نوع من الصواريخ ، لها ٢٠ نوعاً مختلفاً من أجهزة الدفع.

ومما ينبغى ذكره أن العلماء الألمان قد كان لهم الســبق فــى تطــوير صواريخ الفضاء ، ففى منتصف العشرينيات بدأوا بتجريب صواريخ بــالوقود السائل التى كانت قادرة على الوصول إلى ارتفاعات ومسافات عاليــة نســبياً ، وفى عام ١٩٤٢ أطلق الألمان صاروخ A-4 حيث اعتبر أول جسم يصل إلــى الفضاء، وفى عام ١٩٤٣ بدأت ألمانيا بانتاج صواريخ V-2 بعيدة المدى (٣٠٠ كيلومتراً) وتحمل رأساً حربياً وزنه ١٠٠٠ كيلوجراماً وقد سببت هذه الصواريخ أضراراً وخسائر هائلة فى الأرواح خلال الحرب العالمية الثانية .

وعندما اقتربت الحرب العالمية الثانية من الانتهــاء ، تســابق الجــيش الأمريكى والسوفيتى على أسر علماء ومهندسين فى برنامج الصواريخ الألمانية، وأخذت الولايات المتحدة عدداً كبيراً من علماء الصواريخ الألمان حيــث كــان منهم أعضاء بالحزب النازى ومن ضمنهم فون براون مهندس برنامج الفضــاء الأمريكى .

جيفارا

يعد ارنستو جيفارا (١٩٢٨ – ١٩٦٧) شخصية ثورية فذة فى نظر الكثيرين ، ولد من عائلة برجوازية أرجنتينية بمدينة بيونس ايريس ، وحين بلغ العامين اكتشف أهله أصابته بالربو .

درس الطب فى جامعة بيونس ايريس وتخرج عام ١٩٥٣ ، ولإصابته بالربو لم يلتحق بالتجنيد العسكرى ، قام بجولة حول أمريكا الجنوبية مع أحد أصدقائه على متن دراجة نارية وهو فى السنة الأخيرة من الطب وأثرت تلك الرحلة فى شخصيته وإحساسه بوحدة أمريكا الجنوبية وبالظلم الكبير من الدول الامبريالية للمزارع البسيط .

وفى عام ١٩٥٥ قابل " هيلدا " المناضلة اليسارية من " بيرو " فى منفاها فى جواتيمالا ، فتزوجها وأنجب منها طفلته الأولى ، وهى التى جعلته يقرأ للمرة الأولى بعض الكلاسيكيات الماركسية.

سافر إلى المكسيك والتقى هناك براؤول كاسترو المنفى مع أصدقائه الذين كانوا يجهزون للثورة وينتظرون خروج فيدل كاسترو من سجنه فى كوبا ، وما أن خرج فيدل كاسترو من سجنه حتى قرر جيفارا الانضمام للثورة الكوبية .

فى ١٩٥٩ اكتسح رجال حرب العصابات برئاسة فيدل كاسترو هافانا واسقطوا الديكتاتورية العسكرية لفولجنسيو باتيستا برغم تسليح حكومة الولايات المتحدة وتمويلها لباتيستا ولعملاء الـ CIA داخل جيش عصابات كاسترو .

دخل الثوار كوبا على ظهر زورق ولم يكن معهم سوى ثمانين رجلاً لم يبق منهم سوى ١٠ رجال فقط بينهم كاسترو وأخوه راؤول وجيفارا ولكن هذا الهجوم الفاشل اكسبهم مؤيدين كثيرين خاصة فى المناطق الريفية ، وظلت المجموعة تمارس حرب العصابات لمدة سنتين وخسروا نصف عددهم فى معركة مع الجيش .

وبواسطة خطة جيفارا للنزول من جبال سييرا باتجاه العاصمة الكوبية تمكن الثوار من دخول العاصمة هافانا فى يناير ١٩٥٩ على رأس ثلاثمائة مقاتل إلى هافانا ليبدأ عهد جديد من حياة كوبا وانتصرت الثورة بعد أن أطاحت بحكم الديكتاتور " باتيستا " .

وفى تلك الأثناء اكتسب جيفارا لقب " تشى " الارجنتينى ، وتزوج من زوجته الثانية " إليدا مارش " وأنجب منها أربعة أبناء بعد أن طلق زوجته الأولى .

بعد ذلك صدر قانون يعطى الجنسية والمواطنة الكاملة لكل من حارب مع الثوار برتبة عقيد ولم توجد هذه المواصفات سوى فى جيفارا الذى عين مديراً للمصرف المركزى ، وأشرف على تصفية خصوم الثورة وبناء الدولة فى فترة لم تعلن فيها الثورة عن وجهها الشيوعى ، وما أن أمسكت الثورة بزمام الأمور وبخاصة الجيش حتى قامت الحكومة الشيوعية التى كان فيها جيفارا وزيراً للصناعة وممثلاً لكوبا فى الخارج ومتحدثاً باسمها فى الأمم المتحدة ، بالإعلان عن نفسها .

تولى بعد استقرار الحكومة الثورية الجديدة – وعلى رأسها فيدل كاسترو– على التوالى واحياناً فى نفس الوقت مناصب سفير منتدب إلى الهيئات الدولية الكبرى ، منظم الميليشيا ، رئيس البنك المركزى ، مسئول التخطيط ، وزير الصناعة ، ومن مواقعه تلك قام " تشى " بالتصدى بكل قوة لتدخلات الولايات المتحدة ، فقرر تأميم جميع مصالح الدولة بالاتفاق مع كاسترو ، فشددت الولايات المتحدة الحصار على كوبا ، وهو ما جعل كوبا تتجه تدريجياً نحو الاتحاد السوفيتى وقتها ، كما أعلن عن مساندته حركات التحرير فى كل من تشيلى وفيتنام والجزائر .

لكن عمره السياسى لم يطل ، حيث لم تعجبه الحياة السياسية فاختفى ، ونشرت مقالات كثيرة عن مقتله لعل رده يحدد مكانه لكنه لم يرد ، ونشرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية شائعات تدعى فيها اختفاء ارنستو تشى جيفارا فى ظروف غامضة ومقتله على يد زميله فى النضال القائد الكوبى فيدل كاسترو ، مما اضطر الزعيم الكوبى للكشف عن الغموض الذى اكتنف اختفائه من الجزيرة للشعب الكوبى فأدلى بخطابه الشهير الذى ورد به ما يلى :

" بيدى هنا رسالة ، كتبت بخط اليد من الرفيق ارنستو جيفارا يقول فيها : أشعر أنى أتممت ما لدى من واجبات تربطنى بالثورة الكوبية على أرضها ، لهذا استودعك واستودع الرفاق واستودع شعبك الذى أصبح شعبى وأتقدم رسمياً باستقالتى من قيادة الحزب ، ومن منصبى كوزير ، ومن رتبة القائد ، ومن جنسيتى الكوبية ، لم يعد يربطنى شئ قانونى بكوبا " .

ذهب " تشى " لافريقيا مسانداً للثورات التحررية ولكن فشلت التجربة الأفريقية لأسباب عديدة منها عدم تعاون رؤوس الثورة الأفارقة واختلاف المناخ واللغة ، وانتهى الأمر بالـ " تشى " فى أحد المستشفيات فى براغ للنقاهة وزاره كاسترو بنفسه ليرجوه العودة .

وبقى فى زائير (الكونغو الديمقراطية) بجانب قائد ثورة الكونغو باتريس لومومبا يحارب ، لكن فجاة ظهر فى بوليفيا قائداً لثورة جديدة .

لم يكن مشروع " تشى " خلق حركة مسلحة بوليفية ، بل التحضير لترتيب صفوف الحركات التحررية فى أمريكا اللاتينية لمجابهة النزعة الأمريكية المستغلة لثروات دول القارة ، ومنذ بداية عام ١٩٦٧ وجد جيفارا نفسه مع مقاتليه وحيداً يواجه وحدات الجيش المدججة بالسلاح بقيادة CIA فى برارى بوليفيا الاستوائية ، وأراد جيفارا أن يمضى بعض الوقت فى حشد القوى والعمل على تجنيد الفلاحين والهنود الحمر من حوله ، ولكنه أجبر على خوض المعارك مبكراً .

القى القبض على اثنين من مراسلى الثوار ، فاعترفوا تحت قسوة التعذيب أن جيفارا هو قائد الثوار ، فانتشر آلاف الجنود لتمشيط المناطق الوعرة بحثاً عن أربعين رجلاً ضعيفاً وجائعاً ، قسم جيفارا قواته لتسريع تقدمها ثم أمضوا بعد ذلك أربعة أشهر متفرقين عن بعضهم فى الأدغال ، إلى جانب ظروف الضعف والعزلة هذه تعرض جيفارا إلى أزمات ربو حادة ، مما شكل عامل ساهم فى تسهيل مهمة البحث عنه ومطاردته .

فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٧ وفى أحد وديان بوليفيا الضيقة هاجمت قوات الجيش البوليفى المكونة من ١٥٠٠ فرد مجموعة جيفارا المكونة من ١٦ فرداً وقد ظل جيفارا ورفاقه يقاتلون ست ساعات كاملة وهو شئ نادر الحدوث فى حرب العصابات فى منطقة صخرية وعرة ، تجعل حتى الاتصال بينهم شبه مستحيل وقد استمر " تشى " فى القتال حتى بعد موت جميع أفراد المجموعة رغم أصابته بجروح فى ساقه إلى أن دمرت بندقيته (م-٢) وضاع مخزن مسدسه وهو ما يفسر وقوعه فى الأسر حياً ، نقل " تشى " إلى قرية "لاهيجيراس" وبقى حياً لمدة ٢٤ ساعة ، ورفض أن يتبادل كلمة واحدة مع من

أسروه وفى مدرسة القرية نفذ ضابط الصف " ماريو تيران " تعليمات ضابطيه "ميجيل ايوروا" و " اندريس سيلنيش " باطلاق النار على " تشى ".

وقد رفضت السلطات البوليفية تسليم جثته لاخيه أو حتى تعريف أحد بمكانه أو بمقبرته حتى لا تكون مزاراً للثوار من كل أنحاء العالم.

مارتن لوثر كينج

اليوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٣م ، ومدينة واشنطن تمر بفترة قيظ لافح ، وقد خرج مائتا ألف أمريكى ما بين سود وبيض ، ورؤساء نقابات ورجال سياسة ... وأمام تمثال لنكولن وقف قس أسود شاب وهو يقول " أننى أحلم باليوم الذى يستطيع فيه أطفالى الأربعة ، أن يعيشوا فى أمة لا تحكم عليهم بلون بشرتهم ، ولكن بقدراتهم الشخصية " ، كان هذا الشاب مارتن لوثر كينج (١٩٢٩م – ١٩٦٨م).

كان اثنان وعشرون مليوناً من السود ، يقفون خلف كينج عندما بدأ حربه فى سبيل الحقوق المدنية ، وقد رفعت اللافتات تنادى بالمساواة فى العمل، وإزالة التفرقة العنصرية فى مجال الإسكان والخدمات العامة ، وقبول الأطفال السود فى المدارس العامة ، وحرية مزاولة حق الانتخاب فى ولايات الجنوب ، وكان مارتن لوثر كينج يتولى زعامة " الثورة " التى كانت لا تعتمد على القوة البدنية ولكن على العصيان المدنى والتعاليم السلمية التى وضعها غاندى ، وكانت أولى نتائج هذه المسيرة إلى واشنطن أن مجلس الشيوخ أقر أهم قانون فى مجال التشريعات العنصرية منذ قانون تحرير السود ، وكان ذلك هو قانون الحقوق المدنية الذى صدر فى ٦ أغسطس ١٩٦٥م الذى قضى بإنشاء سجلات

اتحادية تضمن حقوق الانتخاب للسود الذين لم يقيدوا فيها ، وكان القانون تأكيداً لوجودهم السياسى بالولايات المتحدة.

وكان أول عمل ضد التفرقة العنصرية قد تم فى ديسمبر ١٩٥٥م فى الجنوب وهو مقاطعة شركة أتوبيسات مونتجمرى لمدة ٣٨١ يوماً حيث كانت المقاعد الخلفية مخصصة للسود ، وكان السود يجبرون أيضاً على ترك مقاعدهم للبيض ، وحققت المقاطعة نصراً باهراً .

وبعد تولى " كنيدى " منصب الرئاسة ضاعف كينج جهوده المتواصلة لإقحام الحكومة الاتحادية فى الأزمة العنصرية المتفاقمة إلا أن كيندى استطاع ببراعة السياسى أن يتفادى هجمات كينج الذى كان لا يتوقف عن وصف الحكومة بالعجز عن حسم الأمور الحيوية .

ومن هنا قرر كينج فى أواخر صيف عام ١٩٦٢م بدء سلسلة من المظاهرات فى برمنجهام ، وعمل على تعبئة الشعور الاجتماعى بمظاهرة رمزية فى الطريق العام ، وفى اليوم التالى وقعت أول معركة سافرة بين الزنوج المتظاهرين ورجال الشرطة البيض الذين اقتحموا صفوف المتظاهرين بالعصى والكلاب البوليسية ، ثم صدر أمر قضائى بمنع كل أنواع الاحتجاج والمسيرات الجماعية وأعمال المقاطعة والاعتصام ، فقرر كينج لأول مرة فى حياته أن يتحدى علانية حكماً صادراً من المحكمة ، وسار خلفه نحو ألف من المتظاهرين الذين كانوا يصيحون " حلت الحرية ببرمنجهام " ، وألقى القبض على كينج وأودعوه سجناً انفراديا ، وحرر خطاباً أصبح فيما بعد من المراجع المهمة لحركة الحقوق المدنية ، وقد أوضح فيه فلسفته التى تقوم على النضال فى إطار من عدم العنف.

وفى عام ١٩٦٣م قام زنوج أمريكا بثورة لم يسبق لها مثيل فى قوتها

اشترك فيها ٢٥٠ ألف شخص ، منهم نحو ٦٠ ألف من البيض متجهة صوب نصب لنكولن التذكارى ، فكانت أكبر مظاهرة فى تاريخ الحقوق المدنية ، وهناك ألقى كينج أروع خطبه " أنا أحلم " .

وفى العام نفسه أطلقت مجلة " تايم " على كينج لقب " رجل العام " فكان أول زنجى يمنح هذا اللقب ، ثم حصل فى عام ١٩٦٤م على جائزة نوبل للسلام لدعوته إلى اللاعنف ، فكان بذلك أصغر رجل فى التاريخ يفوز بهذه الجائزة – ٣٥ عاماً – ولم يتوقف عن مناقشة قضايا الفقر للزنوج وعمل على الدعوة إلى إعادة توزيع الدخول بشكل عادل .

وفى بداية عام ١٩٦٨م كان كينج يعد لمسيرة سلمية جديدة إلى واشنطن، ولكنه أوقفها ليساند إضراباً قام به عمال النظافة فى مدينة ممفيس ولكن الإضراب تحول إلى العنف فعاد إلى الفندق الذى كان ينزل فيه وأعلن أنه سيعود لقيادة مسيرة سلمية تماماً .

ولكن فجأة أعلن النبأ الآتى " ممفيس (ولاية تنيسى) ٤ أبريل ١٩٦٨م، قتل القس مارتن لوثر كينج ، برصاصة أصابته فى وجهه ، بينما كان يستريح فى شرفة حجرته بالفندق ، وقد شوهد شاب أبيض يهرب من العمارة التى أطلقت منها البندقية "

وعلى رخام قبره حفرت بضع كلمات " الحرية أخيراً ، الحرية أخيراً ، شكراً يا ربى ، إننى حر أخيراً !"

السير الفريد هتشكوك

السير الفريد هتشكوك (١٨٩٩ – ١٩٨٠م) مخرج وسينمائى إنجليزى، يعتبر من أهم المخرجين فى تاريخ السينما حيث مزج الرعب بالتشويق بالكوميديا .

فى عام ١٩١٩ وعندما أعلنت شركة السينما الأمريكية " لاسكى " التى يمتلكها أحد عمالقة صناعة السينما فى ذلك الحين هارولد لاسكى عن افتتاح ستوديو عام ١٩٢٠ فى لندن ، تقدم هتشكوك للعمل هناك وبدأ عمله فى مجال السينما كمصمم عناوين أى ما يمكن وصفه اليوم بكاتب حوار وتعليق ، حيث تلعب العناوين فى السينما الصامتة دوراً مشابهاً لدور الحوار ولكن بشكل سردى وتتدخل أحياناً لوصف شئ ما وخلق عنصر تشويق ، وربما يفسر لنا هذا تمكن هتشكوك من خاصية الاقتصاد فى العمل ووصوله لهدفه من أقصر الطرق وبشتى الوسائل المتاحة وخاصة استغلال دراميات المكان لأقصى درجة .

أيضاً فى هذه الشركة واتته الفرصة ليخرج أول أفلامه بعد أن اعتذر مخرج فيلم " لابد وأن تخبر زوجتك دائماً بكل شئ " عن إتمام العمل لمرضه فقام هتشكوك بإتمام الفيلم ورغم أن اسمه لم يذكر كمخرج على عناوين الفيلم أو

التيترات إلا أن مدير الشركة أعجب بعمله وأسند إليه إخراج أول أفلامه "رقم١٣" الذى لم يعرض بسبب إفلاس الشركة .

إلا أن هذين العملين أكسباه ثقة بنفسه فتقدم للعمل فى شركة ألمانية بريطانية مشتركة ليخرج فيلمه الأول رسمياً وهو " حديقة اللذة " الذى صور فى ألمانيا .

كان أول فيلم يشتهر به هو " النزيل " وفيه قدم طابعه المميز الذى يصور البرئ الذى يتهم بالقتل ويحاول الفرار وإثبات براءته ، وفى الثلاثينيات أنجز فى بريطانيا مجموعة أفلام هامة من بينها "تخريب"، " والرجل الذى يعرف أكثر من اللازم " و " العميل السرى " ، وكان آخر أفلامه فى بريطانيا هما "حانة جامايكا" عام ١٩٣٩ و " المراسل الأجنبى " عام ١٩٣٩ .

فى عام ١٩٤٠ انتقل إلى هوليوود ليقدم أول أفلامه هناك " ربيكا " من بطولة سير لورانس اوليفييه وجوان فونتين . تتابعت بعد ذلك أعمال هتشكوك وتنوعت ما بين الدراما النفسية كما فى " شك " و " إنى اعترف " وبين أفلام الجاسوسية مثل " الستار الممزق " و " المخرب " و " سيئة السمعة " وأفلام الجريمة مثل " النافذة الخلفية " و " امسك حرامى " و " اتصل بالرقم لتحدث جريمة القتل " والأفلام الكوميدية مثل " السيد والسيدة سميث " و " مشكلة هارى".

كما قدم فيلم " القارب " التى حكى قصة كاملة فى مكان لا يتغير هو قارب ، وفيلم " الحبل " أول فيلم لا يعتمد على التقطيع بل هو لقطة واحدة طويلة، إلا أن أعماله الثلاثة التى حفرت اسمه للأبد هى " النافذة الخلفية " الذى علم المشاهدين كيف يتلصصون على الجيران ثم عاقبهم على ذلك ، وفيلم "الدوار" عن خوف المرتفعات ، وفيلم " نفوس معقدة " الذى خرق فيه قاعدة أن

تظل بطلة الفيلم حية حتى مشهد النهاية حيث توفيت البطلة فـــى الثلـــث الأول للفيلم، ومن أشهر أفلامه فيلم " الطيور " الذى وضع فيه القواعد الأساسية لأفلام الرعب ، والذى قلد فيما بعد فى العديد من الأفلام .

اشتهر هتشكوك كذلك ببرنامجه التليفزيونى القصير (الفريد هتشـــكوك يقدم) كما أنه كان ناشراً ذكياً ابتدع القصص القصيرة المخيفة التى راقت لـــه وأصدرها فى سلسلة اسمها (قصص لم يسمحوا لى بتقديمها على التليفزيون).

لم يحصل هتشكوك طوال تاريخه الطويل أى عبر أكثر مـــن خمســـين عاماً كمخرج على جائزة أوسكار أفضل إخراج . وإن كان قد حصل على جائزة تكريم خاصة عن مجموع أعماله من الأكاديمية الأمريكية .

الجوهرة السوداء ... بيليه

ولد أديسون ارانتيس دوناسيمنتو (وهذا اسمه الحقيقى) فى ٢٣ أكتوبر ١٩٤٠م فى قرية تسمى (القلوب الثلاثة) فى مقاطعة للمناجم بقلب البرازيل ، وكانت أسرته تعتمد فى عيشها على مبلغ ضئيل (٤,٥ دولار) يتقاضاه والده فى كل مرة يلعب فيها كرة القدم مع أحد النوادى المحلية ، وبعد إصابة والده فى ساقه اعتزل اللعبة وأصبحت الأسرة شديدة الفقر لدرجة العجز عن معالجة عائلها ، وبعد شفاء والده انتقل إلى مدينة أخرى وغرس فى ابنه حب كرة القدم، وبدأ زملاؤه فى اللعب يطلقون عليه اسم " بيليه " ، وشغلته كرة القدم – وكان فى العاشرة من عمره – عن دراسته ، لذلك كف عن الذهاب إلى المدرسة ، وفى عام ١٩٥٦م وقع عقداً للعب مع فريق محترف فى سانتوس مقابل راتب صغير بالإضافة إلى الأكل والمسكن ، وفى عام ١٩٥٩م وحده سجل ١٢٧ هدفاً، وفى حياته سجل ١٢٢٧ هدفاً فى ١٢٥٥ مباراة وجعل من فريق سانتوس والبرازيل قوة بارزة فى عالم كرة القدم.

وقاد فريق البرازيل القومى إلى الفوز بكأس العالم فى كرة القدم ثلاث مرات مما حقق له امتلاك الكأس إلى الأبد وهو نصر لم يحققه أى فريق من قبل ... وكانت أول مرة عام ١٩٥٨م حيث لعب بيليه لأول مرة فى كأس العالم

وعمره ١٧ عاماً ، ثم عام ١٩٦٢ م ، ثم ١٩٧٠م ... وأعلنت البرازيل رسمياً أنها تعتبر بيليه " ثروة قومية " وشيئاً ثميناً لا يقدر بثمن ولا يمكن تصديره ، ولكن كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة توسط لدى الحكومة البرازيلية للموافقة على انتقال بيليه إلى الولايات المتحدة مطمئناً أن الصفقة سوف تفيد العلاقات الدولية ، واستقر بيليه هناك حيث لعب لنادى "نيويورك كوزموس" الذى قال مديره : لقد انتقلت لعبة كرة القدم فى الولايات المتحدة من العصر الحجرى إلى عصر النفاثات وغزو الفضاء بقفزة واحدة بوصول بيليه.

ومن طريف ما يذكر من إعجاب كل جماهير العالم ببيليه أنه فى أثناء الحرب فى نيجيريا للقضاء على الحركة الانفصالية فى " بيافرا " عام ١٩٦٧م توقف القتال لمدة يومين لأن بيليه كان يلعب مباراة استعراضية فى العاصمة النيجيرية لاجوس !! .

الليزر ...
الحل الذى يبحث عن مشكلة

حين ابلغ العالم الفيزيائى الأمريكى ثيودور مايمان رؤساءه لأول مرة أنه يريد اختراع الليزر ، رفض طلبه لأن تقارير التجارب التى أجريت قبل ذلك فى العديد من المختبرات كانت غير مشجعة ، ولكن بعد محاولات عديدة استجابوا لطلبه ، ومنح ٥٠ ألف دولار وفترة تسعة أشهر فقط لكى ينجز ما وعد به ... وفى ٧ يوليو ١٩٦٠ عقد ثيودور مايمان مؤتمراً صحفياً أعلن فيه أنه استطاع اختراع أول جهاز ليزر ليقدم إنجازاً مذهلاً فى مجال العلم ، ووصف اختراعه فى كلمات واثقة بأنه " الحل الذى يبحث عن مشكلة " ... وقد اعتبرت مجلة العلوم البريطانية التى نشر بها مايمان بحثه النهائى عن الليزر أهم بحث نشر بها على مدى مائة عام.

وكان العالم البرت إينشتاين قد تنبأ عام ١٩١٧ بوجود الليزر ، حيث وضع الأساس النظرى لعملية الإنبعاث المحفز ، وقد جاءت كلمة الليزر Laser من الأحرف الأولى لفكرة عمل الليزر وهى " تضخيم الضوء بواسطة الإنبعاث المحفز للأشعة " ، واستمرت المحاولات حتى عام ١٩٦٠ حين تم اختراع أول جهاز ليزر يقوم بتجميع الموجات العريضة ثم يقذفها فى شعاع كثيف من الضوء، وبعدها بدأت الشركات فى إنتاج أنواع عديدة من مولدات أشعة الليزر

لأغراض متعددة وللاستعمالات الصناعية ، والطبية ، والفضائية ، وغيرها من المجالات ، وتعتمد الطاقة المتولدة من هذه الأجهزة على نوع المادة المستعملة فى هذا التوليد والغرض من الاستعمال .

والليزر بذلك حزمة من الضوء المكثف يختلف عن الضوء العادى – الذى ينتشر فى كل الاتجاهات وبأطوال موجية تختلف فيما بينها – فى أن له طول موجى واحد ، يحدد لون الضوء الناتج وطاقته ، كما أنه يتكون من أشعة متماسكة مما يجعل شدة الضوء كبيرة ، ولليزر إتجاه واحد يجعله يسير فى مسار مستقيم ، وقد طورت الأبحاث قوة الليزر الذى كان فى بدايته عبارة عن شعاع ضعيف قبل أن يتطور العمل به ويصل إلى مستوى إضاءة يوازى عدة شموس ويفوق فى سرعته سرعة الضوء .

يستخدم الليزر حالياً فى مجالات متعددة كاستعماله فى الأقراص المدمجة وفى صناعة الإلكترونيات وقياس المسافات بدقة – خاصة أبعاد الأجسام الفضائية – وفى الاتصالات ، كما تستخدم أشعة الليزر فى معالجة بعض أمراض العيون وجراحات المخ والقلب والأوعية الدموية والجراحة العامة، ويستخدم أيضاً فى مختلف أنواع الصناعات الدقيقة والثقيلة .

حرب فيتنام ... النصر المستحيل

لقد كانت حرب فيتنام أطول حرب عرفها القرن العشرون ، وقد سجل الفيتناميون ملحمة تاريخية لا تنسى فى الصراع ضد الاحتلال ومحاولات التقسيم، واستنفذت الولايات المتحدة قوتها العسكرية فى فيتنام ، فلم تكن الحرب مجرد هزيمة عسكرية للسمعة الأمريكية العسكرية والسياسية فحسب ، وإنما كانت ضربة قاسية لقدرة الولايات المتحدة.

تعود أسباب الصراع فى فيتنام إلى الحرب التحررية التى قادها الفيتناميون ضد المستعمر الفرنسى والتى استمرت ثمانى سنوات (١٩٤٦ إلى ١٩٥٤) ، وكانت فيتنام قد تعرضت لإحتلال يابانى نهاية الحرب العالمية الثانية – قبيل هزيمة اليابان – فى أغسطس ١٩٤٥ وانتهز الثوار الفيتناميون فرصة هزيمة اليابان فاحتلوا هانوى عاصمة البلاد مرغمين الإمبراطور الفيتنامى " باو داى " على التنحى عن الحكم ، لكن فرنسا رغم جراح الحرب المنهكة ، بادرت باستعادة مستعمرتها فيتنام نهاية ١٩٤٥ وبداية ١٩٤٦ ، مجهضة أحلام الثوار فى حكم بلادهم .

وعندها أعلن الفيتناميون حرباً ضروساً على الفرنسيين اشتعلت مع نهاية ١٩٤٦ ، ثم انتهت بعد معركة " ديان بيان فو " الرهيبة يوم ٨ مايو ١٩٥٤،

وهى الهزيمة التى أثقلت كاهل فرنسا ... وفى يوليو ١٩٥٤ تم التوقيع على اتفاق جنيف الذى ينهى الحرب بين فرنسا وفيتنام بحضور وفدى فيتنام ووفود فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفيتى والصين الشعبية والولايات المتحدة ولاوس وكمبوديا ... وكان من نتائج الاتفاق تقسيم فيتنام إلى شطرين يفصل بينهما خط عرض ١٧ ، ورغم حضورهما فى جنيف فإن الولايات المتحدة وحكومة سايجون الموالية لها لم توقعا على الاتفاق ، وفور رحيل فرنسا من فيتنام بدأت الولايات المتحدة فى مساعدة حكومة سايجون عسكرياً .

وفى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٥ ظهرت أول حكومة فى فيتنام الجنوبية "سايجون" منتخبة بقيادة " نغو دينه ديم " ، وكان أول قرار اتخذته هو الامتناع عن أى استفتاء من شأنه أن يؤدى إلى اتحاد الشطرين الفيتناميين ، مبررة ذلك بعدم حرية السكان فى الجزء الشمالى .

وفى فبراير ١٩٥٩ أسس الثوار الجنوبيون " فييت كونغ " أول منظمة فى دلتا ميكونغ ، وفى ١٠ ديسمبر ١٩٦٠ تم تأسيس جبهة التحرير الوطنى ، وهى الإطار التنظيمى السياسى والعسكرى الذى سيتولى مهمة الحرب ضد أمريكا وحكومة سايجون ، فما كان من الرئيس الجنوبى ديم إلا أن أعلن قانون الطوارئ ، وقد تأجج الصراع وبلغ مداه حين أعلن الحزب الشيوعى الفيتنامى الحاكم فى الشمال مساندة الثوار الجنوبيين وإمدادهم بالسلاح.

أعلنت الولايات المتحدة وقوفها التام خلف حكومة سايجون ، بل أن الرئيس الأمريكى كنيدى وقع معاهدة صداقة وتعاون اقتصادى بين بلاده وفيتنام الجنوبية فى أبريل ١٩٦١ ، وفى ديسمبر من نفس السنة أعلن كنيدى عزمه مساعدة حكومة الرئيس ديم اقتصادياً وعسكرياً ، فوصلت طلائع الجيش الأمريكى إلى سايجون وكانت فى البداية ٤٠٠ جندى عهد إليها بتشغيل المروحيات العسكرية ، وفى السنة التالية بلغ عدد الجنود الأمريكيين فى فيتنام

الجنوبية ١١ ألف جندى ، كما أسست قيادة أمريكية فى سايجون منذ يناير ١٩٦٢.

قام الأمريكيون وحلفاؤهم الجنوبيون بقطع جبهة التحرير الوطنى عن قواعدها عبر إقامة بعض القرى للمزارعين الموالين لحكومة الرئيس ديم ، ولم تنته سنة ١٩٦٣ حتى بلغ عدد تلك القرى سبعة آلاف تضم ثمانية ملايين شخص، غير أن هذه الدروع البشرية أو الحواجز السكانية لم تمنع ثوار جبهة التحرير من السيطرة على ٥٠% من تراب فيتنام الجنوبية .

لم تكن سياسة الرئيس ديم قادرة على تنظيم البيت الداخلى فى الجنوب الفيتنامى ، فقد عارضه السياسيون ذوو النزعة الليبرالية لديكتاتوريته ، كما عارضه البوذيون لميوله الكاثوليكية ، وقد أطيح به فى أول نوفمبر ١٩٦٣ فى انقلاب عسكرى وتمت تصفيته جسدياً فى ظروف غامضة ، ويرى العديد من الباحثين أن الولايات المتحدة لم تكن بعيدة عما جرى له ولنظامه ... وخلال الـ ١٨ شهراً التالية للإطاحة بالرئيس ديم عرفت سايجون عشر حكومات عسكرية متعاقبة لم تستطع أى منها ضبط النظام وخاصة العسكرى .

عرفت سايجون فى صيف ١٩٦٤ مزيداً من الانشقاقات بين العسكريين الحاكمين ، وكذلك بين الطائفة البوذية المستاءة من التحكم الكاثوليكى فى الحكم، هذا فضلاً عن التقدم العسكرى الملحوظ لجبهة التحرير الوطنى .

وانطلاقاً من هذه العناصر وصل الاقتناع الأمريكى إلى أن تدخلاً عسكرياً شاملاً هو المخرج لهم من هذه الحالة .

وجدت أمريكا الفرصة سانحة حين هوجمت بعض قاذفاتها البحرية من طرف قوات جبهة التحرير الوطنى فى خليج تونكين ، فما كان من الرئيس الأمريكى جونسون إلا أن اصدر الأوامر إلى الطيران العسكرى الأمريكى بقصف المواقع الفيتنامية الشمالية كرد فعل لما أصاب الأمريكان .

ومنذ فبراير ١٩٦٥ توالى القصف الأمريكى لفيتنام الشمالية ، وفى ٦ مارس التالى تم أول إنزال للبحرية الأمريكية فى جنوب دانانغ ، وظل الوجود العسكرى الأمريكى يزداد فى فيتنام ليبلغ فى نهاية ١٩٦٥ ما يناهز ٢٠٠ ألف جندى ، ثم وصل فى صيف ١٩٦٨ إلى ٥٥٠ ألفاً ، وظلت أمريكا تضغط على هانوى من أجل ترك دعم الثوار الجنوبيين ، غير أن الأخيرة كانت ترفض أى تفاوض مع الولايات المتحدة ما دامت مستمرة فى قصفها المتواصل .

لم تترك أمريكا أى وسيلة عسكرية للضغط على هانوى إلا استعملتها بدءاً بالتجميع القسرى للسكان ومروراً بتصفية الثوار الشيوعيين الموجودين فى الأرياف الجنوبية واستعمال طائرات بى- ٥٢ لتحطيم الغطاء النباتى ، وانتهاء بتكثيف القصف للمدن والمواقع فى الشمال الفيتنامى خاصة تلك الواقعة بين خطى العرض ١٧ و ٢٠ ومع ذلك لم يؤثر الرعب الأمريكى والآلة الحربية المتطورة فى معنويات الفيتناميين ولا فى مقاومتهم بل تفرقوا فى الأرياف ومراكز الإنتاج الزراعى وازدادت فيهم معنويات المقاومة . ولم تستطع أمريكا – رغم محاولاتها المستمرة – أن تقطع طريق " هو شى منه " الذى تمر منه الإمدادات نحو ثوار الجنوب .

فى أكتوبر ١٩٦٦ أعلن ممثلو أمريكا وحلفاؤهم المشاركون بجنودهم فى الحرب كاستراليا ونيوزيلاند وتايلاند وكوريا الجنوبية والفلبين فى مانيلا استعدادهم للانسحاب من فيتنام بعد ستة أشهر إذا ما خرجت فيتنام الشمالية من الحرب ، وهو إعلان رفضه الشماليون بصرامة ، ولم تثمر دعوة الرئيس الأمريكى جونسون للزعيم السوفيتى كوسيجين فى الضغط على هانوى لتنتهى الحرب حين التقيا فى يونيو ١٩٦٧ بل ظلت نيران الحرب مشتعلة ، فما كان من الرئيس جونسون إلا أن أعلن عزمه زيادة الجنود الأمريكيين فى فيتنام

ليصل عددهم عام ١٩٦٨ إلى ٥٢٥ ألفاً ، كما أصبح القصف الأمريكى للمواقع الشمالية قاب قوسين أو أدنى من الحدود الصينية .

ولم تنفع سياسة العصا والجزرة مع الفيتناميين ، حيث لم تردعهم هجمات الولايات المتحدة المتكررة وقصفها المتواصل كما لم تغرهم دعوات الرئيس جونسون للتفاوض ، فظلت الحرب مشتعلة وعدد الضحايا فى ازدياد .

ظلت المعارك خلال الحرب الفيتنامية تدور فى الجبال ، وهى استراتيجية اتبعها الفيتناميون المتكيفون أصلاً مع الأوضاع الطبيعية والمناخية الصعبة ، وفى ١٩٦٨ أطلق الجنرال الفيتنامى ما عرف بهجوم " تيت " (وهو اسم السنة القمرية الفيتنامية التى يحتفل بها منتصف فبراير من كل سنة) وهو مجموعة عملياتٍ عسكرية شديدة استهدفت أكثر من مائة هدف ، وقد استطاع الثوار أن يتغلغلوا فى الجنوب حتى بلغوا عاصمة الجنوب سايجون فتعرض الأمريكيون للهجوم .

ومع أن الثوار الفيتناميين فقدوا حوالى ٨٥ ألف شخص فإن التأثير النفسى للمعارك كان بالغ الأثر على الولايات المتحدة .

فى ٣١ مارس ١٩٦٨ أعلن الرئيس جونسون وقف القصف الأمريكى لشمال فيتنام ، كما أعلن فى نفس الوقت تقدمه لولاية رئاسية ثانية ، ولم نصل إلى منتصف مايو من نفس السنة حتى بدأت المفاوضات بين الفيتناميين والأمريكان فى باريس .

لم يصل ريتشارد نيكسون إلى رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٦٩ حتى أعلن أن ٢٥ ألف جندى أميركى سيغادرون فيتنام فى أغسطس ١٩٦٩ ، وأن ٦٥ ألفاً آخرين سيجرى عليهم نفس القرار فى نهاية تلك السنة .

غير أنه لا الانسحاب الأمريكى من فيتنام ولا موت الزعيم الشمالى

هوشى منه يوم ٣ سبتمبر ١٩٦٩ أوقفا الحرب الضارية فمفاوضات باريس عرفت تصلب الفيتناميين الذين طالبوا وبإلحاح بضرورة الانسحاب الأمريكى التام كشرط أساسى لوقف إطلاق النار .

ومع ما تكبدته أمريكا من خسائر بشرية ومادية ، ظهرت فى الشارع الأمريكى دعوة إلى إنهاء الحرب الفيتنامية ، وتمثلت تلك الدعوة فى المظاهرات المكثفة التى عمت المدن الأمريكية وفى الحملات الصحفية ، وازدادت قوة الدعوة المطالبة بإيقاف الحرب عندما نشرت وسائل الإعلام الأمريكية الممارسات البشعة واللاإنسانية التى عامل بها الجيش الأمريكى المواطنين الفيتناميين ، ومن أشهر تلك المظاهر الوحشية إبادة الملازم الأمريكى وليام كالى للمدنيين العزل فى قرية " ماى لاى " عام ١٩٦٨ ، وقد تمت محاكمته عسكرياً عام ١٩٧١.

ونشرت الصحافة الأمريكية وعلى رأسها جريدة نيويورك تايمز تقارير حول الطريقة البشعة التى تمت بها الحرب الفيتنامية .

أخذت الحرب منحى خطيراً حين قامت فيتنام الشمالية يوم ٣٠ مارس ١٩٧٢ بهجوم كاسح نحو الجنوب داخل منطقة " كانغ ترى " متجاوزة بذلك المنطقة المنزوعة السلاح ، وكان رد الفعل الأمريكى مزيداً من القصف الجوى .

وبينما كانت نيران الحرب تشتعل بدأت المفاوضات السرية بين الطرفين، حيث اجتمع مستشار الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى يومها هنرى كيسنجر بمندوب فيتنام الشمالية دوك تو ... ومع انتعاش الآمال بالوصول إلى حل نهائى وفى محاولة للضغط على الفيتناميين وكسب انتصارات ميدانية تقوى من موقفه ، أمر الرئيس نيكسون يوم ١٧ ديسمبر ١٩٧٢ بقصف هانوى

وهايبونغ ، فصبت طائرات بى - ٥٢ نيرانها على المدينتين فى قصف لم تعرف الحرب الفيتنامية نظيراً له ، وفقدت أمريكا ١٥ من هذه الطائرات كما فقدت ٩٣ ضابطاً من سلاح الطيران الأمريكى .

وأعلن فى ٢٣ يناير ١٩٧٣ عن التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار الذى دخل حيز التنفيذ يوم ٢٨ من نفس الشهر ، ويتضمن الاتفاق توقف جميع أنواع العداء ، وانسحاب القوات الأمريكية من جنوب فيتنام خلال الشهرين التاليين للتوقيع ، واطلاق سراح الاسرى من الطرفين خلال ١٥ يوماً من التوقيع، والاعتراف بالمنطقة المنزوعة السلاح بين الشطرين على أنها مؤقتة لا أنها حدود سياسية ، وإنشاء لجنة دولية (مكونة من ممثلين عن كندا والمجر وإندونيسيا وبولونيا) مكلفة بمراقبة تطبيق الاتفاق ، وبقاء ١٤٥ ألف جندى من شمال فيتنام فى الجنوب .

لم ينته مارس ١٩٧٣ حتى تمت مغادرة آخر جندى أميركى من فيتنام ، غير أن فضيحة ووترجيت التى أكرهت الرئيس نيكسون على الاستقالة يوم ٩ أغسطس ١٩٧٤ جعلت امريكا غير قادرة على مساندة حكومة سايجون .

انتهز الشماليون فرصة انشغال واشنطن بووترجيت ومعاداة الرئيس الفيتنامى الجنوبى تيو للشيوعيين الجنوبيين ، فشنوا هجوماً كاسحاً على الجنوب محتلين مدينة فيوك بنه فى يناير ١٩٧٥ ، وتابعوا هجومهم الكاسح الذى توج بدخول سايجون يوم ٣٠ أبريل من نفس السنة .

وقد بلغت خسائر الفيتناميين خلال سنوات الحرب الثمانى مليونى قتيل ، و٣ مليون جريح ، و١٢ مليون لاجئ ، أما الأمريكيون فقد بلغت خسائرهم ٥٧ ألف قتيل ، و ١٥٣ ألف جريح ، و ٥٨٧ أسير .

لغز انتحار همنجواى

يعد ارنست ميلر همنجــواى (١٨٩٩ – ١٩٦١) واحــداً مــن أهــم الروائيين الأمريكيين ، بعد انتهائه من الدراسة الثانوية رفض الالتحاق بالجامعة وحصل على عمل كمراسل صحفى بجريدة " الكانساس سيتى ستار".

عندما دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب ســنة ١٩١٧ ، كانــت أمنية ارنست همنجواى الوحيدة أن يذهب إلى الجبهة ليشارك فى الحرب ، ولكن خلال الفحص الطبى تم رفض طلبه للالتحاق بالجيش بسبب مشكلة فى عينيه ، ومع ذلك لم يمنعه الأمر من الالتحاق بكتيبة سيارات الإسعاف .

بعد ثلاثة أسابيع من العمل مع فرق الإسعاف أصيب همنجواى بجروح من جراء شظايا قنبلة بإحدى المدن الإيطالية سنة ١٩١٨ ، فقضى ستة أشهر فى المستشفى قبل أن تستقبله بلدته استقبال الأبطال ، بعد أن عرف الجميع أنه أنقذ صديقاً له أصيب بجروح بليغة خلال إحدى المعارك .

لكن رجوع همنجواى إلى بلدته لم يمكنه من الاستقرار والاندماج مــرة ثانية فى الحياة الاجتماعية بهذه البلدة الصغيرة .

وفى سنة ١٩٢٠ تزوج همنجواى من سيدة تدعى هادلى ريتشاردســون

ثم رحل إلى باريس ، وهناك بدأت مسيرته لكى يصبح كاتباً وروائياً ، فتعرف على مشاهير الأدب والثقافة كجيرترود ستين ، وشروود اندرسون ، وازرا باوند، وسكوت فيتزجيرالد وغيرهم من الأدباء والفنانين الأمريكيين المقيمين بفرنسا ، وقد وجد لديهم كل مساندة وتشجيع وتقدير لكتاباته مما جعل اندرسون وفيتزجيرالد يساعدانه على نشر مجموعته القصصية " فى وقتنا " بالولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٢٥ ،لكن فى سنة ١٩٢٦ نشر روايته " الشمس تسطع أيضاً " وبرز همنجواى كأحد الروائيين المتميزين بأسلوب رائع جميل .

بعد ذلك استمرت كتبه فى التألق والانتشار ولقيت قصصه القصيرة حفاوة أكثر من رواياته ، وقد كان السبب حسب بعض النقاد تأثر قصصه بتقنية الأسلوب الصحفى المتميز بالوصف المباشر والحوار بأقل ما يمكن من تعليق القاص على الأحداث وتفسيره لها ، وفى سنة ١٩٢٩ ظهرت رواية " وداعاً للسلاح " وهى رواية تظهر أن نسيج الحياة هو فى الحقيقة مزيج من الموت والعنف أكثر مما تمثله تهديدات الحرب فى هذه الحياة .

عكس أدب همنجواى تجاربه الشخصية فى الحربين العالميتين الأولى والثانية والحرب الأهلية الأسبانية ، تميز أسلوبه بالبساطة والجمل القصيرة ، وترك بصمته على الأدب الأمريكى.

تلقى همنجواى جائزة بوليتزر الأمريكية فى الصحافة عام ١٩٥٣ كما حصل على جائزة نوبل فى الأدب فى عام ١٩٥٤ عن رواية "العجوز والبحر" والتى تعتبر من انجح ما عرفته الساحة الأدبية خلال القرن العشرين .

وقد كتب الكثيرون عن الأسلوب المتميز والفريد لارنست همنجواى ، الذى كان بسيطاً وواضح المعالم بعيداً عن التنميق والزخرفة ، حيث كان يحكى قصصه بأسلوب صحفى مباشر ، ويقول همنجواى عن طريقته فى الكتابة

"أعد أغلب أعمالى فى ذهنى ، ولا أبدأ أبداً فى الكتابة قبل أن تكون أفكارى منظمة ، وكثيراً ما أقوم بتلاوة نصوص من الحوار بالطريقة التى ستكون عليه عند كتابتها ، إنى أومن بأن الأذن هى أحسن مراقب وحكم ، ولا أكتب أى جملة على الورق قبل أن أتيقن بأن الطريقة التى تم التعبير عنها ستكون مفهومة وواضحة تمام الوضوح للجميع " ... هذه هى طريقته فى الكتابة ، وهذا هو أسلوبه الفريد الذى اكتسبه من خبرته فى الصحافة ، والذى كان له أكبر الأثر فى الأدب القصصى الأمريكى وأكسبه شهرة عالمية تعدت حدود جميع القارات .

فى آخر حياته انتقل للعيش فى منزل بكوبا ، حيث بدأ يعانى من اضطرابات عقلية دفعته لمحاولة الانتحار فى ربيع عام ١٩٦١ ، وتلقى العلاج بالصدمات الكهربية ، وبعد حوالى ثلاثة أسابيع من إكماله الثانية والستين من العمر وضع حداً لحياته بإطلاق الرصاص على رأسه من بندقيته عام ١٩٦١ فى منزله ، ومما يذكر أن لأسرة همنجواى تاريخاً طويلاً مع الانتحار ، حيث انتحر والده (كلارنس همنجواى) أيضاً ، كذلك أخته غير الشقيقتين أورسولا وليستر، ثم حفيدته مارغاوك همنجواى .

حرب الاستنزاف

لا يكتمل التقديم الصادق لحرب الاستنزاف إلا بمراجعة ما صدر بشأنها من جانب قادة إسرائيل حيث يقول الجنرال عيزرا وايزمان الذى كان قائداً لسلاح الجو الإسرائيلى من ١٩٥٨ – ١٩٦٦ ، ومستشاراً لرئيس أركان الجيش الإسرائيلى فى حرب أكتوبر ، ورئيساً لإسرائيل من ١٩٩٣ – ٢٠٠٠ فى كتابه " على أجنحة النسور " : " انتهت حرب الاستنزاف دون أن تجد إسرائيل حلاً لمشكلة صواريخ الدفاع الجوى المصرية ، لقد فشلنا فى تدمير شبكة الصواريخ، إن حرب الاستنزاف التى سالت فيها دماء كثيرة لأفضل جنودنا مكنت المصريين من اكتساب حريتهم على مدى ثلاث سنوات للتحضير لحرب أكتوبر العظمى عام ١٩٧٣ . وعلى ذلك فإنه قد يكون من الغباء أن نزعم بأننا كسبنا حرب الاستنزاف ، فعلى العكس كان المصريون – رغم خسائرهم – هم الذين حصلوا على أفضل ما فى تلك الحرب ، وفى الحساب الختامى فسوف تذكر حرب الاستنزاف على أنها أول حرب لم تكسبها إسرائيل ، وهى نفس الحقيقة التى مهدت الطريق أمام المصريين لشن حرب يوم كيبور ".

حرب الاستنزاف هو التعبير الذى أطلقه الرئيس المصرى الراحل جمال عبد الناصر على العمليات العسكرية التى دارت بين القوات المصرية والاحتلال

الإسرائيلى شرق قناة السويس ، والتى نقلت مصر خلالها المعركة إلى مواقع العدو بعد أن نجحت فى مرحلة الصمود ومنع العدو من احتلال أراض جديدة ، وكان الهدف الأساسى من تلك الحرب هو إسقاط أكبر عدد ممكن من القتلى والجرحى والآليات فى صفوف العدو وتدريب الجنود المصريين على عمليات قتالية فى شرق القناة تمهيداً للحظة العبور ... وبدأت حرب الاستنزاف فى مارس ١٩٦٩ ، وانتهت بموافقة عبد الناصر على مبادرة وزير الخارجية الأمريكى روجرز لوقف إطلاق النار فى ٨ /٨/ ١٩٧٠ .

كان الهدف المحدد لحرب الاستنزاف هو إعادة الثقة للجنود فى أنفسهم وفى قادتهم والحفاظ على الروح المعنوية للمقاتلين ، وإبقاء مسألة احتلال إسرائيل للأرض العربية فى قائمة المشاغل الدولية ضماناً لاستمرار الاتحاد السوفيتى فى الإمداد بالأسلحة والمعدات الأكثر تطوراً ، ووضع إسرائيل تحت ضغط مستمر بسبب الخسائر التى تتكبدها على جبهة قناة السويس ، ورفع معنويات الشعوب المصرية والعربية وتهيئة الظروف المناسبة للانتقال إلى مرحلة العمليات الهجومية ، والحفاظ على إرادة القتال واكتساب الكفاءة القتالية الميدانية وتطوير الخطط الحربية تبعاً لتغيير العوامل المؤثرة عليها ، والحصول على المعلومات عن العدو والأرض عن طريق الاستطلاع ، وهذه كلها يتعذر تنفيذها بغير القتال الفعلى ، والحصول على المعلومات الخاصة بتدابير الحرب الإلكترونية الإسرائيلية من خلال العمليات الاستطلاعية والأنشطة القتالية لتحسين وتطوير القدرات القتالية ، وإتاحة الفرصة للقوات المصرية للاشتباك الفعلى بالعدو الإسرائيلى لكسر حاجز الجهل به ، وهو ما شكل إحدى الركائز الأساسية لنجاح حرب أكتوبر ١٩٧٣ فيما بعد .

كان لابد أن تصمم القاهرة على استئناف القتال فى أقرب وقت ممكن لأن إسرائيل فى غضون ذلك كانت تنسج نسيجها الخاص ، فقد بدأت فى تشييد

خط بارليف وهو عبارة عن سلسلة من الدفاعات والمواقع الحصينة على امتداد قناة السويس ، وعلى الرغم من أنه فى جوهره كان سلسلة إجراءات دفاعية إلا أن أحداث خريف ذلك العام برهنت على أنه محاولة إسرائيلية لتثبيت الحدود عنده وفرض الوضع القائم ربما إلى الأبد ، ونظر عبد الناصر إلى الخط على أنه تأكيد لاعتقاده بأنه لا أمل فى الحل السياسى ما لم يدرك العدو أن مصر بمقدورها مواجهته ، وإجباره على الانسحاب من خلال القتال ، ومن هنا جاء قرار إحياء الخطط القتالية ، وفى ٨ مارس ١٩٦٩ فتحت القوات المصرية نيران مدافعها مجدداً عبر القناة ، وأعلن متحدث باسم الحكومة المصرية أنها لم تعد مقيدة بوقف إطلاق النار ، وكان ذلك هو المناخ الذى استشهد فيه الفريق عبد المنعم رياض رئيس الأركان وسط جنوده على الجبهة فى حدث هو الأول من نوعه فى تاريخ العسكرية العربية الحديثة .

ولقد تضمنت حرب الاستنزاف هجمات متعددة ضد الاحتلال فى سيناء، وحتى فى مناطق خارج منطقة الصراع تماماً ، وقد لفت النظر أن ما أصاب السلاح البحرى الإسرائيلى من خسائر على امتداد عمره وقعت كلها خلال حرب الاستنزاف فقط ، بدءاً بإغراق المدمرة إيلات ومروراً بتدمير الحفار "كيتينج" وتحطيم السفينتين المسلحتين " داليا " و " هيدروما " ، ثم ناقلة الجنود "بيت شيفع" فالغواصة " داكار " ، ثم السفينة التجارية " بات يام " وسفينة أبحاث البحرية ، وانتهاء بقصف ميناء إيلات ثلاث مرات متتالية ، فلولا حرب الاستنزاف لظلت البحرية الإسرائيلية تتباهى بأنها السلاح الذى لم يتعرض لخسائر قط.

لقد سطر أبطال " المجموعة ٣٩ قتال " بقيادة العميد إبراهيم الرفاعى الذى استشهد فيما بعد فى حرب أكتوبر أسمائهم فى سجل التاريخ بالنظر إلى المهام الخطيرة التى أوكلت إليهم وتم تنفيذها بنجاح خلال حرب الاستنزاف،

وكانت تلك المجموعة تضم خيرة مقاتلى الصاعقة والضفادع البشرية ، وأذاقت جيش الاحتلال الإسرائيلى الويل والأهوال وسببت لجنوده حالة هستيريا دائمة حتى أنهم كانوا يحاولون الوصول بأية وسيلة إلى معلومات عن تلك المجموعة وأساليب عملها ، بل أنهم حددوا أسماء ثلاثة من رجال المجموعة للوصول إليهم أحياء أو أموات وهم الشهيد إبراهيم الرفاعى والقائد الثانى للمجموعة الدكتور على نصر ثم المقاتل الفذ على أبو الحسن الذى شارك فى ٤٤ عملية خلف خطوط العدو فى حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر .

فى رد وحشى على خسائره فى حرب الاستنزاف ، قرر العدو الإسرائيلى فى ٦ يناير ١٩٧٠ إدخال السلاح الجوى الإسرائيلى إلى المعركة ، وزعمت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير أن الطريقة الوحيدة لمنع المصريين من تحرير سيناء هى ضرب العمق المصرى بعنف ، ودخل الطيران الإسرائيلى بكل ثقله مدعوماً بالمقاتلات الحديثة من طراز سكاى هوك والفانتوم والميراج ليبدأ بمهاجمة القوات العسكرية فى البداية ثم انتقل إلى الأهداف المدنية ، نظراً لأن السياسة التى اتبعها السوفيت عقب نكسة ١٩٦٧ كانت تقضى بتزويد مصر بأسلحة دفاعية وعدم تزويدها بأسلحة متقدمة فقد فرضت إسرائيل سيطرتها الجوية ليس فقط على الجبهة ولكن على مصر كلها .

ونفذ الاحتلال الإسرائيلى العديد من الهجمات الجوية خلال الفترة من يناير حتى إبريل عام ١٩٧٠ م وبلغ إجمالى طلعات الطيران ٣٨٣٨ طلعة جوية، وخلال هذا التصعيد ارتكبت مقاتلات الاحتلال الإسرائيلى جريمتين بشعتين وهما الغارة الجوية على مصنع أبو زعبل والاخرى على مدرسة بحر البقر فى ٨ إبريل ١٩٧٠ ، الأولى تسببت بمقتل ٧٠ عاملاً وإصابة ٦٩ آخرين وزعمت إسرائيل أنها وقعت بطريق الخطأ والأخرى تسببت بمقتل ٣١ طفلاً وجرح ٣٦ آخرين .

لذلك بدأ التنفيذ لبناء شبكة الصواريخ بالجبهة وتم حشد كميات هائلة من المواد الهندسية لتنفيذ بناء مواقع الصواريخ ، وصلت إلى ٣٠ مليون متر مكعب من أعمال الحفر والردم و٣ ملايين متر مكعب من الخرسانة ومئات الكيلومترات من الطرق ، واشترك فى البناء معظم شركات المقاولات المصرية مع زملائهم من ضباط وجنود القوات المسلحة واستمرت إسرائيل فى مهاجمة قواعد الصواريخ الجارى إنشاؤها واستشهد العديد من رجال وشباب القوات المسلحة والمهندسين والعمال من شركات المقاولات وسالت الدماء على أرض مصر فى سبيل تحرير الأرض واستكمال تنفيذ بناء القواعد .

وفى صباح يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ تم استكمال مواقع الصواريخ على طول الجبهة وكانت المفاجأة الكبرى لإسرائيل ، فقامت فى نفس اليوم بهجوم جوى بعدد ٢٤ طائرة مقاتلة وكانت النتيجة تدمير أربع طائرات وأسر ثلاثة طيارين ، ولذا أطلقت المعاهد الاستراتيجية العالمية على الإنجاز المصرى أسبوع تساقط الفانتوم ، واستمرت المحاولات الإسرائيلية لتدمير شبكة الصواريخ ، وخلال ٣٨ يوماً وحتى وقف إطلاق النار فى ١٩٧٠/٨/٧ كانت خسائر الجانب الإسرائيلى هى تدمير ١٧ طائرة وإصابة ٣٤ طائرة أخرى .

وفى آخر اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة فى شهر أغسطس ١٩٧٠ ، أعاد الرئيس جمال عبد الناصر التأكيد بكل وضوح على أن أحد الأسباب الرئيسية التى دفعته إلى قبول مبادرة روجرز كان إتمام دفع حائط الصواريخ إلى حافة القناة لتهيئة أرض المعركة للعملية الهجومية التى سوف يأمر بها فور انتهاء الفترة المتفق عليها لوقف النيران لاقتحام القناة واجتياح حصون خط بارليف ، والاستيلاء على رؤوس الكبارى وتأمينها تحت سماء لا تملك إسرائيل – ولأول مرة – السيادة الجوية عليها .

عبد المنعم رياض ... قصة رجل

قال عبد المنعم رياض :- " لا اصدق أن القادة يولدون ... إن من يولد قائداً قلة من الناس لا يقاس عليهم ، كخالد بن الوليد مثلاً ، ولكن القادة العسكريين يصنعون ... يصنعهم العلم والتجربة والفرصة والثقة ، إن ما نحتاج إليه هو بناء القادة وصنعهم ، والقائد الذى يقود هو الذى يملك المقدرة على إصدار القرار فى الوقت المناسب وليس مجرد ذلك القائد الذى يملك سلطة إصدار القرار" .

ولد عبد المنعم رياض (١٩١٩ - ١٩٦٩) بقرية سبرباى محافظة الغربية ، وكان والده القائمقام (عقيد) محمد رياض عبد الله قائداً لبلوكات الطلبة بالكلية الحربية ، درس فى كتاب القرية وتلقى تعليمه الابتدائى فى مدرسة السيدة نفيسة بالعباسية ثم بمدرسة العريش الابتدائية ثم انتقل إلى مدرسة الرمل الابتدائية بالإسكندرية .

توفى والده عام ١٩٣١ وكان عمره وقتها لا يتجاوز الثانية عشرة ، التحق عبد المنعم رياض بمدرسة الخديوى إسماعيل الثانوية وبرغم حبه للجندية إلا أنه قدم أوراقه بعد تخرجه فى المدرسة الثانوية لكلية الطب وتم قبوله بها ودفع مصروفاتها إرضاء لوالدته ، قبل أن يقنعها بالتحاقه بالكلية الحربية .

التحق عبد المنعم رياض بالكلية الحربية فـي يـوم ٦ أكتـوبر ١٩٣٦ وتخرج فيها يوم ٢١ فبراير ١٩٣٨ ، ثم التحق بكلية أركان الحـرب وحصـل على ماجستير العلوم العسكرية عام ١٩٤٤ وكان ترتيبه الأول على الخريجين .

شارك فى الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ بالصحراء الغربية ومرسى مطروح ، ثم شارك فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨.

تولى قيادة مدرسة المدفعية المضادة للطائرات فى مايو ١٩٥٢ ثم عين فى مايو ١٩٥٣ قائداً للألاى الأول المضاد للطائرات وفى يوليـو عـام ١٩٥٤ عين قائداً للمدفعية المضادة للطائرات .

سافر إلى إنجلترا حيث حصل على تدريب خاص فى سـلاح المدفعيـة المضادة للطائرات بكلية " مانوبير " بإنجلترا بتقدير امتياز ، ثم استكمل دراسته بأكاديمية " وولتش " العسكرية كما تلقى دراسات بالولايات المتحدة الأمريكيـة وقضى عدة سنوات فى أرقى الكليات العسكرية بالاتحاد السوفيتى حيث أطلـق عليه الروس لقب " الجنرال الذهبى ".

شارك فى حرب السويس (العـدوان الثلاثـى) عـام ١٩٥٦. وفـى ١٠مارس ١٩٦٤ صدر قرار بتعيينه رئيساً لأركان القيادة العربية الموحدة .

رقى إلى رتبة " فريق " فى ٢١ أبريل ١٩٦٦ ، ثم عين قائـداً لمركـز القيادة المتقدم فى الأردن ثم عين قائداً للجبهة الأردنية .

بعد ستة أيام فقط من نشوب الحرب فى يونيو ١٩٦٧ عين عبد المـنعم رياض رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة المصرية .

كانت إسرائيل تزعم أن المشاة المصريين الذين يواجهونها أقل خطورة من الدبابات ، ومن هنا بدأ عبد المنعم رياض تطوير حرب المدرعات منذ عام ١٩٦٨ ، وأصبح المقاتل المصرى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ بديلاً مدمراً للدبابة

فيما يشبه المعجزة العسكرية ، حيث كان الجنـــرال جورديـــان معلـــم حـــرب المدرعات الألمانى يبنى كل خططه على أساس أن الحديد لا يفله إلا الحديـــد ، وأن الدبابة لا تدمرها إلا دبابة.

ولعل أكبر إنجاز لرئيس الأركان الاسبق الفريق عبد المـــنعم ريـــاض بحسب المراقبين هو تصميمه لخطة الحرب " الخطة ٢٠٠ " للوصول بعد حرب التحرير إلى حدود مصر الدولية مع إسرائيل ، وقد انبثقت عنها خطة مرحليـــة أطلق عليها اسم " جرانيت " وتتضمن اقتحام خـــط بـــارليف والوصـــول إلـــى المضايق الاستراتيجية الحاكمة فى جزيرة سيناء وهناك من أشار إلى أن حرب أكتوبر كانت فى جزء كبير منها تنفيذاً للخطـــة " جرانيـــت " التـــى وضـــعها عبدالمنعم رياض كجزء من الخطة "٢٠٠ " .

وفى يوم ٨ مارس ١٩٦٩ بدأت حرب الاستنزاف بقصف مركـــز مـــن المدفعية المصرية ضد تحصينات ومواقع العدو التى أقامهـــا الجنـــرال حـــاييم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة ، واستمر الاشتباك بالنيران لمدة حوالى خمس ساعات تمكنت فيها القوات المصرية ، مـــن تـــدمير جزء من مواقع العدو ، وإسكات بعض مواقع المدفعية .

فى صباح ٩ مارس ١٩٦٩ ، كان الجميع فـــى مقـــر قيـــادة القـــوات المسلحة، يرقب الموقف باهتمام استعداداً لأى احتمال نتيجة الاشتباكات العنيفة ، التى وقعت على امتداد المواجهة مع العدو ، من السويس جنوباً إلـــى القنطـــرة شمالاً ، والتى تكبدت فيها قوات العدو خسائر جسيمة فـــى العتـــاد والأرواح ، وعلى الرغم من هذا الموقف الخطير ، وما ينذر به من احتمالات الانفجار ، فقد قرر الفريق عبد المنعم رياض زيارة جبهة القتال ، وليكون بين القوات فى فترة جديدة تتسم بطابع قتالى عنيف ومستمر لاستنزاف العدو ، وليواجه مع جنـــوده كل الاحتمالات ، ويرى عن كثب الموقف عقب معارك الأمس ، وطار رياض

على متن الطائرة العمودية ، ومعه مدير المدفعية ، وأحد ضباط مكتبه إلى الجبهة ، وكان مرحاً كعادته دائماً ، على الرغم من الموقف المتوتر واحتمالات تجدد القتال .

وفى الساعة الواحدة والنصف من ظهر يوم ٩ مارس ١٩٦٩ ، طلب رياض من قائد الجيش أن يحدد له وحدة مشاة فرعية لزيارتها وبدا على قائد الجيش عدم الارتياح ، ولما سأله عبد المنعم رياض عن السبب أجابه أن جميع وحدات المشاة التى اشتبكت بالأمس تقع على الخط فى مواجهة العدو مباشرة وتحت سمعه وبصره ، ولكنه أصر على رأيه مؤكداً أنه سيذهب إليها ولو اضطر إلى الزحف .

واتجه عبد المنعم رياض ومرافقوه ، إلى ذلك الموقع الأمامى الأكثر تقدماً ، وكان أقرب المواقع المصرية إلى الضفة الشرقية المحتلة من قناة السويس ، وتطلع عبد المنعم رياض من خلال نظارة الميدان إلى مواقع العدو على الضفة الشرقية للقناة ، والتى لم يكن يفصله عنها غير مائتين وخمسين متراً، وفجأة انهالت نيران مدفعية ودبابات القوات الإسرائيلية على المنطقة التى كان يقف عنها عبد المنعم رياض ، وتولت القوات المصرية على الفور الرد على نيرانها لإسكاتها ، وكما يفعل الجندى فى مثل هذا الموقف ، اتخذ عبدالمنعم رياض ومرافقوه مكانهم فى خندق قريب ، متتبعاً سير المعركة ، ومشاركاً فى توجيه نيرانها ، والى جانبه فى الحفرة نفسها قائد الجيش ، وعن كثب منهما مدير المدفعية ، واستمر العدو يطلق نيرانه المركزة على الموقع .

وفى الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر ، انفجرت إحدى طلقات المدفعية بعد اصطدامها ببعض الأشجار المحيطة بالحفرة التى ربض بها عبد المنعم رياض ، وأدى هذا الانفجار إلى استشهاد الفريق عبد المنعم رياض ، وإصابة قائد الجيش ، وبينما كانت المدفعية المصرية تهدر على طول الجبهة ، وتوقع

بالقوات الإسرائيلية دماراً لم يسبق له مثيل ، كانت عربة جيب صغيرة ، تحمل جثمان عبد المنعم رياض إلى مستشفى الإسماعيلية.

وقد نعاه الرئيس جمال عبد الناصر ومنحه رتبة الفريق أول ونجمة الشرف العسكرية التى تعتبر أكبر وسام عسكرى فى مصر ، واعتبر يوم ٩مارس من كل عام هو يوم الشهيد تخليداً لذكراه .

وخرجت جنازة الشهيد فى اليوم التالى يتقدمها جمال عبد الناصر ، وبرغم أنها كانت جنازة عسكرية إلا أن جموعاً غفيرة من المواطنين قدرت أعدادهم بنحو مليون مواطن خرجت لوداع الشهيد فى أكبر جنازة تشهدها مصر لرجل عسكرى ، وثانى أكبر جنازة على الإطلاق فى تاريخ مصر بعد جنازة الرئيس جمال عبد الناصر .

وصدرت التعليمات بالانتقام لمقتل الفريق عبد المنعم رياض ، ولوكل ذلك للبطل إبراهيم الرفاعى الذى اختار أربعة من ضباطه وانطلق بهم إلى الإسماعيلية حيث مقر إرشاد هيئة القناة ، فى ذلك المبنى المرتفع استطلع الرفاعى الموقع الذى ضرب على الشهيد عبد المنعم رياض ورسم تخطيطاً له ، وكان الموقع مكوناً من أربع دشم اثنتان فى الامام واثنتان فى الخلف بينهما أرض لتجمع الأفراد فى طابور الصباح ولإجراء الطوابير الرياضية وخلف تلك الدشم كانت مخازن الذخيرة الخاصة بالموقع ومخازن التعيينات والوقود ، وعاد الرفاعى وضباطه إلى القاهرة وطلب من كل منهم أن يختار مجموعة من الصف والجنود وأمرهم بتدريبهم .

وفى الوقت نفسه بنى سلاح المهندسين نموذجاً مطابقاً للموقع بناء على الرسم الكروكى الذى وضعه الرفاعى وانتقل الرفاعى بضباطه وبمجموعاتهم من الأفراد إلى منطقة صحراوية بمصر تشبه الأرض التى ستتم العملية عليها

وهناك أمضوا ما يقرب من شهر فى التدريب على اقتحام المواقع حيث قسمهم الرفاعى إلى أربع مجموعات وكانت كل مجموعة يقودها ضابط مكلف هو ومجموعته باقتحام إحدى الدشم الأربع ... وعندما تأكد الرفاعى أن كل فرد فى المجموعات عرف دوره بالتحديد وتدرب عليه جيداً عاد برجاله إلى القاهرة .

وفى ١٧ أبريل ١٩٦٩ غادر الرفاعى وقوته مرة أخرى إلى الإسماعيلية وكانت القوة مكونة من الضباط الأربعة إضافة إلى ضابط استطلاع وأربعين فرداً ، وعسكر الجميع فى مبنى الإرشاد بالإسماعيلية المواجهة لموقع لسان التمساح . وقام إبراهيم الرفاعى وضباطه باستطلاع موقع العدو واطمأن على أنه كما هو لم يتغير وبعد ذلك تناول الجميع طعام الغذاء سوياً ضباطاً وأفراداً ثم اجتمع البطل الرفاعى بقادة المجموعات للتلقين النهائى .

وحينما حل الظلام اعطى إبراهيم الرفاعى أمره إلى المدفعية بقصف موقع العدو بالضفة الشرقية وكان تراشق المدفعية فى هذا الوقت يعتبر شيئاً عادياً وكان من الطبيعى أثناء قصف المدفعية أن يختبئ أفراد العدو داخل المخابئ وكان مقصوداً بذلك أن يدخل أفراد الموقع المقصود داخل الدشم ولا يخرجوا منها طوال فترة القصف .

وأثناء القصف عبر الرفاعى بمجموعته إلى الضفة الشرقية فى اتجاه موقع لسان التمساح ، ووصلت الزوارق إلى الشاطئ الشرقى ، فأمر الرفاعى بايقاف ضرب المدفعية على الموقع وبعد إشارة من ضابط الاستطلاع اتجهت كل مجموعة بقائدها نحو الدشمة المكلفة بها ، وبدأ الأفراد يلقون القنابل اليدوية من فتحات التهوية بالدشم وقطع أسلاك التليفونات وقام الجنود بحرق العربات الموجودة بالموقع وإسقاط العلم الإسرائيلى وتدمير المدافع ، إلا أن كل ذلك لم يدفع أفراد العدو للخروج من الدشم فبدأت المجموعات تستخدم نوعاً من القنابل

الحارقة ترفع درجة حرارة المكان الذى تنفجر فيه إلى ٣٠٠ درجة مئوية فقاموا بإلقائها داخل الدشم .

ولم يحتمل أفراد العدو فخرجوا من الدشم هاربين لتحصدهم طلقات أفراد المجموعات وبذلك تمكنت المجموعة من القضاء على الموقع بالكامل وكانت محصلة العملية قتل ٢٦ فرداً هم كل قوة الموقع ... وبعد الاستيلاء على الموقع بالكامل تم نسف المخازن إضافة إلى نسف مدرعتين وقتل طاقمهما نتيجة لغم تم زرعه بجوار الموقع قبل الانسحاب ... وكان آخر من انسحب هو إبراهيم الرفاعى .

فضيحة ووترجيت

أكبر فضيحة سياسية فى تاريخ الولايات المتحدة ، وقد أخذت تسميتها من اسم مجمع ووترجيت التجارى بواشنطن حيث دارت أحداثها ، التى انطوت على العديد من الأعمال غير المشروعة كان الغرض منها مساعدة الرئيس ريتشارد نيكسون على الفوز بإعادة انتخابه عام ١٩٧٢ ، وهو ما كان ، ولكنها أسفرت فى النهاية عن استقالته من الرئاسة عام ١٩٧٤.

وقد بدأت القضية فى ١٧ يونيو ١٩٧٢ حين قبض بعض رجال الشرطة على عدة رجال بتهمة اقتحام مقر الحزب الديمقراطى المنافس فى مجمع ووترجيت بتهمة السرقة والتنصت على المكالمات التليفونية ، وكان من بين المقبوض عليهم منسق الأمن فى لجنة إعادة انتخاب نيكسون ، وفى يناير ١٩٧٣ اعترف خمسة أشخاص من بين المتهمين السبعة بأنهم مذنبون ، وأدانت هيئة المحلفين الاثنين الآخرين .

وفى أوائل عام ١٩٧٣ م ظهرت أدلة تربط بين عدد من كبار رجال البيت الأبيض وخطط اقتحام مبنى ووترجيت ، أو بينهم وبين محاولة إخفاء أدلة تثبت تورط بعض أعضاء إدارة الرئيس نيكسون فى الموضوع .

وفى ٣٠ أبريل عام ١٩٧٣م قرر نيكسون أنه لا علاقة له بالتخطيط

لعملية اقتحام مبنى ووترجيت أو التستر عليها ، وفى شهر مايو بدأت لجنة مجلس الشيوخ المختارة لبحث نشاطات حملة الانتخابات الرئاسية ، وبدأت جلسات الاستماع حول قضية ووترجيت ، وصار جون و. دين مستشار الرئيس السابق الشاهد الرئيسى ضد نيكسون فى تلك الجلسات ، واعترف دين أنه أدى دوراً مهماً فى محاولة البيت الأبيض التستر على الفضيحة ، وصرح بأن نيكسون كان على علم بنشاطاته فى هذا الصدد ، كما كشف دين عن خطط إدارة نيكسون لاستغلال مصلحة الإيرادات الداخلية (الضرائب) وهيئات حكومية أخرى لمعاقبة خصوم كان البيت الأبيض يضعهم فيما يسمى بقوائم الأعداء ، وقد حكم على دين فيما بعد بالسجن ، وبعد أن أمضى فى السجن أربعة أشهر ، خفض الحكم الصادر ضده وأطلق سراحه .

وفى شهر يوليو نما إلى علم اللجنة التابعة لمجلس الشيوخ أن نيكسون كان قد دأب منذ عام ١٩٧١م على تسجيل ما يجرى من محادثات فى غرف مكتبه بالبيت الأبيض على شرائط ، وكانت اللجنة والأستاذ كوكس أستاذ القانون بجامعة هارفارد والذى عينته وزارة العدل للتحقيق بالقضية يعتقدان أن أشرطة التسجيل هذه يمكن أن يكون فيها الإجابة عن أسئلة أساسية أثيرت أثناء التحقيقات التى قاموا بها ، ومن ثم طالبوا نيكسون بتسليمهم أشرطة معينة .

وفى أكتوبر عرض نيكسون أن يقدم ملخصات للأشرطة ولكن كوكس صرح بأن الملخصات لن تكون مقبولة كدليل فى المحكمة ورفض العرض ، وأمر نيكسون المدعى العام إليوت ل. ريتشاردسون بفصل كوكس من وظيفته ولكنه رفض الانصياع للأمر وقدم استقالته ، كذلك قدم نائب المدعى العام استقالته عندما طلب منه نيكسون فصل كوكس .

عندئذ عين نيكسون المحامى العام روبرت هـ . بورك قائماً بأعمال

المدعى العام ، فقام بفصل كوكس ، وحل ليون جاوركسى وهو محام مشـــهور من تكساس محل كوكس فيما بعد.

أغضبت تصرفات الرئيس كثيراً من الأمريكيين ، وفى أكتوبر بدأ عدد من أعضاء مجلس النواب إجراءات توجيه الاتهام إليه تمهيداً لعزلـــه ، وقبـــل نيكسون فى وقت لاحق من عام ١٩٧٣م تسليم الشرائط المطلوبة ، وتبين اختفاء شرائط تسجيل ثلاث محادثات رئيسية ، وصـــرح البيـــت الأبـــيض أن جهـــاز التسجيل لم يكن يعمل بصورة سليمة أثناء تسجيل اثنتين من تلك المحادثـــات ، وأن الشريط الثالث مسح بطريق الخطأ.

فى أبريل ١٩٧٤م أصدر جاورسكى أمراً قضائياً إلى نيكســـون بتقـــديم شرائط التسجيل والوثائق الخاصة بأربع وستين محادثة من محادثـــات البيـــت الأبيض إلى المحكمة ، وقال جاورسكى إنها تحوى على أدلـــة تخـــص قضـــية التستر ، وفى نهاية شهر أبريل أفرج نيكسون عن ١٢٥٤ صفحة تمثل نســـخة كتابية محررة من محادثات البيت الأبيض وقال إنها تحكى قصـــة ووترجيـــت بالكامل.

ومع ذلك فقد أصر جاورسكى على ضرورة الحصول على الأشـــرطة والوثائق الأصلية التى سبق أن طلبها ، ومرة أخرى ادعى نيكسون أن الدستور يعطيه الحق فى حماية سرية الوثائق ، عندئذ رفع جاورسكى قضية ضد نيكسون أمام المحكمة الفيدرالية ، وفى شهر يوليو أمرت محكمة الولايات المتحدة العليا نيكسون بتسليم المواد المطلوبة إلى جاورسكى ، وأصدرت حكمها بالإجماع بأنه ليس من حق أى رئيس للولايات المتحدة حجب الأدلة فى قضية جنائية .

فى مارس ١٩٧٤ قدم سبعة من كبار المســـئولين الســـابقين فـــى إدارة نيكسون يمثلون أعضاء لجنة إعادة انتخابه إلى المحاكمة بتهمة التـــآمر للتســـتر

على جريمة اقتحام ووترجيت بغرض السرقة ، وكان من بين المستولين المتهمين رئيس المجلس الاستشارى للشئون الداخلية ، ورئيس هيئة موظفى البيت الأبيض والمدعى العام.

استمرت المحاكمة فى هذه القضية من أكتوبر ١٩٧٤ حتى يناير ١٩٧٥ وقد حكم بإدانة الثلاثة لثبوت تهم التآمر وإعاقة وتضليل العدالة ، وحكم عليهم بالسجن لمدد تتراوح بين عامين ونصف العام وثمانية أعوام ، وقد خففت الأحكام فيما بعد إلى مدد تتراوح بين عام وأربعة أعوام .

وفى يوليو ١٩٧٤ تعرض الرئيس نيكسون لنكسة كبيرة أخرى ، عندما أوصت اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب بتوجيه الاتهام إليه ، تمهيداً لمحاكمته وعزله ، واعتمدت اللجنة ثلاثة بنود للاتهام لعرضها على مجلس النواب بكامل هيئته للنظر وإبداء الرأى ، وقد انطوى البند الأول على اتهام نيكسون بإعاقة العدالة فى الفضيحة المذكورة ، أما البندان الآخران فوتهماته بسوء استعمال السلطات الرئاسية ومخالفة القانون بحجب الأدلة عن اللجنة القضائية .

استمر محامو نيكسون فى الدفاع بأن الرئيس لم يرتكب أى خطأ يستوجب توجيه الاتهام إليه وعزله ، وفى الخامس من أغسطس أفرج نيكسون عن مزيد من النسخ الكتابية لتسجيلات محادثات البيت الأبيض أقنعت معظم الأمريكيين أن نيكسون كان قد سمح بالتستر على موضوع ووترجيت على الأقل منذ ٢٣ يونيو ١٩٧٢م ، أى بعد ستة أيام من حادثة الاقتحام ، وفقد نيكسون على الفور تقريباً كل من كان قد تبقى له من تأييد فى الكونجرس فقدم استقالته يوم ٩ أغسطس وتولى نائب الرئيس جيرالد فورد منصب الرئاسة فى نفس اليوم، وفى ٨ سبتمبر عفا الرئيس فورد عن نيكسون فيما يختص بكل الجرائم الفيدرالية التى يمكن أن يكون قد ارتكبها أثناء قيامه بعمله رئيساً للولايات المتحدة.

المصرى ... محمد كمال إسماعيل
وأكبر توسعة فى تاريخ الحرمين الشريفين

فى عام ١٩٨٢ ... وحين قرر الملك فهد بن عبد العزيز تنفيذ أكبر توسعة فى تاريخ الحرمين الشريفين على مدى ١٤ قرناً فى مكة والمدينة المنورة ، اختار المهندس المصرى الكبير محمد كمال إسماعيل الذى كان قد بلغ عمره ٧٥ عاماً – من مواليد ١٩٠٨ – ليقوم بمهمة تخطيط وتنفيذ هذا العمل الجليل ، بعد أن أطلع على مجموعة المجلدات النادرة التى أصدرها قبل ٦٠ عاماً تحت عنوان " موسوعة مساجد مصر " وهى المجلدات التى طبعت فى أوربا فى الأربعينيات مرات عدة ، ونفذت بعد ذلك فلم يعد لها وجود إلا فى مكتبات الجامعات ومراكز الأبحاث .

ومما يذكر أن المهندس الكبير محمد كمال إسماعيل كان أصغر من حصل على الثانوية فى تاريخ مصر ، وأصغر من دخل مدرسة الهندسة الملكية الأولى ، وأصغر من تخرج فيها ، وأصغر من تم ابتعاثه إلى أوربا للحصول على ثلاث شهادات للدكتوراه فى العمارة الإسلامية ، كما كان أول مهندس مصرى يحل محل المهندسين الأجانب فى مصر ، وكان أيضاً أصغر من حصل على وشاح النيل ورتبة البكوية ، وشغل قبل ثورة ١٩٥٢ منصب مدير مصلحة المبانى الحكومية ، ومن خلال منصبه تولى بناء مجمع ميدان التحرير ، ودار القضاء العالى ، ومبانى جامعة الإسكندرية .

وقد شهدت عمارة الحرمين الشريفين التى استغرقت ١٧ عاماً فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وجوهاً من الإعجاز الهندسى لا مثيل له فى العالم ، ويكفى أن نعلم أنه أضيف إلى مساحة المسجد النبوى ٩٥ ألف متر مكعب كتوسعة ، بحيث أصبحت مساحة المسجد بعد توسعته تعادل مساحة المدينة المدينة المنورة كلها فى عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – كما أن جهاز التكييف فى الحرم النبوى قوته ٥٥ ألف طن ، مع أن أكبر جهاز تكييف كان موجوداً فى برجى التجارة فى نيويورك قبل انهيارهما كانت قوته ٢٥ ألف طن فقط.

وقد اعتمد تخطيط توسعة الحرمين أن يكون نابعاً من التراث المعمارى الإسلامى السليم ، مصحوباً بالتطوير الذى يتفق مع المستحدثات الفنية الحديثة بما لا يتعارض مع هذا التراث ، وتم استبعاد جميع مواد البناء التى تحتمل التغيير أو الهلاك على مدى سنوات محدودة ، وقد تضمن تخطيط توسعة المسجد النبوى تزويد جميع مساحاته بالهواء المكيف ، وحتى يدخل ذلك فى الاعتبار استلزم الحال عند إعداد المشروع المعمارى للتوسعة أن لا يشمل مسطحات فنائية مفتوحة حتى يمكن تشغيل التكييف المطلوب وفى نفس الوقت توفير الإضاءة والتهوية الطبيعيتين لهذا المسطح الكبير ، ولذلك ادخل بالتصميم المعمارى لهذا الغرض سبعة وعشرين فناءً مغطاة بواسطة قباب مسطحة يمكن فتحها وقفلها حسب الحاجة ووزعت على كافة المساحة ، يتم فتحها عند وجود الجو المناسب وغلقها عند تشغيل تكييف الهواء .

وبسبب الاتجاه إلى التكييف فقد لزم تدبير مبنى لإنتاج القوة الكهربائية اللازمة واحتاج هذا المبنى إلى مساحة من الأرض قدرت بعشرة آلاف متر مربع ، ولما كان من غير المستحسن تدبير مثل هذه المساحة على مقربة من مبنى المشروع حيث يترتب على وجوده بقرب الحرم مضايقات للمصلين بسبب

الأصوات المزعجة التى تصدر من الأجهزة الموجودة داخله ، لذلك تم اختيار موقع مناسب على بعد خمسة كيلو مترات من موقع التوسعة وتم إنشاء نفق تحت شوارع المدينة ليتم توصيل المياه المثلجة التى ينتجها المصنع إلى الدور السفلى لمبنى التوسعة كى يتم إعداد الهواء المكيف بواسطة الأجهزة الموجودة به ، ثم تزويد هذا الهواء إلى المخارج المعدة له بالدور الأرضى للتوسعة بقاعدة كل عمود .

ونظراً لوجود فنائين مكشوفين بالتوسعة الأولى للحرم واللذان يعتبران جزءاً مكملاً للمشروع ، ولما كان مسطحهما لا يسمح بعملية التكييف دون تغطية خلال مدة إمداده بالتكييف ، فقد تم إجراء دراسات فنية لأول مرة بحيث تكون هذه التغطية للفتح والغلق عند الحاجة وقد تم التوصل إلى ابتكار مظلات مقاس ١٨×١٨ متراً محملة على عمود تفتح وتغلق كهربائياً واستعمل العمود الحامل للمظلة لإيصال الهواء المكيف إلى المكان الذى تشغله المظلة كما استخدم أيضاً لتوفير الإنارة الصناعية ولإيداع مكبرات الصوت ، وفى الوقت نفسه تتلقى هذه الوحدة مياه الأمطار على سطحها وتوصلها من خلال هذا العمود للمجارى العامة .

وبخصوص الإنارة الصناعية لساحة الصلاة فقد روعى فيها أن يكون توزيع الإنارة فيه ضمان لإعطاء درجة متساوية تقريباً لكل زائر كى يتمتع بالقراءة من أى بقعة بنفس قوة الإنارة ، وفى شأن مكبرات الصوت فقد وزعت توزيعاً منتظماً على كافة مسطح الحرم بوضع الأجهزة داخل زخرفة فى كل تاج من تيجان الأعمدة وأعدت الزخرفة كى تسمح بذلك دون تشويه ودون أن يلاحظها أحد.

وبالنسبة للأساسات الخاصة بالمنشأة ونظراً لأن الأرض الصخرية بالموقع وجدت على عمق حوالى ٤٠ متراً ، رؤى أن يكون تصميم الاساسات

على عمق حوالى ٢٠ متراً ما عدا المآذن وارتفاعها ١٠٥ متر فتم عمل أساساتها على عمق حوالى ٤٠ متراً على الطبقة الصخرية.

وفى شأن مشروع توسعة البقيع والذى اعتبر جزءاً من التخطيط الكامل للمنطقة فقد تم توسيع المساحة التى يشغلها عن طريق ضم بعض الشوارع والميادين التى كانت تحوطه وقد أصبحت المساحة الحالية تمثل ضعف ما كانت عليه سابقاً ، وقد بلغت مساحة كامل المنشأة المغطاة حوالى مائة وعشرة آلاف متر مسطح أما مساحة المساحة المحيط بها تبلغ مائتين وخمسين ألف متر مسطح.

وقد روعيت كل الاعتبارات التى سبق ذكرها عند عمل ما يلزم لتنفيذ توسعة الحرم المكى وذلك لأن قرار التوسعة قد صدر بعد حوالى أربع سنوات من بدء التنفيذ للحرم النبوى .

لكن يظل بلاط الرخام الأبيض الجميل حول الكعبة المشرفة بلونه الباهى وشكله المنسق وفوق كل ذلك درجة حرارته المعتدلة اللطيفة طوال ساعات اليوم يشكل مصدر دهشة للكثيرين .

ويشير المهندس الكبير محمد كمال إسماعيل أن السر فى برودة البلاط أنه من رخام يسمى " تاسوس " ولا يوجد إلا فى اليونان ، ومن خاصيته أنه يمتص الرطوبة فى الليل عبر مسام دقيقة ، وفى النهار يقوم بإعادة بخر ما امتصه فى الليل مما يجعله دائم البرودة ، ومما يزيد من ذلك أن الرخام يوضع عادة بسمك ٢,٥ سم إلا أنه تم استخدام هذا الرخام بسمك ٥ سم لزيادة امتصاص الرطوبة وجعله أكثر برودة فى لهيب الحر ، أما ما شاع بأن هناك مواسير مياه باردة تحت الساحة فلا أساس له من الصحة ، ومن أجل ذلك تم شراء كامل الكمية الموجودة باليونان من هذا الرخام من أجل عمارة الحرمين الشريفين.

نيلسون مانديلا

نيلسون مانديلا ... واحد من أبرز المقاومين فى التاريخ الحديث لسياسة الاستعمار والتمييز العنصرى ... ولد نيلسون مانديلا فى (١٨ يوليو ١٩١٨) وكان والده رئيس قبيلة ، وقد توفى ونيلسون لا يزال صغيراً إلا أنه انتخب مكان والده ، وبدأ إعداده لتولى المنصب، تلقى دروسه الابتدائية فى مدرسة داخلية عام ١٩٣٠ ، ثم بدأ الإعداد لنيل البكالوريوس من جامعة فورت هار ، ولكنه فصل من الجامعة عام ١٩٤٠ بتهمة الاشتراك فى إضراب طلابى ، ومن المعروف أن مانديلا عاش فترة دراسية مضطربة وتنقل بين العديد من الجامعات ، لقد تابع مانديلا الدراسة بالمراسلة من مدينة جوهانسبرج ، وحصل على الإجازة ثم التحق بجامعة ويتواتر ساند لدراسة الحقوق ، كانت جنوب أفريقيا فى تلك الفترة خاضعة لحكم يقوم على التمييز العنصرى الشامل ، إذ لم يكن يحق للسود الانتخاب ولا المشاركة فى الحياة السياسية أو إدارة شئون البلاد، بل أكثر من ذلك كان يحق لحكومة الأقلية البيضاء أن تجردهم من ممتلكاتهم أو أن تنقلهم من مقاطعة إلى أخرى ، مع كل ما يعنى ذلك لشعب (معظمه قبلى) من انتهاك للمقدسات وحرمان من حق العيش على أرض الآباء والأجداد وإلى جانب الأهل وأبناء النسب الواحد.

بدأ مانديلا فى المعارضة السياسية لنظام الحكم فى جنوب أفريقيا الذى كان بيد الأقلية البيضاء ، ذلك أن الحكم كان ينكر الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأغلبية السوداء فى جنوب أفريقيا ، وفى ١٩٤٢ انضم مانديلا إلى المجلس الأفريقى القومى ، الذى كان يدعو للدفاع عن حقوق الأغلبية السوداء فى جنوب أفريقيا .

وفى عام ١٩٤٨ ، انتصر الحزب القومى فى الانتخابات العامة ، وكان لهذا الحزب الذى يحكم من قبل البيض فى جنوب أفريقيا خطط وسياسات عنصرية ، منها سياسات الفصل العنصرى ، وإدخال تشريعات عنصرية فى مؤسسات الدولة ، وفى تلك الفترة أصبح مانديلا قائداً لحملات المعارضة والمقاومة ، وكان فى البداية يدعو للمقاومة غير المسلحة ضد سياسات التمييز العنصرى ولكن بعد إطلاق النار على متظاهرين عزل فى عام ١٩٦٠ وإقرار قوانين تحظر الجماعات المضادة للعنصرية ، قرر مانديلا وزعماء المجلس الأفريقى القومى فتح باب المقاومة المسلحة .

فى عام ١٩٦١ أصبح مانديلا رئيساً للجناح العسكرى للمجلس الأفريقى القومى ، وفى أغسطس ١٩٦٢ اعتقل مانديلا وحكم عليه لمدة خمس سنوات بتهمة السفر غير القانونى ، والتدبير للإضراب ، وفى عام ١٩٦٤ حكم عليه مرة أخرى بتهمة التخطيط لعمل مسلح ، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة .

خلال سنوات سجنه (السبع والعشرين) أصبح النداء بتحرير مانديلا من السجن رمزاً لرفض سياسة التمييز العنصرى ، وفى ١٠ يونيو ١٩٨٠ تم نشر رسالة استطاع مانديلا إرسالها للمجلس الأفريقى القومى قال فيها " اتحدوا! وجهزوا! وحاربوا! إذ ما بين سندان التحرك الشعبى ومطرقة المقاومة المسلحة سنسحق الفصل العنصرى "

وفى عام ١٩٨٥ عرض على مانديلا إطلاق السراح مقابل إعلان وقف المقاومة المسلحة إلا أنه رفض العرض ، وبقى فى السجن حتى ١١ فبراير ١٩٩٠ عندما أثمرت مثابرة المجلس الأفريقى القومى والضغوط الدولية عن إطلاق سراحه بأمر من رئيس الجمهورية فريديريك ويليام دى كليرك الذى أعلن إيقاف الحظر الذى كان مفروضاً على المجلس الأفريقى ، وقد حصل نيلسون مانديلا مع الرئيس فريدريك دى كليرك فى عام ١٩٩٣ على جائزة نوبل للسلام .

شغل مانديلا منصب رئاسة المجلس الأفريقى (من يونيو ١٩٩١ إلى ديسمبر ١٩٩٧) وأصبح أول رئيس أسود لجنوب أفريقيا (من مايو ١٩٩٤ – إلى يونيو ١٩٩٩) وخلال فترة حكمه شهدت جنوب أفريقيا إنتقالاً كبيراً من حكم الأقلية إلى حكم الأغلبية .

بعد تقاعده فى ١٩٩٩ تابع مانديلا تحركه مع الجمعيات والحركات المنادية بحقوق الإنسان حول العالم وتلقى تكريماً كبيراً من رؤساء وزعماء دول العالم ، وكان له كذلك عدد من الآراء المثيرة للجدل فى الغرب مثل آراءه فى القضية الفلسطينية ومعارضته للسياسات الخارجية للرئيس الأمريكى جورج بوش وغيرها .

وفى يونيو ٢٠٠٤ قرر نيلسون مانديلا ذو الـ ٨٥ عاماً التقاعد وترك الحياة العامة ، ذلك أن صحته أصبحت لا تسمح بالتحرك والانتقال ، كما أنه فضل أن يقضى ما تبقى من عمره بين عائلته .

وادى الحيتان
فى قائمة التراث العالمى

فى يوليو ٢٠٠٥ أعلنت منظمة اليونسكو انضمام منطقة وادى الحيتان بالفيوم الواقعة بالصحراء الغربية كأول محمية تراث طبيعى عالمى فى مصر ... وكان قد تم ترشيح خمسة وأربعين موقعاً عالمياً لاختيار واحد منها ، ووقع الاختيار على وادى الحيتان لما تحتويه هذه المنطقة من ثروات طبيعية فريدة تمثل ٤٠٠ مليون سنة من عمر التاريخ ، حيث يتم تحديد موقع التراث الطبيعى وفقاً لمعايير محددة تشمل تمثيل الموقع لمرحلة أساسية من تاريخ الكرة الأرضية ، أو حدوث عمليات جيولوجية أثرت فى تاريخ الأرض ، كما يجب أن يحظى الموقع بظواهر طبيعية غير عادية أو ذات أهمية فى الحفاظ على التنوع البيولوجى .

يقع وادى الحيتان فى الشمال الغربى من وادى الريان فى منطقة صحراوية نائية بمحافظة الفيوم ... وكان وادى الريان قبل ٤٠ مليون سنة يقع تحت محيط ضخم للغاية وبسبب التغيرات الجيولوجية انحسر هذا المحيط للخلف وترك وراءه عدداً كبيراً من الحيوانات البحرية ومن بينها الحيتان التى لوحظت بدرجات كبيرة ، حيث اكتشف مئات من الهياكل العظمية المتحجرة لبعض أنواع الحيتان الأولية وكذلك الكثير من الأصداف وأسماك القرش وغيرها من الحيوانات البحرية .

وتتميز منطقة وادى الحيتان بنظام بيئى فريد من حيث وجود الأراضى الرطبة والتراكيب الجيولوجية والعيون المائية والحفريات النادرة ، كما تتواجد مجموعة كبيرة من هياكل الحيتان يصل عددها إلى ٤٠٦ هياكل منها ٢٠٥ هياكل عظمية كاملة وفريدة فى درجة جودتها ترجع إلى ٤٠ مليون عام ، بالإضافة إلى وجود الكثير من الحيوانات والأسماك الأخرى مثل القروش والأسماك العظمية وعروس البحر والدرافيل ، وتعد هذه المنطقة من أجمل بقاع العالم لوجود التلال الرملية الصغيرة والنتوءات الصخرية من الحجر الرملى ذات الأشكال المتنوعة التى أعطت للمنطقة هذه الأهمية العالمية .

ويمثل وادى الحيتان متحفاً جيولوجياً مفتوحاً فريداً من نوعه ، وتمثل هذه المنطقة قاع البحر القديم الذى كان يذخر بثروات طبيعية فى تلك الحقبة ، كما يوجد بها إحدى المناطق اليابسة التى ظهرت فوق سطح الماء ونقطة مصب أحد أفرع النيل القديم .

وتعكس الحفريات البيئة الاستوائية لمصر فى العصر الأيوسينى حيث عثر على حفريات لأسماك عظمية وأسماك القرش والسلاحف والثعابين البحرية وعروس البحر وفصيلة " البازيلو صورص " الديناصورية التى يصل طولها إلى حوالى ٢٢ متراً.

جابرييل ماركيز ... يعتزل الإبداع

فى عام ٢٠٠٦ نشرت الصحف العالمية خبراً بأن الكاتب الكولومبى العالمى جابرييل ماركيز الذى صاغ أسطورة أمريكا اللاتينية فى الكتابة الواقعية السحرية قد أعلن اعتزاله الكتابة ، وعقب على ذلك فى تصريح لصحيفة أسبانية حين قال " إن تجربتى تؤهلنى لكتابة رواية جديدة بدون مشكلة ، لكن قرائى سيجدون أنها ليست نابعة من الأعماق ".

ولد جابرييل ماركيز عام ١٩٢٧ فى مدينة اراكاتاكا بكولومبيا ، وعاش معظم حياته فى المكسيك وأوربا ، نال جائزة نوبل للأدب عام ١٩٨٢ تقديراً للروايات والقصص القصيرة التى كتبها .

بدأ ماركيز ككاتب فى صحيفة الاسبكتادور الكولومبية اليومية ثم عمل بعدها كمراسل أجنبى فى كل من روما وباريس وبرشلونة وكراكاس ونيويورك، كان أول عمل له قصة " بحار السفينة المحطمة " حيث كتبه كحلقات مسلسلة فى صحيفة عام ١٩٥٥م ، وكان هذا الكتاب عن قصة حقيقية لسفينة مغمورة.

كثيراً ما يعتبر ماركيز من أشهر كتاب الواقعية السحرية وتحتوى كتاباته على عناصر شديدة الترابط ، ولكن كتاباته متنوعة جداً بحيث يصعب تصنيفها ككل بأنها من ذلك الأسلوب وتصنف الكثير من أعماله على أنها أدب

خيالى أو غير خيالى وخصوصاً عمله المسمى " حكاية موت معلن " ١٩٨١م التى تحكى قصة ثأر مسجلة فى الصحف وعمله المسمى "الحب فى زمن الكوليرا " ١٩٨٥م الذى يحكى قصة الحب بين والديه .

ومن أشهر رواياته " مائة عام من العزلة " ١٩٦٧م والتى بيع منها أكثر من ١٠ ملايين نسخة والتى تروى قصة قرية معزولة فى أمريكا الجنوبية تحدث فيها أحداث غريبة ، ولم تكن هذه الرواية مميزة لاستخدامها السحر الواقعى ولكن للاستخدام الرائع للغة الأسبانية ، وقد كتب أيضاً سيرة سيمون بوليفار فى رواية " الجنرال فى متاهة ".

ومن كتبه كتاب " اثنتى عشرة قصة مهاجرة " الذى يضم ١٢ قصة كتبت قبل ١٨ عاماً مضت ، وقد ظهرت من قبل كمقالات صحفية وسيناريوهات سينمائية ، وهى قصص قصيرة تستند إلى وقائع صحفية ، ولكنها متحررة من شرطها الاخلاقى بحيل شعرية .

كما أصدر مذكراته فى كتاب بعنوان " عشت لأروى " والتى تتناول حياته حتى عام ١٩٥٥م ، وفى عام ٢٠٠٢م قدم سيرته الذاتية فى جزئها الأول من ثلاثة وكان للكتاب مبيعات ضخمة فى عالم الكتب الأسبانية ، وقد نشرت الترجمة الإنجليزية لهذه السيرة على يد ايدث جروسمان عام ٢٠٠٣م وكانت من الكتب الأكثر مبيعاً ، عرف عن ماركيز صداقته مع القائد الكوبى فيدل كاسترو وأبدى قبل ذلك توافقه مع الجماعات الثورية فى أمريكا اللاتينية وخصوصاً فى الستينيات والسبعينيات .

المدارس الفنية ... موجات من الرؤى

تعددت المدارس الفنية فى أوربا بعد انتهاء الفن الدينى الذى انتشر فى القرون الوسطى ، وكان للتغيرات السياسية والفكرية والدينية التى ظهرت فى المجتمع دور فى ظهور العديد من المدارس الفنية التى توالت وتداخلت ، فقد تأثرت كل مدرسة بسابقتها وأثرت فى ما تلاها ، وانطلق الفنانون أنفسهم من مدرسة لأخرى يبدعون ويطورون ويقدمون فناً مختلفاً ومتفاعلاً مع متغيرات المجتمع .

بداية تعد المدرسة الكلاسيكية الجديدة التى ظهرت مع الثورة الفرنسية نموذج التجديد للفنون القديمة التى أسس نظريتها الجمالية كل من افلاطون وارسطو ، ذلك أن كلمة كلاسيكية هى مفردة يونانية تعنى (الطراز الأول أوالمثل النموذجى) حيث اعتمد اليونانيون فى فنهم على الأصول الجمالية المثالية.

وقبل أن تستخدم هذه الكلمة فى القرن الثامن عشر كانت الكلاسيكية قد انبعثت من جديد فى إيطاليا فى بداية القرن الخامس عشر ضمن نهضة شاملة فى كافة ميادين العلم شملت فن الرسم والنحت .

ومن أشهر فنانى هذه المدرسة الفنان (ليوناردو دافنشى) فى فن

التصوير والرسم و(مايكل انجلو) فى فن النحت والعمـــارة وغيـــرهم ، وقـــد سميت فترة هؤلاء بفترة العصر الذهبى ، واعتبرت أعلى المراحل الفنيـــة فـــى عصر النهضة ، وكان ذلك فى القرن السادس عشر ، ومن أشهر أعمال الفنـــان ليوناردو دافنشى لوحة (الجيوكندا) أو ما تسمى بالموناليزا أما أشـــهر أعمـــال مايكل أنجلو فهو تمثال موسى .

أما المدرسة الكلاسيكية الجديدة فقد بدأها "جاك لويس دافيد " فى فرنســـا مع قيام الثورة الفرنسية وهى تستلهم الفنون " الكلاسيكية القديمة " عند الإغريق والرومان وهى تحتم على الفنان اتباع مجموعة من القواعد والشروط مثل " نبل الموضوع " و " مثالية الهدف " و " الالتزام فى الرسم بقواعد علم المنظور " و "الالتزام بالتظليل الذى يعطى للاجسام الإحساس بكتلتها أو استدارتها " و " سيادة الخطوط على الألوان فى الرسم " ... ألخ ... وقد سيطرت الكلاسيكية الجديـــدة على الفن الفرنسى الرسمى طوال القرن التاسع عشر .

وبعد وفاة دافيد تولى تلميذه " جان دومنيك أنجر " زعامة الكلاسيكية فى فرنسا وبالرغم من إتفاق أنجر مع المبدأ الكلاسيكى إتفاقاً تاماً فى تهميش اللون والاعتماد على الخط والتصميم الهندسى المحكم ، إلا أنه كان هنـــاك اخـــتلاف أساسى بينه وبين أستاذه ، فقد كانت الهندسة عند دافيد هندسة " محسوبة " فـــى حين أنها عند أنجر كانت هندسة " محسوسة " ، وهو ما ساعد على التحول إلى المدرسة الرومانسية ... أما آخر فنانى هذه المدرسة فكان " جان جرو " الـــذى ذهب ضحية لفن المدرسة الكلاسيكية الجديدة ، حينما القى بنفسه فى نهر السين ذات ليلة عندما شاهد الكلاسيكية تتوراى وتتقدم عليها مدارس فنية أخرى .

ثم ظهرت المدرسة الرومانسية كمحاولة لإتاحة فرصة التعبير للفنان عن امكانياته الإبداعية ، وكان ذلك فى أواخر القرن الثامن عشـــر وأوائـــل القـــرن التاسع عشر ، وتعتمد الرومانسية على العاطفة والخيال والإلهـــام أكثـــر مـــن

المنطق ، وتميل هذه المدرسة الفنية إلى التعبير عن العواطف والأحاسيس والتصرفات التلقائية الحرة ، كما اختار الفنان الرومانسى موضوعات غريبة غير مألوفة فى الفن مثل المناظر الشرقية ، كما اشتهرت فى المدرسة الرومانسية المناظر الطبيعية المؤثرة المليئة بالأحاسيس والعواطف، مما أدى إلى اكتشاف قدرة جديدة لحركات الفرشاة المندمجة فى الألوان النابضة بالحياة وإثارة العواطف القومية والوطنية والمبالغة فى تصوير المشاهد الدرامية .

وكان من أهم وأشهر فنانى الرومانسية كل من (يوجيه دى لاكروا) و(جاريكو) فقد صور لاكروا العديد من اللوحات الفنية ، ومن أشهرها لوحة الحرية تقود الشعب وفى هذه اللوحة عبر الفنان عن الثورة العارمة التى ملأت نفوس الشعب الكادح ، وصور فيها فرنسا على شكل إمرأة ترفع علماً ومعها الشعب الفرنسى فى حالة إندفاع مثير وبيدها اليسرى بندقية .

أما الفنان (جيريكو) فقد صور الكثير من الموضوعات الفنية ، من بينها لوحة كانت سبباً فى تعريفه بالجمهور ، وهى لوحة غرق ميدوزا ، وهى حادثة تعرضت لها سفينة بعرض البحر وتحطمت هذه السفينة ولم يبق منها سوى العوارض الخشبية التى تشبث بها بعض من بقوا أحياء للنجاة ، ففى هذه اللوحة صور الفنان صراع الإنسان مع الطبيعة .

ثم جاءت المدرسة الواقعية رداً على المدرسة الرومانسية ، فقد اعتقد أصحاب هذه المدرسة بضرورة معالجة الواقع برسم أشكال الواقع كما هى ، وتسليط الأضواء على جوانب مهمة يريد الفنان ايصالها للجمهور بأسلوب يسجل الواقع بدقائقه دون غرابة أو نفور.

فالمدرسة الواقعية ركزت على الاتجاه الموضوعى ، وجعلت المنطق الموضوعى أكثر أهمية من الذات فصور الرسام الحياة اليومية بصدق وأمانة ،

دون أن يدخل ذاته فى الموضوع ، بل يتجرد الرسام عن الموضوع فى نقله .

ويعتبر الفنان كوربيه من أهم أعلام المدرسة الواقعية فقد صور العديد من اللوحات التى تعكس الواقع الاجتماعى فى عصره ، ومن أشهرها لوحة (المرسم) ولوحة (الجنازة) إذ صور فيها جنازة لشخص ، وفى الجنازة صورة لكلب المتوفى ، وكأنه يحس بالحزن ، وقد وقف مع المشيعين وكأنه يشيع صاحبه ، فالصورة تعكس واقعية صادقة لذلك المشهد .

ثم ظهرت المدرسة التأثيرية أو " الانطباعية " وهى تمثل حلقة فى سلسلة الثورات على سيطرة الكلاسيكية الجديدة .

وقد تكونت جماعة التأثيريين عام ١٧٨٤ عندما أقامت أول معارضها ، وتفرقت بعد عام ١٨٨٦، ولكن أول من اتجه إلى التأثيرية هو" كونستابل " الإنجليزى ومعاصره " تيرنر " وهما من فنانى المرحلة الرومانسية وقد تتلمذ على لوحاتهما التأثيريون الفرنسيون ، وكان " كلود مونيه " هو الرائد الأول لهذه المدرسة بمعناها العلمى ، حيث أهمل الخط واهتم بالمساحة اللونية يكونها من ألوان صافية غير ممزوجة مع بعضها ... بهدف تسجيل التأثر البصرى الخاطف لسقوط الضوء على الأشكال فى لحظة معينة من النهار وقبل أن تتغير نتيجة الأضواء ، وتعتمد هذه المدرسة على النظريات العلمية الخاصة بتحليل الضوء إلى ألوان الطيف ، ويتلاعب التأثيريون بالألوان التى يضعونها على لوحاتهم متجاورة فى شكل نقط " التنقيطيون " فتقوم العين بمزجها وتراها من بعيد لوناً خليطاً ، مثل البرتقالى المكون من نقط صفراء وحمراء متجاورة ، والأخضر وهو عبارة عن نقاط متجاورة من اللون الاصفر واللون الأزرق ، ومن خلال التغير الكمى لأى منهما تخرج درجات الاخضرار ، كما فضل التأثيريون العمل فى الخلاء لتصوير الطبيعة مباشرة ، وليس داخل جدران

المرسم ، وأحياناً كانوا يقومون برسم نفس المنظر مرات عديدة فـــى ظـــروف جوية مختلفة لإظهار كيف تتغير الألوان والصـــفات الســـطحية فـــى الأوقـــات المختلفة .

ومن أشهر رسامى التأثيرية الفرنسيان " أوجست رينـــوار " و " بـــول سيزان "

لقد عنيت التأثيرية بتسجيل الشكل العام ، فالتفاصيل الدقيقة ليست مـــن أهدافها بل يسجلون الانطباع الكلى عن الأشياء بطريقة توحى للمشاهد أنه يرى الأجزاء رغم أنها غير مرسومة مما يزيدها سحراً وجمالاً وجاذبية.

ثم جاءت المدرسة الوحشية والتى تعرف عادة باسم " الفوف " ومعناها الضوارى أو المتوحشين أكلة لحوم البشر ، فهى اتجاه فنى ظهر عام ١٩٠٣ ثم ١٩٠٤ فى صالون الخريف بباريس عندما وضعت فى صالة واحدة أعمال " فان جوخ " و " ماتيس " و " فلامنك" و " ديران " و " جوجان " و " جـــورج روو " و"دوفى" و " فان دونجن " ... وهى تمتاز بـــالثورة الصـــارخة الطاغيـــة فـــى استعمال الألوان القوية الصريحة المتفجرة .

وكانت القاعة التى عرضت بها أعمال هؤلاء الفنانين فى الصالون بهـــا عمل من أعمال " دوناتللو " أنتج بالأسلوب القديم ، وقد هاجمهم الناقد " لـــويس فوكسيل " مشبها أعمالهم بقبائل " الفوف " الأفريقية أكلة لحوم البشر وقد تجمعت حول ضحيتها وهى العمل الفنى " لدوناتللو" فكتب مقالاً هجومياً علـــيهم تحـــت عنوان " دوناتللو بين الفوف " أى بين المتوحشين ومن هنا جاءت تسمية مذهبهم " الفوفيزم" .

وقد عنى فنانو المدرسة الوحشية فى لوحاتهم عناية كبيرة بالتوفيق بين الألوان المتضاربة والمتصارعة والمتناقضة ، بالإضافة إلـــى عـــدم الاهتمـــام

بمطابقة الأشكال للتشريح أو الشكل الطبيعي ، واهتم الوحشيون بالضوء المتجانس والبناء المسطح فكانت سطوح ألوانهم تتآلف دون استخدام الظل والنور ، أى دون استخدام القيم اللونية ، فقد اعتمدوا على الشدة اللونية بطبقة واحدة من اللون ، ثم اعتمدت هذه المدرسة على أسلوب التبسيط في الأشكال فكانت أشبه بالرسم البدائى إلى حد ما ، فقد اعتبرت المدرسة الوحشية أن التفاصيل الزائدة عند رسم الأشكال ضارة بالعمل الفنى .

ثم ظهرت المدرسة التعبيرية وهى مدرسة ترتكز على تبسيط الخطوط والألوان وقد خرجت هذه المدرسة عن الأوضاع الكلاسيكية التى تقوم على تسجيل معالم الجسم أو الطبيعة ، تسجيلاً دقيقاً سواء فى الخط كما ذكرنا ، أوفى تلوين الأشكال ، فقد ركزت على دراسة الأجسام ورسمها والمبالغة فى انحرافات بعض الخطوط أو بعض أجزاء الجسم وحركته ، وهى بهذا تقترب فى بعض الأحيان من الكاريكاتور ، فالتعبيرية هى نقيض التأثيرية التى تهتم بتسجيل مظاهر الأشياء ، فهى تهدف إلى إبراز أعماق ما تصوره مع المبالغة فى خصائصه فهى لا تصور الثعلب وإنما مكره ، ولا تصور الوحش وإنما تصور وحشيته وهكذا .

ثم اعتمدت هذه المدرسة على إظهار تعبيرات الوجوه والأحاسيس النفسية ، من خلال الخطوط التى يرسمها الرسام والتى تبين الحالة النفسية للشخص الذى يرسمه الفنان ، وقد ساعد على ذلك استخدام بعض الألوان التى تبرز انفعالات الأشخاص ، بل تثير مشاعر المشاهد للموضوع التعبيرى .

وقد ظهرت التعبيرية فى ألمانيا وإن كانت بوادرها قد وضحت فى أعمال " فان جوخ " الهولندى و " أدوار مونش " النرويجى و " فاسيلى كاندنسكى " الروسى و " كوكوشكا " النمساوى إلى جانب " جيمس أنسور " البلجيكى ، واستطاعت هذه الجماعة خلال بضع سنوات خاصة بعد الحرب

العالمية الأولى أن تجعل التعبيرية أعظم حركة فنية فى ألمانيا ، وعندما استولى النازيون على الحكم حاربوها وطاردوا أصحابها ، وقد كان من أهم أعمال هذه المدرسة الأعمال التى تنبأت بالحرب والخراب والتشاؤم والانهيار .

ثم ظهرت المدرسة التكعيبية وهى مدرسة فنية ظهرت نتيجة الإعجاب بالفن الزنجى ، وهى تقدم اللوحة دون أن يزيل الفنان الخطوط الأساسية التى استخدمها فى بناء عمله ، فتبدو كعمارة حديثة البناء لم ترفع عنها الأخشاب التى تحيط بها خلال عملية البناء ، وهى تهدف أيضاً إلى تحطيم الأشكال وإعادة بنائها بشكل جديد وتعمل على اختزال العناصر والتفاصيل فى صياغة هندسية اعتماداً على فكرة الفنان " بول سيزان " التى تقول أن اساس جميع الأشكال هى الكرة والاسطوانة والمخروط ... وكان من رواد هذه المدرسة " جورج براك " و " بابلو بيكاسو " .

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى قامت حركة تمرد ضد كل ما كان سائداً من عرف أو تقاليد وأخذت تنادى بعدم المبالاة ، وبالتخلص الكامل من كل ما هو معروف من قيم سواء كان ذلك فى الأدب أم فى المسرح أم فى الفنون التشكيلية ، واتجه فنانو هذه الحركة إلى جمع النفايات الملقاة فى الشارع أو صناديق القمامة مثل قصاصات الجرائد أو قطع الأقمشة البالية أو علب الصفيح المهشمة ... واعتبروها الفن الذى ينبغى أن يسود .

وكان أول اجتماع لفنانى وأدباء هذه الحركة فى سويسرا عام ١٩١٦م ، حيث تذكروا الأوضاع المؤلمة التى نتجت عن الحرب ، ثم أرادوا اختيار اسم لهذه الحركة ، فاحضروا معجم (لاروس) الفرنسى ، وقام الشاعر " تريستان تزارا " بفتحه عشوائياً فكانت كلمة (دادا) التى تعنى بالفرنسية لعبة من الخشب على هيئة حصان ، وهكذا أصبحت هذه الكلمة إسما للحركة الجديدة ويهدف الداديون إلى مهاجمة القيم وتخريب الجماليات ومعاداة الذين يحترمون الفن

والجمال والابداع ... كما يهدفون إلى السخرية من الفن ذاته وعرض كل ما هو قبيح وغريب وعابث وغير معقول ، فلا بأس عندهم من وضع شنب على لوحه الموناليزا كما فعل مارسيل شامب .

ثم جاءت المدرسة السريالية التى خرجت من الحركة الدادية التى بدأ ظهورها عام ١٩١٦ وقد دعمتها أبحاث رائد علم النفس " سيجموند فرويد " فى العقل الباطن وقد تميزت باسمها ، وحدد معالم المذهب السيريالى " اندريه بريتون" فى بيان أصدره عام ١٩٢٤ يعرفه بأنه المذهب الذى " يعبر عن خواطر النفس البشرية فى مجراها الحقيقى دون حجاب من الواقع الاجتماعى أو رقابة الضمير ، وهى فى ذلك تشبه الصور التى نراها فى الاحلام أو الكوابيس وتسبب للمشاهد أو المتلقى أو المتذوق صدمة الاندهاش بسبب المفاجأة بما هو غير مألوف أو متوقع "

ومن أشهر السرياليين الفنان الاسبانى " سلفادور دالى " والايطالى " دى كيريكو" الذى سمى لوحاته " صور ميتافيزيقية " وهى تبحث فيما خلف الواقع أو ما فوق الواقع ولهذا تسمى بالفرنسية " سيريالزم " ومن التسمية الفرنسية جاء المصطلح العربى .

أما المدرسة التجريدية فهى الاتجاه الذى يبتعد بالرسم عن تصوير أى شكل معروف ، ويهدف إلى تكوين لونى أو شكلى لا يعالج موضوعاً ما ، ولا يستخدم سوى الألوان والخطوط ، وفيه تتحول المناظر إلى مجرد مثلثات ومربعات ودوائر ، وتظهر اللوحة التجريدية أشبه ما تكون بقصاصات الورق المتراكمة أو بقطع من الصخور أو أشكال لسحب ، أى مجرد قطع ايقاعية مترابطة ليست لها دلائل بصرية مباشرة وإن كانت تحمل فى طياتها شيئاً من خلاصة التجربة التشكيلية التى مر بها الفنان .

أما المدرسة المستقبلية فقد بدأت فى إيطاليا ثم انتقلت إلى فرنسا وكانت تهدف إلى مقاومة الماضى لذلك سميت بالمستقبلية ، واهتم فنان المستقبلية بالتغير المتميز والفاعلية المستمرة فى القرن العشرين الذى عرف بالسرعة والتقدم التقنى وحاول الفنان التعبير عنه بالحركة والضوء ، فكل الأشياء تتحرك وتجرى وتتغير بسرعة .

وتعتبر المدرسة المستقبلية الفنية ذات أهمية بالغة حيث تمكنت من إيجاد شكل متناسب مع طبيعة العصر الذى نعيش فيه والتركيز على إنسان العصر الحديث .

وقد عبر الفنان المستقبلى عن الصور المتغيرة ، بتجزئة الأشكال إلى آلاف النقاط والخطوط والألوان وكان يهدف إلى نقل الحركة السريعة والوثبات والخطوط وصراع القوى ، وعلى ذلك كانوا يرسمون الناس بأطراف متعددة وبترتيب إشعاعى بحيث تبدو اللوحة المستقبلية كأمواج ملونة متعاقبة ، وفى لوحة " مرنة " للفنان المستقبلى بوكشيونى التى رسمها عام ١٩١٢ م يوحى الشكل فى عمومه بإنسان متدثر بثياب فضفاضة ذات ألوان زاهية ، يحركها الهواء فتنساب تفاصيلها فى ايقاعات حركية مستمرة .

المراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : الموسوعات

- أحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٣ .
- الموسوعة الذهبية ، القاهرة : سجل العرب ، ١٩٨٠ .
- سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .
- موسوعة السياسة ، الطبعة الأولى ، القاهرة : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦.
- موسوعة المعرفة ، بيروت : شركة إنماء للنشر والتسويق ، ١٩٨٧ .
- موسوعة وصف مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢ .
- ناصر الأنصارى ، موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم ، الطبعة الثانية ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٧ .

ثالثاً : الكتـــــب العربية والمترجمة

- إحسان صدقى العمد ، الحجاج بن يوسف الثقفى ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٨٣.
- أحمد الشامى ، الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول ، القاهرة : مكتبة الأنجلو، ١٩٨٦ .
- أحمد بهاء الدين ، أيام لها تاريخ ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ .
- أحمد زكى عبد الحليم ، نساء فوق القمة ، القاهرة : دار الفيصل ، ١٩٨٧.
- أحمد عبد الحميد يوسف ، مصر فى القرآن والسنة ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، العدد ٣٧٣ ، ١٩٨١.
- إسماعيل بن كثير الدمشقى ، البداية والنهاية ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركى ، القاهرة : دار هجر للطباعة ، ١٩٩٩.
- السيد فرج ، رواد الرياضة فى مصر ، القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٨.
- السيد بهنسى ، العالم بأصابع مصرية ، الطبعة الثانية ، القاهرة : عالم الكتب ، ٢٠٠٨.
- أنور وجدى ، أعلام وأقلام ، القاهرة : دار نهضة مصر ، د.ت.
- أنور محمود زناتى : تحقيق مخطوط تاريخ الأندلس لإبراهيم ابن أمير المؤمنين ، القاهرة : دار الثقافة الدينية ، ٢٠٠٧.
- بدر الدين أبو غازى ، رواد الفن التشكيلى ، القاهرة : دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال ، العدد ٤١٣ ، ١٩٨٥.
- بيير مونتيه ، الحياة اليومية فى مصر ، ترجمة عزيز مرقص ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧.

- جمال بدوى ، نظرات فى تاريخ مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٢٢ ، ١٩٨٨.
- جمال بدوى ، طبيعة الأمة المصرية ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦.
- جمال بدوى ، محمد على وأولاده ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩.
- جمال حمدان ، القاهرة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦.
- جمال حمدان ، شخصية مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠.
- راى تاناهيل : باريس فى سنوات الثورة ، القاهرة : دار الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٦.
- ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العرينى ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٩٣.
- سعد شعبان ، الفضاء عصرنا ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠.
- سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٢.
- سليمان حزين ، حضارة مصر ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥.
- شحاته عيسى إبراهيم ، القاهرة ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١.
- شمس الدين الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٢.
- عادل سعيد بشتاوى ، الأندلسيون المواركة ، دمشق : دار أسامة ، ١٩٨٥.
- عايدة العزب موسى ، شخصيات أفريقية فى السياسة والفن ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠.

- عايدة العزب موسى ، **العبودية فى أفريقيا** ، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، ٢٠٠٤.

- عباس إقبال ، **تاريخ إيران بعد الإسلام** ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٠.

- عباس الطرابيلى ، **شوارع لها تاريخ** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠.

- عباس الطرابيلى ، **أحياء القاهرة المحروسة** ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٣.

- عبد الحميد الكاتب ، **قراءات ودراسات عن مصر والمصريين** ، القاهرة : مؤسسة أخبار اليوم ، كتاب اليوم ، ١٩٨١.

- عبد الرحمن الرافعى ، **تاريخ مصر القومى ١٩١٤ – ١٩٢١** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩.

- عبد الرحمن الرافعى ، **عصر إسماعيل** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠.

- عبد الرحمن الرافعى ، **عصر محمد على** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.

- عبد الرحمن الشرقاوى ، **أئمة الفقه التسعة** ، القاهرة : أخبار اليوم، كتاب اليوم ، ١٩٨٣.

- عبد الستار الشيخ ، **عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين** ، دمشق : دار القلم ، ١٩٩٦.

- عبد السلام عبد العزيز فهمى ، **تاريخ الدولة المغولية فى إيران** ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨١.

- عبد الشافى محمد عبد اللطيف ، **العالم الإسلامى فى العصر الأموى** ، القاهرة : دار الوفاء للطباعة ، ١٩٨٤.

- عبد العزيز محمد الشناوى ، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها** ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٣.
- عبد الله محمد الشايع ، **فى أرض البخور واللبان** ، الرياض : دار الملك عبدالعزيز، ٢٠٠٤.
- عبد الله ناصر الوليعى ، **بحار الرمال فى المملكة العربية السعودية** ، الكويت : الجمعية الجغرافية الكويتية ، سلسلة رسائل جغرافية ، ١٩٩٤.
- عبد الله يوسف الغنيم ، **أشكال سطح الأرض فى شبه الجزيرة العربية فى المصادر العربية القديمة** ، الكويت : الجمعية الجغرافية الكويتية ، ٢٠٠٥.
- عبد المنعم الجميعى ، **عصر محمد على – دراسات وثائقية** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣.
- عبد الواحد ذنون طه ، **العراق فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفى** ، الموصل : منشورات مكتبة باسل ، ١٩٨٥.
- عبده مباشر وإسلام توفيق ، **حرب الاستنزاف** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٧.
- عصمت محمد حسن ، **جوانب من الحياة الاجتماعية لمصر من خلال كتاب الجبرتى**، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣.
- عصمت لطفى ، **مصر فى عهد محمد على** ، ترجمة : عبد السميع عمر ، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٤.
- على أدهم ، **الجمعيات السرية** ، الطبعة الثانية ، القاهرة : دار المعارف ، سلسلة اقرأ – ١٣٨ ، ١٩٨٦.
- فاروق عثمان أباظة ، **تاريخ أوربا الحديث والمعاصر** ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٥.
- فاروق عمر ، **الخليفة المجاهد هارون الرشيد** ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٩.

- قاسم عبده قاسم ، **ماهية الحروب الصليبية** ، الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، سلسلة عالم المعرفة (١٤٩) ، ١٩٩٠.
- قدرى قلعجى ، **الثورة العربية الكبرى** ، بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ١٩٩٣.
- ليونارد باتريك هارفى ، **تاريخ الموريسكيين السياسى والاجتماعى والثقافى** ، الطبعة الأولى ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨.
- ليوناردو دافنشى ، **نظرية التصوير** ، ترجمة : عادل السيوى ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩.
- محمد عبد الله عنان ، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين** ، الطبعة الرابعة ، القاهرة : مكتبة الخانجى ، ١٩٨٧.
- محمد عبد الله عنان ، **دولة الإسلام فى الأندلس** ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١.
- محمد فؤاد عبد الباقى ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار الحديث ، ١٩٨٦.
- محمود صالح منسى ، **الحرب العالمية الثانية** ، د.ن ، ١٩٨٩.
- محمود عبد الرحمن الزواوى ، **جوائز الأوسكار** ، القاهرة : دار الهلال ، كتاب الهلال ، العدد ٤٥٣ ، سبتمبر ١٩٨٨.
- موفق بنى المرجة ، **صحوة الرجل المريض** ، الكويت : مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ، ١٩٨٤.
- نبيل عبد الحى رضوان ، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده** ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعى ، ١٩٨٨.
- نيلسون مانديلا ، **مسيرة طويلة نحو الحرية** ، ترجمة : فاطمة نصر ، القاهرة : دار الهلال ، كتاب الهلال ، العدد ٥٣٤ ، يونية ١٩٩٥.

- هانى حسن عليوى ، الاتجاهات الوحدوية فى الفكر القومى العربى الشرقى ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٠.

رابعاً : الدوريات

- الأرشيف الصحفى لصحف الأهرام ، والأخبار ، وآخر ساعة ، والهلال ، وأكتوبر، والوفد ، والمصور ، والجمهورية .

خامساً : مواقع الإنـــترنـــت

- ar.wikipedia.org
- www.aljazeera.net
- www.almania.info.diplo.de
- www.islamonline.net
- www.moqatel.com
- www.project-syndicate.org

الفهرس

- المقدمة ٧
- ترتيب سور القرآن الكريم ٩
- أول من أمر بجمع الحديث ١١
- تقاويم العالم ١٣
- قدماء المصريين يقدمون للعالم فن الكاريكاتير ١٥
- طريق الحرير ١٨
- حين يتحول المد إلى " تسونامى " ٢١
- سور الصين العظيم ٢٤
- أطلانتيس ... " القارة المفقودة " حقيقة أم أسطورة ...؟!! ٢٦
- أخفض مكان عن سطح البحر فى العالم ٢٩
- فلسفة كونفوشيوس تحكم الصين عشرين قرناً ٣٠
- سقراط ... نهاية درامية ٣٣
- أفلاطون ٣٦
- مدرسة "أبو قراط" ٣٩
- الاسكندر الأكبر ... إمبراطورية مترامية وعمر قصير ٤١
- حصان طروادة ٤٤
- تاج الذهب الذى وضع قاعدة أرشميدس ٤٦

- هانيبال ٤٨
- سبارتكوس وثورة العبيد ٥١
- عجائب الدنيا السبع القديمة والجديدة ٥٥
- نيرون ٦٠
- حين محا البركان مدينتين بالكامل ٦٣
- الملكة زنوبيا ... فى موكب الأسرى !! ٦٥
- " بابا نويل " ... هل هو شخصية حقيقية ؟ ٦٨
- الشعراء الصعاليك ٧٠
- المعلقات ٧٢
- العصور الوسطى ٧٣
- الغجر ٧٥
- موقعة اليرموك ٧٧
- الحجاج بن يوسف الثقفى ٧٩
- أول من وضع النقاط على الحروف العربية ٨٣
- أول عملة عربية ٨٥
- عمر بن عبد العزيز ... العدالة فى ثلاثين شهراً ٨٧
- أول معاجم اللغة العربية ٩١
- لا يفتى ومالك بالمدينة ٩٤
- الخليفة المهدى يأمر بجلد بشار بن برد حتى الموت !! ٩٦
- عبد الرحمن الداخل ... فاتح الأندلس ٩٩
- الخوارزمى ... يؤسس علم الجبر ١٠٣
- نكبة البرامكة ١٠٥
- المعلم الثانى ١٠٩

- عباس بن فرناس ... رجل سبق زمنه ١١١
- المكان الوحيد ... الذى لا تستطيع أن تتجه بعده إلا إلى الشمال ١١٣
- أوربا تدرس مؤلفات الرازى حتى القرن السابع عشر ١١٦
- هل أدعى المتنبى النبوة ؟!! ١١٩
- الفايكنج ١٢٢
- هل ستختفى شلالات نياجرا ؟ ١٢٥
- عندما تتوارى عنا الشمس ... ويختفى القمر ١٢٨
- ابن زيدون ١٣٠
- أول من فكر فى تخزين مياه النيل عند أسوان ١٣٥
- عمر الخيام ١٣٨
- الربع الخالى ... رمال لا تنتهى ١٤٠
- أول جغرافى رسم خريطة سليمة للعالم ١٤٢
- الكرملين ١٤٤
- صلاح الدين الأيوبى ١٤٧
- جنكيز خان ١٥٢
- اللوفر ١٥٦
- الماجنا كارتا ١٥٨
- أسرار الألماس ١٥٩
- المماليك ١٦٢
- شجر الدر ... ملكة لثمانين يوماً ١٦٥
- العز بن عبد السلام يبيع أمراء المماليك ١٦٩
- عصر النهضة ١٧٢

- حرب المائة عام أطول حرب فى التاريخ ١٧٥
- المدينة المحرمة ١٧٨
- الاختراع الذى غير شكل العالم ١٨٠
- دراكولا ... هل هو شخصية حقيقية ؟ ١٨٣
- السلطان محمد الفاتح ١٨٦
- ملوك الطوائف ١٩٠
- دولة المرابطين ... صفحة رائعة من تاريخ مجهول ١٩٤
- محاكم التفتيش ١٩٩
- اكتشاف العالم الجديد ٢٠٥
- الهنود الحمر ... الوطن لا يسقط بالتقادم ٢٠٨
- فاسكو دا جاما ... الإبحار إلى الهند بأى ثمن ! ٢١٣
- الساموراى ... روح اليابان ٢١٧
- عبقرية دافنشى ٢٢٠
- مايكل أنجلو ٢٢٣
- الرحلة التى أثبتت أن الأرض ... كروية ٢٢٥
- وليم شكسبير ٢٢٧
- شعوب الثلج ٢٣١
- طومان باى فارس المائة يوم ٢٣٤
- ملك المعادن ٢٣٨
- أكبر تجارة رقيق عرفها التاريخ ٢٤٠
- أول من شاهد جبال القمر ٢٤٣
- الشهب والنيازك ٢٤٦
- مذنب هالى ٢٤٨

- قوس قزح ٢٥١
- باخ ... عبقرى الموسيقى الكلاسيكية ٢٥٢
- قصر الإليزيه ٢٥٤
- السيارات ... وحلم الانتقال ٢٥٧
- كيف مال برج بيزا ؟ ٢٦٠
- موزارت ... الطفل المعجزة ...! ٢٦٢
- حفل شاى بوسطن شرارة حرب الاستقلال الأمريكية ٢٦٤
- الفيدرالية ... والكونفدرالية ٢٦٧
- سلويت ٢٧٠
- الثورة الفرنسية ٢٧١
- نابليون بونابرت ٢٧٤
- سجن الباستيل ٢٧٧
- أشهر متحف شمع فى العالم ٢٨٠
- جوته ... يبحر فى تيار الفكر العربى ٢٨٣
- بيتهوفن ... والألم العبقرى ٢٨٨
- حرب الأفيون ٢٩١
- سيمون بوليفار محرر أمريكا اللاتينية ٢٩٤
- تشارلز ديكنز ... رحلة إلى الآمال الكبرى ٢٩٧
- أول خط سكة حديدية فى العالم ٣٠١
- مذبحة المماليك ... أكون أو لا أكون !! ٣٠٤
- إبراهيم باشا ... قائد عظيم لم يهزم ٣٠٨
- باعث نهضة الشرق الحديثة ٣١٣
- عبد الله النديم ... الثورة من يد إلى يد ٣١٦

- لويس داجير ... وحلم امتلاك اللحظات للأبد ٣٢٠
- تشايكوفسكى أعظم الموسيقيين الروس ٣٢٤
- كارل ماركس ٣٢٧
- أعظم ممثلة فى تاريخ المسرح ٣٣١
- المافيا ٣٣٤
- مثلث برمودا ٣٣٨
- حرب القرم ٣٤١
- لويس باستير ٣٤٧
- نهر النيل ٣٥١
- أشهر ساعة فى التاريخ ٣٥٤
- بسمارك ... صانع الوحدة الألمانية ٣٥٦
- عندما قطع فان جوخ أذنه ...!! ٢٥٨
- أول مكالمة تليفونية ٣٦٠
- ويمبلدون ٣٦٢
- توماس أديسون ينير العالم ٣٦٤
- أشهر برج فى العالم ٣٦٧
- السينما ... سحر الفن السابع ٣٦٨
- الأشعة المجهولة ٣٧٢
- الثورة الصناعية ٣٧٤
- البارون كوبرتان ... الرجل الذى أحيا الألعاب الأولمبية ٣٧٧
- سكة حديد الحجاز ٣٨٠
- خط جرينتش ٣٨٥
- ألبرت اينشتاين ٣٨٧

- جائزة نوبل ٣٩١
- ١٢ ثانية فقط ... زمن أول رحلة طيران ٣٩٥
- قناة بنما ٣٩٨
- برنارد شو ... يكتب عن الرسول صلى الله عليه وسلم ٤٠٠
- تولستوى أعظم أدباء روسيا ٤٠٤
- إليا أبو ماضى يهدى لمصر ... ديوانه الأول ٤٠٧
- تيتانيك ٤١٠
- أول أديب من الشرق يفوز بجائزة نوبل ٤١٢
- أسطورة راسبوتين ٤١٥
- لينين أول رئيس للإتحاد السوفيتى ٤١٩
- ستالين ٤٢٣
- الفاشستية ٤٢٥
- ماو تسى تونج ٤٢٧
- الحرب العالمية الأولى ٤٣٢
- أول حرب ظهرت فيها الدبابات ٤٣٨
- الشريف حسين ... وخدعة الثورة العربية ٤٤١
- لورانس العرب ٤٤٦
- معاهدة فرساى ... التمهيد النيرانى للحرب العالمية الثانية ٤٥٠
- أول منظمة دولية فى التاريخ ٤٥٤
- أول محطة إذاعة فى العالم ٤٥٧
- درب التبانة ٤٦١
- اجاثا كريستى ٤٦٤
- الأوسكار ٤٦٧

- الكسندر فلمنج ... مكتشف البنسلين ٤٦٩
- عالم والت ديزنى ٤٧٢
- كأس العالم لكرة القدم ٤٧٥
- منظمة الكومنولث ٤٧٧
- سجن الكاتراز ٤٨٠
- سليم حسن ... يرفض طلب الملك فاروق ٤٨١
- التليفزيون ... أجمل نافذة على العالم ٤٨٥
- أجيال الكمبيوتر ٤٨٨
- الأزمة الاقتصادية العالمية ٤٩٢
- هتلر ٤٩٥
- الحرب العالمية الثانية ٤٩٨
- خط ماجينو ٥٠٣
- معركة بيرل هاربر تقلب موازين الحرب العالمية الثانية ٥٠٥
- معركة ستالينجراد ٥٠٨
- وداعاً ... هيروشيما ٥١٢
- شارل ديجول قائد المقاومة الفرنسية ٥١٥
- ونستون تشرشل ٥١٩
- محاكمات نورمبرج ٥٢٢
- مشروع مارشال ٥٢٤
- تيتو ٥٢٧
- أول من رسم حمامة السلام ٥٣٠
- المهاتما غاندى ... أبو الهند الحديثة ٥٣٢
- أول مفكر يؤسس دولة ٥٣٦

- جواهر لال نهرو ٥٣٨
- إنديرا غاندى ... أول رئيسة وزراء للهند ٥٤١
- الحرب الباردة ٥٤٥
- أزمة حكومة مصدق ٥٤٨
- المكارثية ٥٥٣
- محنة اوبنهايمر ... أبو القنبلة الذرية ٥٥٦
- اندريه سخاروف عندما يصبح " منقذ روسيا " عدواً للدولة !! ٥٦١
- حائط برلين ٥٦٤
- أزمة الصواريخ الكوبية ٥٦٧
- السوفيت يحجزون الصفوف الأولى فى الفضاء ٥٦٩
- جيفارا ٥٧٥
- مارتن لوثر كينج ٥٨٠
- السير الفريد هتشكوك ٥٨٣
- الجوهرة السوداء ... بيليه ٥٨٦
- الليزر ... الحل الذى يبحث عن مشكلة ٥٨٨
- حرب فيتنام ... النصر المستحيل ٥٩٠
- لغز انتحار همنجواى ٥٩٧
- حرب الاستنزاف ٦٠٠
- عبد المنعم رياض ... قصة رجل ٦٠٥
- فضيحة ووترجيت ٦١٢
- المصرى ... محمد كمال إسماعيل وأكبر توسعة فى تاريخ الحرمين الشريفين ٦١٦
- نيلسون مانديلا ٦٢٠

- وادى الحيتان فى قائمة التراث العالمى ٦٢٣
- جابرييل ماركيز ... يعتزل الإبداع ٦٢٥
- المدارس الفنية ... موجات من الرؤى ٦٢٧
- المراجع ٦٣٧
- الفهرس ٦٤٥